

لِينْكولْنْ تَشَايِلْد

# عَاَصِفَة الْأَعْمَاق

رَوَايَة

ترجمة  
حليم نسيب نصر

دار الكتاب العربي

بيروت - لبنان



عَاضِفَةٌ  
الْأَعْمَاقِ

## عاصفة الأعماق

حقوق الطبعة العربية © دار الكتاب العربي 2008

ISBN: 978-9953-27-802-5

Authorized Translation from the English Language  
:Edition

Deep Storm

Copyright © 2007 by Richard North Patterson

جميع الحقوق محفوظة، لا يجوز نشر أي جزء من هذا  
الكتاب،

أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي  
نحو،

وبأي طريقة، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية

أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك،

إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة ومقوماً.

الناشر

**DAR AL KITAB AL ARABI**

Beirut - Lebanon

**دار الكتاب العربي**

بيروت - لبنان

**هاتف 861178 - 862905 - 800811 (+ 961 1) Tel**

**فاكس 805478 (+ 961 1) Fax**

**بريد إلكتروني daralkitab@idm.net.lb**

**info@kitabalarabi.com**

**academia@dm.net.lb**

 **kitab alarabi**

**www.kitabalarabi.com**

**www.academiainternational.com**

**الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن فكر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.**

# الإهداء

إلى لوتشي

# كلمة شكر وعرافان

يطيب لي أن أقدم بالشكر من رئيس التحرير في "دابلداي"، السيد جايسون كوفمان، عرفانا لصداقته ومساعدته الدؤوبة لي في مسائل لا أستطيع إحصاءها. وأخص بالذكر بيل توماس، وأديان سباركس بسبب حماستهما الداعمة منذ البداية. كما أشكر جيني شوي وبقية رفاقها بسبب تكريسهم أنفسهم، وعملهم المثابر ودعمهم. وأشكر إريك سيمونوف وماثيو سيندر اللذين كانت خدماتهما أيضاً لا يستغنى عنها، ولا تعوض.

أوجه شكري إلى زوجتي لوتشي، وإلى ابنتي فيرونيكا، اللتين لولاهما لما تمكنت من إتمام كتابة هذا الكتاب.

أما دوغ بريستون، شريكى في تأليف الكتاب، فهو بالنسبة إليّ: "أخ لم تلده أمي" - فلقد كان دائماً إلى جانبي في خندق واحد بينما كنا نبتدع أحداث هذه الرواية. وقد قدم لي، بحق، عشرات المساهمات، الكبيرة منها والصغيرة، التي ساعدت في بلورة تصوراتي. فأهمية دوره لا حرج في التوسع بالكلام عنها.

كما أشكر، إلى جانب هؤلاء، الكثيرون ممن ساعدوا على جعل عنوان "عاصفة الأعماق" يتحول إلى كتاب، وأخص منهم: كلوديا روكله، ودولكر كنابيرز (طبيب)، وكذلك لي سوكنو (طبيب)، وإد بوشوالد.

ولا داعي للقول إن "عاصفة الأعماق" هي عمل روائي خيالي. وعليه فإن جميع أسماء الأشخاص والأمكنة والمحلات والأحداث والشركات والحكومات والمؤسسات والمرافق، هي إما وهمية، أو جرى استعمالها لغرض وهمي.

# المحتويات

## فصل تمهيدى

### منصة النفط ستورم كينغ قبالة شواطىء غرينلند

1

2

3

4

5

6

7

8

9

10

11

12

13

14

**15**

**16**

**17**

**18**

**19**

**20**

**21**

**22**

**23**

**24**

**25**

**26**

**27**

**28**

**29**

**30**

**31**

**32**

**33**

[34](#)

[35](#)

[36](#)

[37](#)

[38](#)

[39](#)

[40](#)

[41](#)

[42](#)

[43](#)

[44](#)

[45](#)

[46](#)

[47](#)

[48](#)

[49](#)

[50](#)

[51](#)

[52](#)

53

54

55

56

57

58

59

60

61

62

خاتمة

# فصل تمهیدی

# منصة النفط ستورم كينغ قبالة شواطئ غرينلند

يحتاج الأمر إلى نوع معين من الرجال للعمل على برج حفر للنفط، جال في ذهن كينغ ليندنغود، وهو نوع من الرجال المنكودين المعتادين على تحمل المشقة والمهانة.

جلس كئيباً أمام لوحة التحكم في مركز مراقبة الحفر. وفي الخارج، خلف الشبابيك القوية التثبيت كان المحيط الأطلسي الشمالي كتلة واحدة من عاصفة بيضاء سوداء. فسطحه المائج لا ينفك يرغب ويبرد برداً غاصب عاصف.

ومع كل ذلك،، فشمال الأطلسي كان شأنه أن يكون غاضباً على الدوام. وما هم إن كانت المنصة النفطية ستورم كينغ تعلو بهامتها أكثر من ألف قدم فوق سطح الماء: فاتساع رقعة المحيط قد جعلت المنصة بكاملها تبدو ضئيلة، كما لو أنها مجرد دمية طفل يمكن أن يكتسحها الماء في أي لحظة.

"ما هو وضع المكشطة الأسطوانية؟" سأله جوت

ويري، مدير المنشأة البحرية.

"واحد وسبعون قدماً، وما زالت تصعد" أجابه ليندنغود من وراء لوحة التحكم.

"وما هي حالة الأنابيب؟"

"لا شيء يستحق الذكر. كل شيء يبدو طبيعياً."

ارتفعت نظرتة من جديد إلى الشبابيك المعتمة التي تقطر رذاذاً. لقد كانت منصة ستورم كينغ، تقع إلى أقصى شمال حقل موراي النفطي البحري. وفي مكان ما، هناك، على مبعدة أربعين ميلاً تقريباً لجهة الشمال، كان ثمة أرض جرى العرف على تسميتها هنا: أنغماك ساليك، غرينلند. مع أنه في يوم كهذا اليوم، يصعب على المرء أن يصدّق أن ثمة شيئاً آخر غير المحيط فوق سطح هذا الكوكب.

أجل، لا بد من رجال متعوسين للعمل على برج حفر النفط (وهم يكونون على الدوام من صنف الرجال، بكل أسف، لأن النساء الوحيدات القليلات اللواتي يصادف المرء وجودهن على "المنصة"، هنّ من طياري الشركة، أو من ضباط رفع المعنويات، اللواتي يأتين بالطوّافات للتأكد من أن كل الأفراد في وضع جيّد وقويم، قبل أن يغادرن في أسرع وقت ممكن. ويبدو كل رجل كان يجلب شيئاً من شؤونه غير الناجزة، كاختلاج في الشخصية، أو اضطراب عصبي يجب أن يُرعى شأنه بتحب. وإلا فما الذي يدعو شخصاً للعمل في داخل صندوق حديدي معلق فوق أعمدة فولاذية مغروسة في بحر هائج بارد؟ ومن ذا الذي يدرى متى تأتي عاصفة وحشية تقتلعه من مكانه لتطيح به في عالم الغناء المجهول؟ كان كل واحد منهم يحب أن

يَدَّعي أن الراتب المغربي هو ما يدفعه لاختيار هذا العمل، مع أن الحقيقة تقول إن ثمة الكثير من الوظائف على اليايسة مما يدُرُّ ما يقارب هذه الرواتب. لا، لكن الحقيقة هي أن كل من قدم إلى هنا إنما قدم هرباً من شيء ما، أو ما هو أكثر هولاً، هرباً نحو شيء ما.

صدر صوت منبه خفيض عن محطة الطرفية.  
"فأنهت الأسطوانة تنظيف الرقم 2"  
"علم"، قال ويرى.

وعلى المحطة الطرفية التالية لمحطة ليندنغود أخذ فرد هيكس يقطع مفاصل أصابعه ثم قبض على ذراع لوحة التحكم. "إننا نقوم بتثبيت الأسطوانة فوق فتحة البئر الثالثة."

نظر ليندنغود إليه. كان هيكس، المهندس المناوب للإشراف على العمل، مثلاً نموذجياً. وكان يملك جهاز أي بود من الجيل الأول لم يخزن فيه إلا مقطوعات البيانو الأصلية الإثنيين والثلاثين لبيتهوفن. كان يستمع إليها باستمرار ليلاً ونهاراً، أثناء الدوام وبعده، مرة تلو المرة. كما أنه كان يترنم بها بينما يصغي إليها. بل إنه قد حفظها عن ظهر قلب - كما حفظها منه زملاؤه - من العاملين على المكشطة الأسطوانية ستورم كينغ.

ولم تكن تربيته في الصغر هي التي غرست فيه حبه للموسيقى.

"الأسطوانة الآن فوق الرقم ثلاثة"، قال هيكس، قبل أن يعدل مكان سماعة الأذن ويتابع الترنم مع مقطوعة والدشتاين.

"تابع النزول"، قال له ويرى.

"عَلِمَ". ثم عاد ليندغود إلى محطته الطرفية.

لم يكن هناك أحد سوى هؤلاء الثلاثة في محطة مراقبة الحفر. وفي الواقع، كانت الحفارة الكبيرة بكاملها تبدو كمدينة أشباح في ذلك الصباح. فالمضخات كانت صامتة. والعاملون على الحواجز الواقية، والحفارات، والرافعات، يتكاسلون في أماكن سكنهم، أو يشاهدون شاشات التلفزة الفضائية، أو يلعبون كرة الطاولة، أو لعبة الكرة والدبابيس. كان هذا هو آخر يوم في الشهر. وهذا يعني أن كل شيء يتوقف تماماً، بينما ترسل هذه المكاشط الأسطوانية الكهرومغناطيسية لتنظيف أنابيب الحفر.

أنابيب الحفر العشرة بكاملها.

عشر دقائق مضت، ثم عشرون بعدها. تغيّرت ترنيمة هيكس في إيقاعها، وصارت تحتاج إلى مخارج أنفية للصوت. كان هذا يعني أن مقطوعة والاشتاتين قد انتهت، وأن مقطوعة هامر كلافير قد بدأت.

وفيما هو يراقب شاشته، أجرى ليندغود حساباً ذهنياً. كان مكانه يعلو أكثر من عشرة آلاف قد فوق قاع المحيط، وكان يتطلب الأمر ألف قدم آخر، أو أكثر، من أجل الوصول إلى حقل النفط نفسه. وهذا يعني تنظيف مئة وعشرة آلاف قدم من الأنابيب. وكان عليه أن يمرر المكشطة الأسطوانية إلى أعلى وأسفل مرة تلو أخرى تحت العين المراقبة للرئيس المشرف على برج الحفر.

كانت الحياة جميلة.

وكما لو أن الأمر يشبه صف الانتظار، كان ويري يسأل "ما هو حال المكاشط الأسطوانية؟"

"ثمانية آلاف وسبعمائة قدم وما زالت تنزل". وعندما تصل الأسطوانة إلى قعر الأنبوب الثالث - وهو الأنبوب الذي يخترق أعماق الثقوب في قاع المحيط - سوف تتوقف لكي تعود إلى التراجع إلى الأعلى من جديد على غرار ما ابتدأت به العملية البطيئة المملة للتنظيف والفحص.

أطلق ليندنغود نظرة تجاه ويرى. فمدير المنشأة البحرية كان يشكّل ضماناً لصدق نظريته عن ضرورة توفر نوع معين من الرجال للعمل على منصات الحفر البحرية. فمثل هذا الرجل لا بد من أن يكون قد ضرب عدة مرات في طفولته على ملاعب مدرسته بسبب وجود نزعة سلطوية كبيرة عنده. وقد جرت العادة أن لا يكون للرؤساء في مكان مثل هذا المكان أي نزعة للتسلط. فهم أيقنوا أن الحياة على منصة الحفر ليست عبثاً، وعليهم أن يبذلوا ما بوسعهم لجعلها أقل قساوة على مرؤوسيه. لكن ويرى كان نموذجاً حياً عن "الكابتن بلاي" إذ لم يكن ليعجبه أداء أحد، لذلك تراه يقذف الأوامر على مرؤوسيه من العمال، وصغار المهندسين، ويكتب بحقهم التقارير لأدنى مناسبة. وكل ما كان ينقصه أن يضع إلى وسطه عصا مكسوّة بالجلد و...

فجأة بدأت لوحة هيكس بإطلاق الإشارة. وبينما نظر إليه ليندنغود بقلة اكتراث، إنحنى هيكس إلى الأمام متفجّصاً الأرقام.

"لدينا مشكلة مع الأسطوانة"، قال وهو ينزع سماعة الأذن ويتجهّم. "لقد أفلت...".

"ماذا تقول؟" هُرع ويرى لتفحص الشاشة. "هل هو

تفريغ ضغط عالي؟"

"كلا، لقد تمّت غربلة كل التغذية الراجعة ولم يُلاحظ وجود شيء مثل هذا من قبل."

"أعد العملية من جديد،" قال ويرى.

"لقد فعلتها." ثم أجرى هيكس بعض التعديلات على لوحته. "ها هي.. لقد أفلتت من جديد."

"مرة جديدة؟ تَبّاً." استدار ويرى بسرعة نحو ليندنغود. "إقطع الطاقة عن المغنطيس الكهربائي وقم بعملية فحص تام للجهاز"

إنصاع ليندنغود لأمر رئيسه بتنهيده. وإن كان لا يزال هناك سبعة أنابيب يجب أن ينتهي العمل عليها. فيما الأسطوانة تعمل من الآن بطريقة ملتوية، فمن الأكيد أن ويرى سيصاب بنوبة.

تجمّد ليندنغود في مكانه. هذا غير معقول. هذا غير ممكن.

ودون أن يزيح نظره عن الشاشة، كان قد وصل وأمسك بكمّ ويرى. "جون"

"ما الأمر؟"

أنظر إلى أجهزة التحسس."

تقدم الرئيس ناظراً نحو الشاشة. "ما الأمر بحق السماء ألم أقل لك منذ قليل أن تقطع الطاقة عن المغنطيس الكهربائي؟"

"لقد قطعتة. وهو لا يزال مقطوعاً."

"ماذا تقول؟"

"تحقق من الأمر بنفسك،" قال ليندنغود. صار ريقه جافاً، وبدأ شعور بالغثيان ينتاب معدته.

حدّق المدير بعناية أكبر في مفاتيح التحكم. "إذن ما الذي يتسبّب في كل هذا؟"

"فجأة توقف. ثم وببطء، مدّ قامته بينما صار وجهه شاحباً تحت مسحة زرقاء من ضوء شاشة العرض. "يا إلهي..."

**وبعد عشرين شهراً**

# 1

بدأت المنصة إلي بيتر كراين من الأفق البعيد أشبه بطائر لُفلق عملاق، وهو ينهض من مياه المحيط على أقدام رفيعة غريبة. لكن مع اقتراب الطوافة، بدأ خط كفاف المنصة يبدو أكثر وضوحاً أمام خلفية المياه. فبدأ الشبه المشار إليه يغدو بعيداً. فالقوائم بدأت الآن أكثر متانة، وظهر شكلها الأسطواني، بل ظهرت أشكال هذه القوائم كأبراج أسطوانية فولاذية عملاقة مرصوفة بالخرسانة المسلحة. أما الجسم المركزي، فقد بدأ بناء عملاقاً متعدد الأدوار، مزرراً بأعمدة منيرة وتربينات مزينة بصاريات وجسور. أما الجسم النحيف الذي يشبه العنق الممدود، والذي ينتصب فوقها، فقد تكشف عن رافعة شديدة التعقيد ترتفع عدة مئات الأقدام فوق أعلى الهيكل العملاق.

أشار الملاح الجوي إلى المنصة التي بدأت كأنها تقترب من الطوافة، رافعاً إصبعين. فاستجاب كراين له بإيماءة من رأسه.

كان نهاراً صافياً رائعاً، فانبهرت عينا كراين من لمعان مياه المحيط الممتدة في جميع الاتجاهات. شعر بتعب السفر واختلاط الجهات عليه: كيف لا وهو قد قطع رحلة جوية على خط تجاري من ميامي إلى نيويورك، ثم

استقل طائرة شارتر من طائرات غولف ستريم G150 في رحلة خاصة إلى ريكيافيك، ثم وصل الآن في طائرة هليكوبتر. لكن التعب هذا كله لم ينل من شعوره بالفضول العميق والمتنامي.

لم يكن ليدهشه كثيراً أن تكون شركة 'أما لغاميتد شايل' مهتمة باستخدام خبراته الخاصة، بقدر ما أدهشه إصرارها عليه بترك كل ما لديه من عمل والإسراع إلى تسليم عمله فوراً في منصة ستورم كينغ. ثم كانت مفاجأته أيضاً بحقيقة أن موقع هذه الشركة (أم شايل) المتقدم يغص بالتقنيين والمهندسين، بدلاً من أن يكون مأهولاً بالحفارين والعمال المشاكسين.

وهناك شيء آخر لفت نظره. فالملاح لم يكن أحد موظفي أم شايل. لقد كان يلبس بزة عسكرية تعود إلى سلاح البحرية الأمريكية.. وكان يضع على خصره مسدساً.

وعندما جنحت الطوافة بعنف حول جانب المنصة، متجهة نحو نقطة الهبوط، أيقن كراين للمرة الأولى كم هي كبيرة وعملاقة منصة الحفر هذه. فقميص هيكلمها الخارجي وحده كان يربو على علو طبقات ثمان. أما سطحها الأعلى، فقد كانت تغطيه متاهة مذهلة من الوحدات النمطية. وهنا وهناك، انتشر رجال بثياب السلامة الصفراء الموحدة يتأكدون من سلامة الوصلات والتعشيقات، ويشغلون معدات الضخ، وهم يبدوون كالأقزام قياساً بضخامة الآلات التي يطوفون حولها. أما في الاسفل البعيد، فكانت أمواج المحيط تزد وتزعي حول أعمدة البنية التحتية التي اختفت تحت سطح الماء ممتدة الآلاف من الأقدام لترتكز على قعر المحيط نفسه.

أبطأت الطوّافة، ثم جثمت داخل البقعة الخضراء السداسية الشكل في منطقة الهبوط. وعندما استدار كراين إلى الخلف لالتماس أمتعته، لاحظ وجود شخص ما عند الحافة في انتظاره. كان هذا الشخص امرأة نحيلة، رشيقة القوام، ترتدي سترة جلدية. شكر الطيار، وفتح الباب، وترجّل إلى أحضان الهواء المنعش، خافضاً رأسه بالغريزة تحت شفرات المروحة الهادرة.

مدت المرأة يدها عندما صار على مقربة منها وقالت:  
"دكتور كراين؟"

صافح كراين يدها قائلاً: "نعم."

"تفضّل من هنا." قادت المرأة الطريق أمامه من منصة الهبوط عبر سلّم قصير، ثم عبر ممر ضيق معدني طويل، إلى باب هو عبارة عن فتحة صغيرة، أشبه بفتحة الغواصة. ولم تعرّفه المرأة على اسمها.

كان جنديٌّ من البحرية يقف بثيابه الرسمية حارساً على مدخل الفتحة، ويحمل على جنبه بندقية. أوما إليهما بالدخول بعد أن فتح الفتحة ثم أغلقها خلفهما محكماً إقفالها.

كان يقع خلفهما ممر ساطع الإنارة، مرصوف على جانبيه بأبواب مفتوحة. ولم يكن ثمة هدير مقلق للتوربينات، ولا ضجيج نابض لأجهزة الحفر. أما رائحة الزيت، رغم أنه كان يمكن اشتمامها، فإنها كانت ضئيلة، وكأنما بُذلت جهود كبيرة لإزالتها.

لحق كراين بالمرأة، بينما حقيبتاه تتدليان من كتفه، متلفئاً بفضول إلى الأبواب التي كان يمرُّ أمامها. كان هناك مختبرات مليئة بالألواح البيضاء، ومحطات العمل،

ومراكز الكمبيوتر، وحجرات الاتصالات. كان الجانب الأعلى هادئاً، أما هنا فكان ثمة الكثير من النشاط والحركة.

قرّر كراين أن يجازف بطرح بعض الأسئلة. "هل الغطاسون موجودون في غرفة الضغط العالي؟ هل أستطيع رؤيتهم الآن؟

"من هنا لو سمحت،" أعادت عليه المرأة الكرة.

استدارا عند منعطف، ونزلا درجاً، ودخلا ممراً جديداً أعرض من سلفه وأطول. أما الغرفة التي مرّاً بجانبها، فكانت أكبر وأرحب، كانت مرائب للماكينات، ومستودعات تخزين للأجهزة ذات التقنية العالية التي لم يستطع أن يتيقن منها. تجهّم كراين. فبالرغم من أن مظهر ستورم كينغ كان يبدو من الخارج مظهر منصفه برج لحفر النفط، إلا أنه بات الآن يبدو من الواضح أن لا علاقة لهذه المحطة بضخ النفط الخام.

ماذا يجري هنا بحق السماء؟

"هل طار إلى هنا أيُّ اختصاصي بالأوعية الدموية، أو طبيب للرئة، من إيسلندا؟" سألها.

لم تُجبه المرأة، فهزّ كتفيه. لقد جاء من هذه المسافة البعيدة، ويستطيع الآن أن يصبر دقائق إضافية أخرى كيما تنجلي له الأمور.

توقفت المرأة أمام باب معدني رمادي اللون. "السيد لاسيتر في انتظارك."

لاسيتر؟ هذا اسم لم يسمع به من قبل. فالرجل الذي كلمه على الهاتف، شارحاً له باختصار المشكلة الموجودة في برج الحفر، كان اسمه سايمون. نظر إلى

الباب. فوجد لوحة تحمل اسماً كتب بأحرف بيضاء على رقعة بلاستيكية سوداء: إي. لاسيتر، العلاقات الخارجية.

استدار كراين نحو المرأة ذات السترة الجلدية، لكنها كانت قد ابتعدت عنه في بطن الممر. عدل وضعيه حقيبتيه، وقرع الباب.

"أدخل" جاء الصوت الجازم من الداخل.

كان لاسيتر رجلاً طويلاً نحيلًا شعره قصير وأشقر، لدى دخول كراين مستديرًا من وراء مكتبه ومصافحًا. لم يكن يرتدي بزة عسكرية، لكن قصة شعره، ونشاط حركاته المقتصدة، كانا يوحيان بأنه ربما يكون عسكريًا. كان المكتب صغيراً، وتبدو فيه أيضاً مظاهر الكفاءة ذاتها التي تبدو على شاغله. لقد كان المكتب مقتصد الجوانح على نحو مقصود: فلم يكن من الأوراق على ظهره سوى مغلف واحد أسمر وكان مختوماً. كما كان إلى جانبه آلة تسجيل رقمية.

"يمكنك أن تترك أمتعتك هناك." قال لاسيتر، مشيراً إلى إحدى الزوايا. "تفضل بالجلوس"

"شكراً." جلس كراين في المقعد المشار إليه. "إنني تواق لمعرفة الأمر الطارئ الذي أدى إلى استدعائي. فمرافقتي إلى هنا لم تدل لي بشيء من المعلومات حول المهمة."

"في الحقيقة هذا ما سأفعله أنا أيضاً." ابتسم له لاسيتر ابتسامة انطفأت بأسرع مما ابتدأت. "إن وظيفتي تقتصر على توجيه بعض الأسئلة إليك."

ابتلع كراين هذا الكلام. "سل ما بدا لك." قال بعد تريت.

ضغط لاسيتر زراً على آلة التسجيل. "هذا التسجيل قد جرى في الثاني من حزيران/يونيو. الحاضرون هم أنا شخصياً - إدوار لاسيتر - والدكتور بيتر كراين. المكان: إي. آر. أف، محطة الدعم والتجهيز." نظر لاسيتر من وراء طاولته نحو كراين. "كراين هل أنت على علم أن دورة خدمتك هنا لا يمكن تحديدها في مدة محددة؟"

"أجل"

"وهل تعرف أنه عليك ألا تفشي أبداً أي شيء تشهده هنا، أو أن تذكر شيئاً عن أي نشاط لك تقوم به في هذه المنشأة؟"

"أجل."

"وأنت على استعداد لتوقيع إقرار بذلك؟"

"أجل."

"هل حصل وأن تمّ اعتقالك مرة؟"

"لا".

هل ولدت أميركياً، أم أنك اكتسبت جنسيتك بالتجنس؟"

بل ولدتُ في مدينة نيويورك."

"هل تتعاطى عقاقير علاجية لأي حالة مزمنة."

"لا."

"هل تسرف في تناول الكحول، أو تناول عقاقير مخدّرة بانتظام؟"

أجاب كراين على الأسئلة بإجابات موفقة، لكن

دهشته لها كانت تنامى. " ما لم تكن تعتبر أن استهلاك  
علبة تحتوي على ست زجاجات من الجعة في نهاية  
الأسبوع إدماناً، فالجواب، لا."

لكن لاسيتر لم يتسّم. "هل تشكو من رهاب  
الاحتجاز في الأماكن الضيقة، أيها الدكتور كراين؟"  
"لا."

أوقف لاسيتر دوران آلة التسجيل. ثم التقط المغلف  
الأسمر وفضّه بأصبعه وسحب من داخله نصف دزينة  
من الأوراق وممرها إلى كراين عبر الطاولة. إقراً لو  
سمحت، ثم وقع كلاً من هذه الأوراق " قال هذا ملتقطاً  
قلماً من جيبه وواضعاً إياه بجانب الأوراق.

التقط كراين الأوراق وبدأ بالإطلاع عليها. وفيما كان  
يقوم بذلك، وجد أن دهشته باتت تتحول إلى عدم  
تصديق. لقد كان ثمة ثلاث إقرارات بضرورة التزام  
السرية، منفصلة بعضها عن البعض الآخر. فواحدة  
تُدعى: " إقرار رسمي بعدم الإباحة عن أسرار العمل ".  
أما الثانية فتدعى: " مبادرة تعاون ملزمة ". وكلها كانت  
وثائق مدموغة بخاتم حكومة الولايات المتحدة، وكلها  
تتطلب التوقيع. وكلها تهدد بعواقب وخيمة لو تمت  
مخالفة أيٍّ من بنودها.

ألقي كراين الوثائق على الطاولة وهو متنبّه إلى  
نظرات لاسيتر إليه. لقد زاد ذلك عن حدّه. وربما عليه أن  
يشكر لاسيتر بكل تهذيب، ثم يعتذر له بالخروج، ويقفل  
عائداً إلى فلوريدا.

لكن كيف عليه بالضبط أن يقوم بذلك؟ فشركة أم  
شاييل قد تكبدت مصاريف كثيرة حتى تمكنت من جلبه

إلى هنا. والطوافة قد غادرت الآن مهبطها. وكان يجد صعوبة في المفاضلة بين مشروعَي بحثٍ في الوقت الراهن. كل ذلك بالإضافة إلى كونه لم يعتد الهرب من وجه التحدي. خاصة عندما يكون التحدي غامضاً مثلما هو الحال الآن.

التقط القلم، وقبل أن يعطي نفسه فرصة لمواجهة الذات، قام بتوقيع جميع الوثائق.

"أشكرك"، قال له لاسيتر. ثم عاد إلى متابعة تسجيل الحديث من جديد. "ليتذكر السجل المكتوب أن الدكتور كراين قد قام بتوقيع الوثائق اللازمة." ثم وقف بعد أن أقفل آلة التسجيل. "إذا تبعتني يا دكتور، فأعتقد أنك ستلقى إجابة على أسئلتك."

قاد الطريق إلى خارج المكتب خلال منطقة إدارية متاهية الممرات، وركبا مصعداً إلى الأعلى ودخلا مكتبة حسنة الأثاث مكتظة بالكتب والمجلات ومحطات الكمبيوتر. أشار لاسيتر إلى طاولة في أقصى نهاية القاعة. كان على الطاولة جهاز كومبيوتر فقط. "سوف أعود إليك"، قال هذا ثم استدار مغادراً الغرفة.

جلس كراين حيث أشير إليه بالجلوس. لم يكن ثمة أحد سواه في المكتبة. وكان قد بدأ يتعجب عما قد يحصل لاحقاً عندما ومضت شاشة الكمبيوتر أمامه. وقد ظهر على صفحتها وجه رجل أشيب، قائم السمرة، يبدو في أواخر العقد السادس من عمره. لعله نوع من شريط الفيديو الإيضاحي، فكّر كراين. لكن عندما ابتسم الوجه مباشرة له، أيقن أنه لم يكن ينظر إلى شاشة كومبيوتر، بل إلى شاشة دائرة تلفزيونية مغلقة ذات كاميرا صغيرة جداً مزروعة في إطار الشاشة العلوي.

"مرحباً يا دكتور كراين،" قال الرجل. ابتسم فبان وجهه اللطيف عن جمعٍ من التجددات. "أدعى هوارد آيشر."

"إنني سعيد بلقائك." قال كراين في اتجاه الشاشة.

"إنني كبير علماء الوكالة الوطنية للمحيطات. هل سمعت بها من قبل؟"

"أليست هي الذراع الإداري للشعبة القومية لجغرافيا المحيطات؟"  
"هذا صحيح."

"إنني مرتبك قليلاً يا دكتور آيشر - اللقب "دكتور"، أليس كذلك؟"

"صحيح، لكن يمكنك أن تناديني هوارد."

"هوارد. ما هي علاقة الوكالة الوطنية للمحيطات ببرج حفر النفط؟ وأين هو السيد سايمون، الشخص الذي كان قد كلمني على الهاتف؟ والذي قام بترتيب كل هذا اللقاء؟ لقد قال إنه سوف يكون موجوداً هنا لمقابلتي."

"في الحقيقة يا دكتور كراين، ليس هناك من وجود للسيد سايمون. لكنني موجود هنا، ويسعدني أن أشرح لك كل ما يمكنني شرحه."

تجهّم كراين. "كنت قد أخبرت أن ثمة مسائل طبية تتعلق بالغطاسين الذين يقومون بتشغيل التجهيزات المائية لبرج الحفر. هل كان ذلك خدعة أيضاً؟"

"فقط جزئياً. لقد كان في هذا الكلام كثير من الخداع."

وإنني آسف لذلك. لكن ذلك الإجراء كان ضرورياً. كان علينا أن نقوم بالتأكد أولاً. فأنت ترى أن السرية هي أمر بالغ الحساسية في هذا المشروع. لأن ما يوجد لدينا هنا يا بيتر - هل أستطيع أن أناديك بيتر؟ - هو اكتشاف القرن العلمي والتاريخي.

"تقول القرن؟" كرّر كراين، وهو غير قادر على إخفاء شعوره بعدم التصديق في لهجة صوته.

"يحق لك أن تشكّك في الأمر. لكن هذا ليس خداعاً. إنه أبعد ما يكون عن الخداع. ولكن رغم كل شيء، فإن عبارة "اكتشاف العصر" قد لا تكون دقيقة تماماً."

"إنني لا أعتقد ذلك،" أجاب كراين،

"كان علي أن أسميه أعظم اكتشاف على مرّ الزمن."

## 2

حدّق كراين في صورة الشخص التي ما زالت تظهر على الشاشة. كان الدكتور أيشر يتسم له بودّ وصدّاقه، وحتى بروح أبوية. لكن لم يكن ثمة شيء في هذه الابتسامة يشير إلى الخفة أو المزاح.

"لم يكن باستطاعتي إطلاعك على الحقيقة قبل أن تحضر إلى هنا بصورة جسدية، وقبل أن يجري التدقيق بشأنك كلياً. وقد استفدنا من فترة سفرك لإتمام هذه العملية. وحقيقة الأمر أن هناك الكثير مما لا أستطيع أن أقوله لك، حتى في الوقت الحاضر."

تلّفت كراين خلف كتفيه فوجد المكتبة فارغة.  
"لماذا؟ أليس هذا الخط آمناً؟"

"بالطبع إنه آمن. لكن علينا أن نتظر قبل كل شيء حتى نعلم أنك قد ألزمت نفسك بالمشروع بشكل كامل."

ترث كراين دون أن يقول شيئاً.

"ومع ذلك فإن الشيء القليل الذي قلته لك، هو سرّي إلى درجة كبيرة. فحتى لو أنك رفضت عرضنا، سوف تبقى تحت الإلزام الذي تفرضه عليك موجبات السرية الواردة في الإقرارات التي قمت بتوقيعها."

"أستطيع أن أفهم ذلك،" قال كراين.

"حسناً." قال آيشر بشيء من التردد. "إن المنصة التي تقف فوقها الآن يا بيتر معلقة فوق شيء هو أكثر بكثير من أن يكون مجرد حقل بترول."  
"وماذا يكون إذن؟" خرج السؤال تلقائياً من فم بيتر.

ابتسم آيشر بطريقة غامضة. "يكفي أن أقول لك أن حفاري البئر كانوا قد اكتشفوا شيئاً منذ سنتين تقريباً. شيء رائع إلى درجة جعلتنا نقرر بين ليلة وضحاها أن نتوقف هذه المنصة عن أن تكون منصة لضخ النفط لكي يصبح لها دورٌ سرِّيٌّ آخر أكثر أهمية."

"دعني أحمّن، أعتقد أنك لا تستطيع إخباري بماهيته."

ضحك آيشر. "كلا، ليس الآن. لكنه اكتشاف من الأهمية بمكان، مما جعل الحكومة لا توفر جهداً، أو نفقة، تمكنها من استخلاصه وامتلاكه.

"تقول استخلاصه وامتلاكه؟"

"نعم، لأنه شيء مدفون في قعر البحر تحت المنصة تماماً. هل تذكر أنني سبق وقلت لك إنه اكتشاف العصر؟ إن ما يحصل الآن هنا هو في جوهره عملية حفر: عملية تنقيب أثري لم يسبق لها مثيل. ونحن نقوم الآن بصناعة التاريخ، بالمعنى الحرفي للكلمة."

"ولكن ما الداعي لكلّ هذا التستر؟"

"لأن الناس لو اشتتموا رائحة عمّا قد وجدنا، سيصبح هذا الموضوع على الفور خبر الصفحات الأولى في كل

جريدة في الدنيا. وفي غضون ساعات، سيصبح هنا المكان أشبه بمنطقة منكوبة. فضلاً عن أن نصف دزينة من الحكومات ستبادر إلى ادعاء السيادة على هذا المكان، هذا إلى جانب اللفظ الصحفي، وضغط الفضوليين، وهواة السياحة. فالاكتشاف هو بكل بساطة حسّاس جداً لكي يتم تعريضه للمخاطرة بمثل هذه الطريقة."

تراجع كراين في كرسيه مفكراً. لقد صارت رحلته بكاملها رحلة سوريالية. فمن ترتيبات السفر المستعجلة، إلى منصة النفط التي لم تكن منصة نפט أبداً، إلى مسالة السرية... والآن هذا الوجه الذي يكلمه من داخل صندوق عن اكتشاف يفوق حتى مجال التصور.

"إن لك أن تعتبرني رجلاً من الطراز القديم،" قال له، "لكنني سأشعر أنني في وضع أفضل بكثير لو أنك بذلتَ بعض الوقت لكي تراني شخصياً وتحدّثني وجهاً لوجه."

"إن الأمر يا بيتر هو بكل أسف ليس بهذه السهولة. ومع هذا، فإن شئت أن تلتزم بالمشروع ستتمكن من رؤيتي بسرعة كافية."

"إنني لا أستطيع أن أفهم. ما هو بالضبط، سبب صعوبة لقائنا."

ابتسم آيشر مرة جديدة. "لأنني في هذه اللحظة، موجود على عمق آلاف من الأقدام تحتك."

حدّق كراين في الشاشة. "هل تعني -"

"بالضبط. فإن منصة نפט ستورم كينغ هي مجرد

جزء داعم من المشروع، إنه مجرد قسم إعادة التموين.  
أما العمل الحقيقي فيجري في الأعماق. ولهذا السبب:  
فإنني أتكلم الآن معك عبر دائرة فيديو مغلقة."

تمعن كراين في هذا الكلام لحظة. "وماذا يوجد في  
الأسفل؟" وجه سؤاله بهدوء.

"تخيّل محطة هائلة للأبحاث، تعلو إلى اثنتي عشرة  
طبقة، وهي مليئة بالتجهيزات والتقنية التي هي خلف  
ما جاءت به آخر حدود التطور، وكلها موجودة على  
أرضية المحيط. هذه هي الـ: إي. آر. أف. إنها قلبُ وروح  
أحدث وأغرب جهد للتنقيب الأثري حتى الآن."

"تقول: إي. آر. أف.؟"

"إنها اختصار لعبارة باللغة الانكليزية تعني: منشأة  
الاستكشاف والاستعادة. لكننا نكتفي بالإشارة إليها  
تحت اسم. "المنشأة"، بكل بساطة. أما العسكريون،  
وأنت تعرف كم هم مغرمون بالكلمات الطنّانة، فقد  
أطلقوا عليها تسمية "لو قلت عاصفة الأعماق."

"لقد لحظتُ الوجود العسكري هنا. ما هي ضرورة  
وجود العسكريين؟"

"أستطيع أن أقول لك إن السبب هو كون هذه  
المنشأة ملكاً حكومياً، وأن ذلك يعود لكون الوكالة  
الوطنية للمحيطات جزء من إدارة حكومية، فإن هذا  
الكلام سيكون عندئذ صحيحاً. أما السبب الحقيقي  
فيعود إلى أن كثيراً من التكنولوجيا التي نقوم  
باستخدامها في مشروع الاستعادة هذا هي من النوع  
المصنّف تكنولوجيا عسكريّة سرّية.

"وماذا عن أولئك الناس الذين رأيتهم في الأعلى

يعملون على أجهزة الحفر؟"

"إنهم مجرد واجهة إعلامية إلى درجة كبيرة. فإن علينا أن نبذو وكأننا لا نقوم بشيء سوى بتشغيل منصة لحفر آبار البترول، في نهاية الأمر."

"وماذا عن شركة أم شايل؟"

"إنهم يتقاضون مبلغاً جيداً واستثنائياً من أجل أن يؤجروا إلينا برج الحفر هذا، ومن أجل أن يتصرفوا كمكتب واجهة، وأن يمتنعوا عن طرح أي أسئلة."

تململ كراين في مقعده. "وهذه المنشأة التي تذكرها، هل هي التي ستكون مكان عملي؟"

"نعم. فهذا هو المكان الذي يوجد، ويعمل، ويعيش فيه كل علماء الحياة البحرية، وجميع المهندسين. إنني على دراية بالوقت الذي كنت قد صرفته في بيئة تحت الماء يا بوتر. وأعتقد أن ذلك سيسرك مثلما يفاجئك، أو بالأحرى يدهشك. وعليك أن ترى المكان لكي تصدق. فالمنشأة هي أعجوبة في التكنولوجيا تحت المائية."

"لكن ما هي الضرورة للعمل من قعر البحر؟ لم لا تقوموا بإدارة هذه العمليات من على السطح؟"

"السبب هو أن الآثار عميقة جداً حتى بالنسبة لمعظم الغواصات وأجهزة الغطس. زد على ذلك أن حصيلة كل غطسة منفردة هي حصيلة منخفضة المردود إلى درجة سحيقة. صدقني أنك عندما تحاط علماً بكل شيء، فإنك ستجد منطقاً في كل ما أقوله لك."

هزَّ كراين رأسه ببطء. "أعتقد أن كلَّ هذا يتركنا أمام سؤال واحد فقط. "لماذا أنا بالذات؟"

"أرجوك، يا دكتور كراين. أنت شخص شديد التواضع. فأنت عسكري سابق، وكنت قد خدمت من قبل على متن غواصات التسلسل وحاملات الطائرات. وأنت تعرف ماذا تعنى الحياة في مساحات محصورة، تحت الضغط وأنا أعني ما أقول حرفياً ومجازياً."

لقد قام باستقصاءاته عني، جال في ذهن كراين.

"فأنت قد تخرجت الثاني في صفك من كلية مايو الطبية. ونظراً للمهام المحددة التي اضطلعت بها في البحرية، فقد كنت طبيباً معتاداً - إلى جانب أشياء أخرى - على الاضطرابات التي تصيب الغواصين وسواهم من العاملين في البيئة البحرية."

"هذا يعني أن ثمة مشكلة طبية عندكم."

"بالطبع. لقد اكتمل إنشاء البناء وتجهيزه منذ شهرين. وبات مشروع الحيازة ماض على قدم وساق. ومع هذا، فإن العديد من شاغلي عاصفة الأعماق قد بانث عليهم خلال الأسبوعين الماضيين أعراض صحية غير اعتيادية."

"هل هو شلل الغواصين؟ أم الخدر النيتروجيني؟"

"بل هو أقرب إلى الأول منه إلى الثاني. لكن دعنا نقول إنك مؤهل بشكل فريد - بوصفك طبيباً وضابطاً سابقاً - من أجل معالجة هذا الابتلاء."

"وماذا عن مدة وظيفتي؟"

"ستمتد مدة وظيفتك في الحقيقة طيلة المدة التي تحتاجها لتشخيص المشكلة ومعالجتها. وفي أفضل تقدير، أنك ستحتاج إلى المكوث بيننا مدة أسبوعين أو

ثلاثة. ولكن حتى وإن استطعت تحقيق شفاء فوري عجائبي، فلسوف يقتضي الأمر منك البقاء في المنشأة لمدة أقلها ستة أيام. وليس قصدي هنا الغوص في التفاصيل، لكن لمواجهة مثل هذا الضغط الجوي الهائل في مثل هذا العمق، فإننا قد طورنا عملية تأقلم فريدة من نوعها. فالوجه الإيجابي لهذه العملية هو أنها تمكن الناس من العمل تحت الأعماق بسهولة أكثر مما هو معهود في الماضي. أما الوجه السلبي لها: فهو جعل دخول المحطة والخروج منها، أمران يتطلبان وقتاً طويلاً. وكما يمكنك أن تتصور، فإنه لا يمكن استعجال هذه الأمور."

"أستطيع أن أتصور ذلك". لقد كان كراين قد شهد أكثر مما هو نصيبه من الحالات المؤدية إلى الوفاة، الناتجة عن مرض تفقع الدم بسبب سرعة تضائل الضغط.

"هذا هو كل ما في الأمر، في واقع الحال. ما عدا طبعاً أن أذكرك مرة ثانية أنك حتى وإن قررت ألا تقبل هذه المهمة، فإنك ستبقى تحت الالتزام الصارم بالسرية، بحيث أنه لا يحق لك أن تذكر أمام أحد شيئاً عن زيارتك هذه، أو أن تكشف عما جرى بيننا."

هزَّ كراين رأسه بالإيجاب. لقد عرف أن على آيشر أن يكون موارباً. لكن مع كل ذلك، فإن نقص المعلومات كان يقلقه. فها هو الآن يُطلب منه أن يعطي بضعة أسابيع من عمره في مهمة لا يكاد يعرف عنها أي شيء.

ومع كل ذلك، فإنه لم يرَ أيَّ ارتباط يمنع من البقاء عدة أسابيع في عاصفة الأعماق. فهو كان قد طلق مؤخراً زوجته دون أن يكون لهما أولاد. وهو الآن يحاول

المفاضلة بين عرضي عمل في حقل البحوث. ولا شك في أن آيشر يعرف عنه هذه المعلومات أيضاً.

ثم أن يكون أمام اكتشاف خارق خيالي، رغم ما يحيط به من إبهام - أو ربما بسبب ذلك - هو أمر جعل نبضات قلبه تتسارع لمجرد التفكير في أن يكون هو جزءاً من مثل هذه المغامرة. كما أنه أدرك أنه رغم أنه لا يدري عنها شيئاً فإن قراره قد اتخذ.

ابتسم آيشر مرة جديدة وقال: "حسناً إذن، ما لم يكن لديك المزيد من الأسئلة، فسأنهي هذا الاتصال بواسطة الفيديو كي أعطيك بعض الوقت للتفكير في قرارك."

"لن يكون ذلك ضرورياً،" أجاب كراين. "لا موجب عندي للتفكير حيال عمل يتعلق بصناعة التاريخ. ولا أطلب منك الآن سوى أن توجهني في الاتجاه الصحيح."

في هذه اللحظة انفجرت أسارير آيشر. "أما الاتجاه فهو نحو الأسفل يا بوتر. نحو الأسفل مباشرة."

### 3

رغم أن بيتر كراين كان قد أمضى قرابة أربع سنوات من عمره يعمل في داخل الغواصات، إلا أنها كانت المرة الأولى التي يجلس فيها على مقعد بجانب القمرة.

وكان قد أمضى بضع ساعات على منصة عاصفة الأعماق، أولاً للخضوع لفحوصات طبية ونفسية دقيقة ووافية، ثم أمضى بعض الوقت في المكتبة في انتظار حلول الظلام. وفي النهاية تمت مرافقته إلى منصة تجمع تقع تحت برج الحفر حيث كانت في انتظاره غواصة أعماق تابعة للبحرية ترسو مربوطة إلى دعامة اسمنتية. كان البحر يغور بغضب حول الدعامة، وكان لوح العبور المؤدي إلى فتحة الغواصة، مربوطة بحبال إرشاد لا حاجة له بها. عبر كراين إلى برج المراقبة الضئيل. ومن هناك انحدر إلى الأسفل عبر سلم معدني زلق بفعل تكثف الرواسب، ماراً بفتحة الضغط، خلال حجرة العوم، ثم إلى الجوف الضيق المضغوط حيث كان ضابط شاب يتولى القيادة.

"اجلس في أي مقعد يا دكتور كراين،" قال الرجل.

في الأعلى سُمع صوت انغلاق كوة ثم تبعها صوت انغلاق كوة أخرى كان له رجع ضعيف في أجواء

## الغواصة.

ألقى كراين نظرة حوله على المقصورة. فباستثناء المقاعد الخالية، المرتبة في صفين أو ثلاثة، كان كل إنش مربع من الجدران والأرضية مغطى بمؤشرات قياس الضغط، والأنابيب، والآلات. والاستثناء الوحيد كان عبارة عن فتحة ضيقة بعيدة المدى موجودة في الجدار الأقصى من الغواصة. كما أن

ثمة رائحة كانت عالقة في المساحة المحيطة بها يُشتمُّ منها خليط من روائح زيت التشحيم والرطوبة والتعرق، رائحة ذكرته على الفور بسنواته التي قضاها مرتدياً ثياب الغطس.

جلس ملقياً بحقائبه على المقعد المجاور، ومستديراً نحو النافذة التي هي عبارة عن كوة مستديرة أحيطت بسوار معدني رفيع مثبت بمسامير مصوملة على امتداد محيطها. تجهم قليلاً. فلقد كان يسكنه احترام داخلي لبدن الغواصات الفولاذي السميك. أمّا هذه الغواصة، فقد بدت مخيفة رغم ما بدا عليها من مظاهر الترف المريب الذي لا لزوم له.

ولا بد أن القبطان كان قد لاحظ نظرتَه هذه، لأنه كان قد ابتسم. "لا ينشغلن بالك، فالنافذة مصنوعة من مواد مركبة خاصة، أنشئت في وقت واحد مع البدن لتكون جزءاً منه. فلقد مضى وقت طويل منذ أن كانت نوافذ الغواصات تصنع قديماً من الكوارتز على طراز الغواصة تريستا."

استجاب كراين لابتسامة القبطان بابتسامة مماثلة. "لم أدر أنني سأكون شفافاً إلى هذه الغاية."

"هذه هي طريقي في التمييز بين العسكريين والمدنيين،" قال الشاب "لقد اعتدت على حياة العمل تحت الماء أليس كذلك؟ ادعى ريتشاردسون."

أوما كراين برأسه احتراماً. كان ريتشاردسون يضع على ثيابه شارة ضابط صف من الدرجة الأولى. أما الشعار الذي ظهر فوق شارته فقد كان يشير إلى أنه أخصائي عمليات.

"لقد خدمتُ مدة سنتين في مهمات على متن قاذفات القنابل،" أجاب كراين "ثم خدمتُ سنتين آخرين بعدها على متن قوارب الهجوم السريع."  
"لقد أمسكتُ بك."

سُمع صوت سحب في الأعلى، فعرف كراين أنهم يقومون بسحب لوح العبور إلى ظهر الغواصة. ثم صدر صوت راديو جاء من بين كتلة التجهيزات يقول: "إيكو تانغو فوكس تروت، جاهزون للغطس."

التقط ريتشاردسون ميكروفوناً. "إلى كونستانت وَنْ، من إيكو تانغو فوكس تروت. عِلْم، عِلْم."

سُمع صوت أزيز للهواء، كما سُمع همس مكتوم من المحركات الداسرة. تمايلت الغواصة برفق للحظة فوق الأمواج. صار الأزيز عالياً لمدة قصيرة ثم أفسح في المجال لصوت تدفق الأمواج فوق صوابير الخزانات. بدأت الغواصة علي الفور بالتوازن. انحنى ريتشاردسون فوق لوحة التحكم وأشعل مجموعة من المصابيح الخارجية. وعلى الفور تحوّلت الظلمة التي كانت خارج النافذة إلى عاصفة من الفقاقيع البيضاء.

"كونستانت وَنْ، إيكو تانغو فوكس تروت بدأت

بالغطس،" قال ريتشاردسون في الميكروفون.

"ما هو عمق المنشأة؟" سأل كراين.

"أكثر بقليل من ثلاثة آلاف ومئتي متر."

قام كراين بعملية تحويل حسابية ذهنية؛ ثلاثة آلاف ومئتي متر هي أكثر من عشرة آلاف قدم. فالمنشأة ترقد على عمق ميلين تحت سطح المحيط.

أما خارج الكوة، فقد تحولت عاصفة الفقاعات ببطء إلى محيط أخضر. حدّق كراين بأنظاره مفتشاً عن أسماك يراها، لكن كل ما استطاع أن يراه كان مجرد أشكال فضية غير محددة، تقع خلف دائرة الضوء.

والآن، بعد أن صار ملتزماً بالعملية كلها، شعر أن فضوله يتزايد. ولكي يصرف نفسه عن ذلك، تحول نحو ريتشاردسون. "كم مرة تقوم بمثل هذه الرحلة؟" سأله.

"في البداية، عندما كان يجري بناء المنشأة، كنا نقوم بمثل هذه الرحلة خمس أو ست مرات في اليوم الواحد. وتكون الرحلة ممتلئة بالكامل في كل مرة. أما الآن، وقد صارت العملية إسمية، فقد تمضي أسابيع قبل أن نقوم بالغوص مرة واحدة."

"لكنك ما زلت بحاجة إلى نقل الناس إلى الأعلى، أليس كذلك؟"

"لا أحد يعود إلى الأعلى. ليس بعد."

أصيب كراين بالدهشة لهذه الإجابة. "لا أحد؟"

"كلا، يا سيدي."

عاد كراين إلى التحديق في النافذة. وكانت الغواصة تنحدر بسرعة، وقالب المياه الأخضر يغدو أكثر عتامة أسرع فأسرع من ذي قبل.

"كيف يبدو الوضع في الداخل؟" سأل.

"تقول في الداخل؟" كرر ريتشاردسون بعده.

"أجل، أعني في داخل المنشأة."

"لم يسبق لي أن ولجت إلى داخل المنشأة."

استدار كراين مرة جديدة نحوه بذهول.

"إنني مجرد سائق تاكسي. وعملية الأقامة طويلة جداً بالنسبة إليّ لكي أتفرّج على المواقع. فهم يقولون إنه عليّ أن أكون ثلاثة أيام في الخارج، مقابل كل يوم في الداخل.

هزّ كراين برأسه. صارت المياه أشدّ عتامة خارج النافذة. وصار الجزء المحيط من البحر مجزّعاً بنوع من مادة جُسيّمية. وكانوا ما زالوا ينحدرون بمعدّلٍ متسارع، وقد قام بالثأوب في محاولة منه لفتح انسداد أذنيه. فلقد كان قد نال نصيبه من الغطس الخاطف أثناء خدمته السابقة، وكانت جميع تلك الغطسات شديدة نوعاً ما: حيث يقف الضباط والأفراد في استدارة بوجوه مقطبة فيما بدن الغواصة يئن ويخور تحت وطأة الضغط المتزايد. لكن لم يكن ثمة أنين يأتي من هذه الغواصة بالذات، بل مجرد هسيسٍ خافتٍ للهواء، وأزيزٍ مراوح الأجهزة.

لقد بات الظلام، خلف الكوة الآن، مطبقاً تماماً. حدّق نزولاً في الأعماق التي تشبه الحبر الأسود. في مكانٍ ما، هناك في الأعماق كان ثمة منشأة تقع خلف حدود

أيّ طراز، إلى جانب شيء ما، شيء غير معلوم، ينتظره تحت طمي قعر المحيط ورماله.

وكانما هو جزء من دورٍ أن أوان تمثيله، مدّ ريتشاردسون يده نحو شيء ما كان موجوداً قرب مقعده وناوله إلى كراين قائلاً: "لقد أوصاني الدكتور آيشر أن أعطيك هذا، وقال إنه يمكن أن يجعلك تفكر بينما نقوم برحلتنا إلى الأعماق."

كان مظروفاً كبيراً أزرقاً مختوماً من مكانين، وممهوراً بعدة أختام، وعليه تحذير يقول: مادة مصنفة مسجلة، للقراءة فقط، خاص وسري للغاية. فعلى زاوية منه كان ثمة ختم حكومي وكثير من الكلمات المطبوعة بأحرف صغيرة مليئة بالتحذيرات الشديدة لكل من يتجرأ على انتهاك حرمة هذه الرسالة.

قلّب كراين المظروف بين يديه. الآن، وقد جاءت لحظة الحسم، بات يتردد بفتحه. تردّد لحظة أخرى ثم فضّ الأختام بعناية وقلب المظروف.

رقاقة مطرّقة، وكتيب صغير، وقعا في حضنه. التقط الرقاقة ناظراً فيها بفضول. كانت عبارة عن رسم بياني لما بدا بناءً عسكرياً ضخماً، أو ربما سفينة، وعليها نقش يقول: الطبقة العاشرة - قسم شؤون الموظفين (الأسفل) نظر فيها مقلّباً إياها للحظة، ثم وضعها جانباً ليتناول الكرّاسة.

كانت تحمل عنواناً مختوماً عليها يقول: قواعد السلوك في المنطقة البحرية السرية. تصفّح الأوراق مجيلاً نظرة سريعة على الفقرات المتعددة، كما على القوائم. ثم أغلق الكتيب بحركة سريعة خاطفة، ما هذا؟ هل هو رأي آيشر في مجرد نكتة كبيرة؟ التقط

المظروف من جديد مدققاً النظر بداخله.

ثم لاحظ وريقة وحيدة مطوية لا تزال عالقة بداخله. سحبها إلى خارجه، ثم أفردها وبدأ يقرأ فيها. وحالما بدأ بذلك، شعر بخدر غريب يبدأ من ذوائب أصابعه وينتقل فيه سريعاً، مستغرقاً كل هيكل جسده.

يقول الاقتباس:

رقم المرجع: إي. آر. أف. -10230أ

خلاصة الموضوع: جزيرة أتلانتس.

I- الوصف المدون

II-

الأحداث المتسارعة التي تسببت في غرق الجزيرة (تخمين).

III-

القارة: 9500 قبل الميلاد  
تاريخ غرق

المصدر: أفلاطون، حوار تيموس.

يخبرنا التاريخ عن قوة عظمى قامت بحملة ضد أوروبا بكاملها. وكانت هذه القوة قد جاءت من جزيرة في المحيط الأطلسي. وكانت هذه الجزيرة أكبر من ليبيا وآسيا معاً، كما كانت تقع في الطريق إلى الجزر الأخرى التي يمكن العبور منها إلى القارة المقابلة التي كانت تحيط بالمحيط الحقيقي.

والآن، في جزيرة أتلانتس هذه، كان ثمة إمبراطورية عظيمة تبسط حكمها على الجزيرة بكاملها، كما على عدة جزر أخرى

سواها، وعلى أقسام من تلك القارة. لكن حصل بعد ذلك هزات أرضية عنيفة وطوفانات، وفي غضون نهارٍ واحدٍ وليلةٍ من استمرار الكارثة، غرقت جزيرة أتلانتس واختفت في أعماق البحر...  
نهاية الاقتباس.

كان هذا الاقتباس المختصر من أفلاطون كل ما احتوت عليه الوريقة. لكنه كان كافياً.

سمح كراين للوثيقة بالسقوط في حضنه محدّقاً في الكوّة دون أن يرى شيئاً. لقد كانت هذه النسخة التي اختارها أيشر لكي يرحب بقدومه إلى متن عاصفة الأعماق. لقد كانت هذه هي طريقته في الإبراق إلى كراين، بكل دقة، حول ماهية ما يجري التنقيب عنه على عمق ميلين تحت سطح مياه المحيط.

إنها أتلانتس!

بدا الأمر غير قابل للتصديق. ومع كل ذلك، فإن جميع الأجزاء تتراكم معاً بانسجام: من الأجواء السريّة، إلى التكنولوجيا، حتى إلى حجم الإنفاق الضخم. لقد كانت هذه العملية لغز العام الأكبر: الحضارة الزاهرة أتلانتس، عندما وُضع حدٌ مفاجيء لها، ولوجودها، في ذروة مجدها. وبسبب انفجار متسارع باتت المدينة ترفد تحت الماء. من تُراهم كانوا سكانها؟ ما هي الأسرار التي كانوا يملكونها؟

لبث في مقعده من دون حراك منتظراً أن يتراجع عنه ألوخز الخفيف، الناتج عن الإثارة. لكن التتميل لم يكف عنه. إذ لعله خال نفسه غارقاً في حلم. لعل هذه

الرهبنة ستصرف عنه في دقائق قليلة، فيستفيق وينجلي الأمر عن أنه كان مجرد يومٍ آخر حارٍّ من أيام ميامي الشمالية. لعلَّ كل ذلك يتبخَّر فيعود إلى وتيرة حياته القديمة محاولاً أن يفاضل بين مشاريع الأبحاث الجديدة لكي يأخذ واحداً منها على عاتقه. هذا ما كان يحب أن تنتهي إليه الإجابة، لأنه لا يُعقل أن يكون منحدرًا في طريقه نزولاً إلى قاع مدينة قديمة دفينه منذ أزمان بعيدة، ولا أن يكون هو مشاركاً في أعظم وأهمِّ عملية تنقيب أثرية على مرِّ الزمان.

"دكتور كراين؟"

عند سماعه لصوت ريتشاردسون، استفاق كراين فجأة من بحر أفكاره.

"نحن الآن نقرب من المنشأة،" قال.

"هل وصلنا فعلاً؟"

"نعم، يا سيدي."

ألقي كراين نظرة سريعة خارج الكوة. فعلى بعد ميلين نزولاً، كانت مياه المحيط كثيفة بلون الطمي الأسود تكاد أنوار الغواصة الخارجية تعجز عن اختراقه. ومع هذا، فقد كان ثمة توهج أثري ينبعث، بخلاف كل منطق، من الأسفل، أكثر مما يأتي من الأعلى. انحنى إلى مسافة قريبة، ناظراً إلى الأسفل، ملتقطاً أنفاسه.

كان هناك، ربما على مساحة مئة قدم تحتها، قبة معدنية هائلة ينزرع محيط قاعدتها في قاع البحر. كما كان ثمة دهليز دائري يقع على مسافة ستة أقدام أسفل منتصف جانبها، ويتجه نحو داخلها مثل فتحة القمع. فتحة، فقد كان الهيكل صقيلاً، لا تتخلله ثغرة، ولا

يشوبه نتوء. كما أنه يخلو من أيّ شارة من أيّ نوع كان. لقد بدا الهيكل بالضبط أشبه بقبة تاجيّة عملاقة من رخام فضيّ، تنبثق من قاع المحيط الرمليّ. كما كان ثمة غواصةً أخرى شبيهة بتلك التي هو بداخلها، مربوطة إلى فتحة خروج تقع إلى الجانب الآخر من القبة. وعند قمة القبة كان ثمة غابة صغيرة من المجسّات وأدوات الاتصال المفرّخة حول ذاك الجسم الضخم الذي يتخذ شكل كوب شاي مقلوب. ومن جميع مناحي سطح تلك القبة كان ثمة آلاف من الأنوار الصغيرة تغمر نحوه مثلما الجواهر التي تضيء وتخبو في تيارات الأعماق في المحيط.

وتحت هذه القبة الواقية، كانت "عاصمة الأعماق" تختبئ: مدينة من آخر طراز من نوعها، مليئة بأحدث عجائب التكنولوجيا. وفي مكان ما، تحت عاصفة الأعماق - مكان يضارع في قدمه منشأة الاستعادة - يقع السرُّ المجهول الذي ينطوي على وعود أتلانتس.

ناظراً في دهشة الذاهل، أيقن كراين أنه بات يتسم ابتسامة الأبله. نظر ناحية ريتشاردسون. فإذا بالضابط الصغير يراقبه وهو يتسم بدوره أيضاً.

"أهلاً بك في عاصفة الأعماق يا سيدي،" هكذا حيّاه ريتشاردسون لحظة وصوله.

## 4

أنهى كيفن ليندنغود جميع الترتيبات بيقظة شديدة التعصب. كان يعرف أن لعبته تنطوي على احتمالات خطر جسيم، بل قد يكون الأمر في منتهى الخطورة. لكنها كانت لعبة تعتمد على دقة التحضير، ومدى السيطرة. أما هو فقد كان حسن الاستعداد، وفي كامل السيطرة. ولهذا فلم يكن ثمة ما يدعو للقلق.

إتكا إلى غطاء محرك سيارته فورد توروس القديمة، وأخذ يراقب حركة المرور على بولفارد بيسكاين. فقد كانت محطة الوقود هذه واقعة إلى جانب واحد من أكثر الطرق الرئيسية كثافة للمرور في ميامي. فلا يمكن للمرء أن يتصور مكاناً أكثر منه انشغالاً أو احتشاداً بالناس. ومثل هذا المكان العام كان يعني له الأمان والسلامة.

تشاغل بمضخة الهواء، حاملاً خرطوم الهواء في يده، وهو يتظاهر بأنه يقوم بفحص هواء العجلات. كان النهار قائظاً، فالحرارة تزيد على تسعين درجة فهرنهايت. لكن ليندنغود كان مرحباً بهذه الحرارة. فعلى منصة نقط ستورم كينغ. كان قد لاقى نصيبه من الصقيع والثلج، ما يكفيه لعدة حيواتٍ أخرى. فإضافة إلى هيكس وأغانيه، وويري ومشيته المتمايلة... لم

يكن، بحق جهنم، من مكان مثل هذا المكان يريد أن يعود إليه. وإذا عرفَ اليوم كيف يلعب أوراقه جيداً، فما من داعٍ ليعود إلى ذاك المكان أبداً.

وعندما رفع هامته بعد أن كان منحنيّاً قرب العجلة القريبة لمقعد السائق، دخلت سيارة عادية سوداء إلى محطة الوقود. وتوقفت عند منطقة الخدمة، على بعد اثنا عشر قدماً. وبرعشةٍ كان نصفها الأول حماساً ونصفها الآخر خوفاً، لاحظ ليندنغود أن مُلاقِيَه قد ترَجَّل من وراء عجلة القيادة. كان الرجل يلبس نوع الثياب التي كان هو قد اشترطها لإتمام هذا اللقاء: قميص ضيق بدون أكمام، وسروال سباحة، بحيث لا يكون ثمة فرصة لإخفاء أيِّ سلاح من أي نوع.

نظر إلى ساعة يده. إنها الساعة السابعة: لقد وصل الرجل في الوقت المحدد تماماً.

إنها دِقَّةُ الإعداد، وحسنُ السيطرة.

بدأ الرجل الآن بالتقدم نحوه. ففي الاجتماعات السابقة، كان قد عرَّف عن نفسه تحت اسم والاس، لم يبح باسم عائلته مرة. كما أن ليندنغود يعرف أنه حتى هذا الاسم الأول لم يكن سوى اسم مستعار. كان نحيلاً ذا جسم سَبَّح، ويضع نظارتين لهما شكل فراشة، وكان يعرج في مشيته قليلاً، كما لو أن إحدى رجليه أقصر بقليل من الأخرى. ولم يكن ليندنغود قد رأى الرجل بقميص قصير قبل هذا اليوم، وقد تعجب لدرجة شحوب لونه. فمما لا شك فيه أن هذا الإنسان قد أمضى معظم وقته أمام شاشة الكومبيوتر.

"لا بد من أنك استلمت رسالتي،" قال ليندنغود وهو يقترب من الرجل.

"وما موضوع هذه الرسالة؟"

"أعتقد أننا سنكون أكثر راحة في سيارتي، "أجاب ليندنغود.

وقف الرجل للحظة من دون حراك، ثم هزَّ كتفيه وانزلق إلى المقعد المحاذي لمقعد السائق.

استدار ليندنغود حول جهة السيارة الأمامية وجلس خلف عجلة القيادة، حريصاً على ترك باب السائق مفتوحاً على وسعته. ترك خرطوم الهواء في يده، متلاعباً به بكسل. فالرجل لم يكن ليحرب أيّ لعبة معه، ليس في هذا المكان المزدهم - إضافة إلى أنه لا يبدو من النوع الرياضي - لكن لو بدت منه أيُّ باردة عدوانية، فإن ليندنغود يستطيع استعمال خرطوم الهواء كما تستعمل العصا الجلدية. لكنه ذكر نفسه لمرّة جديدة أن لا ضرورة لمثل هذا الأمر. فهو سيقوم بإتمام هذه الصفقة التبادلية الصفقة التبادلية الصغيرة ثم يختفي. ثم أن والاس لا يعرف عن مكان إقامته شيئاً، وهو شديد التأكد من أنه لن يدعه يدري بذلك أبداً.

"لقد قبضتَ أجركَ، وكان أجراً سخياً،" قال له والاس بصوت هادئ. "وإن دورك في هذه اللعبة قد انتهى."

"أعرف ذلك،" أجاب ليندنغود، حريصاً على أن يُبقي صوته حازماً وواثقاً. "كل ما في الأمر أنني صرت الآن، أعرف المزيد عن، حسناً، عمليّتكم، ولقد بدأت أعتقد أنني لم أتقاضَ منكم ما يتناسب مع خدماتي."

"أنت لا تعرف شيئاً عن أيّ عملية."

"أعرف أن هذا أبعد من أن يكون حلالاً. لكن لا تنس أنني أنا من كان قد وجدك، أتذكر ذلك؟"

لم يجبه والاس. بل اكتفى بردّ النظرات بمثلها. كانت تعبيرات وجهه حيادية، بل رائقة تقريباً. وفي الخارج، كان ضاغط الهواء يفجّ، ثم رنّ كأنما يعلن أن ضغط الهواء قد استوفى غايته.

"أنت ترى أنني كنت آخر أعضاء فريق العمل الذين يغادرون ستورم كينغ،" قال ليندنغود متابعاً كلامه. "لقد حدث الأمر في الأسبوع الذي تلا انتهاءنا من عمليتنا الصغيرة، وقد قمت بتزويدك بأخر المعلومات. وكل هؤلاء المسؤولين الحكوميين والعلماء بدأوا يحومون حول المكان. وقد بدأت الآن أفكر في أن شيئاً ما كبيراً بالفعل، يجري في هذا المكان. كان أكبر بكثير من كل ما خطر ببالي. لهذا، وبما أنك شديد الاهتمام بما كنت قد بعته لكم، فإن هذا الأمر يعني أن جماعتك لا بد من أن يكونوا واسعي الموارد، ولهم جيوب عميقة ومكتنزة."

"وما هو مآل الحديث إذن؟" قال والاس.

لعق ليندنغود شفثيه. "أعني أن بعض الرسميين لا بد من أن يكونوا شديدي التوق لكي يعلموا بحقيقة اهتمامكم بمنصة ستورم كينغ."

"هل يعني هذا أنك تهددنا؟" سأله والاس، بينما صار صوته الهاديء حريراً.

"لا أريد استعمال هذه الكلمة. لنقل إنني أحاول إصلاح ميزان حساب غير متعادل. فمن الواضح أن الأجرور الأصلية التي تقاضيتها منكم لم تكن كافية تقريباً. فعليك ألا تنس أنني أول من كشف النقاب عن المؤشرات، وأول من أفاد عن الظاهرة الشاذة. أليس لكل ذلك أيّ اعتبار أو ثمن؟ وقد أوصلت كل تلك المعلومات إليكم: كل القراءات، وكل البيانات المتعلقة بالزوايا

والإحداثيات، كل القياسات البعدية الناتجة عن عمل  
مجسّات قاع البحر. كل شيء. كما أنني الشخص  
الوحيد الذي كان يستطيع القيام بهذه المهمة. لقد قمت  
بالمبادرة إلى الاتصال بكم، ورأيت المعلومات والأرقام  
التي لم يطلع بعد أحدٌ عليها سواي."

"لا أحد سواك؟" كرّر والاس.

"بدوني لما استطاعت جماعتك أن تعرف حتى عن  
وجود المشروع. ولم يكن ليوجد لديكم مشروعكم  
الخاص - حسبما افترض؟ ولا موجوداتكم التي هي  
في مكانها الحالي."

نزع والاس نظارتيه وبدأ بمسحهما بقبة قميصه. "ما  
هو المبلغ الذي تفكر فيه؟"

"كنت أفكر بمبلغ خمسين ألفاً."

"وبعدها سنتصرف عنا إلى الأبد. هل هذا صحيح."

أوما ليندنغود برأسه بالإيجاب. "لن تعودوا لتسمعوا  
صوتي بعد ذلك."

فكّر والاس في ذلك برهة وهو لا يزال يلمّع زجاج  
نظارتيه. "سوف يحتاج الأمر مني ليوم أو ليومين حتى  
أتمكن من إحضار المبلغ. ولا بد لنا من لقاء آخر."

"فترة يومين هي فترة مقبولة،" أجاب ليندنغود.  
"نستطيع أن نلتقي هنا، في نفس -"

وبسرعة وكلاغة ثعبان، انطلقت قبضة يد والاس  
اليمنى لتقوم سبابته وأصابعه بلطم ليندنغود عند  
شبكة أعصاب الصغيرة الشمسية، في مستوى فم  
المعدة. اشتعل ألم محيط للحركة في عمق أحشاء

ليندنغود الذي فتح فمه دون أن يقوى على إخراج أي صوت. ودون إرادة منه انحنى إلى الأمام مكافحاً لاسترجاع أنفاسه بينما أطبقت كفاه على حجابته الحاجز. والآن قبضت يد والاس اليمنى على شعر ليندنغود: وجذبتة إلى أسفل المقعد مع ثنيه وحشية لرأسه الذي استدار وهو يتألم وينظر بعينين جاحظتين محدقتين. رأى ليندنغود والاس يلتفت يساراً، ثم يميناً - ناسياً نظارتيه - ليجد أن أحداً لم يلحظ ما قام به من عمل. وبينما هو لا يزال ممسكاً بفروة رأس ليندنغود، تطاول بجذعه للوصول إلى قبضة الباب المحاذي للسائق كي يغلقه. وعندما استوى في مقعده ثانية، رأى أن ليندنغود يحمل خرطوم الهواء في يده الأخرى.

"لقد صرت يا صديقي عبئاً علي،" قال والاس.

أخيراً، وجد ليندنغود أنه يستطيع الكلام. لكن حالما سحب أنفاسه الأولى ليستغيث أدخل له والاس خرطوم الهواء إلى عمق حنجرتة.

حاول ليندنغود أن يتقيأ وأن يتواثب بعنف. رفع نفسه عن المقعد رغم الكبح فيما شعر فروته يُنتزع من جذوره، أمسك والاس بقبضة جديدة من شعر الفروة، وبدفعة إلى الخلف، وبحركة وحشية، دفع بالخرطوم قدماً ومباشرة، نحو القبضة الهوائية.

انفجر الدم في فم ليندنغود وحنجرتة وأطلق صرخة متغرغرة. لكن عند ذلك أعطى والاس قبضة الخرطوم دفعة جديدة؛ فانطلق الهواء من فوهة الخرطوم بقوة طاغية رهيبية، ثم انفجر ألم في صدر ليندنغود لم يكن قط قد شعر أو تخيل مثله.

## 5

كانت درجة الصوت الذي دَوَّى عبر الميكروفون المجيب ذات مستوى مرتفع قليلاً، كما لو أن المتكلم من الجهة الأخرى يمتصُّ غاز الهيليوم. "بعد خمس دقائق، تستطيع أنت والدكتور كراين العبور خلال محبس الهواء ج."

"الحمد لله." أرحح بيتر كراين قدميه عن المقعد المعدني الذي كان يغفو عليه. تمدد وتفقد الوقت في ساعة يده. كانت الساعة تشير إلى الرابعة بعد الظهر. لكنه كان في شكٍّ في أنه لو كانت المنشأة شيئاً يشبه الغواصات، فإن مقولة الليل والنهار لن تعني سوى القليل.

مضت الآن ست ساعات على خروجه من الغواصة ودخوله إلى متاهة من المحابس الهوائية المعروفة باسم مجمع الضغط. كان يقوم بتبريد كعبه منذ بدء انتظاره في خلال فترة الأقامة غير الاعتيادية في المنشأة. وكطبيب، فقد كان شديد الفضول حول هذه العملية: فلم يكن لديه أي فكرة عن مضمونها، أو عن ماهية التكنولوجيا المستخدمة فيها. فكل ما كان قد أخبره به أيشر لا يتعدى قوله إن من شأنها أن تجعل العمل تحت الأعماق الكبيرة أمراً أكثر سهولة. لعلمهم

قاموا بتعديل تركيبة الغلاف الجوي بإنقاص كمية النيتروجين، وإضافة بعض الغازات النادرة. ومهما يكن الأمر، فقد كان من الواضح أنه فتحٌ عظيم، وجزءٌ من العناصر السريّة التي جعلت هذه المهمة مهمةً يغلفها الكتمان إلى هذه الدرجة.

ففي كل ساعتين، كان يجري إرشاده بواسطة هذا الصوت الخفيّ الذي هو أشبه بصوت السنجاب، لكي ينتقل إلى حجرة جديدة. وكانت جميع هذه الحجرات متشابهة: مكعب واسع يشبه غرفة السونا، له إطارات من الأسرّة المعدنية. والفرق الوحيد كان ينحصر في اللون. فغرفة الضغط الأولى كانت ذات لون سنجابي عسكري، أما الثانية فكان لونها أزرق باهتاً؛ وأما الثالثة – وهذا أمرٌ غريب بعض الشيء – فقد كانت حمراء.

وبعد الانتهاء من الاطلاع على ملف قصير عن أتلانتس كان قد عثر عليه في الحجرة الابتدائية، قضى كراين بقية الوقت إما في فترات من الوسن والدوار، وإما متصفحاً مجلداً يحتوي على مختارات من الشعر كان قد جلبه معه، وإما مستغرقاً في التفكير. كما صرف جزءاً كبيراً من الوقت وهو يحدّق في سقف الحجرة المعدني، ومفكراً في الأميال من جبال المياه الضاغطة فوقه.

كان يعجب حول تلك الكارثة التي كان باستطاعتها أن تغرق مدينة أتلانتس إلى مثل هذا العمق؛ وحول حضارة تلك المدينة الضائعة التي ازدهرت يوماً. فهي لا يمكن أن تكون حضارة الإغريق، ولا الفينيقيين، ولا المينويين، ولا سواها من الحضارات الأخرى التي قد يقع الظن عليها وفقاً لتفضيل المؤرخين. وحسبما أوضح الملف المشار إليه، لا أحد قد تمكن من معرفة أيِّ

شيء عن حضارة أتلانتس. ومع أن كراكين كان يعجب كيف أن هذه المدينة واقعة إلى هذا الشمال القصي، فإن الملف كان يوضح أنه حتى في المراجع الأصلية، فموقعها الفعلي كان أمراً غامضاً. وحتى أفلاطون نفسه، كانت معرفته حول سكان هذه المدينة وحضارتها أقرب إلى اللاشيء. ولعل ذلك كان هو السبب - فكر كراين - الذي جعلها تبقى مختفية كل هذه المدة الطويلة.

وبينما مرت الساعات متاقلة، بقي شعوره بعدم التصديق عصياً على التراجع والإضمحلال. إذ إن كل شيء بدأ عجائبياً. ليس لسبب حصول هذه الأشياء جميعاً بسرعة فائقة فحسب، وليس لسبب أن المشروع كان له من الأهمية ما يبهر الأنفاس فقط، بل لأنهم أرادوه هو بالذات. ولم يشأ التركيز كثيراً على هذه النقطة مع أيشر، إلا أن الحقيقة هي أنه بقي غير واثق من السبب الذي جعلهم يلتمسون خدماته هو، دون سواه. فبعد كل شيء لم يكن علم أمراض الدم هو حقل اختصاصه، مثلما لم يكن علم السموم حقل اختصاصه أيضاً. " أنت مؤهل بشكل متفرد، إن كطبيب، أم كضابط سابق، من أجل معالجة هذا الإبتلاء، " كان أيشر قد قال له. صحيح أنه كان عميق الخبرة بالاضطرابات التي تنتاب أولئك الذين يعيشون في بيئة واقعة تحت الماء، لكن يوجد أطباء آخرون ممن يمكنهم الإدعاء بامتلاك هذه الخبرة ذاتها.

تمطى مرة جديدة ثم هزّ كتفيه. فلا بد له من الوقوع على السبب الحقيقي في وقت ليس بطويل. ثم إن هذه المسألة لم يعد لها تأثير حقيقي، لأن وجوده الآن هنا هو ضربة حظ موفقة. وقد ذهل لعدد الأشياء الغريبة

الرائعة التي أنتجتها يد الإنسان، وتم استخراجها حتى الآن من باطن الأرض، ولكثرة الأسرار التي قد يكون الآن قد أعيد اكتشافها من جديد.

ثم سمع صلصلة عالية، انفتحت بعدها كوة في الجدار القصي. "لطفاً أدخل من خلال محبس الهواء إلى الدهليز الذي يقع خلفها،" ناداه الصوت.

فعل كراين ما أمره به الصوت، فوجد نفسه في ممر أسطوانى خافت النور يبلغ طوله حوالي عشرين قدماً، وهو يفضي أيضاً إلى كوة مغلقة في أقصى نهايته. توقف منتظراً. أقفل مجدداً المحبس الذي بات خلفه: فكان له صلصلة عالية أيضاً. كان ثمة اندفاعه للهواء الهارب، وكانت قوّة إلى درجة جعلت أذني كراين تكادان تنفجران، كما باتتا تؤلمانه. ثم في نهاية الأمر، انفتحت الكوة الأمامية وتدفق منها ضوء أصفر. وقف شخص في الدهليز، يبدو النور حوله كأنه يشكل هالة له. مدّ الشخص يده مرحباً فخرج كراين من الممر إلى داخل الحجرة التي تقع وراءه. وتبين أن الوجه الذي يتسم له هو وجه هاوارد آيشر.

"دكتور كراين!" قال آيشر متناولاً يده في مصافحة حارة. "أهلاً بك في المنشأة."

"شكراً لك،" أجاب كراين. "مع أنني أشعر كما لو أنني موجودة هنا منذ فترة."

ابتسم آيشر. "لقد بقينا نحافظ على اهتمامنا بتركيب أجهزة دي. في دي. في حجرات الضغط للمساعدة في تمضية الوقت اللازم لعملية التأقلم. ولكن الآن، وقد صارت المحطة مليئة بالموظفين إلى أقصى الحدود، لم يعد يبدو أي حاجة لذلك. لكن كيف

وجدتَ المادةَ المعدَّةَ للقراءة في كل حال؟"

إنها غير معقولة. هل فعلاً اكتشفتُم -"

لكن آيشر استمهل إكمال السؤال برفع إصبعه إلى أنفه. غامزاً بعينه، ومعطياً كراين ابتسامة تأمرية. "إن الحقيقة هي أكثر استعصاء على التصديق مما قد يمر في خيالك. لكن على الأشياء الأولى أن تأتي أولاً. دعني أدلك الآن على مكان مستقرِّك. لقد كانت طويلة، وإني واثق من أنك ترغب في استعادة انتعاشك."

سمح كراين لآيشر بأن يأخذ عنه إحدى حقائبه. "أريد معرفة المزيد عن عملية الأقامة."

"بالطبع، بالطبع. أسلك هذه الطريق يا بوتر. هل قمت قبلاً بسؤالك عما إذا كان باستطاعتي رفع الكلفة بيننا؟" ثم تابع السير أمامه بابتسامة أخرى.

نظر كراين حوله بفضول. لقد كانا في مكان مربع، رواق له سقف منخفض وشبابيك مخصبة بصبغة رمادية، وهذه الصيغة تزيّر الجدران المقابلة أيضاً. وخلف أحد هذه الشبابيك جلس تقنيان إلى وحدة تحكم إلكترونية محدقين إليه. وقد ألقى عليه أحدهما التحية.

وفي نهاية الرواق، قادهما ممر أبيض إلى الطبقة التي تعلوهما من المنشأة. وكان آيشر قد اتجه نحو هذا الممر فيما تتدلى الحقيبة من كتفه، وقد أسرع كراين يحذو حذوه. كانت القاعة ضيقة بالطبع، لكنها لم تكن محشورة بالقدر الذي توقعه تقريباً. أما الإضاءة فجاءت مخالفة للتوقعات أيضاً: فالضوء هنا دافئ وساطع، وهو يختلف تماماً عن إضاءة الغواصات القاسية بالمصابيح الفلورية. أما الجو، فقد كان بدوره مفاجأة

أخرى، فهو دافئ ورطب بدرجة لطيفة. وكان ثمة رائحة في الهواء لا تكاد تشم، ولم يستطع كراين تحديد ماهيتها: إذ لعلها رائحة معدنية نحاسية. وقد تساءل كراين عما إذا كانت هذه الرائحة ذات صلة بتكنولوجيا تكييف الهواء التي تُستخدم في المنشأة.

مرًا في طريقهما أمام العديد من الأبواب المغلقة، وكانت بيضاء، شأنها في ذلك شأن لون الممر. كان بعضها يحمل أسماء أفراد، وبعضها ألقاب وعناوين مختصرة. فتح لهما عامل شاب يلبس زياً من قطعة واحدة، باباً من هذه الأبواب عندما بلغاه. أوما الشاب برأسه إلى آيشر، ونظر باستغراب إلى كراين ثم قفل راجعاً في اتجاه الرواق. حدق كراين في داخل الغرفة، ووجد أنها مليئة بشفرات التوربين الموضوعة على الأرفف، إضافة إلى غابة صغيرة من أجهزة الشبكات.

أيقن كراين أن الجدران والأبواب لم تكن مطلية باللون الأبيض بعد كل شيء. بل أنها مصنوعة من خليط من المواد بحيث بدا أنها تأخذ لون البيئة المحيطة بها: وفي هذه الحالة فإنها تأخذ لون الضوء المنتشر في الممر. وكان باستطاعته أن يرى خياله المنعكس على الباب، مع طيف من اللون البلاتيني.

"ما هي هذه المادة؟" سأل.

"إنها إحدى الخلائط المطوّرة حديثاً. فهي خفيفة، وغير متفاعلة، ومتينة بشكل غير اعتيادي."

وصلوا عند أحد التقاطعات، فاستدار آيشر يساراً. واعتماداً على هيئته البادية، افترض كراين أن كبير العلماء في الوكالة الوطنية للمحيطات يجب أن يكون في أواخر العقد السادس من عمره. لكنه كان من

الجلي أنه أصغر مما بدا بعشر سنوات. كان آيشر يمشي بسرعة، فيما هو يحمل حقيبة كراين الثقيلة وكأنها فارغة. ورغم كل ما يبدو عليه من صحة وحيوية، إلا أنه كان يطوي على الدوام ذراعه اليسرى إلى جانبه، وقال: "هذه الطبقات العليا من المنشأة هي مرتبة (مكان تربية الأرانب) من المكاتب والمهاجع، وهي قد تكون مكاناً يتيه فيه المرء عن اتجاهه لأول وهلة." فلو حصل وأن شعرت بالضياع هنا مرة، فما عليك سوى الرجوع إلى الرسوم التخطيطية المثبتة عند التقاطعات."

كان كراين قليل الاضطراب لكي يتعلم المزيد عن المسائل الطبية، كما عن عملية الحفر والتنقيب نفسها، لكنه عزم على ترك ترتيب قدوم هذه الأمور إلى آيشر. "أخبرني المزيد عن هذه المنشأة،" قال له.

"إنها ترتفع إلى اثنتي عشرة طبقة، ويبلغ طول كل ضلع من أضلاعها مئة وثمانين متراً بالتمام والكمال. أما قاعدتها فمغروسة في قاع المحيط، كما أن ثمة قبة تحميها، من التيتانيوم منصوبة فوقها."

"كنت قد شاهدت القبة أثناء نزولي. إنها بحق رائعة من روائع الهندسة."

"إنها لكذلك فعلاً. فهذه المنشأة التي نحن فيها الآن تقع في داخلها كأنها حبة لوبياء داخل صدفة. أما المساحة الباقية بينهما فهي مضغوطة بالكامل. فالقبة وغلاف هذه المنشأة ذاتها، يكونان طبقتين من المعدن بيننا وبين المحيط. كما أنهما مكونتان من نوع خاص من المعادن، فغلاف هذه المنشأة ذاتها، يكونان طبقتين من المعدن بيننا وبين المحيط. كما أنهما مكونتان من نوع

خاص من المعادن، فغلاف هذه المنشأة مصنوع من مادة HY250، وهي نوع حديث من الفولاذ المستخدم في صناعة المركبات الفضائية، مادة لها صلابة ضد الانكسار تزيد على عشرين ألف باوند في كل قدم مربع، ولها قوة مرونة تقع في معدل ثلاثمائة كي.أس.أي."

"لقد لا حظتُ أن المحيط الخارجي للقبة مخرّم بأنايب أفقية تتجه صوب الداخل." قال كراين. " ما هي الغاية منها؟"

"لا بدّ أنك تعني برّمق الضغط. ثمة إثنان منهما، يقع أحدهما على كلٍّ من جانبي المنشأة في حقيقة الأمر. فبالنظر إلى ضغط الماء عند مثل هذه الأعماق، لا بدّ أن الشكل الأمثل هو الشكل الكروي. ولأن القبة لا تشكل سوى نصف كرة فقط، فإن هذين الأنبوبين المفتوحين على مياه المحيط، يساعدان في عملية المحافظة على توازن الضغط. كما أنهما في الوقت في نفسه يرسيان المنشأة إلى القبة. ولا شكّ أن الرؤوس الداسرة على السطح السابع قد تستطيع إعطاءك المزيد من التفاصيل."

كان الممر الثاني الذي يمرّان فيه الآن، يشبه الممرّ الأول: سقفٌ تتشابك فيه الانابيب والكوابل، وله عدد كبير من الأبواب التي تحمل رقعات عليها كلمات مشفرة. "كما أنني كنت قد لاحظت وجود جسم غريب مثبت إلى قمة القبة، ربما يعلو فوقها بثلاثين قدماً،" قال كراين.

"إنّها سفينة مخصّصة للهرب عند الطوارئ. فيما لو قام أحدهم عرضاً بسحب القابس." - ضحك أيشر وهو

يقول هذا - وكانت ضحكته ضحكة سلسلة مُعدية.

آسف، لكن لا بد لي من السؤال. فهذه القبة المحيطة بنا ليست بصغيرة أبداً. ولا بد من أن تكون قد أثارت حشوية بعض الدول الأجنبية؟"

"بالطبع، ولذلك فإننا قمنا بث حملة معلومات مضمّلة حول البحث السري البديل الذي يجري في هذا الموقع. إنهم يعتقدون أننا عاكفون على عملية استخراج. لكن ذلك لم يمنع الغواصات الروسية أو الصينية من القيام ببعض الجولات في الجوار، بالطبع. الأمر الذي يتسبب عادة لحاميتنا العسكرية بكل أنواع القلق والذعر."

ثم مرّاً بباب نُصِبَ قربه جهازٌ صالح لالتقاط مسح لشبكية العين، كما وقف إلى جانبه حارسان من البحرية بجانب كل منهما بندقيته. لم يشأ كراين أن يسأل عما رأى، كما أن أيشر لم يتبرع بإعطاء أي شرح.

"نحن الآن في الطبقة الثانية عشرة،" تابع أيشر قوله. وهو على الغالب مكان لخدمات الدعم التي تقدم لباقي أنحاء المنشأة. أما الطبقتان الحادية عشرة والعاشرة، فهما تحتويان على مقارٍ سكن الطاقم، بما في ذلك مجمع الترفية والرياضة. أما أنت، فسوف تنام في الطبقة العاشرة بصورة مؤقتة. ولقد جعلناك تشترك بحمام واحد مع روجيه كوربيه، مسؤول الصحة النفسية. إن معظم غرف المنامة تتشارك في دورات المياه، ويمكنك أن تتخيّل كم أن المساحات هنا عزيزة. ولقد بلغنا من عديد الطاقم حاجتنا. وها أنت تأتي إلينا كإضافة لم تكن في الحسبان."

توقف أمام مصعدٍ ثم ضغط على زرّ. "الطبقة

التاسعة هي منطقة إمداد الطاقم. فالجناح الطبي - حيث سيكون مقر عملك - يقع فيها أيضاً. أما الطبقة الثامنة، فتحتوي على المكاتب الإدارية ومنشآت البحث."

سُمع قرعٌ خفيف قبل أن يلي ذلك صوت همسٍ انفتاحٍ درفتي باب المصعد. أشار آيشر إلى كراينٍ بالدخول ثم ما لبث أن تبعه.

كان المصعد مصنوعاً من المادة الغريبة ذاتها التي صنع منها الممر. وكان ثمة ستة مفاتيح غير مرفمة على لوحة المفاتيح: ضغط آيشر على المفتاح الثالث من الأعلى، فبدأ المصعد بالتحرك نزولاً.

"أين أنا الآن" ؟

آه .. نعم. الطبقة السابعة هي الطبقة المخصصة للعلوم. وفيه مراكز الحاسوب والمختبرات العلمية من كل وصف ونوع."

هزَّ كراين رأسه قائلاً. "شيء غير معقول."

انتصب آيشر بقامته مفتخراً كما لو أن هذه المنشأة هي ملكه الخاص، لا وديعة لديه من الحكومة. "لقد تركتُ لك مئة شيءٍ وشيءٍ لتقوم باكتشافه بنفسك. فهنا تجد قاعات طعام تخدمها مطابخ متخصصة بوجبات مختلفة من أنواع الطبخ. ست من هذه القاعات يستطيع استضافة ما يزيد على أربعمئة شخص بكلِّ راحة. فنحن مبدئياً، يا بيتر، نقطن مدينة صغيرة، على عمق ميلين تحت سطح المحيط، بعيداً عن الأعين الفضولية."

" في قلب المحيط حيث لا عاذلٌ يعذلنا؟" استشهد

كراين بيت من الشعر.

نظر آيشر صوبه بغرابة وفضول، فيما ارتسمت على  
محيّاه نصف ابتسامة. "هذا البيت مأخوذ من الشاعر  
أندرو مارفيل، أليس كذلك؟"

هزّ كراين رأسه بالايجاب. "أجل إنه من ديوانه ،  
بيرمودا"

"لا تقل لي إنك ذوّاقه للشعر."

"أقرأ الشعر من وقت لآخر. لقد اكتسبتُ تلك العادة  
خلال عملي تحت سطح الماء. إنها نقيصتي السريّة."

اتّسع نطاق الابتسامة على وجه آيشر الذي خدّته  
الرياح. "بيتر لقد دخلتَ قلبي وانتهى الأمر."

رنّ جرس المصعد مرة جديدة، وانفتحت الأبواب  
الخلفية على ممر جديد أعرضُ من سواه، وأكثر حركة.  
ألقي كراين نظره شاملة، ودُهل من مدى حسن  
التنسيق الذي بدت عليه أماكن معيشة أفراد الطاقم.  
فالأرض مفروشة بالسجاد الأنيق، وعلى الجدران  
المكسوة بورق الجدران، علّقت لوحات زيتية بديعة،  
ضمن إطارات فاخرة. شعر وكأنه في بهو فندق بالغ  
الرفاه والعظمة. كان الناس يمرون بهما في البسة  
العمل الموحّدة، كما في معاطف المختبر البيضاء.  
وعلى كل واحد بطاقة تعريف شخصية علّقت على  
ياقته أو فوق جيب قميصه.

"إن هذه المنشأة تحفة هندسية،" تابع آيشر كلامه.  
"ونحن محظوظون جداً كوننا نقوم باستعمالها. وفي أي  
حال، فإن هذه هي الطبقة العاشرة. هل لديك أي  
سؤال قبل أن أدلّك على مكان إقامتك؟"

"سؤال واحد فقط. لقد قلتَ لي سابقاً أن ثمة إثنتي عشرة طبقة. لكنك شرحتَ لي عن ستٍّ منها فقط. كما أن هذا المصعد لا تحمل لوحة مفاتيحه سوى ستة أزرار." أشار كراين إلى لوحة المفاتيح في المصعد. "فماذا يكون حال بقية الطبقات؟"

"آه." تردّد آيشر قليلاً. "الطبقات الستُّ السفلى هي طبقات مصنّفة كطبقات سرّية." "سرّية؟"

أوما آيشر برأسه إيجاباً.

"ولكن، لمَ هذا؟ ماذا يجري في تلك الطبقات؟" "آسف يا بيتر، كان بوذيّ لو أستطيع أن أخبرك. لكنني لا أستطيع ذلك." "لا أفهم ذلك. لمَ لا؟"

لكن آيشر لم يجب. بل اكتفى بإعطائه ابتسامة عريضة أخرى: كان نصف الابتسامة غم، ونصفها الآخر مكرّ وتأمّر.

## 6

إذا كانت أجنحة السكن في المنشأة قد ذكّرت<sup>3</sup> كراين بفندق فخم فاخر، فإن الطبقة التاسعة قد بدت له تحمل سيمات باخرة ركاب سياحية.

كان آيشر قد أمهله ساعة لكي يستحم<sup>3</sup> وينضد<sup>3</sup> ثيابه، قبل أن يعود إليه كي يسطحبه إلى الجناح الطبي. " جاء الوقت لك لكي تقابل زملاءك من المعتقلين هنا، " قال له مماًزحاً. وفي طريقهما، كان قد أخذه في جولة قصيرة على الطبقة التي تقع تحت الطبقة التي سينام فيها مباشرة، طبقة تدعى رسمياً: جناح دعم الطاقم.

لكن جناح دعم الطاقم لم يكن من شأنه سوى أن يزري بالطبقة التاسعة. تقدمه آيشر، ماشياً أمام مسرح يتسع لمئة مقعد، كما أمام مكتبة رقمية مملوءة بالكامل، وذلك قبل أن يقوده إلى باحة تغص بالحركة والنشاط. فالموسيقى تنساب بهدوء من مقهى جانبي صغير ومنمنم. وفي أقصى طرف الباحة، لاحظ كراين وجود مطعم متخصص بالبيتزا، وبقرية واحدة خضراء محاطة بالمقاعد. وكل شيء كان مرتباً بطريقة فنية لا تترك انطباعاً بالتراكم، ولا إحساساً برهاب الأماكن الضيقة.

"الطبقة العاشرة، لها بالفعل تصميم فريد من نوعه،" قال آيشر. "فهي في الأساس تتكون من ممرين عريضين متعامدين، وقد أطلق أحدهم على نقطة تقاطعهما لقب "ساحة التايمز".

"شيء ملفت للنظر."

"إن عقدة وسائل الإعلام المتعددة، ومصبغة الملابس، هما في آخر هذا الاتجاه. كما أن الـ" بي. أكس" يوجد هناك وهنا أشار آيشر إلى واجهة مخزن بدت أشبه بواجهة مخزن تجاري كبير، لا مجرد محطة تموين تباع الحاجات للعسكريين وأعضاء الفريق.

حدّق كراين في الزُّمر الصغيرة من العاملين، الموجودين حوله من كل صوب: وجميعهم يتسامرون، ويرتشفون القهوة إلى مناضد صغيرة، كما كان بعضهم يقرأ كتاباً، أو يطبع على حاسوبه المحمول. وقليلون هم الذين كانوا يرتدون الزي العسكري، وكانت الغالبية في ثياب المختبر. هزّ رأسه؛ فإنه ل يبدو شيئاً لا يخطر في بال أن يكون فوق رؤوس هؤلاء الناس أميال متراكمة من أمواه البحر.

"يصعب علي أن أصدّق أن العسكريين قد بنوا شيئاً كهذا،" قال.

ابتسم آيشر ابتسامة عريضة. "أشكُّ في أن يكون مصمِّمو المشروع الأصليين قد خطر في بالهم أمر كهذا. لكن عليك أن تتذكر أن هذا المشروع سوف يستغرق بضعة أشهر. والمغادرة ليست خياراً مطروحاً سوى في حالات اضطرارية نادرة. وبخلافك أنت، فإن معظم العاملين هنا لم يكن لهم تجربة سابقة في العمل والحياة في الغواصات. وعلماؤنا غير معتادين على

العيش وسط صندوق فولاذي ليس له نوافذ ولا أبواب. لهذا، فإننا نبذل قصارى جهدنا لكي نجعل الحياة هنا يسيرة إلى أكبر قدر ممكن."

استنشق كراين رائحة البن المطحون حديثاً تعبق من المقهى، فقرر أن الحياة هنا تبدو ممكنة بالفعل.

وفي أقصى متنزه صغير، لاحظ وجود لوحة عرض مسطحة، كبيرة نسبياً، ربما يبلغ طول كل من أضلاعها الأربعة زهاء عشرة أقدام. وقد صفت أمامها مجموعة من المقاعد. وعندما أمعن النظر، لاحظ أنها في الحقيقة مجموعة من شاشات العرض الصغيرة، منصّدة بعضها إلى جانب بعض لكي تتشكل منها شاشة تبدو واحدة. كما تجتمع جميع صورها في صورة مركبة واحدة. وقد بدت هذه الصورة المجمعّة قاتمة تعكس أعماق المحيط الخضراء الداكنة، وقد بدت فيها أسماك كأنها تنتمي إلى عالم غير عالمننا، تطوف فيها. فمن أسماك الحنكليس، المتجمعة بتشكيلات غريبة، إلى الأسماك الهلامية العملاقة، إلى الأسماك التي لها شكل البالون وقرن استشعار واحد مضيء فوق راس كل منها. وقد استطاع كراين أن يتعرف على بعض هذه الأصناف، ومنها: السمكة ذات المخلب، وسمكة شصّ الأعماق، والسمكة الأفعوانية.

"هل هذه هي حقيقة المشهد في الخارج؟" سأل.

"أجل، إنها مناظر تأتي عبر كاميرا بعيدة، مركزة خارج القبة." أشار آيشر بذراعه حول المربع الصغير. كثير من العاملين يمضون ساعات فراغهم هنا، مستجمين في المكتبة، أو مراقبين الأفلام التفاعلية، في عقدة الإعلام المتعدد الأوجه. كما أن المركز

الرياضي في الطبقة العاشرة يجد إقبالا كبيرا: عليك أن تذكرني لكي أدلك عليه في وقت لاحق. كذلك إنك تحتاج إلى غرس رقاقة تحت جلدك."

"غرس رقاقة؟"

"علينا أن نسمك برقاقة التعرف آ.آ.آ. دي. الالكترونية"

"هل تعني التعرف بواسطة التردد الراديوي ؟ هل هذا أمر ضروري؟"

"إنها وسيلة شديدة الأمان، حسبما أعتقد."

"هل هي مؤلمة؟" سأل كراين شبه مازحاً.

ضحك آيشر. " إن حجم الرقاقة لا يتجاوز حجم حبة الأرز. وهي تُزرع تحت الجلد. دعنا الآن نذهب إلى الجناح الطبي، لأن ميشال وروجيه في انتظارنا. الطريق من هنا، في نهاية الممر. وأشار آيشر، مستعملاً يده اليمنى إلى أحد الممرات الواسعة. وفي النهاية، وبعد المرور أمام المتجر والمقهى، ونصف دزينة أخرى من المداخل، لاحظ كراين مجموعة مزدوجة من الأبواب الزجاجية المغشاة التي رُسمت عليها شارات من المصلبات الحمراء.

ومرة ثانية، لاحظ كراين أن آيشر يثابر على جعل ذراعه اليسرى لاصقة بجانبه بشكل يابس. " هل تعاني من مشكلة في ذراعك ؟" سألته بينما هما يشقان طريقهما عبر الممر.

"إنه نقص في تروية الأوعية الدموية في هذا الطرف الأعلى،" أجاب آيشر.

تجهم كراين. "وهل آلامها شديدة." "أبدًا، أبدًا، أحتاج فقط إلى أن أكون متنيهاً قليلاً." "حسناً تفعل حسبما أعتقد. منذ متى بدأت هذه الحالة؟"

"منذ أكثر من سنة بقليل. لقد وضعتني الدكتورة بيشوب على جرعة منتظمة من الكومادين، كما أنني أقوم بتمارين رياضية منتظمة. لدينا مجموعة من ملاعب الإسكواش ضمن المجمع الرياضي." قال آيشر بلهجة صاخبة محاولاً تغيير موضوع الحديث. فكر كراين من أنه لو لم يكن آيشر كبير العلماء لكان من المحتمل أن تتسبب مثل هذه الإصابة بإقصائه إلى اليابسة.

كان الجناح الطبي قد صُمم كسواه من المساحات التي شاهدها كراين. فهو مصمم بكل عناية ودقة لكي يتناسب مع أكبر قدر ممكن من الأشياء والحاجات، ضمن مساحات صغيرة، ومع ذلك دون مراكمة أو اكتظاظ. وبخلاف المستشفيات العادية، كانت الإنارة غير مباشرة، وحتى لطيفة أيضاً. أما جهاز توزيع الموسيقى الكلاسيكية فقد جعل الموسيقى تنساب في كل مكان ومن لا مكان في الوقت ذاته. قاد آيشر الطريق عبر ردهة الانتظار خافضاً رأسه بالتحية لموظفة استقبال تجلس خلف النضد الأمامي.

"مثل كل شيء في هذه المنشأة، فإن الجناح الطبي هو على أحدث ما يكون من طراز." قال هذا، بينما كان يقود كراين عبر مكتب السجلات الطبية إلى الممر المغروش بالسجاد. "بالإضافة إلى طبيبتنا الرئيسية، فإن لدينا أربع ممرضات، وثلاثة أطباء مقيمين، وخبير في التغذية، واختصاصيين في المختبرات. كما

يوجد لدينا وحدة طوارئ، تامة التجهيز. ومعدات تكاد تكون كافية لكل اختبار يمكنك أن تسميه، ابتداء من أشعة إكس العادية إلى المسح الإشعاعي التلفزيوني لكامل الجسد. وكل ذلك مدعم بمختبر شامل لعلم الأمراض ؛ وكل ذلك، على الطبقة السابعة."

"وماذا عن الأسرّة؟"

"ثمانية وأربعون، مع استعدادات طارئة لمضاعفة عددها عند اللزوم. ولكن لنبقى على أملنا ألا نحتاج أبداً لمثل ذلك، لأننا لن ندع حاجة لذلك تحدث. توقف أيشر عند باب حمل شارة تقول: "غرفة الاجتماعات. باء." ها قد وصلنا."

كانت الغرفة صغيرة وشحيحة الإضاءة حتى إلى درجة هي أكثر مما هي عليه الحال في منطقة الاستقبال. وكان هناك شاشة مداولة بواسطة تقنية الفيديو، ضخمة، ومنصوبة فوق الجدار، بينما كانت شاشات أخرى تعرض الألوان المائية المريحة للمناظر البرية والبحرية. أما الطاولة الضخمة المستديرة فقد كانت تحتل معظم مساحة الغرفة. وعند أقصى طرفها جلس شخصان، امرأة ورجل، وكلاهما كان يرتدي ثياب ضابط مسؤول، تحت سترة المختبر البيضاء.

حالما دخل كراين، نهض الرجل من على مقعده، وقال معرّفاً عن نفسه: "روجيه كوربيه، ومدّ يده للمصافحة عبر الطاولة. كان رجلاً قصيراً، وله شعر سنجابي خفيف، وعينان زرقاوان رطبتان، ولحية خفيفة أنيقة التشذيب، من الطراز الذي يحلو عادة للأطباء النفسانيين المقيمين.

"إنك مسؤول الصحة النفسية،" قال كراين مصافحاً

اليد الممدودة نحوه. "كما أنني جارك الجديد."

"هكذا قيل لي." كان صوت كوربيه ضئيلاً بالقياس إلى رجل في حجم جثته، كما أنه كان يتكلم بلهجة مدروسة متأنية، وكأنه يقيس كل عبارة يقولها، كما يضع على أنفه نظارتين مستديرتين، ولهما إطاران فضيان نحيلان.

أسف لاقتحامي حياتك السكنية."

"هل من عادتك أن تشخر أثناء النوم؟"

"لا أستطيع أن أعدك. والأفضل لك أن تبقي بابك مغلقاً."

ضحك كوربيه.

"وهذه ميشيل بيشوب،" أشار آيشر إلى المرأة الجالسة إلى الجانب الآخر من الطاولة. "الدكتور بيشوب، الدكتور بيتر كراين."

هزّت المرأة رأسها. "سعيدة بلقياك."

"وأنا أيضاً،" أجاب كراين. كانت هذه المرأة الشابة نحيلة، طويلة القامة بقدر ما كان كوربيه قصيراً. كما كان لها شعر أشقر غامق، ونظرة حادة. لقد كانت جذابة، إلا أن جمالها لم يكن صاعقاً. افترض كراين أن تكون هي رئيسة الجناح الطبي. وكان من الملفت أنها لم تنهض، ولم تمدّ يدها للمصافحة.

"أجلس من فضلك يا دكتور كراين." قال كوربيه.

"نادني بيتر."

وقف آيشر بقامته الفارعة خلف كل منهم مداورة

كما يقف الوالد الفخور. "سأتركك يا بيتر في العناية اللطيفة لهذين الشخصين. سوف يضعانك في آخر الأجرء بسرعة. يا ميشيل ويا روجيه، سوف أعود إليكما لاحقاً." ثم بغمزة من عينه، وهزة من رأسه، خرج إلى الممر، وأغلق الباب خلفه.

"هل أجلب لك شيئاً تشربه يا بيتر؟" سأله كوربيه.

"لا، شكراً لك."

"لعلك تحتاج إلى وجبة خفيفة، أو شيء من هذا القبيل."

"إنني مكتفٍ في الحقيقة. وكلما أسرعنا في معرفة المشكلة الطبية، يكون ذلك أفضل."

تبادل كوربيه وبيشوب النظرات.

"في الحقيقة يا دكتور كراين، ليس ثمة مشكلة واحدة،" قالت بيشوب، "بل إنها مجموعة من المشاكل."

"حقاً؟ إنني مندهش لذلك. ففي نهاية الأمر، إذا كنا نتعامل مع أحد أنواع داء الغطاسين هنا، فإنه قد يتجلى بطرق متنوعة."

وقد اكتسب داء الغطاسين اسمه لأنه تم تشخيصه للمرة الأولى في منتصف القرن التاسع عشر، بعد أن ظهر لدى رجال يعملون في بيئات من الهواء المضغوط. وإحدى هذه البيئات كان عندما بوشر بالحفر تحت نهر نيويورك الشرقي لتدعيم جسر بروكلين. فعندما كان الحفارون يخرجون من غرفة الحفر المضغوطة الهواء إلى الهواء الطلق بسرعة، كانت فقاعات من النتروجين تتشكل في مجاريهم الدموية. ومن الأعراض التي

سببها، آلاماً حادة في الأطراف العليا والسفلى. وكان المصابون يتلوون من الألم، وصارت العلة معروفة – عبارة لاذعة – بشلل الغواصين الإغريقي. ثم قادت هذه التسمية إلى تسمية مختصرة هي: "شلل الغواصين." وأخذاً بعين الاعتبار، العمق الذي كان يعمل فيه أعضاء هذا الفريق، فإن كراين شعر أن نوعاً من أنواع داء الغواصين مسؤول عن هذه الحالات بطريقة أو بأخرى.

"إنني أفترض أن لديكم غرفة للعلاج بالضغط العالي، مشحونة بالأكسجين، أو شيء بديل عنها من تجهيزات إعادة الضغط في هذا الموقع، كنتم تعالجون مرضاكم بواسطته؟" قال متسائلاً. "وعندما تنتهي من اجتماعنا هنا، فإنني أرغب في الاستخبار من المرضى مباشرة إذا لم يكن من مانع لديكما."

"في الواقع يا دكتور،" قالت بيثوب بصوت مقتضب، "أعتقد أننا يمكننا التقدم في هذا الموضوع بسرعة أكثر لو أنك سمحت لي بأن أضع إطار محددًا للأعراض، بدلاً من تقديم افتراضات."

أخذ كراين بالمفاجأة. ثم نظر إليها غير واثقٍ من سبب استجابتها اللاذعة. "أسف إذا بدا عليّ من شدة الحماس، أو الجرأة. لقد كانت رحلتي طويلة، وأنا شديد الفضول. هيا تفضلي."

"بدأنا ندرك في البداية أن شيئاً ما ليس على ما يرام، وذلك منذ أسبوعين تقريباً. بدت المسألة كأنها ذات موضوع نفساني أكثر مما هو فيزيولوجي. في بداية الأمر، لاحظ روجيه طفرة في عدد المرضى الطارئین من خارج جداول المواعيد."

نظر كراين إلى كوربيه. "ما هي الأعراض؟"

"بعضهم كان يشكو من اضطراب في نومه،" قال كوربيه. "بينما بعضهم الآخر اشتكى من توعك وقلق. كما ظهرت حالات قليلة من اضطرابات في الشهية. أما الشكوى الأكثر شيوعاً فكانت تتجلى في صعوبة التركيز على العمل الذي يقوم المريض به."

"ثم بدأت بعد ذلك الأعراض الفيزيولوجية،" قالت بيشوب. "فمن الإمساك، إلى الغثيان، إلى الإنهاك العصبي."

"هل يقوم العمّال بنوبات عمل مزدوجة هنا؟" سأل كراين. "إذا كان الجواب إيجابياً، فلن يدهشني أن يصابوا بالإرهاق."

"بعضهم اشتكى من تشنّجات وتقلّصات عضلية لا إرادية."

"تشنّجات فقط؟" سأل كراين. "ألم ترافقه آلام؟"

نظرت إليه بيشوب بشيء من النظرة اللائمة، وكأنها تودُّ لو تقول له: لو كان هنالك من آلام لقلت لك من تلقاء نفسي، أليس كذلك؟

"هؤلاء الناس لا يُظهرون أعراض داء الغوّاصين،" قال كراين. على الأقل، إنني لا أعرف نوعاً من هذا المرض يتجلى بهذه الطريقة. وأعتقد أنني لم أقع على العامل المهم بعد. فصعوبة التركيز، والإمساك، والغثيان .. هي كلها ليست أعراضاً حاسمة لتحديد المرض. فقد تكون ناتجة ببساطة عن إرهاق تسبّب به العمل. ففي نهاية الأمر، هذا جوُّ غير اعتيادي، والمهمات أيضاً غير اعتيادية."

"لم أنهِ كلامي بعد،" قالت بيشوب. "خلال الأسبوع"

الفأنت، تفاقمت المشاكل. ثلاثُ حالاتٍ من عدم انتظام في ضربات القلب عند أشخاص لم يعرفوا أمراضاً قلبيةً من قبل. امرأةٌ أتت تشكو من ضعفٍ في كلا اليدين، وجانبي الوجه. كما أن إثنين كانا يعانيان مما يبدو نوبات عارضة من احتباس الدم (اقفار).

"تي.آي.أي؟" قال كراين. إلى أيِّ درجة؟"

"شلل جزئي، وتعثّر في الكلام، يستمر في كل حالة لأقل من ساعتين."

"ما هو عمر كل منهما؟"

"إنهما في أواخر العقد الثاني، أو أوائل الثالث."

"حقاً؟" قال كراين متجهماً. "إنهما صغيران جداً لكي يصابا بالسكتة الدماغية. إصابتان في هذا العمر. هل قمتم بإجراء فحص طبي شامل لأعراض تشخيصية؟"

"دكتور كراين، أرجوك. بالطبع قمنا بذلك، لقد قمنا بإجراء فحوصات بالتصوير المقطعي المحوسب (CT) للرأس؛ كما قمنا بتخطيط كهربائية القلب للتحري عن أي إصابات في صمامات القلب، وسوى ذلك. إلا أنه لا يوجد لدينا جهاز لتخطيط كهربائية الدماغ، فأنت تعرف أن هذا الجهاز يستخدم غالباً في حالات نوبات الصرع والغيوبة. لكنه في كل حال ليس ضرورياً هنا. ففي ما خلا توفر الدليل على حدوث سكتة دماغية، كان كل شيء يبدو طبيعياً بالكامل."

ومرة جديدة تسللت الفظاظة إلى نبرة صوتها. إن لديها ميل إلى حماية عريتها، افكر كراين. فهذا الجناح الطبي هو تحت رئاستها. وهي تخشى أن ينازعها أحد

عليه.

"حتى ولو كان الوضع كذلك،" قال لها، "فإن هذا هو الدليل الأول على الاختلال الناتج عن الضغط الجوي، الذي سمعت به اليوم."

"الاختلال الناتج عن الضغط - الجوي؟" سأل كوربيه وهو يطرف بعينه تحت نظارتيه المستديرتين.

"إنه مرض تخفيف الضغط، داء الغواصين."

تنهدت بيشوب. "إنني أعتقد في الواقع أن داء الغواصين هو احتمال يمكننا استبعاده تماماً من دون أي مجازفة."

"لماذا؟ لقد افترضتُ - فجأة صمت كراين. لقد ايقن أن آيشر لم يخبره صراحة عن طبيعة المشكلة. وبالنظر إلى طبيعة محطة عاصفة الأعماق، فإنه قد افترض أن تكون الحالة متعلقة بداء الغواصين.

"إنني آسف،" تابع كلامه ببطء. "أعتقد أنني لم أفهم تماماً سبب استدعاء جماعتكم لي."

"إن هوارد آيشر هو من كان قد جدَّ في طلبك،" قالت بيشوب. وهنا ابتسمت للمرة الأولى. وخيم على غرفة الاجتماعات فترة قصيرة من الصمت.

"هل تمكنتم من تحديد أية أعراض مشتركة؟" سأل كراين. "هل يقوم المرضى جميعهم بالعمل في طبقة واحدة، أو في ناحية واحدة من المنشأة؟"

هزت بيشوب رأسها نفيًا. "لقد استقبلنا مرضى من معظم طبقات المنشأة، ومن جميع الأقسام العامة للعمل."

"إذن ليس ثمة سبب موجّه مشترك. ولا أعراض مشتركة. وكل ذلك يبدو تصادفاً عرضياً بالنسبة إليّ. كم هو العدد الإجمالي للمرضى الذين قمتم باستقبالهم؟"

"لقد أجريت مع روجيه تفكيراً بالأرقام بينما كنا ننتظر وصولك." استخرجت بيشوب قصاصة من الورق من جيب معطفها ونظرت فيها. "بدأت المنشأة بالعمل تقريباً منذ خمسة أشهر. وكان معدل رؤيتنا للمرضى، ما بين حالات نفسية وفيزيولوجية، حوالى خمسة عشر مريضاً في الأسبوع. وفي الماضي، لم نكن نجد حالة صعبة تتجاوز بكتيريا المكور العقدي مثلاً. ولكن منذ أن ابتدأ هذا الوضع، فقد رأينا مئة وثلاثة مرضى."

أصيب كراين بالذهول. "مئة وثلاثة؟ يا إلهي هذا يعني -"

"يعني ربع سكان المنشأة، يا دكتور كراين. وهذا أبعد بكثير من أن يكون مجرد مصادفة عرضية."

هنا أعادت بيشوب الورقة إلى جيب معطفها بشيء من الزهو.

وقف كراين في هدأة مقر إقامته في الطبقة العاشرة، يحكّ لحيته، ممعناً في أفكاره. كانت غرفته صغيرة، وخافته النور، حالها حال بقية أرجاء المنشأة. ففيها سرير ضيق، وكرسیان، وفسحة صغيرة لارتداء الملابس، ومنضدة عليها محطة كومبيوتر طرفية موصولة بالشبكة المركزية في المنشأة. وبجانب المنضدة كان ثمة وحدة اتصال داخلي مثبتة على الجدار، تسمح له بالاتصال بالجنّاح الطبي، أو بالاتصال لحجز مجازٍ في قاعة البولينغ، أو حتى لطلب فطيرة من البيتزا تسلّم إليه في غرفته من "ساحة التايمز". كل ذلك، فضلاً عن شاشة عرض تلفزيوني عريضة مسطحة، فيما كانت سائر الجدران، المطلية باللون الأزرق الباهت، خالية من أي تزيين أو رسوم.

وكان لديه بابان مصنوعان من المادة الغريبة البلاستيكية اللون، وهي المادة ذاتها التي شهدتها في غير مكان من المنشأة، أمّا الفرق هنا فإن حوافّ البابين لديه كانت محاطة ببرواز خشبي أشقر أبيض. يفضي أحد البابين إلى الممر الخارجي، والثاني إلى الحمام الذي يشاركه فيه روجيه كوربيه. كان رئيس قسم الصحة النفسية (أي كوربيه) قد دعاه إلى الغداء في

"تُوب"، وهو اسم اصطلاح عليه لبوفيه الطعام، في الطبقة الحادية عشرة. وقد وعده كراين بأن يوافيه إلى هناك، لكن بعد أن يخلو بنفسه قليلاً لبضع دقائق.

كان ثمة ملف مختوم ملقى على منضدته، وهو يحمل اسمه، كما يحمل رقماً شريطياً مطبوعاً على طول إحدى حوافه. التقط كراين الملف وقام بفض الختم عنه مستعيناً بظفر إصبعه. أفرغ محتويات الملف فوق المنضدة. فسقطت بطاقة للاسم ليست صغيرة، ولها شريط ممغنط، وملقط يسمح بتعليقها بالجيب، ونسخة أخرى من قواعد السلوك السري للعمل في البحرية، وفهرس من صفحتين بالكتب والمراجع المتوفرة عن أتلانتس في المكتبة، أو القابلة للتحميل على المحطة الطرفية، ومظروف يحتوي على لائحة بكلمات المرور الموقته اللازمة للدخول إلى شبكات الكومبيوتر العامة والطبية.

شبك البطاقة فوق جيب قميصه. ثم جلس إلى منضدته وحدث للحظة في الشاشة الفارغة. أخيراً قام بتشغيل المحطة الطرفية وأدخل كلمة مروره السرية، متوقفاً لتمسيد نقطة من جلد أعلى ذراعه، حيث تمت زراعة البطاقة الراديوية له قبل دقائق قليلة. فتح الشاشة التالية بادئاً بالطباعة عليها:

أعراض غير محدّدة:

قصور فيزيولوجي - وعصبية؟؟

ونفسياً - إنفراد، وانعزال

إبحث عن العروض السريرية

أنظر فهرس الحالات؟

جوي/بيئي؟

تسمم: منهجي أو عمومي؟

حالات سابقة؟

تراجع من وراء المنضدة ناظراً نحو الشاشة. داء الغواصين؟ حذر تخثر نتروجيني؟ سؤال كان قد طرحه على آيشر من منصة النفط ستورم كينغ فكان الجواب: أقرب إلى الأول منه إلى الثاني. لقد بدأ الآن يفهم كم كان هذا الجواب تملصياً. وفي الحقيقة فإن الدكتور آيشر، بقدر ما تبين أنه شخص أنيس ومنفتح إلا أن ما قد أفاده حتى الآن هو أقرب إلى اللاشيء.

كان ذلك مزعجاً قليلاً، بل لعله مثير لبعض القلق. لكن في وجهه من الأوجه، ليس من شأن ذلك، لأنه، وفي النهاية، بدأ كراين يتفهم السبب الذي جعل آيشر يجد في طلبه هو بالذات.

هل صار كل شيء واضحاً إذن؟ جاءه سؤال من وراء كتفيه. وثب كراين عن كرسيه، حتى كاد يقف على قدميه، مندهشاً. تحرك بكرسي المكتب ذي العجلات، مستديراً فيما قلبه يكاد يهرب منه، ليرى منظراً مدهشاً حقاً. رجل عجوز يرتدي زياً، حائل اللون. كان يقف هناك، وكانت له عيان زرقاوان ثاقبتان، وكتلة شعر أبيض منفوش. كان أشبه بأينشتاين إذا نظرت إليه من مقدمة جبهته. إلا أنه كان متناهي القصر. بحيث أنه لا يتجاوز الخمسة أقدام طويلاً - كما أنه كان هزلياً أعجفاً. للحظة، تساءل كراين عما إذا كان هذا الرجل قد قدم بقصد إصلاح شيء ما، لكن باب الغرفة كان مقفلاً. ولم تسمع نقرة عليه أو جس دخول. بدا كما لو أن الرجل قد تجسد من شغيف الهواء.

"عفوك؟"

نظر الرجل من فوق كتف كراين إلى الشاشة:  
"واو..واو.. كلمات قليلة، وعلامات استفهام كثيرة."

قام كراين بمحو الشاشة بكبسة زر. "لا أعتقد أنه  
كان لي شرف اللقاء بك من قبل." قال له بجفاء.

أطلق الرجل ضحكة عالية وحادة كشغشقة عصفور.  
"أعرف هذا، لكنني جئت لأتعرف عليك. لقد سمعتُ أن  
ثمة دكتور كراين في هذا المكان، وقد حيرني ذلك." مدَّ  
يده. "أدعى فلايت، الدكتور فلايت."

"سرت لرؤيتك."

تبع ذلك صمت مرتبك، وفتش كراين عن سؤال  
مهذب حيادي. "ما هو دورك هنا يا دكتور فلايت؟"

"الأجهزة الميكانيكية ذاتية الحركة."

"ماذا يعني ذلك؟"

"أنت تتكلم كقادم جديد. هذه المنشأة أشبه ببلدة  
حدودية. وإذا كنت من عشاق أفلام الـوسترن، كما هو  
حالي أنا، فإنك لا بد أن تعرف أن سؤالين لا يمكن لك أن  
تطرحهما في البلدة الحدودية، هما: من أين أتيت؟ ولم  
أنت هنا؟" توقف فلايت قليلاً. "يكفي أن أقول لك أن  
وجودي هنا ضروري لا يُستغنى عنه – والأسوأ من كل  
هذا هو أن مهمتي سرية بدرجة عالية."

"هذا شيء جميل،" قال كراين بوهن، عندما أعجزه  
الجواب.

"أتظن ذلك؟ أمّا هذا فليس رأيي أنا، لأن هذه  
المهمة، ليست مهمة سعيدة، يا دكتور كراين فهنا في



محرّكاً أنامله، كما لو أنه عازف بيانو في حفلة موسيقية.

بدأت عينا الرجل تجولان في أرجاء الغرفة قبل أن تقعا مرة جديدة على كيس الأمتعة الشخصية، المفتوحة فوهته. "ماذا يوجد لدينا هنا؟" سأل، ماداً يده، وملتقطاً منه كتابين ببرزان من فتحة الكيس. رفع واحداً منهما، مختارات من أشعار القرن العشرين.

"ما معنى هذا؟" سأل الرجل بنزق.

"وكيف يبدو الأمر لك." سألته كراين بغضب. "إنه كتاب من كتب الشعر."

"ليس لدي وقت للشعر الحديث، ولا ينبغي لك أنت أيضاً أن تشغل وقتك به. مثلما قلت لك: اقرأ هوميروس." ألقى الرجل الكتاب في مكانه الذي استخرجه منه، ثم ألقى نظرة إلى الثاني. رائع... تاريخها وأسرارها. "وماذا عن هذا؟"

"إنه كتاب عن الأعداد الصمّاء."

ضحك الرجل وهزّ برأسه. "بالفعل! وكم هو مناسب، أليس كذلك؟"

"مناسب لماذا؟"

نظر الرجل إليه مندهشاً. "إنها الأعداد الصمّاء! ألا ترى؟"

"كلا. أنا لا أرى في ذلك شيئاً."

"المسألة واضحة. إن عدداً منا هنا، هم أعداد صمّاء. ألسنا كذلك؟" ولو لم تكن كذلك، فإن ما أحشاه هو أننا سوف نصبح هكذا في وقت قريب. "مدّ سبّابته الرفيعة

ناقراً بها صدر كراين. "من أجل هذا، أنت هنا. لأنها معطلة."

"ما هي هذه التي تقول عنها إنها معطلة؟"

"كل شيء هنا معطل،" كَرَّرَ فلايت في همس حثيث. "أو أنه على الأقل، سوف يغدو معطلاً في وقت قريب جداً."

تجهم كراين. "دكتور فلايت، إذا لم يكن يزعجك-"

رفع فلايت يده. بدا عليه مزاج من الاستعجال المفاجيء. "شيء ما، لم يخطر في بالك بعد. لكن بيننا شيئاً مشتركاً." توقف عن الكلام توقفاً له دلالة.

ابتلع كراين ريقه. لم يكن في وارد السؤال عن ماهية هذا الشيء. لكن فلايت لم يكن في حاجة إلى أي تشجيع.

اقترب الرجل حانياً إلى الأمام، كما لو أنه يريد أن يسر شيئاً. "إنها أسماؤنا: كراين. فلايت. أتفهم؟"

تنهد كراين. "لا أقصد أن أكون عدائياً معك. لكنني أتمنى لو تغادر مكاني. فأنا على موعد مع أحدهم لتناول الغداء، وقد تأخرت عن موعدتي."

رفع الرجل الضئيل رأسه إلى أحد جانبيه ممسكاً بيد كراين. "لقد سعدتُ بالتعرفُ إليك، يا دكتور كراين. وكما قلت لك. إن بيننا شيئاً ما، مشتركاً. بيني وبينك فقط. ويجدر بنا أن نتعاون عليه معاً."

وبغمزة وداعية من عينه، دلف إلى الخارج تاركاً الباب وراءه مفتوحاً. بعد لحظة، تقدم كراين لإغلاقه. ونظر بفضول إلى الممر الطويل. كان الممر خالياً، ولم

يبقى ثمة أثر للرجل العجوز الغريب. بدأ الأمر وكأنه لم  
يحضر إلى هذا المكان قط.

جلس هاوارد آيشر إلي منضدته في غرفة مكتبه في الطبقة الثامنة، محدّقاً بامعان إلى شاشة حاسوبه. انعكس شعاع الضوء الآتي من الشاشة المسطحة على شعره الفضيّ الأبيض فبدا وكأنه اكتسب لوناً أزرق غريباً.

خلفه كان ثمة خزانة كتب معدنية محشوّنة بالكتب التقنية، وبكتب جامعية عن علم المحيطات، وعن علم الأحياء البحرية، وقليل من كتب المجموعات الشعرية، القديمة العهد بسبب كثرة الاستعمال. وفوق خزانة الكتب، كان هناك العديد من الكلشيرات: مستنسخات من دراسات بيرانيزي المأخوذة من كتاب 'فيدوت دي روما'. كما كان ثمة خزانة أخرى أصغر من الأولى، لها باب زجاجي، وتحتوي على تشكيلة من الغرائب البحرية: سمكة أحفورية متحجرة من نوع معائيات الجوف (كولياكانث)، وعتلة محطمة مأخوذة من سفينة شراعية من الطراز القديم، وسنّ عائد لسمكة قرش أزرق لا يمكن لها أن تكون قد عاشت عيش الزاهدين في المغارة. وما كان الحجم المنمّم للمكتب، ولا مجموعاته الانتقائية، لتعطي انطباعاً على أن صاحبه هو كبير علماء الوكالة الوطنية للمحيطات.

تناهى إلى سمعه صوت وقع أقدام خافت مقترباً من خلف الباب المغلق. ثم بدا وجه من خلال زجاج نافذة الباب. التفت صوب النافذة، فتبين لآيشر الشعر الأحمر، والوجه الأنمش للعالم بول إيستون، الذي هو واحد من عدة جيولوجيين بحريين يعملون في مشروع الاستخلاص.

أدار آيشر كرسيه، ثم انحنى وفتح الباب. "سعيد لرؤياك يا بول." دخل إيستون وأقفل الباب وراءه. "أمل ألا أكون قد قاطعتك في وقت غير مناسب يا سيدي."

كم مرة أحتاج لكي أقول لك يا بول أن إسمي هو: هوارد. نحن هنا في هذه المنشأة نتخاطب بالاسم الأول. كل ما هو مطلوب منك هو ألا تخبر الأدميرال سبارتان أنني أقول ذلك". وهنا، ضحك آيشر على نكته الخاصة.

ومع ذلك، فإن إيستون لم يشاركه الضحك.

رمقه آيشر بعناية. ففي العادة، كان إيستون شخصاً ظريفاً مغرماً بالمزحات العملية، كما بالقصائد الفكاهية القذرة. ومع هذا، فإنه كان اليوم عابساً متجهماً، كما أن تلاميحه الشابة بدت كئيبه. وأكثر من هذا كله، فق بدا إيستر شديد القلق.

أشار آيشر إلى الكرسي الوحيد الفارغ. "أجلس يا بول، وقل لي ما الذي يجول في خاطرك."

ومع أن إيستون قد جلس على الفور، إلا أنه لم يتكلم. بل بدلاً عن ذلك، رفع يده إلى ساعده، وبدأ يحكّه بلطف.

"هل من خطب يا بني؟" سأله آيشر.

"لست أدري،" قال إيستون. "ربما هو كذلك."

كان لا يزال يحك ذراعه. عرف آيشر أن بعض الناس كان لديهم أكثر من تفاعل جلدي بسبب عملية زرع رقاقة التعريف الراديوي: آر. أف. أي. دي.

"إنه النشاط البركاني."

"في موقع المطمر. كنت أعمل على عدة نماذج من البازلت المستخرج من قاع البحر، محاولاً الوصول إلى التاريخ الدقيق الذي حصل فيه الحدث."

هزَّ آيشر رأسه مشجِّعاً إيستون على متابعة الكلام.

"أنت تدري كيف هو الوضع." بدا أن إيستر يزداد تشوُّشاً أو ربما يتخذ موقفاً دفاعياً. "بما أن تيارات الأعماق البحرية قوية في هذه المنطقة: فإن ترسبات قاع المحيط فيها مبعثرة ومشوشة."

"هل هذه هي العبارة التقنية لمثل هذه الحالة؟" قال آيشر هذا في محاولة منه لتهدئة لهجة ضيفه.

لكن إيستون لم يتنبه لما أراده آيشر. "ليس هناك من ترسبٍ ولا من تراكمٍ طبقي." وجمع النماذج من الأعماق لا قيمة فعلية له. كما أنك لا تستطيع أن تحصل على تواريخ دقيقة استناداً إلى الكشف البصري أيضاً. ليس هناك من مؤشر على عوامل تجوية أو تعرية على الأرض. لهذا كنت أحاول أن أؤرخ التكوينات البازلتية عن طريق المقارنة المتبادلة مع عينات معروفة من قاعدة البيانات الجيولوجية المتوفرة لدينا. لكنني لم أستطع أيضاً أن أحصل على أي تشابه محدد. وعند ذلك قررت أن أضع تاريخاً للعينات استناداً إلى تحلل النظائر المشعة في داخل البازلت."

"تابع الكلام." قال آيشر.

"حسناً." هنا بدا أن إيستون قد بات أشد عصبية.  
"أنت تعرف كيف أننا نضع دائماً تقديراً تقريبياً حول  
التاريخ الذي حصلت فيه عملية الطمر. فالأمر هو أن..."  
وهنا تلعثم. ثم بدأ من جديد. "لقد قمت بعمل الافتراض  
نفسه في اختباراتي. ولم أتأكد من مسألة انعكاس  
الحقل المغنطيسي."

وعندها أيقن آيشر ما هو السبب الذي يجعل  
إيستون مبلبلاً هكذا. لقد ارتكب هذا الرجل الخطأ الذي  
يجب ألا يقع فيه أيُّ عالم: لقد قدّم افتراضاً، ونتيجة  
لذلك فإنه تجاوز اختباراً أساسياً. شيء ما في داخل  
آيشر هداً وتراخى.

جاء الآن وقت لعب دور رب الأسرة العبوس. "إنني  
مسرور لأنك قد أخبرتني ذاك يا بول. إن واحداً يشعر  
بالخجل دائماً، عندما يتبين له أنه لم يقم باتباع القاعدة  
العلمية. وكلما كانت الغلطة ساذجة، كان المرء أشدَّ  
شعوراً بالغباء. أما الجانب الجيد في هذه المسألة، فهو  
أن لا مساومة حصلت على عمل حسّاس في نهاية  
الأمر. وهكذا، أتريد نصيحتي لك؟ عليك أن تأسف لما  
حصل، لا أن تشعر بالإحباط."

لكن النظرة القلقة لم تغادر وجه إيستون. "لا يا  
دكتور آيشر، إنك لا تدرك ذلك. فأنت ترى أنني اليوم  
بالذات، قد أجريت هذا الاختبار. وقيمت بقياس قوة  
المغنطيس. ولم يكن ثمة انعكاس مغنطيسي في  
اللعيّنة."

فجأة، وقف آيشر من على كرسيّه. ثم عاد وجلس  
من جديد بهدوء محاولاً منع الدهشة من الظهور على

وجهه. ماذا قلت لي؟"

"قلت إنه لا يبدو في العينات أي انعكاس مغنطيسي."

"هل أنت متأكد من أن إعداد العينات كان صحيحاً؟"  
"تماماً."

"وهل تأكدت من عدم وجود أي شيء شاذ؟ كأن تكون قد أجريت الاختبار على عينة رديئة؟"

"لقد فحصت جميع العينات المتوفرة لدي. وكانت النتائج هي نفسها في كل مرة."

"لكن هذا لا يمكن أن يحدث. فالانعكاس المغنطيسي هو أسلوب لا يخطيء في تحديد عمر العينات الصخرية." زفر آيشر ببطء "هذا يجب أن يكون معناه أن الطمر كان قد حصل في زمان أقدم بكثير مما دار في تصوُّرنا. زمن يؤدي إلى ظهور انعكاسين بدلاً من انعكاس واحد. شمال جنوب، ثم جنوب شمال مرة أخرى. إنني متأكد من أن فحصك للعينات الموحدة الخواص سوف يؤكد ذلك."

"كلا يا سيدي"، قال إيستون.

نظر إليه آيشر نظرة حادة. "ماذا تعني بقولك لا؟"

لقد قمت لتوي بالكشف على النظائر المشعة. فوجدت أنه لا يكاد يُلحظ فيها أي تحلل. أي تحلل على الإطلاق."

قال إيشر ببساطة: "هذا مستحيل."

لقد أمضيت الساعات الأربعة الماضية في قسم

الأشعة. وأجريت الاختبارات ثلاث مرات. وها هي النتائج". هنا أخرج إيستون قرص فيديو رقمي من معطف المختبر الذي يرتديه وألقاه على منضدة آيشر.

حدّق آيشر في القرص دون أن يلمسه. "إذن إن جميع استنتاجاتنا لا بد من أن تكون خاطئة. إن حادثة الطمر تذهب إلى أقدم بكثير مما توقعنا. هل توصلت إلى تاريخ جديد استناداً إلى الفحوصات؟"

"مجردّ تاريخ تقريبي يا سيدي، حتى الآن."

"وما هو؟"

"ستمائة سنة تقريباً."

ببطء شديد، تراجع آيشر في مقعده. "ستمائة سنة!"

ومرة جديدة خيم الصمت على المكتب الصغير.

"عليك أن تسترد واحدة من الغواصات الجوّالة الذاتية الحركة،" قال آيشر أخيراً. اجعلها مجهزة بمقياس للمغناطيسية موجّه إلكترونياً. اجعلها تطوف عدة مرات فوق موقع الطمر. هل ستقوم بالاهتمام بذلك؟"

"نعم، يا دكتور آيشر."

"جيد جداً."

كان آيشر يراقب الجيولوجي الشاب وهو يغادر بعد أن وقف وهزّ رأسه، ومشى صوب الباب.

"ثمّ يا بُول؟" قال بهدوء.

عاد الرجل ثانية.

**"قم بذلك على الفور، لو سمحت. ولا تخبر بذلك أي شخص. أي شخص على الإطلاق."**

## 9

رفع كراين بصره عن اللوح الرقمي الذي كان يخربش على صفحته بعض الملاحظات بواسطة مرقم بلاستيكي. "أهذا هو كل شيء؟ مجرد وجود لبعض الآلام في القدمين؟"

هزَّ الرجل النائم في سرير المستشفى رأسه إيجاباً. وحتى من تحت الشرافف، كان من الواضح أنه رجل طويل القامة، متين العود، لونه مشرق، وعيناه صافيتان.

"كيف تصنّف درجة الألم من واحد إلى عشرة؟"

فكّر الرجل برهة. "الأمر متراوح. لكنني أقول: حوالى ستة وأحياناً قد يكون أكثر بقليل."

آلام عضلية غير مقرونة بحمّى، دون كراين فوق اللوح الرقمي. يبدو الأمر غير ممكن - لا، بل هو غير ممكن فعلاً - فالرجل قد عانى من سكتة دماغية خفيفة منذ يومين. لقد كان حديث السن لكي يصاب بالسكتة، ثم أن أيّاً من الفحوصات لم يشر إلى أنه تعرّض لجلطة. كان هناك التشكيات الابتدائية فقط: شلل سكتة، وتداخل في الكلام.

"أشكرك،" قال كراين، مغلفاً الغطاء المعدني للوح

الرقمي. "سأعود إليك لو كان عندي أسئلة إضافية." ثم تراجع عن سرير المريض.

مع أنه كان يطلق عليها اسم "الجناح"، فإن وحدة المرفق الصحي لعاصفة الأعماق كانت تفاخر بامتلاكها لتجهيزات قد لا تتوفر لمستشفى معتدل الحجم. فبالإضافة إلى غرفة الطوارئ، ومساحات لإجراء العمليات الجراحية، وأربع وعشرين غرفة لتنويم المرضى، كان هنالك العديد من المساحات التي تتخلل الغرف، والتي تستعمل من أجل اختصاصات تتراوح من التصوير بالأشعة إلى علاج أمراض القلب. وكان ثمة مجمّع منفصل توجد فيه مساحات عمل للموظفين، وغرف اجتماعات لهم. وفي هذه المنطقة، كان قد أعطي إلى كراين مكتب صغير، لكنه حسن التجهيز. وإلى جانبه غرفة مختبر.

ومن بين جميع الشكاوى السابقة التي وصفتها الدكتورة بيشوب، كان ثلاث منها فقط من الشدة بحيث تستوجب تنويم المريض. وكان كراين قد فرغ لتوه من مقابلة اثنين منهم. رجل في الثانية والأربعين من عمره، وهو يعاني من غثيان وإسهال، والثاني هو الضحية المفترضة للإصابة بالسكتة. والحقيقة أن أياً منهما لم يكن بحاجة فعلية إلى التنويم. ولا شك في أن الدكتورة بيشوب كانت قد ارتأت تنويمهما لكي تبقيهما تحت المراقبة.

استدار كراين وأوماً برأسه إلى بيشوب التي كانت تقف على مسافة متراجعة في الخلف.

"لا يوجد أيُّ دليل على وجود نوبات عارضة لاحتباس الدم،" قال لها وهما يخطوان إلى الممر.

"ما عدا الظواهر الابتدائية."

"لقد شهدتها بنفسك، حسبما قلت؟"

"نعم شهدتها بنفسي. وكان الرجل يعاني من نوبة عارضة لاحتباس الدم."

تردد كراين. لقد قالت بيشوب القليل خلال فحصه للمريضين، لكن عدوانيتها كانت رغم ذلك تختفي تحت سطح سلوكها الهادئ. فقد كانت لا تستسيغ أن يقوم أحد بالتشكيك في تشخيص تتوصل هي إليه.

"هنالك متلازمات مرضية عديدة يمكنها أن تظهر بطريقة مشابهة لهذه الحالة - بدأ حديثه بأقصى ما يمكنه من الدبلوماسية.

"لقد أمضيت مدة تدرُّجي كطبيبة مقيمة في وحدة العناية بالأوعية الدموية، وقد عاينت نصيبي من المرضى الذين كنت أراهم يصابون بالسكتة. ولقد صرت أميّز بين المصاب بنوبة احتباس الدم عندما ألقى عليه نظرتي الأولى."

تنهد كراين. لقد بات أسلوبها الدفاعي يظنّه. فالصحيح أن لا أحد يستسيغ وجود طفيلي. ولعلها تعرف ذلك، لكن الحقيقة أن الفريق الطبي هنا كان قد اكتفى فقط بالفحوصات السطحية، متعاملاً مع كل مريض على أساس أنه حالة مستقلة. لقد كان مقتنعاً بأنه لو دقق هذا الفريق أكثر من ذلك، طالباً مزيداً من الفحوصات المتعمدة، فلا بد له من الوصول إلى بعض الظواهر المشتركة التي ستبرز على السطح. ورغم كل ما كانت بيشوب قد قالت، فإنه كان لا يزال يراهن على داء الغطاسين، كمرض تفاضلي.

"لم تجيبني على سؤال كنت قد طرحته عليك من قبل،" قال لها. "هل يوجد لديكم غرفة للضغط العالي؟" هزت رأسها بالإيجاب.

"أريد أن يوضع هذا الرجل في تلك الغرفة. لِنر ما إذا كانت إعادة الضغط والأكسجين النقي، يساعدان على تخفيف الآلام في أطرافه."

"ولكن-"

"يا دكتورة بيشوب، كان آيشر قد أعلمني أن هذه المنشأة تستعمل بعض الأنواع من تقنيات تكيف الضغط المصنفة كتكنولوجيا سرية. وهي مبدئياً لم تجرّب بعد في الميدان. وهذا ما يجعل من مرض شلل الغواصين الجاني المحتمل الأساسي حتى الآن."

لم تُجبه بيشوب بأيّ كلام. وبدلاً من ذلك، فقد تجهمت وأشاحت عنه بنظرها.

شعر كراين بأن صبره قد بدأ ينفذ. "لك ملء الحرية في إخبار آيشر عن هذا الأمر إن لم يكن يعجبك،" قال لها بجفاف. "لكنه قد استقدمني إلى هنا لكي أتقدم بما لدي من اقتراحات. أما الآن، فأرجوك أن تضعي هذا المريض في الغرفة." توقف قليلاً ليدع كلامه يتسرب. "هل ننتقل لزيارة المريض الثالث؟"

كان قد أجّل الحالة الأكثر إثارة للاهتمام إلى النهاية: امرأة تشكو من خدر وضعف في كليتي يديها وفي وجهها. كانت صاحبة عندما دخلا إلى غرفتها، حيث تحيط بها آخر ما تم إنتاجه من أجهزة المراقبة. وها هي الآن تتشكى بهدوء. وعلى الفور، أحس كراين بوجود فرق. لقد لاحظ الإجهاد بادياً على عينيها الصفراوين، كما على

جسدها الهزيل الذي جعله القلق يابساً. وحتى من دون القيام بعملية تشخيص، فإنه أيقن أن هذه الحالة قد تكون خطيرة.

فتح اللوح الرقمي فدبت الحياة في الشاشة. وقد برز التاريخ المرضي للمريضة على وجه الشاشة بصورة تلقائية. يجب أن يكون الأمر مربوطاً برقاقة التعريف المغروسة في جسدها، قال كراين.

لقى نظرة على البيان الملخص:

الاسم: فيليبس، ماري إي

الجنس: أنثى

العمر: 36

خلاصة الشكوى: ضعف على جانبي الجسد/  
خدر في

اليدين والوجه.

عندما رفع أنظاره عن اللوحة الرقمية، لاحظ وجود ضابط بحرية قد دلف إلى الغرفة. رجل طويل ونحيف، وكانت عيناه الباهتتان متقاربتين بشكل غير اعتيادي - بل بشكل شاذ - إلى بعضهما البعض. فالعين اليمنى بدت وكأنها حولاء إلى الخارج. وكان ثمة شرائط عسكرية على كم قميصه. وعلى طرف ياقته الأيسر تظهر الشارة المذهبة لوكالة الاستخبارات. وكان يتكئ إلى جانب حاجب الباب، واضعاً يديه على جانبيه، وغير مبالي بوجود كراين ولا بوجود بيشوب.

نظر كراين من جديد نحو المريضة متجاهلاً هذا القادم الجديد، "هل أنت ماري فيليبس؟" سألها راجعاً

بصورة تلقائية إلى لهجة حيادية اعتاد على استعمالها  
في مخاطبة المرضى منذ عهد بعيد.

هزت المرأة رأسها إيجاباً.

"لن آخذ الكثير من وقتك." قال لها مبتسماً. "نحن  
هنا لكي نراك تنهضين من جديد على قدميك بأسرع  
وقت ممكن."

ردّت له الابتسامة بخلجة صغيرة من شفيتها، ما  
لبثت أن تلاشت بسرعة.

"ألا زلت تشعرين بكثير من الخدر في يديك  
ووجهك؟"

هزّت رأسها ورمشت بعينيها ورفعت إليهما منديلاً  
ورقياً. لاحظ كراين أنها عندما رمشت عينيها لم تستطع  
إفقالهما تماماً.

"متى لاحظت ذلك لأول مرة؟" سألها.

"منذ عشرة أيام تقريباً. لا، بل ربما منذ أسبوعين.  
ففي بداية الأمر، كانت الأعراض شديدة الخفاء، بحيث  
أنني، بالكاد، كنت ألاحظها."

"هل كنت في دوام العمل أم خارجه عندما لاحظت  
الأعراض للمرة الأولى؟"

"كنت في الدوام."

نظر كراين مرة جديدة إلى لوحته الرقمية. "لا يظهر  
هنا ذكر لمحطة عملك."

كان الرجل الواقف عند الباب هو من تبرع بالجواب.  
"هذا لأن الأمر لا علاقة له، يا دكتور."

استدار كراين نحوه. "وأنت، من تكون؟"  
"أنا الضابط كوروليس." كان للرجل صوت ناعم، يكاد  
يكون زيتياً.

"حسناً أيها الضابط، أعتقد أن موقع عملها مسألة  
وثيقة الصلة بحالتها الصحية."  
"وما هو السبب؟" سأل كوروليس.

نظر كراين من جديد إلى المريضة. قابلت نظرتة  
بنظرة قلقة. إن آخر ما كان يريده هو أن يتسبب بمفاقمة  
القلق والتوتر. ثم أوماً إلى الضابط كوروليس لكي  
يرافقه باتجاه الممر.

"إننا نقوم بعملية تشخيص،" قال له في الممر،  
بعيداً عن مجال سمع المريضة. وفي حالة التشخيص  
التفاضلي، فإن كل حقيقة تكون وثيقة الصلة. ومن  
المحتمل جداً أن تكون بيئة عملها مسؤولة بطريقة ما  
عن حالتها."

هز كوروليس رأسه. "كلا ليس لهذا الأمر علاقة."

"وكيف تستطيع أن تدري؟"

"عليك أن تكتفي بقبول كلامي حول ذلك."

"أنا آسف، لكن هذا ليس جيداً بما فيه الكفاية." هنا  
تركة كراين عائداً.

"يا دكتور كراين،" قال كوروليس بهدوء. "إن ماري  
فيليبس تعمل في منطقة سرية من المنشأة، على  
مهمة سرية. ولن يكون مسموحاً لك بطرح أسئلة  
محددة عن عملها."

رجع كراين إليه. " أنت لا تستطيع - " بدأ يقول له. ثم توقف في منتصف جملته كاظماً غيظه بصعوبة. كأننا من كان هذا كوروليس ذلك، فمن الواضح أنه يستخدم سلطته أو يعتقد ذلك. ما الحاجة إلى كل هذه السرية؟ عجب كراين، في مؤسسة علمية؟

ثم توقف مذكراً نفسه أنه مجرد قادم جديد إلى هذا المكان. وهو لا يعرف حتى الآن ماهية القواعد المتبعة - الخفية منها والعلنية. ويبدو أن المعركة التي يخوضها خاسرة. لكنه لن يغفل عن ذكر هذه الحادثة في وقت لاحق مع آيشر. وفي الوقت الحاضر، ليس عليه سوى القيام بتشخيص هذه المريضة بأفضل ما يستطيع.

عاد إلى غرفة المستشفى. كانت الدكتورة بيثوب لا تزال تقف إلى جانب سرير المريضة، وتحرص على أن لا تُبدي تأثيرها بحالتها.

" آسف للانقطاع عنك قليلاً يا سيدة فيليبس، " قال كراين. " لنكمل عملنا. "

وعلى امتداد الدقائق الخمسة عشرة التالية، قام بكشف فيزيولوجي وعصبي على المريضة. وبالتدريج، تمكن من نسيان الوجود المراقب للضابط كوروليس، بعد أن صار مستغرقاً في الحالة التي تشكو منها المرأة.

لقد كانت حالة طبية محيرة. فالضعف كان بادياً على العضلات العليا والسفلى لجانبي الوجه. ولدى اختبار إحساسها بالوخز بالإبرة، فإن المرأة أبدت ضعفاً بارزاً، واختلالاً في عمل العصب المثلث التوائم وفي توزيعه. كانت حركة الرقبة سليمة، وكانت قادرة على تمديد عنقها. لكنه لاحظ أن إحساسها بالحرارة ضعيف في

منطقة العنق، كما في الجزء العلوي من الجذع. كما كان هناك أيضاً - وبشكل مدهش - تلف بارز، وقديم حسبما يبدو، في عضلات اليد. وعندما قام بالكشف على انعكاسات الأربطة العميقة، ثم على انعكاسات الأخمصين، فإن شكاً بدأ يتجذر في ذهنه.

يحلم كل طبيب مداوٍ بالوقوع على حالة نادرة مثيرة للاهتمام بشكل خاص، حالة تكون من النوع الذي قرأ عنه في الأدبيات الطبية. لكن ذلك نادراً ما يحدث. ومع كل الملاحظات حتى الآن، فإن ماري فيليبس كانت تظهر عليها حالة شبيهة بذلك تماماً. وهكذا، فإن كراين الذي اعتاد على سهر الليالي لمتابعة آخر الأخبار في المجلات الطبية، قد اعتقد الآن أنه ربما - فقط ربما - قد وقع لتوه على حالة من مثل هذه الحالات النادرة. قد يكون ثمة سبب خصوصي يدعوني لكي أكون هنا، بعد كل شيء.

وبدافع من إحساسه الباطني، قام بفحص لوزتي المريضة: إنهما متضخمتان بشكل بين، كما أنهما مفصصتان، وتميلان إلى الإصفرار. شيء ملفت للاهتمام.

ابتعد عن المرأة بعد أن شكرها، والتقط اللوحة الرقمية ناظراً نحو نتائج فحوصات الدم:

3.100	ملم:
34.6	
104.000	
79	:
119	:(ملغ / دسل):

الحمراء (ملم / ساعة): 48.21

انسحب ليتحدث إلى الدكتورة بيشوب وسألها:  
"ماذا تظنين؟"

"كنت آمل أن تكون قادراً على إخباري،" أجابته.  
"أنت الخبير هنا."

"لست أنا الخبير. إنني مجرد طبيب زميل لك، وأتوقع  
منك شيئاً من التعاون."

اكتفت بيشوب بمبادلتها النظر بكل بساطة. شعر  
كراين أن الغضب يعود إليه أشد من ذي قبل: غضب<sup>15</sup>  
بسبب كل هذه السرية الغامضة التبرير، وغضب<sup>16</sup> بسبب  
تطفل الضابط كوروليس عليه، وغضب<sup>17</sup> بشكل أخص،  
بسبب قلة نفع واستنكاف الدكتورة بيشوب. حسناً إذن،  
سوف يعتبر تصرفها هذا معه مجرد ذريعة لكي يريها  
مدى معرفته.

أغلق اللوحة الرقمية بعنف. "هل فكرت في أن  
تقومي ببعض اختبارات الأجسام المضادة يا دكتورة؟"  
هزّت رأسها بالإيجاب. "إلتهاب الكبد الوبائي A وC،  
اختبار الكبريتيد M وI جميعها/ سلبي."

"دراسات توصيل الحركة؟"

"طبيعي على الجهتين."

"العامل الرثواني؟"

"إيجابي، 88 وحدة/ بالمليتر."

صمت كراين قليلاً، لقد كانت تلك هي الفحوصات

التي كان ينوي إجرائها في خطوته التالية.

"كما أنه لم تشعر المريضة قط بأي آلام في المفاصل، أو فقدان الشهية للطعام، أو ظاهرة رينو." أضافت قائلة.

نظر إليها كراين في دهشة. لم يكن ممكناً أن يخطر في بالها الوصول إلى استنتاجه الغريب ذاته. هل الأمر هكذا؟

وهكذا قرّر أن يختبر ما إذا كانت تجاربه أو تخدعه. "إن التلف الأولي في عضلات اليد يبدو أنه يشير إلى تكهف النخاع. وكذلك هو شأن نقص القدرة على الإحساس في الجزء الأعلى من الجذع."

"لكن ليس هناك شكوى من تصلب في القدمين." أجابته على الفور. "وليس هناك من معلومات واضحة عن اختلال وظيفي نخاعي. لذلك لا يمكن أن تكون هذه الحالة هي حالة تكهف نخاعي."

صار كراين هنا أكثر اندهاشاً بعمق تقنياتها التشخيصية. لكن ذلك كله لا يثبت ولا يتماسك.

وفكر قائلاً، "...لقد آن الأوان لكي ألقى بأوراقى على الطاولة،" "وماذا عن العيوب المتعلقة بالمراكز العصبية؟ مرض الاعتلال العصبي؟ وهل كشفت على اللوزتين؟"

كانت ببشوب لا تزال تحدّق نحو، فيما يخلو محيطها من التعابير. "أجل، لقد لاحظت أن اللوزتين متضخمتان ومصفرّتان."

مرّت فترة من الصمت.

وبالتدريج، مرّت ابتسامة فوق وجهها. "لمَ يا دكتور،"  
قالت له. "بالتأكيد لن تفكّر في مرض تانجير؟"

تجمّد كراين. ثم ببطء - بل ببطء شديد - تراخى. لقد  
وجد أن من الصعب عليه ألا يردّ لها ابتسامتها. "في  
الحقيقة، فقد كنت أفكر في ذلك،" قال لها بنبرة حزينة.

"مرض تانجير. إذن ماذا؟ هل بات لدينا الآن مجموعة  
من مئة مرض خلقي تطوف حولنا في هذه المحطة؟".  
قالت ذلك لكنّ صوتها كان معتدلاً، ولم يكن في نبرتها  
أي نوع من التأنيب يستطيع أن يشعر بها، حتى  
الابتسامة ذاتها بدت له أصيلة.

وفي هذه اللحظة انطلقت مجموعة من أصوات  
الإنذار العالية والمتعجّلة، وكانت تقطع انسياب  
الموسيقى الكلاسيكية. ثم اشتعل نورٌ كهربائيٌّ في  
الممر في الخارج.

طارت الابتسامة عن وجهه بيشوب. "إنذار بدرجة  
برتغالي." قالت له.

"ماذا تقولين؟"

"حالة طارئة في القسم الطبي النفساني. لنذهب  
إلى هناك." قالت هذا وهي تتقدّم نحو الباب.

## 10

توقفت بيشوب أمام النُّصْد الأمامي بما يكفيها فقط لالتقاط جهاز اتصال بالراديو. "نادِ علي كوربيه"، وجهت أمرها إلى ممرضة موجودة وراء النُّصْد. ثم أسرعَت خارجَ الجناح الطبي عبر الممر، وكان كراين في إثرها، متقدِّمين نحو ساحة التايمز.

وفي أثناء سيرها ضغطت مفاتيح رقم سريِّ علي جهاز الراديو الذي تحمله، وبدأت تخابر علي إحدى الموجات. "هنا الدكتورة بيشوب تسأل عن موقع الإنذار البرتقالي."

كان هنالك لحظة من الهدوء قبل أن يقرقع الجهاز بصوت مجيب: "مكان الإنذار البرتقالي هو الطبقة الخامسة، عنبر إصلاح الغواصات الجوّالة".

"الطبقة الخامسة، عُلِم،" أجابت بيشوب.

كان هنالك مصعد في الانتظار قرب المقهى الموجود بجانب الممر. فدخلا وضغطت بيشوب على الزر رقم 7 الواقع في أسفل لوحة الأزرار.

عادت مرة جديدة إلى الراديو الذي تحمله. "إنني أسأل عن طبيعة الحالة الطارئة."

فرقة أخرى: "الحادثة تحمل الرمز خمسة - عشرون - إثنان."

"ماذا يعني هذا الرمز؟" سألتها كراين.

نظرت إليه. "حالة نفسية متورّدة."

فُتحت أبواب المصعد من جديد، وتبعها كراين إلى تقاطع ممرات شديد الإضاءة. كانت الممرات المتقاطعة تذهب في اتجاهات ثلاثة، وقد انطلقت بيشوب في الاتجاه المقابل لهما مباشرة.

"ماذا عن الإمدادات الطبية؟" سألتها كراين.

ثمة مستوصف مؤقت في الطبقة الرابعة، وسوف نحصل على حقيبتي للعناية الطبية العاجلة، لو كان ذلك ضرورياً."

لاحظ كراين أن هذه الطبقة هي أكثر انغلاقاً من سواها من الطبقات التي شاهدها من قبل. فالممرات هنا أكثر تضيقاً، والحجرات مراكومة. أما الناس الذين مرّ بهم، فمعظمهم من كان في سترة قفز، ومعظمهم من كان في معطف مختبر. فتذكر أنه في الطبقة المخصصة لتكون مركزاً للأبحاث العلمية ومركزاً للحاسوب. ورغم أن صوت اندفاع الهواء في مسارب التهوية كان مسموعاً، إلا أن الهواء بقي ثقيلاً، وتشوبه روائح مواد التبييض، والأوزون، والمعدات الإلكترونية الحامية.

وصلا إلى تقاطع آخر، فهرولت بيشوب نحو اليمين. نظر كراين في اتجاه الأمام، فرأى شيئاً لم يكن يتوقعه: لقد اتسع عرض الممر فجأة بدرجة دراماتيكية لينتهي إلى جدار أسود. وكان الجدار أملساً، لا يفتح سوى على محبس هواء مضغوط يقع في وسطه. وكانت فتحة هذه

الغرفة محروسة من أربعة رجال من الشرطة العسكرية، مسلحين بالبنادق. أما خامسهم، فكان يجلس في معقل عالي التقنية يقع عند الجانب. وفوق فتحة غرفة الهواء المضغط كان ثمة ضوء أحمر متوهج ينبعث من صمام ثنائي ضوئي كبير مثبت في الجدار.

"ما هذا؟" سأل فيما هو يبطن سرعته بفعل الغريزة.

"إنها منطقة الحاجز،" أجابته بيشوب.

"آسف، لم أفهمك؟"

"إنها البوابة المؤدية إلى المستويات السرية السفلى."

وحالما اقتربا، أخذ اثنان من رجال الشرطة العسكرية موقعيهما أمام الفتحة مباشرة فيما سلاحهما مرفوعان إلى صدريهما. "هل أنت مؤهلة للعبور يا سيدتي؟" سألها أحدهما.

مشت بيشوب إلى المعقل الصغير. خرج الشرطي الخامس ومرر جهازاً ماسحاً كبيراً فوق ساعدها. سُمع صوت زمر متقطع ومرتفع.

نظر الشرطي إلى شاشة صغيرة للصمام الثنائي الضوئي مثبتة إلى جهاز المسح. "لن يُسمح لك بالدخول."

"أنا ميشيل بيشوب، كبيرة الأطباء في هذه المنشأة. وأملك الحق في الدخول الطارئ إلى الطبقات الرابعة والخامسة والسادسة. تأكد مرة ثانية."

مشى الشرطي إلى المعقل الصغير حيث استفتى

شاشة جهاز حاسوب. وبعد لحظة خرج ليقول: "حسناً. يمكنك الدخول، وسيقوم بمرافقتك رجل أمن هو في انتظارك على الجانب الآخر."

مشى بيثوب في اتجاه الفتحة. وتقدم كراين إلى المكان الذي هو وراءها. لكن الرجال أقفلوا السلسلة أمامه. تقدم منه الشرطي الذي يحمل الجهاز الماسح وقام بتمرير الجهاز فوق ساعده.

"هذا الرجل لا يحق له بالدخول أيضاً،" قال.

التفت بيثوب إلى الورااء. "إنه طبيب، وهو موجود هنا في مهمة مؤقتة."

لكن الشرطي استدار نحو كراين. "لا يمكنك الدخول يا سيد."

"انتبه،" قال له كراين. "ثمة حالة طبية طارئة، و-"

"يا سيد، لطفاً إرجع إلى ما وراء المعبر." تبادل الشرطي الخامس النظرات مع زملائه.

"لا أستطيع أن أنصاع لذلك. إنني طبيب، وأنا ذاهب في طريقي للمساعدة في إسعاف حالة طارئة، شئتم أم أبيتم." ثم اندفع إلى الأمام ثانية.

وعلى الفور رفع حراس الحاجز بنادقهم، بينما ألقى الشرطي الخامس يده على وسطه ليسحب سلاحه الجنبى.

"انسحب يا فيراراً!" جاء صوت عميق من عمق المعقل الصغير. "ويغمان، برايس، الجميع، تمهلوا."

وبالسرعة التي شهروا فيها أسلحتهم، قام رجال الشرطة العسكرية بتكيسها من جديد قبل أن يتراجعوا

عن أمكنتهم. نظر كراين في اتجاه المعقل الصغير، فرأى أنه في الحقيقة بوابة إلى غرفة أكبر منه بكثير، وهي كما تبدو غرفة مراقبة وتحكم في المعبر. كان هناك بضع شاشات مثبتة إلى جدرانها. كما كان هناك عدد لا يحصى من الأضواء الصغيرة التي تومض وتتوهج في الظلام. تقدم شخص من الداخل مقترباً، قبل أن يخرج إلى النور. كان رجلاً ممتلئاً، عريض المنكبين، ويرتدي بزة أدميرال بيضاء. له شعر ذو لون أشيب حديدي. نقل نظراته من كراين، إلى بيشوب، ثم إلى كراين من جديد.

"أنا الأدميرال سبارتان،" قال الرجل.

"يا أدميرال سبارتان،" قال كراين. "أنا -"

"أعرف من تكون. فأنت البضاعة الثمينة العائدة إلى هوارد آيشر."

لم يعرف كراين بالضبط كيف ينبغي له أن يستجيب إلى هذا الكلام. ولهذا اكتفى بهز رأسه.

نظر سبارتان إلى بيشوب مرة جديدة. "الحالة الطارئة في الطبقة الخامسة. صحيح؟"

"نعم يا سيدي، إنها في عنبر وحدة إصلاح الغوّاصات الجوّالة."

"حسناً." استدار سبارتان نحو الشرطي العسكري الذي يدعى فيرارا. "أدخله بشكل استثنائي فقط، وتأكد من وجود مُرافقة عسكرية معهما طيلة الوقت، وخذ طريقاً غير حسّاس إلى الموقع. وقم بالإشراف على كل ذلك بنفسك يا فيرارا."

أدى الشرطي العسكري تحية عسكرية أنيقة

لسيده. "أجل، يا سيدي."

ألقي سبارتان نظرتة للحظة أخرى على كراين. ثم أوماً برأسه إلى فيرارا قبل أن يستدير ويختفي من جديد في باطن غرفة المراقبة والتحكم.

دخل فيرارا إلى المعقل الصغير، وقام بطباعة مجموعة من الأوامر على لوحة مفاتيح. سُمع أزيز خفيض، ثم شوهدت مجموعة من الأضواء الصغيرة التي تومض عند محيط غرفة الهواء المضغوط. تحوّل الضوء المتوهج فوق الفتحة من أحمر إلى أخضر. ثم سُمع صوت قرقرة أقفال ثقيلة تفسح في المجال أمام هسيس الهواء المضغوط، ثم انفتح المغلاق المؤدي إلى محبس الهواء المضغوط. تكلم فيرارا إلى ميكروفون في جهاز الراديو العائد له، ثم أشار إلى كراين وبیشوب بالدخول، قبل أن يتبعهما.

خلف محبس الهواء المضغوط، كان ثمة غرفة تبلغ مساحتها حوالي إثني عشر قدماً مربعاً. كان ثمة نهران إضافيان من البوليس العسكري ينتظران فيها وهما يقفان وقفة استعداد عسكرية رهن الأوامر. كانت الجدران الباهية اللون عارية، كما لم يكن ثمة آلات سوى لوحة صغيرة قرب أحد الحراس. وقد لاحظ كراين أنها تتألف، بكل بساطة، من قارئ لجغرافية الكف، ومن مقبض مغطى بطبقة مطاطية.

انغلق باب محبس الهواء المضغوط. وضع الشرطي الحربي أحد يديه على القارئ، والثانية على المقبض. كان هناك توهج أحمر بينما كان يجري مسح كفّ يده. ثم أدار الشرطي المقبض من اليسار إلى اليمين. شعر كراين بهبوط خفيف في معدته حالما بدأوا بالإنحدار. لقد

كانت الغرفة في الحقيقة، عبارة عن مصعد.

ذهبت أفكاره نحو الأدميرال سبارتان. كان قد تعرّف على كثير من ضباط البحرية خلال رحلاته التي أدّى فيها خدماته الوظيفية. وكان جميعهم مريحين في إمرتهم، ومعتادين على أن تطاع أوامرهم على الفور من دون أي جدال. ولكن، ورغم قرب عهده بمعرفة سبارتان فقد شعر أن هذا الضابط فيه شيء ما مختلف. لعله شعور عميق بالاعتداد بنفسه لا يوجد حتى عند أيّ أدميرال آخر قد قابله من قبل. فكّر كراين في تلك النظرة الأخيرة التي رمقه بها الرجل. ثمّة شيء لا يمكن قراءته في عينيه السوداوين، كمل لو أنك لا تستطيع أن تتأكد ما ستكون خطوته التالية.

انزلق بهم المصعد نزولاً بكل نعومة حتى توقف. وبعد أزيز طفيف، ثم قرّعة جديدة بسيطة للأفعال التي تفتح متحررة. فُتح محبس الهواء المضغوط من الخارج بواسطة مجموعة أخرى من رجال الشرطة العسكرية المسلحين، "الدكتورة بيشوب؟" سأل أحدهم. "الدكتور كراين؟"

"نعم"

"لقد أتيت لإرشادكما إلى عنبر الإصلاح، اتبعاني من فضلكما"

فتحركا بسرعة يتقدمهما شرطيان، ويليهما إثنان آخران، أمّا فيرارا، رجل الأدميرال سبارتان، فقد تبع الموكب أجمعه. في العادة، يشعر كراين بالتوتر لمثل هذه المرافقة، لكنه الآن كاد أن يكون مرحباً بها. فقد قالت بيشوب عن الحالة في وقت سابق إنها حالة نفسية متورّدة. وهذه العبارة تعني أن المريض شديد

التشوّش، متوهّم، وربما عنيف أيضاً. وفي مثل هذه الحالات، فإنك تحاول أن تكون هادئاً ومطمئناً، وأن تقيم مع المريض ألفة وتواصلًا. لكن عندما يكون المريض خارجاً عن السيطرة، فإن الأولوية الأولى - الأولى على الإطلاق - هي في أن تتفوق عليه في العدد.

مرّت خيالات مراكز البحوث والمختبرات سراعاً. أما ما يسمى بالمنشآت السرية، فقد بدت، من خارجها على الأقل، لا تكاد تختلف في شيء عن سواها الموجودة في الطوابق العليا. مرّ بهم أشخاص عديدون قادمين من الاتجاه المعاكس. أما الآن، وفي مسافة تتقدمهم، بدأ كراين يسمع شيئاً جعل الدم يبرد في عروقه: إنه صوت رجل يصيح.

غطسوا في باب أرضيّ، فوجد كراين نفسه في غرفة كبيرة تكاد تشبه الكهف الفسيح. رمش بعينه لحظة، لأنه لم يعتد نظره بعد على مثل هذا الفضاء الكبير. بدت القاعة وكأنها مشغل ماكينات، ومنشأة لإصلاح الغواصات الروبوتية، أي الغواصات الجوّالة التي كانت قد ذكرتها بيشوب.

صار الصياح هنا أكثر علوّاً: ممزّقاً، مولولاً. مجموعات صغيرة من العمال وقفت على مقربة من المكان. وكان يقوم على إبعاد الناس رجال من الشرطة العسكرية. وفي مكان أبعد قليلاً ثمة طوق ضربه موظفو البحرية والبوليس الحربي لإقفال الطريق. عدد كبير من الناس هنا يتكلمون عبر أجهزة الراديو النقالة؛ وآخرون ينظرون إلى باحة للمعدات تقع داخل جدار بعيد. أما الصراخ فكان ينبعث من ذلك المكان.

تقدمت بيشوب إلى الأمام، يليها كراين وحرسهما

المرافق. وإذ رأهم أحد الضباط يتقدمون إنسلخ عن الطوق المضروب لكي يلاقيهم.

"يا دكتورة بيشوب،" قال الرجل على خلفية من الصرخات. "أنا الملازم ترافرز، صاحب الإمرة في هذا المكان."

"أعطنا التفاصيل،" قال كراين.

نظر ترافرز إليه، ثم عاد إلى النظر نحو بيشوب. أعطته إيماءة بسيطة من رأسها.

"الرجل هو راندال وايت،" قال. "ميكانيكي من الدرجة الأولى."

"وما الذي حصل معه؟" سأل كراين.

"ما من أحد يعرف ذلك بصورة أكيدة. يبدو أن وايت كان يتصرف بطريقة مزاجية في اليوم أو اليومين الماضيين. كان شديد الهدوء لا يشبه نفسه كثيراً. ثم عندما صار اليوم على وشك الانصراف من وريدته، بدأ يتصرف بشكل خارج عن المألوف.

"يتصرف بشكل خارج عن المألوف،" كرّرت بيشوب.

"أجل، لقد بدأ يصيح بكلمات خرقاء."

نظر كراين في اتجاه مصدر الصيحات. "هل هي كلمات غضوبة؟ أم تنطق عن أوهام؟"

"أوهام، نعم. غضوبة، لا. بدا الأمر وكأنه في حالة يأس، كأنه يريد أن يموت."

"تابع،" قال له كراين.

"اقترب منه عدد قليل من الناس. حاولوا تهدئته، وأن

يعرفوا ما خَطْبُهُ. فما كان منه سوى أن أمسك  
بأحدهم."

ارتفع حاجبا كراين. "تباً. هذا شيء سيء."

تسعة وتسعون بالمئة من جميع محاولات الانتحار  
تكون متجهة إلى لفت الانتباه، مجرد استرحامات لطلب  
المساعدة. وحتى الذين يجرحون أنفسهم، فإنهم  
يحدثون جراحاً ذات أثر في أجسادهم لمجرد المزيد من  
لفت الانتباه، والتأثير في الآخرين. أما عندما يتضمن  
المشهد أخذ رهينة فإن الموقف يتغير برمته.

"ليس هذا هو كل شيء،" تتم ترافرز. لقد تناول  
قطعة من مادة السبي. فور. الشديدة الانفجار، كما  
التقط صاعق تفجير."

"ماذا؟"

هز ترافرز رأسه عابساً يؤكد قوله.

كان هناك فرقة من راديو ترافرز، وقد قام برفعه  
إلى مستوى شفاهه. "ترافرز هنا." ثم أصغى قليلاً.  
"حسناً. انتظر إلى أن تأتيك إشارتي."

"عما كانت هذه المكالمة؟" سألته بيشوب.

أوما ترافرز في اتجاه الحائط الجانبي حيث الشباك  
الضبابي لغرفة المراقبة التي تشرف على العنبر. "لقد  
وضعنا قنصاً ماهراً هناك. يستطيع إصابة هدف صعب  
بدقة."

"لا!" قال كراين. ثم أخذ نفساً. "لا تفعلوا ذلك. أريد  
أن أتكلم معه أولاً."

تجهّم ترافرز.

"لماذا تطلبوننا إلى هنا إذا كنتم لا تريدوننا أن ننزع فتيل الأشياء؟" سأله كراين.

"لقد صار أكثر اضطراباً منذ ذلك النداء. ولم نكن نعرف شيئاً عن قضية السي. فور. عندما أطلقنا رمز الاستغاثة."

"هل لدى هذا القنّاص هدف محدد تمكن إصابته بدقة؟" أصرّ كراين.  
"بل متقطع."

"إذن، ليس هنالك من سبب يدعوك لمنعي من المحاولة."

تردد ترافرز للحظة. "حسناً، لكن إذا صار يشكل تهديداً للرهيّنة – أو إذا حاول أن يشعل الفتيل، فسيكون على أن أقضي عليه بسرعة."

أوما كراين إلى بيشوب، ثم مشى ببطء إلى الأمام حتى وصل إلى الطوق. شق طريقه بلطف. ثم توقف.

على بعد عشرين قدماً، وقف رجل يرتدي سترة قفز برتقالية، في ظل الفسحة المخصصة للمعدات الموجودة بين عمودين، وكانت عيناه حمراوين وباكيتين، وذقنه ملطخاً بالمخاط واللعب والدم المتخثر. فيما رداذ القبي، يلطّخ قماش سترته البرتقالية. هل تكون حالة تسمم؟ تعجب كراين لسماع ذلك، لكن الرجل لم تظهر عليه أية آثار واضحة لألم في البطن، أو شلل، أو أي أعراض تسمم أخرى.

ها هو الرجل يمسك بامرأة أمامه – في الثلاثين من عمرها – صغيرة الجسم وأنيقة، ولها شعر أشقر متسخ وترتدي بزة القفز التقليدية. ها هو يلف ذراعه حول

عنقها، فيما ذقنها متجهة إلى الأعلى في زاوية مؤلمة. ومن عقفة مرفق الجاني برز مفك براغ رفيع وطويل، يضغط نحو وريدها الوداحي. كانت شفتا المرأة مغلقتين، وعيناها فاغرتين خوفاً.

كما برزت من يد الرجل الأخرى قطعة بيضاء من مادة سي فور المتفجرة وصاعق تفجير غير موصول.

هنا غدت الصيحات، صيحات الرجل، عالية بشكل مثير. فإذا توقفت، لا تتوقف سوى لمدة تمكن صاحبها من استرجار نفس جديد. وجد كراين صعوبة في التركيز تحت وطأة هذا الصخب.

اجعله يتكلم، هكذا يذهب الكتاب الذي يشرح القواعد. هذّئه.. اجعله يشعر بالأمان. كم أن القول أسهل من الفعل! لقد سبق أن قام كراين عن طريق الكلام بتهدئة شخص كان يهجم بالقفز عن أحد كوابل جسر جورج واشنطن. كما أنه كان سابقاً قد تكلم وهذا أشخاصاً يوجهون مخارز إلى أذانهم، أو يضغطون فوهات مسدساتهم. لكنه لم يتحدث مرة مع رجل يحمل شحنة متفجرات توازي فاعليتها فاعلية عشر قنابل.

أخذ نفساً، ثم آخر، ثم تقدّم إلى الأمام.

"ليس هذا في الحقيقة ما تريده أنت،" قال للرجل.

ألقت عينا الرجل الحمراءوان نظرة إليه قصيرة، ثم نفرتا عنه. وهكذا استمرّ الصراخ.

"إن هذا حقاً ليس ما تريده،" كرّر كراين كلامه بصوت أكثر ارتفاعاً.

لم يستطع أن يُسمع نفسه تحت وطأة هذا الصراخ. تقدم خطوة أخرى إلى الأمام.

نظرت عينا الرجل مرة أخرى نحوه. شدّد قبضته على المرأة. ضغط رأس المفك إلى درجة أعمق في عنقها.

تسمّر كراين في مكانه، واستطاع أن يرى المرأة تحدّق نحوه مسترحمة ووجهها مجرد قناع من الخوف. كان غير مرتاحاً لإدراكه خطورة الموقف الذي قد عرض نفسه له. فها هو يقف بين طوق من العسكرين، وبين رجل مجنون يحمل كتلة من مادة سي. فور، وتحت يده امرأة رهينة. قاوم رغبة بدأت تحدوه إلى التراجع.

بقي يفكر دون حراك. ثم ببطء أنزل نفسه إلى الأرضية المعدنية. فكّ شريط فردة حذائه، ثم فكّ شريط الفردة الأخرى، ثم وضعهما جانباً بكل هدوء. نزع جواربه ووضعهما جانباً، مرتّباً هذه الحوائج بدقة متناهية. ثم انحنى إلى الوراء مسنداً ثقل جزعه إلى راحتيه المفتوحتين.

عندما فعل ذلك، بات مدركاً أن هناك مستجدّات في العنبر: إنه الهدوء. فلقد توقف الصراخ. وصار وايت يحدّق إليه الآن، لكن مفك البراغي كان لا يزال يضغط بشكل خطير على عنق المرأة.

"إنك لا تريد أن تفعل هذا،" قال كراين بنغمة هادئة، صبورة، منطقية. "ليس هناك من مشكلة لا يمكن حلّها. ليس هناك ما يستأهل أن تقوم بإيذاء نفسك وشخص آخر، فهذا يزيد الأمور سوءاً."

لم يتفوّه وايت بأيّ جواب. بل اكتفى، بكل بساطة، بإعادة النظرات إلى كراين. كانت عيناه جاحظتين، وهو يسحب أنفاساً عميقة.

"ما الذي تريده؟" سأله كراين. "ما الذي نستطيع فعله من أجل مساعدتك؟"

عند ذلك، نشج الرجل، وابتلع ريقه بعذاب وألم. "اجعلها تتوقف"، قال أخيراً.

"اجعلها تتوقف؟" سأله كراين.

"نعم، الأصوات."

"أيُّ أصوات؟"

"تلك الأصوات"، أجاب وايت بصوت نصفه همس<sup>١</sup> ونصفه نحيب. "الأصوات التي لا تتوقف... أبداً أبداً لا تكف<sup>٢</sup> عني."

"سوف أتحدث معك عن الأصوات. فنحن نستطيع -"

لكن وايت بدأ ينحب من جديد. وكان النحيب يرتفع، إن في درجة الصوت، أو في حجمه. أما الصرخات الجديدة فلم تكن عودتها مستبعدة.

وبسرعة، أمسك كراين ياقة قميصه بالذات وشدَّ بها إلى الأسفل بعنف. سُمِعَ صوت مرتفع لتمزق القماش وطققة الأزرار. نزع عنه القميص الممزق ووضعه إلى جانب فردي حذائه.

راح وايت يحدق إليه من جديد.

"قلت لك نستطيع أن نسوي هذا الأمر،" تابع كراين من جديد. "نستطيع أن نجعل الأصوات تتوقف."

بدأ وايت بالبكاء مصغياً.

"لكنك تجعلني شديد التوتر مع وجود ذاك الصاعق معك."

صار البكاء يأخذ وتيرة أعلى.

"دع المرأة تذهب بحالتها. فعلينا أن نحارب الأصوات،  
وليس هذه المرأة."

صار وايت يطلق صيحات عالية الآن، وصارت الدموع  
تنبجس من عينيه انبجاساً.

انتظر كراين طويلاً قبل أن يستعمل الاسم الأول  
للرجل. وقد قرر أن يناديه به الآن. "دع المرأة تذهب في  
سبيلها يا راندل. دعها تذهب وألق المتفجرات من يدك.  
وسوف نقوم بحل هذه المسألة. سوف نجعل الأصوات  
ترحل عنك. إنني أعدك بذلك."

فجأة، بدا وايت وكأنه أخذ في الركود. وببطء، خفض  
مفك البراغي. أما اليد الأخرى فقد أرخت أيضاً قالب  
المتفجرات الذي سقط إلى جانبه، ثقيلًا، على الأرض.  
وبصرخة، ركضت المرأة بأقصى سرعة إلى الطوق  
العسكري. وبسرعة البرق، قفز أحد أفراد الشرطة  
العسكرية، كان يختبئ في أحد الجوانب، فغط  
المتفجرة ثم تراجع من جديد.

أخذ كراين نفساً عميقاً. ثم نهض ببطء. "شكراً لك يا  
راندل،" قال له. "الآن صرنا قادرين على مساعدتك. الآن  
صار بإمكاننا أن نجعل الأصوات تذهب عنك." ثم أخذ  
خطوة إلى الأمام.

عند ذلك تراجع وايت إلى الورا. دارت عيناه في  
محجريهما بخطورة. "كلا!" صاح. "أنت لا تستطيع أن  
تجعل الأصوات تذهب عني. ألا تفهم؟ لا أحد يستطيع أن  
يجعل الأصوات تذهب!" وبسرعة مفاجئة وغير متوقعة،  
قام برفع مفك البراغي إلى عنقه هو.

"توقف!" صرخ فيه كراين مندفعاً إلى الأمام. ولكن بعد أن فعل ذلك، فإنه شاهد الفِعلَة المريعة. لقد اختفت مقدمة المفك في داخل اللحم الطري في عنق الرجل.

# 11

عندما وصل هاوارد آيشر إلى غرفة اجتماعات كبار المسؤولين في الطبقة الثامنة، كان الأدميرال سبارتان قد وصل قبله إلى هناك، حيث جلس إلى الطاولة، مريحاً يديه على صفحة الموبيليا اللماعة الكرزية اللون. انتظر بصمت، بينما أغلق آيشر الباب وراءه وأخذ مقعده على الجانب المقابل من الطاولة.

"لقد جئت لتوّي من الجناح الطبي،" قال آيشر.  
هزّ سبارتان برأسه.

"لقد عانى وايت من جرح ثاقب عميق في عنقه، كما خسر كمية كبيرة من الدم، لكن حالته الآن مستقرة. وسوف يجتاز مرحلة الخطر."

"لا أظنك تستدعيني إلى اجتماع طارئ لمجرد أن تخبرني مثل هذه المعلومات،" أجابه سبارتان.

"لا. ولكن وايت هو واحد من الأسباب التي جعلتني أسألك المجيء إلى هنا."

لم يجبه سبارتان، بل اكتفى بمجرد التطلع نحو آيشر بعينه الغامقتين اللتين لا يُعرف لهما قرار. وفي لحظة الصمت التي تلت ذلك، شعر آيشر بخوفه القديم،

الذي كان قد نجح في احتوائه منذ مدة طويلة، يزحف إليه من جديد.

إن العلم والروح العسكرية هما شريكا فراش، غريب أحدهما عن الآخر. لقد كانت عاصفة الأعماق، كما عرف آيشر، تمثل زواج منفعة، في أحسن حالاتها. فهو وفريقه من العلماء كانوا بحاجة إلى هذه المحطة، كما كانوا يحتاجون إلى الموارد الحكومية التي لا فعر لها، وذلك من أجل الاضطلاع بعملية التنقيب بالأساس. كما أن سبارتان كان يحتاج، إلى العلماء والمهندسين لكي يقوموا بتدبير أمر الحفر وتحليل المستخرجات. لكن التطورات الأخيرة غير المتوقعة كانت ترخي بثقلها على هذه العلاقة التي هي علاقة هشة من الأساس.

فُتِحَ الباب بهدوء، ثم أقفل ثانية، نظر آيشر إلى ورائه ليري الضابط كوروليس. هزَّ الرجل رأسه، ومن دون أن يتفوه بكلمة واحدة، جلس على مقعد بجانب الطاولة.

ازداد آيشر ريبية. فبالنسبة إليه، كان كوروليس رمزاً لكل ما هو خاطيء وسييء في هذا المشروع: من التكتّم، إلى التضليل، إلى الدعاية الفارغة. لقد عرف آيشر أن وايت كان غافياً في الجناح الطبي تحت التخدير الشديد. وإلا فإن كوروليس كان سيلازم فراش المريض من أجل التأكد من عدم دخول كلمة واحدة عمّا حصل في الطبقة السابعة إلى الأذن التي لا يُسمح لها بمعرفة الأسرار المصنفة.

"أكمل حديثك يا دكتور آيشر،" قال سبارتان.

جلى آيشر حنجرتة. "إن وايت لم يكن سوى آخر الحالات وأكثرها حدة ضمن سلسلة من الإصابات الطبية والنفسية. فخلال الأسبوعين الماضيين، شهدت

هذه المنشأة فورة مخيفة من المرض على اختلاف أرجائها.

"ومن أجل ذلك قمتَ باستخدام كراين."

"لقد سألت عن عدة اختصاصيين،" قال آيشر.  
"أخصائي تشخيص أمراض، و-"

"واحد فقط هو مجازفة أمنية كافية،" أجابه سبارتان. وكان صوته منخفضاً وهادئاً.

أخذ آيشر نفساً عميقاً. "انتبه، عندما تستقر حالة وايت، علينا أن ننقله إلى السطح."

"هذه مسألة غير قابلة للبحث."

هنا بدأ الانزعاج يخالط الريبة عند آيشر. "وما هو سبب ذلك بالضبط؟"

"إنك تعرف الأسباب مثلما أعرفها أنا تماماً. هذه منشأة سرية، وهي تقوم بتنفيذ مهمة سرية أيضاً."

"سريّة!" صاح آيشر. "مصنّعة! ألا تفهم؟ إن لدينا مسألة طبية خطيرة هنا. إنك لا تستطيع تجاهلها، ولا العمل باعتبارها غير موجودة."

"دكتور آيشر، أرجوك." وللمرة الأولى، سمح الأدميرال سبارتان لنغمة صوته أن تقسو قليلاً. "إنك تبلغ في الاستجابة. لدينا مرفقاً طبياً مجهزاً تجهيزاً كاملاً هنا، وهو مزود بطاقم بشري شديد الكفاءة. وخلافاً لأفضل ما أرتئيه، فقد خضعت إلى طلبك بإحضار مصدر إضافي؛ رغم اعتراض - إذا كان لي أن أضيف - الضابط كوروليس الموجود هنا."

كان هذا طعماً لم يسارع آيشر إلى ابتلاعه.

"بالإضافة إلى ذلك،" تابع سبارتان. "إنني لا أرى داعياً للهلج. هل تمكنت أنت، أو الدكتور "البارع" كراين، من تحديد ظاهرة مشتركة؟"

"أنت تعرف أننا لم نتمكن."

"إذن لنكن منطقيين هنا. إن الكثيرين من علمائكم ليسوا معتادين على العمل في ظروف مشابهة لهذه الظروف. فهم محبوسون في هذه المنشأة، ومساحات السكن مكتظة، وأجواء العمل مرهقة - "حرك سبارتان يداً لحيمة. "قلقي، وأرق، ونقص في الشهية - مثل هذه الشكاوى يجب أن تكون متوقعة."

"ليس العلماء وحدهم هم المتأثرين بذلك." أجاب آيشر. "فالأمر يطال أيضاً الرجال العسكريين. ما قولك في إصابات السكتة الخفيفة؟ وفي حالات عدم انتظام ضربات القلب؟ وماذا عن حالة وايت؟"

"إنك تتكلم عن قسم ضئيل من سكان هذه المنشأة،" قال كوروليس. كانت هذه هي المرة الأولى التي يتدخل فيها في الحديث. "وعندما تجمع عدداً كبيراً من الناس معاً. فلا بد من أن يظهر شيء ما."

"إن الحقائق هي ما يلي"، تابع سبارتان حديثه. "ليس هناك من ظواهر أو أسباب مشتركة. فالناس هنا يشكون من جميع أنواع الأشياء - وهذا هو شأن الناس دائماً. وما عدا حالة وايت، فلم يكن هناك من إصابات حادة. إنني آسف يا دكتور آيشر، لكن هذه هي الحقيقة. السطر الأخير يقول: ليس ثمة حالة متفشية. نقطة نهائية."

"ولكن -" هم آيشر بالكلام ثم سكت عندما رأى

التعبير متجلباً على وجه سبارتان. ليس للعلماء مكان في عملية عسكرية. كانت تعابير وجه سبارتان تبدو كأنها تقول. وكل هذا التأفف يقدم برهاناً على ذلك.

ثم قرر أن يغير الموضوع. "ثمة شيء آخر."

ارتفع حاجبا سبارتان.

"في وقت مبكر من هذا اليوم، جاء لرؤيتي بول إيستون، العالم في جيولوجيا البحار. لقد اتضح الآن أننا كنا مخطئين بخصوص تحديد التاريخ."

"عن أي تاريخ تتحدث؟" سأله سبارتان.

"عن تاريخ حادثة الطمر."

مرت فترة من الصمت.

تململ سبارتان في مقعده. "وما فداحة هذا الخطأ؟"

"خطأ كبير."

أخرج كوروليس أنفاسه من بين أسنانه ببطء. بدت هذه الحركة بالنسبة إلى آيشر أشبه بفحيح أفعى.

"كن أكثر تحديداً،" قال الأدميرال أخيراً.

"لقد كنا نفترض دائماً - استناداً إلى المعاينة البصرية المباشرة، وإلى بعض العوامل الأخرى - أن عملية الطمر قد جرت منذ عشرة آلاف سنة، أو ربما أكثر من ذلك. وقد اعتبر إيستون هذا الافتراض مبالغ فيه قليلاً. لذلك فإنه لم يتورع عن محاولة قياس هذا التاريخ عن طريق استعمال اختبار انعكاس الحقل المغنطيسي فوق الموقع."

"استعمال ماذا؟" قال كوروليس.

"إنه أسلوب لتحديد عمر النشاط البركاني حول موقع الطمر. لا أريد أن ندخل في تفاصيل الحقل العلمي." - وهنا نظر آيشر إلى كوروليس. "ولكن الحقل المغنطيسي للأرض ينعكس كلما مر عدد هائل من السنين. فالقطب الشمالي يصبح جنوبياً، والعكس صحيح. فتحددنا الأساسيات لتاريخ حادثة الطمر كان يضع تاريخ هذه الحادثة ضمن المدة التي أعقبت انعكاس قطبي الأرض المغنطيسيين الأخير. لكن يبدو أننا كنا مخطئين في تقديراتنا."

"وكيف عرفتم ذلك؟" سأله سبارتان.

"لأنه عندما تصبح القشرة الأرضية مائعة، فإن ذرات الحديد فيها تتحرك دائرياً لتنظم حول الحقل المغنطيسي لهذا الكوكب. ثم عندما تبرد الصخور، فإن ذرات الحديد تبقى على الترتيب الذي اتخذته لنفسها. فهي أشبه بحلقات جرع الشجرة بمعنى من المعاني. وأنت تستطيع أن تحدد تاريخ الأحداث الجيولوجية عن طريق فحص هذه الاضطافات."

"حسناً، ربما كان تاريخ الطمر أقدم من ذلك بكثير إذن،" قال كوروليس. "أي منذ ما قبل انعكاسين قطبيين مغنطيسيين. بذلك يبقى القطب الشمال قطباً شمالياً، أليس ذلك صحيحاً؟"

"صحيح. لكن حادثة الطمر لم تكن في الحقيقة أقدم من التاريخ الذي افترضناه."

"إذن إنها لم تكن قديمة بالقدر الذي اعتقدتموه،" قال سبارتان.

أوما آيشر برأسه موافقاً.

"إنني أفترض، بما أننا هنا، أنكم قد استطعتم الوصول إلى تاريخ أكثر دقة."

"لقد جعلتُ إيستون يستخدم غواصة آلية جوّالة مجهزة بجهاز متطور جداً لقياس المغنطيسية. ويستطيع هذا الجهاز أن يقيس، بطريقة دقيقة جداً، انحراف الحقل المغنطيسي. وقد استعملنا عيّنات مأخوذة من موقع الطمر، كنقطة انطلاق."

تجهمّ وجه سبارتان، وعدّل جلسته من جديد. "وماذا أيضاً؟"

"لقد تبين أن تاريخ الطمر لا يعود إلى عشرة آلاف سنة، ولا لخمسين ألف سنة. بل إنه يعود إلى ستمائة سنة فقط."

سادت فترة صمت باردة.

وكان سبارتان أول من استأنف الكلام. "هل من شأن هذا السهو أن يكون له تأثير على حظوظنا في النجاح؟"  
"كلا."

خال آيشر أنه قد لمح نظرة شعور بالفرج تمرّ على وجه الأدميرال، قبل أن يعود إلى وجهه الخالي من التعابير، إلى طبيعته الأولى.

"إذن ما هو الاستنتاج النهائي بالضبط؟"

"أليس الأمر جليّاً؟ لقد ذهبنا من حدثٍ حدثٍ في ماضٍ سحيق، لا يمكن الإحاطة بقدمه، إلى حدثٍ واقعٍ ضمن فترة التاريخ المدوّن."

"وما هي النقطة التي ترمي إليها يا دكتور؟" قال كوروليس.

"إن النقطة التي أرمي إليها، هي أنه قد يكون ثمة شهود عيان على حادثة الطمر. وقد يكون هناك روايات مدونة."

"إذن علينا أن نرسل باحثاً للتنقيب عنها." قال سبارتان.

"لقد قمت بذلك."

تجهّم سبارتان. "وهل هو يملك المؤهلات اللازمة؟ والتحفظ الكافي؟"

"أما مؤهلاته فهي ممتازة. فهو مؤرخ متخصص في تاريخ القرون الوسطى، كما أنه متخرج من جامعة يال. وهو أيضاً لا يملك أية إشارة إلى السبب الذي يجعلني مهتماً لهذا الأمر."

"حسناً." نهض سبارتان. "إذن، إن لم يكن ثمة شيء آخر، فإنني أقترح عليك العودة إلى الجناح الطبي لكي ترى ما إذا كان الدكتور كراين قد أنجز تشخيصاً عجائبياً."

وقف آيشر بدوره. "يجب أن يخول له الدخول،" قال بصوت خفيض.

ارتفع حاجبا سبارتان. "عفوك، ماذا تقول؟"

"يجب أن يكون عارفاً بكل شيء. ولا بد له من الدخول إلى الطبقات المصنفة السرية. يجب أن يكون له حق دخول غير مقيد. كما يجب ألا تكون تحركاته مصحوبة بكتيبة من رجال الشرطة العسكرية أيضاً."

"هذا طلب مستحيل يا دكتور آيشر،" قال كوروليس.  
"لا نستطيع السماح بمثل هذه المجازفة الأمنية."

أبقى آيشر أنظاره على الأدميرال. "كراين مضطر للتكلم مع المرضى، ومعرفة تحركاتهم، والبحث عن عوامل مشتركة، وتحديد الأسباب الممكنة. كيف له أن يقوم بكل ذلك إذا تركناه مكمّماً ومعصوب العينين؟"

"إن لي ثقة كبيرة بحسن اختيارك للأخصائيين يا دكتور آيشر." قال سبارتان. "وعليك أيضاً أن تبادلني الثقة."

مرّت لحظة اكتفى فيها آيشر بالوقوف وهو يأخذ أنفاساً عميقة، محاولاً تمالك نفسه. "لقد أعطي كلانا تفويض رسمي يا أدميرال،" قال في النهاية بصوت أحش. "إنه تفويض مشترك لنا لكي نقود هذه المنشأة معاً. وحتى الآن، لم أحاول التشديد على هذه المسألة. لكن إذا وصل الأمر إلى مسألة السرية وسلامة المعدات فإنني سأزيح مسألة السرية جانباً في لمحة طرف. وأرجو أن تكون حكيماً لتتذكر ذلك."

ثم استدار آيشر على عقبيه، قبل أن يفتح الباب ويخرج.

## 12

كان هناك ملعبان مخصصان للعبة الإسكواش في عاصفة الأعماق، كما كانت لائحة الانتظار تمتد إلى ثلاثة أيام للحصول على فسحة من الزمن للعب. لكن كراين اعتبر الأمر مثلاً على رمياتٍ يحصل عليها آيشر من دون رامٍ، عندما تمكن الأخير من أن يحجز لهما نصف ساعة من الوقت في ملعب الإسكواش بعد أن طلب ذلك بدقائق قليلة.

"لم يخطر ببالي أنك من قراء الشعر،" قال له آيشر عندما التقيا على أرض الملعب. "أما أن تكون لاعب سكواش، فإنها مسألة بسيطة التطبيق، لا تحتاج إلى تفكير."

"ربما يعود ذلك إلي رشاقتي التي تشبه رشاقة الغزال،" أجابه كراين. "أو لعلك أعدت النظر في قراءتك لمظهري الخارجي."

ضحك آيشر وهو يتلاعب بالكرة الرمادية الصغيرة في يده.

لم يكن كراين مندهشاً لأن آيشر طلب الاجتماع به. فبعد كل شيء، مضى على وصوله إلى المحطة أكثر من ست وثلاثين ساعة: وكبير العلماء يريد منه تقريراً

عن عمله. لكن المفاجأة الوحيدة كانت في الموضوع المقترح لهذا اللقاء. لكنه كان قد بات معتاداً على طريقة عمل آيشر: المحافظة على مظهر أنيس، واستخدام جوِّ مكبوت؛ ولكن مع إفهام الآخر أن النتائج ستكون متوقعة، بل متوقعة في الحال.

ولم يكن ثمة مشكلة عند كراين مع هذا الأسلوب؛ بل في الواقع، كان جزءٌ منه مرحباً بهذا اللقاء. والسبب أنه أصبح لديه جدول أعمال خاص به.

"دعنا نحمي أنفسنا لدقائق قليلة،" قال آيشر، ثم رفع الطابخة: "هل أرسل؟"

هزَّ كراين رأسه. "هيا، افعل ذلك."

راقب آيشر وهو يضرب الكرة بحركة ناشطة، وشديدة، ونظيفة. ثم تراجع إلى الوراء، متوازناً على كعبيه منتظراً عودة الكرة إليه. وعندما إرتدت إليه ثانية، ضربها مسدداً إياها نحو الزاوية البعيدة للملعب.

مرَّت دقائق عدة، وهما يلعبان دون التفوه بأيِّ كلام. كلاهما يقيس مهارة الآخر، وخبرته، واستراتيجياته المفضلة في اللعب.

قدَّر كراين أن آيشر يكبره بخمس وعشرين سنة. لكن الرجل العجوز كان يلعب بطريقة أفضل. أو على الأقل، فإن كراين كان يلعب بطريقة سيئة، إذ إن نصف كراته كانت تقع خارج الملعب.

"هل هنالك من شيء غير اعتيادي في هذا الملعب؟" سأل أخيراً، بعد ما ردَّ كرة يصعب ردها، في اتجاه آيشر.

لكن العالم ردها له ببراعة بمضربه. "نعم في حقيقة

الأمر. كان علينا أن نتكيف مع تصميم أرض المنشأة. فالأسقف أقل ارتفاعاً بإثني عشر إنشاً من المتعارف عليه. ومن أجل التعويض عن ذلك، فقد جعلنا أرضية الملعب أعمق بقليل من المألوف. كان عليّ أن أخبرك بهذا قبل الآن. أمّا عندما تصبح معتاداً عليها، فإنك في العادة تجد أن هذه الأبعاد لا تشكل مشكلة. هل ترغب في المزيد من التمرين؟"

"كلا؛ لنبدأ الآن باللعب."

ريح كراين في أن يكون هو البادىء في الإرسال، فاختار مكانه، وأطلق إرساله الأول، قابله آيشر بردة سريعة إلى الزاوية البعيدة، وبدأت اللعبة تأخذ مساراً مشوقاً.

وبينما كانا يتبادلان الردّات، وجد كراين نفسه معجباً باللعبة التي يؤديها العالم. فلعبة الإسكواش كان نصفها الأول رياضة، ونصفها الآخر مباراة شطرنجية. فهي مزيج من الحسّ والذكاء والإستراتيجية والقدرة على الاحتمال. كان آيشر رائعاً في التحكم بالأخطاء التقنية، كما كان رائعاً على وجه الخصوص في إطلاق الكرة مباشرة إلى الحائط الجانبي، جاعلاً بذلك كراين في موقف الدفاع على الدوام. لقد افترض كراين أن يد العالم اليسرى، المؤلمة والمنقبضة، سوف تُعيق أداءه. لكن آيشر بدا متقناً لاستعمال يده اليمنى للتوازن والأرجحة. وقبل أن يتيقن كراين من هذه الحقيقة، وجد نفسه وقد صار متخلفاً عن نده بما لا يترك له أملاً في الربح.

"هذه هي المباراة،" قال آيشر في النهاية.

"تسعة إلى أربعة، أخشى أنها ليست منافسة

متكافئة.

ضحك آيشر ضحك يسيرة. "سيكون أداؤك أفضل في المباراة القادمة. فكما قلت لك، يبدو أن للأبعاد الإعتيادية أثرها عليك. تابع، "الإرسال لك."

خلال مباراتهما الثانية، وجد كراين أن آيشر كان على حق: إذ عندما صار أكثر اعتياداً على الملعب الأقصر والأعمق، وجد الأمر سهلاً عليه بشكل متزايد عندما يحاول التحكم بالكرة. فلقد تسبب هذه المرة في إخراج الكرة من الملعب: مرات عددها أقل من ذي قبل. كما أنه بات قادراً على ردِّ الكرة إلى ما وراء مربع الإرسال، مجبراً بذلك آيشر على اللعب في مؤخرة الملعب. ولم يعد الآن مجبراً، بكل بساطة، على التركيز على إعادة الكرة. بل أنه بات قادراً على التحرك إلى مؤخرة الملعب بعد أن يرمي كراته. وبهذا يضع نفسه في موقع أفضل. استمرت اللعبة طويلاً هذه المرة، وقد تمكن في النهاية من التغلب على آيشر بفارق تسعة إلى ثمانية.

"أترى ماذا أعني؟" قال آيشر وهو يلهث. "أنت تتعلم بسرعة. قليل من المباريات، وستجد نفسك في حاجة إلى منازلة لاعب يكون نداً لك أكثر مني."

ضحك كراين. "دورك في الإرسال." رمى الكرة في اتجاه آيشر. التقط آيشر الكرة، لكنه لم يبذل أيَّ جهدٍ لإرسالها من جديد. "إذن، كيف هو حال وايت؟"

"إنه ما زال مخدراً. إنه موضوع علي كوكتيل من الهالدول والآتيغان. مضاد للدَّهان مع مضادٍ للاهتياج."

"لقد تناهى إليَّ أنك قد استعملت أسلوباً فريداً في استمالاته إلى الكلام. لقد ذكرت ببشوب شيئاً عن

اللجوء إلى التعرّي.

ابتسم كراين ابتسامة خافتة. "شخصٌ مثله يحتاج إلى عملية شدّ انتباه بعملٍ صادم يُخرجه من حلقة الذهان. لقد قاربته مقاربة لم يكن ليتوقعها. فربحت أنا وإياه بعض الوقت."

"هل لديك فكرة عما حدث؟"

"يقوم كوربيه الآن بإجراء بحث سيكولوجي شامل على الأقل إلى الدرجة التي يسمح بها تناول الأدوية. وحتى الآن لم نتمكن من الإتفاق على تشخيص؛ إنها حالة غريبة. وإلى حد كبير - أصبح الرجل الآن صافي الذهن، مع التخدير. لكنه في وقت سابق، كان مشوشاً إلى درجة هائلة، وكان يستجيب إلى مستحضات تأتيه من داخله."

"عذراً، لم أفهمك؟"

"كان وضعه خارجاً عن السيطرة. كان يهلوس. أما الآن، فهو لا يستطيع أن يتذكر الحادثة. إنه لا يستطيع حتى أن يتذكر الأصوات الرهيبة التي من الواضح أنها أوصلته إلى هذه الحالة. أفاد شهود العيان والأصدقاء أنهم رأوا منه القليل فقط، إذ لم يكن ثمة ما ينبىء بذلك، سوى بعض التقلب في المزاج. وليس للرجل تاريخ طبي سابق في المشاكل السيكولوجية. لكنك، من دون شك، تستطيع أن تعرف ذلك في ما بعد. "تردد كراين. "أعتقد أن عليك أن تخرجه من المنشأة."

هزّ آيشر رأسه، "أسف."

"إن لم يكن من أجل وايت، فعلى الأقل من أجلي أنا. لقد أصابني القنوط من رؤية الضباط كوروليس أو

أحد تابعيه في الجناح الطبي يلازمون وايت ملازمة الحاضنة للطفل، وذلك من أجل التأكد من أنه لا يقول شيئاً لا يجوز له الإفشاء به."

"أخشى أن الأمر قد أصبح خارج نطاق إرادتي. وحالما تصرّح لوايت بالخروج، ولا يعود من حاجة لتنويه في الجناح الطبي، فسوف أطلب حجزه في مكان إقامته، وهكذا سينصرف عنه كوروليس."

خُيِّلَ إلى كراين أنه يلمح شعوراً خفياً بالمرارة في رنة صوت آيشر. لم يدر في خلدِه أن كبير العلماء يتحرّق مثله غيظاً من ثقافة التكتّم الطاغية في عاصفة الأعماق.

لقد أيقن أن آيشر قد أعطاه لتوّه متنفساً، وأنه لن يحصل على فرصة أفضل من هذه الفرصة ليقول ما يعتمل في صدره وما ينبغي قوله. لقد حان الوقت، حسبما اعتقد. ولقد أخذ نفساً عميقاً.

"أعتقد أنني بدأت أفهم في نهاية الأمر،" بدأ حديثه.

كان آيشر لا يزال يحدّق في طابة الإسكواش التي يحملها بيده، فرفع نظره. "تفهم ماذا؟"

"أفهم سبب وجودي هنا."

"لم يكن هناك من شك في أي وقت من الأوقات، أنك موجود هنا لكي تعالج مشكلتنا الطبية."

"لا. لكنني كنت أعني سبب اختياري أنا لهذه المهمة."

حدّق آيشر إليه بوجه لا يحمل أيّ تعبير.

"أترى، لقد كنت في البداية حائراً لأنني بعد كل

شيء لست اختصاصياً بأمراض الشرايين، ولا بأمراض الدم. وإذا كان العاملون يعانون من أي نوع من أنواع داء الغوآصين، فما هو الداعي لاختياري أنا كي أكون الطبيب الزائر؟ لكن الأمر قد بدأ يتوضح الآن هو أنهم لا يعانون من هذا المرض.

"وهل أنت متأكد؟"

"أجل، إنه الأمر الذي أصبحت متأكداً منه." أنصت لحظة. "لأنه يتبين أن لا شيء غريب، أو غير طبيعي يجري حول المحيط الطبيعي لعاصفة الأعماق، في نهاية الأمر."

استمر آيشر في الإبقاء على نظرتة، لكنه لم ينبس بكلمة. وبما أن كراين قد أخذ ملامح الرجل بعين الاعتبار، فقد بدأ يتساءل عما إذا كان المضي في الحديث يعتبر فكرة صائبة. ولكن، طالما أنه قد ابتداءً، فلا بد له من أن يكمل الكلام حتى النهاية، ويقول كل شيء يريد قوله.

"لقد وضعتُ مريضاً تبدو عليه أعراض النوبات العارضة لاحتباس الدم، في غرفة الهواء المضغوط،" تابع كلامه. "وعليك أن تحزر ماذا وجدنا."

ومع هذا، لم يندأ أيُّ جواب عن آيشر.

"لقد وجدنا أن هذا العلاج لا يفيد أبداً في شيء. لكن لم يكن هذا هو كل ما في الأمر. فقراءتنا لبيانات غرفة الهواء المضغوط قد بينت لنا أن الضغط الجوي كان طبيعياً في داخلها كما هو الحال في خارجها." تردد كراين لحظة قبل أن يتابع الكلام من جديد. "وهكذا، فإن الأحاديث عن تكييف الضغط، وعن خلطات الهواء الخاصة، كانت كلها كلاماً مخادعاً، أليس كذلك؟"

عاد آيشر إلى دراسة الكرة من جديد. "نعم،" أجاب بعد لحظة. "ومن المهم جداً أن تحتفظ بهذه المعلومة لنفسك."

"طبعاً. ولكن لماذا؟"

خبط آيشر الكرة إلى الأرض ثم التقطها بعدما ارتدت إليه، أمسك بها، واعتصرها مفكراً. "لقد أردنا أن نخلق سبباً لمنع أيِّ كان من مغادرة المنشأة مغادرة سريعة. إنه احتراز أمني ضد تسرب المعلومات، والتجسس، وما شابه ذلك من الأشياء."

"وقد كان كل هذا الكلام عن الأحوال الجوية في المنشأة، وعن عملية الأقلمة الطويلة، وحتى عن فترة التبريد الأطول، لمجرد توفير قصة مناسبة للتغطية."

رمى آيشر الطابة مرة جديدة في اتجاه الزاوية. فكل تظاهر بالرغبة في المباراة قد سقط الآن جانبا.

"وهكذا، فإن هذه الحجرات التي كان عليّ أن أنتظر فيها عند بدء قدومي إلى المنشأة كانت مجرد وهم في وهم."

"لم تكن تلك الحجرات وهمية. لقد كانت غرفاً لإزالة الضغط فعلاً. لكن إمكانياتها هذه لم تكن قيد التشغيل." نظر حوله. "لقد كنت تقول إنك تعرف سبب وقوع اختيارنا عليك من أجل هذه الوظيفة."

"أجل كان ذلك بعد رؤيتي لبيانات غرفة الهواء المضغوط. فأنا في النهاية تمكنت من جمع إثنين إلى إثنين معاً. إن السبب الحقيقي يعود إلى ما كنت قد فعلته في

'يو. أس. أس. سبب، أليس كذلك؟'

هزَّ آيشر رأسه بالإيجاب.

"إنني مندهش لاطلاعك على هذا الأمر."

"لم أطلع عليه بنفسني، والمهمة ما زالت مصنفة كمهمة سرية. لكن الأدميرال سبارتان عرف بشأنها. بل عرف عنها كل شيء. إن مهارتك في التشخيص، وخبرتك السابقة في التعاطي مع ما - إذا جاز لنا القول - يسمى بالظروف الطبية الشاذة، تحت ظروف شديدة الإرهاق والضييق، هي مزايا ذات قيمة مميزة. وبما أن سبارتان ولأسباب أمنية، لن يسمح بدخول أكثر من شخص واحد إلى عاصفة الأعماق، فقد بدا لنا أنك قد تكون خيارنا الأفضل."

"هناك تلك الكلمة التي تترد دائماً هنا: الأمن. وهي الكلمة الوحيدة التي لم أتمكن من استخلاص معناها."

ألقي آيشر نحوه نظرة تساؤل.

"لماذا كل هذه السرية؟ ما هو بالضبط الأمر البالغ الحيوية، حول أتلانيس، الذي يبرر كل هذه التدابير الصارمة؟ ولماذا تكون الحكومة راغبة في توفير هذا القدر الهائل من الإنفاق، ومن توفير هذه المعدات، والتجهيزات الباهظة الكلفة لمجرد إجراء حفريات أثرية؟" حرك كراين ذراعه. "أعني، أنظر إلى هذا المكان. فقط من أجل تشغيل هذه المنشأة عليك أن تحرق مليون دولار من أموال دافعي الضرائب في كل يوم."

"في الحقيقة،" قال آيشر بهدوء. "إن المبلغ هو أكثر من ذلك."

"في المرة الأخيرة التي بحثت فيها مع كبار

الموظفين في البنتاغون، لم أجدهم شديدي الاهتمام بالحضارات القديمة. والوكالات من أمثال: أن. أو. دي. ترفع عادة القبعة امتناناً من أجل أي فتات تقوم الحكومة برميها لها. ولكنكم هنا حصلتم على بيئة للعمل تعتبر الأكثر تقدماً وتعقيداً وسرية في العالم." سكت برهة. "ثم هنالك شيء آخر: فالمنشأة تتغذى بالطاقة النووية، أليس كذلك؟ لقد عملتُ على ظهر الكثير من ماخرات الأمواج لكي أعرف هذا. وحتى بطاقة التعريف العائدة لي، تبدو أنها تحتوي على مسجل للتفاعل الإشعاعي مغروس في باطنها."

ابتسم آيشر، لكنه لم يجب. إنه لأمر عجيب، افكر كراين. كيف أن هذا الرجل قد بات كتوماً في الأيام القليلة الماضية.

وللحظة، بات ملعب الإسكواش مشحوناً بصمت مرهق ثقيل. لكن كراين كان لا يزال يملك في جعبته قبلة أخرى لكي يلقيها، وهي قبلة أكبر من غيرها. وقد أيقن أن لا نفع من تأجيل إلقائها أكثر من ذلك.

"على أي حال، لقد كنت شديد التفكير في هذه المسائل. والجواب الوحيد الذي أستطيع الخروج به هو أنه لا يوجد تحتنا قارة أتلانتس. ولا بد من وجود شيء آخر." نظر نحو آيشر وقال: "ألسْتُ مصيباً؟"

نظر إليه آيشر نظرة متأمله للحظة، ثم هزَّ برأسه هزّة تكاد لا تُلاحظ.

"حسنًا؟ ما الذي يوجد تحتنا؟" أصرَّ كراين.

"إنني آسف يا بيدر. لا أستطيع أن أخبرك بذلك."

"لا تستطيع؟ ولمَ لا؟"

"لأنني لو فعلتُ ذلك، فإنني أخشى أن يقوم سبارتان بقتلك."

بعدها سمع تلك "المعزوفة"، راح كراين يضحك، لكنه عندما نظر إلى وجه أيشر، اختفت ضحكته. لأن كبير العلماء - الذي تنطلق ضحكته بكل سهولة في العادة - لم يكن حتى مبتسماً.

## 13

عند أقصى حدود اسكتلنده، الواقعة خلف منطقة سكاى، وفي ما وراء جزر الهيرايذر، وحتى أيضاً في ما وراء سلسلة الجزر الشعثاء المبعثرة المعروفة بجزر الأخوات السبع، يقع أرخبيل سانت كيلدا. وهو أرخبيل يقع في أقصى أجزاء الجزر البريطانية. وتتكون من تلال وعرة، مكونة من الصخور البركانية التي تطل برؤوسها الشامخة فوق زبد الموج. إنه مكان متعشِف، وبارد، وقاس، وممزق بين أمواج البحر.

وعند أقصى نقطة غربية من هيترا، التي هي الجزيرة الرئيسية، ترتفع مصطبة من الغرانيت، بعلو ألف قدم فوق الأطلسي الهائج. وعلى تاج تلك المصطبة تقع قلعة غريم وولد المستطيلة الكالحة، وهي ديرٌ قديم تائه، صامد بوجه قساوة الطقس والقصف المدفعي على السواء، ومحاط بستار يشبه النجم من الصخور المحلية. لقد تم بناء هذا الدير في القرن الثالث عشر على يد مجموعة معتزلة من الرهبان الباحثين عن التحرر من الاضطهاد وتنامي الروح الدنيوية في قارة أوروبا على السواء. ومع مرور عقود، كان ينضم إلى هذه الجماعة رهبان آخرون، من الكرثونيين إلى البنيديكتيين، المغتشين عن مكان بعيد للعبادة والتأملات

الروحانية، كما عن مهرب من التحلل الذي كان يشوب الأديرة الانكليزية. وبعد تعزيزها بالمساهمات الشخصية لهؤلاء الأعضاء الجدد، فقد تضخمت المكتبة العائدة إلى قلعة غريم وولد، لتصبح واحدة من أكبر مجموعات الكتب في أديرة أوروبا.

وقد نمت حول أطراف هذا الدير جماعة صغيرة من الصيادين تقوم بخدمة الحاجات الدنيوية القليلة التي لا يستطيع الرهبان القيام بأعبائها بأنفسهم. وبعد أن انتشرت شهرة هذا الدير، فإنه بات يستضيف - بالإضافة إلى المنضمين الجدد - بعض الجوالين العارضين. ومن ذروة القلعة، كان ثمة طريق للحجاج تبدأ من قسمه السكني المضاف في القرون الوسطى، فوق شعب مشعب يمر عبر شعيرة حديدية في حائط السور، ثم تتلوى نزولاً في ممر يؤدي إلى قرية صغيرة، حيث يمكن إيجاد الطريق منها إلى الهيرايدز.

أمّا الآن، فإن طريق الحجاج قد غابت معالمها سوى عن بعض أدراج تُشاهد بصورة عرضية وهي ترتفع فوق المشهد الصخري الكئيب. أمّا القرية الصغيرة المساندة للدير، فقد باتت شبه مهجورة منذ عدة قرون. فالرهبانية هي وحدها التي بقيت بواجهتها الكالحة المعسوفة بالعواصف، تطل على الغرب عبر الشمال الأطلسي البارد.

\* \* \*

وفي المكتبة الرئيسية في قلعة غريم وولد، جلس زائر إلى طاولة خشبية متطاولة، وكان يرتدي زوجاً من

القغازات القطنية البيضاء. ويقوم على مهل بتقليب الصفحات الصفراء لمجلد كبير الحجم موضوع فوق قطعة من قماش الكتان من أجل حمايته. كانت شذرات الغبار معلقة في الهواء، أما الضوء فكان ضئيلاً، وكان الرجل يحملق قليلاً حتى يتمكن من تمييز الكلمات. وكانت تتكدس بجانب مرفقه كومة من النصوص هي عبارة عن مخطوطات بعض مقاطعها موشاة بالألوان الساطعة، وكتب مطبوعة قبل القرن السادس عشر، وأبحاث قديمة مربوطة بأربطة من الجلد. وبعد كل ساعة تقريباً، كان يأتي راهب لإزالة الكتب التي انتهى الرجل منها، وإحضار مجموعة أخرى من الكتب التي طلب الإطلاع عليها، وقد يتبادل معه كلمة أو كلمتين، ثم يتنحى إلى مكانه. ومن وقت لآخر، كان الزائر يتوقف ليكتب ملاحظات على دفتر حمله لهذا الغرض، لكن مع تقدم النهار، صارت هذه التوقفات تتضاءل، وتصبح أكثر تقطعاً.

وفي النهاية، وفي وقت متأخر من بعد الظهر، دخل راهب آخر إلى المكتبة حاملاً أيضاً مجموعة أخرى من الكتب. ومثل سواه من أعضاء الدير، كان يلبس غفارة بسيطة مضمومة إلى جسمه بشريط أبيض. لكنه كان أكبر سناً من سواه، وقد بدى عليه أنه يمشي بخطوات أكثر روية.

مشى إلى وسط الممر الرئيسي للمكتبة. وتقدم نحو طاولة الزائر - وهي الطاولة الوحيدة المشغولة في القاعة - ثم وضع الكتب القديمة بكل عناية فوق قطعة الكتان البيضاء.

"ليكن الله معك،" قال بابتسامة.

نهض الرجل من وراء الطاولة. "بارك الله فيك." "ابقَ جالساً من فضلك، هذه هي المخطوطات التي تفضلت بطلبها."

"هذا لطف كبير منك."

"هذا من دواعي سرورنا. العلماء الزائرون باتوا نادرين جداً في هذه الأيام. ويا للحيث. يبدو أن رغد العباد بات أكثر أهمية من العلم والاستنارة."

ابتسم الرجل. "أو من البحث عن الحقيقة."

"والمعنيان يتطابقان في أحيان كثيرة." سحب الرجل محرمة ناعمة من كفه وبدأ يزيل بواسطتها الغبار، بكل محبة، عن الكتب القديمة. "اسمك هو لوغان، أليس كذلك؟ الدكتور جيرمي لوغان، من مدينة ريجينا، وأنت أستاذ تاريخ الطب في جامعة يال؟"

نظر الرجل إليه. "أجل أنا الدكتور لوغان. وإنني في الوقت الحاضر في عطلة أكاديمية."

"لطفاً. لا تظن أنني أتطفل عليك يا بني. أنا الأب برونوين راعي دير قلعة غريم وولد." ثم اتخذ لنفسه مقعداً عند أقصى جانب الطاولة متنهداً. "في كثير من المعاني، إنها مهنة مضيئة. قد تظن أن ديراً يمثل هذا القدم سيكون خالياً من البيروقراطية الداخلية، والتظلمات التافهة. لكن الحقيقة هي عكس ذلك. فإننا شديداً البعد. كما أن حياتنا شديدة البساطة والتواضع، وطالبي الدخول الجدد نادراً ما يأتون إلى أعتابنا. وقد أصبح عددنا الآن نصف ما كان عليه منذ خمسين سنة." تنهد ثانية. "لكن وظيفتي لها جوانب معزّية. وفي واحدة منها، هي أنني أشرف على جميع الفهارس والمسائل

المكتبية. وكما تعرف، تبقى المكتبة هي الملكية الوحيدة والغالية لدينا. ليغفر الله لي جسعي."

ابتسم لوغان ابتسامة هادئة.

ولهذا، وبطبيعة الحال، فقد صرت مطلعاً على جيئاتنا وروحائنا، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بأشخاص يتمتعون بتوصية عالية، من أمثالك أنت. فالرسائل التي قدّمتك لنا كانت جديرة بالقراءة."

أمال الدكتور لوغان رأسه.

"لم أستطع سوى أن أتنبه إلى أنه كان ثمة دليلٌ للرحلة مربوطٌ برسالتك التي تطلب فيها زيارة مكتبتنا."

"نعم، لقد كان ذلك خطأً غير مقصود من جانبي. فلقد كنت أقوم ببعض الأبحاث في جامعة أوكسفورد، وغادرت بسرعة. وأخشى أن تكون أوراقني قد اختلطت ببعضها قليلاً. إنني لم أكن قط أحاول التبحُّح."

"بالطبع، ليس الأمر كذلك. لم يكن هذا ما قصدتُ الذهاب إليه. لكنني لم أستطع سوى أن أصاب بالدهشة لكثرة الأماكن التي قمت حتى الآن بزيارتها في عطلتك. وهي على ما أذكر برج القديس يورويك في نيوفاوندلند، أليس كذلك؟"

"إنه بالقرب من ميناء باتل، على الساحل."

"ثم كانت محطتك الثانية في دير راث."

هزَّ الدكتور لوغان برأسه إيجاباً. مرة ثانية.

"لقد سمعتُ بها أيضاً. كاب فارفل، غرين لاند. وهي موقع ناءٍ شبيه بموقعنا من حيث البعد."

"إنهم يملكون مكتبة قديمة ومتناهية الضخامة، خاصة في ما يتعلق بالتاريخ المحلي."

"أنا متأكد من ذلك." انحنى رئيس الدير إلى مسافة قريبة فوق الطاولة. "أمل أن تعذر رفع الكلفة معك، يا دكتور لوغان: فكما قلت لك: يزورنا القليل من الناس هذه الأيام، وطاقتي على تمييز الفوارق الاجتماعية قد باتت ضامرة مع الأسف الشديد. ولكنك تعلم، أن ما يلفتني أكثر من سواه، حول زيارتك تلك، هي مسألة توقيتها. فهذه المواقع تفاخر بمكتبات تتطلب أسابيع للاطلاع عليها. وكل واحدة منها صعبة، ومستهلكة للوقت، ويكلف الوصول إليها الكثير من النفقات. ومع كل ذلك، ووفقاً لخط رحلتك، فإن هذا هو يومك الثالث فقط. من هذه الرحلة. فما هو الأمر الذي تبحث عنه ويقتضي منك التحرك بمثل هذه السرعة، ويتطلب دفع مثل هذه النفقات وبذل هذا العناء؟"

نظر الدكتور لوغان إلى رئيس الرهبان. ثم تنحنج. "كما قلت لك، أيها الأب برونوين، إن تضميني لخطة الرحلة مع رسالتي كان مجرد خطأ غير مقصود."

تراجع الأب برونوين في مقعده. "نعم بالطبع. إنني رجل عجوز وفضولي، ولم يكن قصدي أن أتطفل." ثم أزال نظارتيه، ورفع كمّ رداءه، ونظفهما قبل أن يعيدهما إلى أنفه. ثم وضع يده فوق الكتب المجلدة بجلد العجل التي كان قد جلبها معه. "ها هي الكتب التي كنت قد طلبتها. كتاب: 'لاي أنيكدوتس أوف مايسثير بيتون، قرابة العام 1448'، وكتاب: مسرد كولكوهون للأحداث، 'ديروس وسونديري'، وهو كتاب يتأخر عن سابقه بمئة سنة، وبالطبع، هناك كتاب: 'بوليغرافيا تريتمبوس'. وعند ذكر العنوان الأخير، ارتعد رئيس الرهبان قليلاً.

"شكراً لك أيها الأب،" قال الدكتور لوغان، مومناً برأسه، بينما نهض الرجل عن مقعده منصرفاً.

وبعد ساعة، عاد الراهب الذي كان قد بدأ بمساعدته في الأصل، فأزال المخطوطات، ومنشورات ما قبل القرن السادس عشر، ثم تسلّم لأثحة خطية بطلبات لوغان من المجلدات الإضافية. وبعد دقائق قليلة، عاد بالمزيد من الكتب المهلهلة التي وضعها فوق مفرش الكتان المجعد.

وضع الدكتور لوغان هذه المجلدات أمامه، وبدأ في تصفّحها، الواحد بعد الآخر، بيديه ذات القغازين الأبيضين. كان الكتاب الأول مكتوباً باللغة الإنكليزية العائدة إلى القرون الوسطى. وكان الثاني مكتوباً باللغة العامية المقبولة عند الجمهور. أما الثالث، فقد كان عبارة عن ترجمة ركيكة عن لهجة أثينية إغريقية تدعي الكوينية. لم تكن أي من هذه الألسن الثلاثة تشكل أي صعوبة للدكتور لوغان، وقد قرأ فيها بسهولة ويسر. لكن مع متابعته للقراءة، فقد هبط عليه شعور بالإحباط. أخيراً، أزاح عنه الكتاب الأخير، ورمش بعينه، وحك أسفل ظهره. وثلاثة أيام من السفر المضني إلى أمكنة فقيرة نائية، وثلاث ليالٍ من النوم في غرف باردة حجرية معرضة للتيارات الهوائية، كانت كلها مزعجة له. ألقى نظرة على المكتبة الهائلة البنيان بسقفها الروماني المقنطر، وشبابيكها الضيقة ذات الزجاج المغشّي وغير الصقيل، والساحر رغم ذلك. كان ضوء الأصيل ينساب الآن من خلال الزجاج، ملوّنًا المكتبة بموزايكٍ من الألوان. وكان الرهبان، بحسب العادة، سيستضيفونه عندهم أثناء الليل. ففي نهاية الأمر، لم يكن ثمة أماكن للنوم، حتى على بعد أميالٍ من المكان. ولم يكن ثمة

طرق تحمله إلى الخارج. أما في الصباح فسيأتي مسافر مستأجر لكي يسطحه معه إلى البر الرئيسي... ثم إلى أين بعد ذلك؟ لقد أيقن بشعور دقيق أنه لا يدري إلى أين ينبغي له أن يذهب في خطوته التالية.

ومن خلال الصمت المخيم وراءه، سمع صوت نحنة. استدار الدكتور لوغان ليرى كبير الرهبان يلقي ذراعيه على كتفه ويرمقه بنظرته. أعطاه الأب برونوين ابتسامة ودودة.

"لم تعثر على ضالتك؟" سأله بصوت هادئ.

هز لوغان رأسه.

استدار الأب مقترباً منه. "أتمنى لو تسمح لي بأن أساعدك. لست أدري عما تبحث. لكن من الواضح أنه شيء عظيم الأهمية - على الأقل بالنسبة إليك. وقد أكون عجوزاً فضولياً أخرق، لكنني أعرف كيف أحفظ السر الذي أؤمن عليه. قل لي عما تبحث، ثم دعني أساعدك؟"

تردد لوغان. فـلأكثر من مرة، كان زبونه قد شدد على ضرورة التعقل، والتحفُّظ الكامل. ولكن ما هي فضيلة التحفظ إذا كان المرء لا يدري ما هو الشيء الذي يتحفظ من أجله؟ لقد قام بزيارة هذه المنابع المعرفية الحساسة، كما قام بزيارة مراكز غيرها ذات أهمية أقل منها نسبياً، بينما لم يزود من المعلومات إلا بما لا يزيد عن كونه ينفذ مهمة غامضة. فلا عجب إذن إن لم يعثر بعد على أي نتيجة.

نظر بعناية نحو كبير الرهبان. إنني أبحث عن روايات

محلية، عن شهادات شهود عيان، وأفضل أن تكون متعلقة بحدث معين."

"حسناً. وما هو هذا الحدث؟"

"لست أدري."

رفع الراهب حاجبيه. "حقاً؟ إن هذا يجعل الأمر صعباً."

"كل ما أعرفه هو أن هذا الحدث ينبغي أن يكون على درجة كافية من الأهمية تحذو بالبعض إلى تسجيله في السجلات التاريخية. والاحتمال الأرجح أن يجري تدوينها في نص تاريخي يصلح للتلاوة في الكنائس."

ببطء، تحرك الراهب حول الطاولة وجلس من جديد. وفيما كان يفعل ذلك، لم تفارق عيناه عيني الدكتور لوغان.

"حدث غير اعتيادي. مثل حدوث - أعجوبة؟"

"هذا ممكن جداً." قال لوغان متردداً. "لكنني فهمت - لست أجد التعبير المناسب - أن هذه الأعجوبة لا ينبغي لها أن تكون ذات أصل إلهي."

"بكلمات أخرى، قد يكون الأصل شيطانياً."

هزَّ الدكتور لوغان رأسه بالإيجاب.

"أهذه هي كل المعلومات التي في حوزتك؟"

"ليس تماماً، فلديّ أيضاً إطار زمني، ومكان محدد."

"أرجوك أن تتابع."

"هذا الحدث يجب أن يكون قد وقع منذ ستمائة عام تقريباً. ويجب أن يكون قد حصل هناك." وهنا رفع يده وأشار في اتجاه الجدار الشمالي الغربي للمكتبة.

هنا قال الراهب بوضوح. "فوق المياه؟"

"نعم، شيء يمكن أن يكون قد شهده صياد محلي، لنقل أنه كان موجوداً بعيداً عن الشاطئ. أو ربما، لو كان الطقس جلياً، شيء يمكن أن يلاحظه، فوق الأفق، رجل يسير في الجروف الساحلية."

بدأ الراهب بالكلام، ثم توقف وكأنه يعيد النظر في ما طرأ له. "الرهبانيتان الأخريان اللتان قمت بزيارتكما." بدأ كلامه من جديد بهدوء. "إنهما أيضاً واقعتان على الشاطئ - أليس كذلك؟ وكلتاهما تشرفان على شمالي الأطلسي، كما هو حالنا نحن."

فكر لوغان في هذا الكلام لحظة. ثم هز رأسه موافقاً بطريقة تكاد تكون تلقائية.

وللحظة، لم يحر الراهب جواباً. نظر في ما وراء لوغان. وذهبت أنظاره بعيداً، كأنه يحدّق في شيء بالغ البعد، أو ربما، غائر في القدم. وعند مقدمة المكتبة، كان هناك راهب يجمع عدة كتب تحت إبطه ثم يمرّ بها بمشية تخلو من وقع الأقدام. وكانت القاعة المغبرة القديمة تغوص في صمت ثقيل.

وفي النهاية نهض الأب برونوين وقال: "أرجوك أن تنتظرنني، سأعود إليك في وقت قريب."

فعل لوغان مثلما طلب منه. وفي غضون عشر دقائق، عاد الراهب وهو يحمل بين يديه شيئاً ما بكل عناية، شيئاً كبير الحجم وملفوفاً بقطعة قماش سوداء

سميكة. وضع الراهب الشيء فوق الطاولة، ثم أزال عنه قطعة القماش بكل عناية. وتحت القماشة كان ثمة صندوق رصاصي، مزين بأوراق فضية وذهبية. سحب مفتاحاً من حول عنقه، وفتح به الصندوق.

"لقد كنت صادقاً مخلصاً في كلامك معي يا بني" قال له. "ولذلك عليّ أن أبادلك بالمثل." ثم ربت علي جانب الصندوق بكل لطف. "إن ما يوجد في داخل هذا الصندوق قد بقي واحداً من أعظم أسرار قلعة غريم وولد في الأساس، كان الاحتفاظ بسجل خطي عن الأحداث التي تجري هنا ينطوي على مخاطرة كبيرة. أما في ما بعد، بعد أن كانت الخرافة قد عظمت وتنامت، فإن الوثيقة نفسها صارت عالية القيمة، كما صارت مسألة إطلاع الغير عليها مسألة مثيرة للجدل. لكنني أعتقد أنه يمكنني أن أتمنك على السجل يا دكتور لوغان - ولو لدقائق قليلة." وبيبء، دفع الراهب الصندوق عبر الطاولة. "أمل ألا يكون لديك مانع من بقائي هنا بينما تقوم بقراءته. فأنا لا أستطيع أن أسمح له بالغياب عن ناظري. هذا قسم كنت قد أدتيه عندما جرت تسميتي أباً للرهبان في قلعة غريم وولد."

لم يقم لوغان بفتح الصندوق على الفور. وبدلاً من ذلك، حدق بكل بساطة في الزخرفة الذهبية والفضية التي تزين سطحه. فرغم توقه الشديد، لقي نفسه متردداً.

"هل هناك من شيء عليّ أن أعرفه قبل أن أبدأ؟" سأل. "شيء عليك أن تقوله لي؟"

"أعتقد أن الوثيقة تتكلم بما يكفي من تلقاء ذاتها." ثم علت ابتسامة - ليست متجهمه بالضبط، لكنها

ليست فرحة بالكامل – عبرت فوق ملامح وجه الراهب  
الأب، "أيها الدكتور لوغان، لا بد من أنك تعرف القول  
المأثور الذي يقول: "هنا قد يكون ثمة وحش؟"  
"نعم أعرفه."

"لقد وُجد في المساحات الفارغة للمحيطات على  
الخرائط القديمة." توقف الراهب عن الكلام ثانية. ثم  
بلطف وتعهد شديدتين، فتح الصندوق. "اقرأ هذا بكل  
عناية يا دكتور لوغان. أنا لست رجلاً مقامراً – سوى ربما  
على جودة خمرة الأخ فريديريك عندما تعرض كل  
الخمور الجديدة – لكنني أراهن أن هذا هو الشيء الذي  
كان سبباً في صدور ذلك القول المأثور."

## 14

عندما دخل كراين إلى قاعة الاجتماعات "ألف"، وهي أصغر القاعتين، وجد أن ميشيل بيشوب قد سبقته إلى هناك، وهي مشغولة بإدخال ملاحظات إلى حاسوبها اليدوي، مستعينة بمرقم معدني. كان الوجه الصقيل للطاولة عارياً بشكل جليّ. فوفقاً لخبراته السابقة، تكون اجتماعات البحث عن الحقائق الطبية مصحوبة على الدوام بعاصفة ثلجية من الأوراق: من الجداول، إلى التقارير، إلى السجلات الطبية. أما في هذا الاجتماع، فما عدا ملف رفيع يتأبطه هو نفسه، لم يكن هناك من أوراق أخرى. فالعمل الورقي يتطلب مساحات ثمينة، ولهذا كانت البيانات داخل محطة عاصفة الأعماق، تُحفظ حيث أمكن الأمر بدقة ضمن العالم الرقمي فقط.

حالما استقرّ في مقعده، نظرت إليه بيشوب، مانحة إياه طيف ابتسامة، قبل أن تعود إلى الانهماك في حاسوبها اليدوي لإدخال بندٍ جديد في ذاكرته.

"كيف هي حالة وايت؟" سألها.

"إنني أوصي بإخراجه غداً."

"حقاً؟"

"لقد أعطى روجيه موافقته على إخراجه من الناحية النفسية. كما وافق أيشر على وضعه في إقامة جبرية في غرفة سكنه. لذلك، لا يتبقى هناك من سبب يدعو إلى إبقائه في الجناح الطبي لمدة أطول."

وبينما كانت تتكلم، دخل روجيه كوربيه إلى القاعة. وكان يحمل في إحدى يديه كوباً كبيراً من قهوة الإسبرسو المخلوطة بالحليب الساخن، كان قد جلبه من مقهى، قريب. ابتسم لهما ابتسامة عريضة، كل بدوره، ثم أخذ مقعده عند جانب بعيد من الطاولة، ووضعا كوب قهوته وحاسوبه اليدوي أمامه.

"كانت ميشال تخبرني لتوّها أنك قد وافقت على إخراج وايت،" قال كراين.

أوما كوربيه برأسه موافقاً. "لقد أجريت دراسة تشخيصية مركزة عن حالته. إنه يعاني من بعض مسائل القلق التي لم يكن تبينها ممكناً عند إجراء اختبارات القبول الأصلية عليه. كما أنه يشكو ربما من بعض الاكتئاب غير الواضح أيضاً. إلا أنه يستجيب استجابة طيبة للعلاجات. لقد خفضنا جرعة مضادات الذهان من دون أن تحصل تأثيرات عكسية. وأعتقد أننا أمام حالة من اضطراب المزاج البسيط الذي يجب أن يستجيب جيداً للعلاج."

تجهّم كراين. "الأمر عائدٌ لك بالطبع. لكن منذ اثنتين وسبعين ساعة فقط، 'أدّى هذا الاضطراب البسيط للمزاج' إلى الإستيلاء على رهينة، وتسبب بعدها في إدخال مفك براغ في عنق صاحبه."

أخذ كوربيه رشفة من فنجانته. "من الواضح أن وايت سيكون لديه بعض المسائل التي عليه أن يغال بها،

وليس لدينا فكرة عن مدة الوقت التي سيتطلبها ذلك. أحياناً، تتجلى هذه النوازع على شكل صرخة من القلب. فالناس هنا تحت مقدار كبير من الإرهاق. وبصرف النظر عن درجة اهتمامنا بتدجينهم، فإننا لن نستطيع أن نتنبأ بجميع التفرعات السلوكية الممكنة. إن خطتي تقضي بمتابعة حالته في جلسات يومية في مكان إقامته، وبإبقائه تحت المراقبة الدقيقة."

"حسناً،" فهذا سيبعد على الأقل، كوروليس وأعوانه عن الجناح الطبي."

نظر من جديد ناحية بيشوب. "هل من حالات جديدة؟"

استشارت حاسوبها اليدوي. "ثمة تقني جاء يشكو من مغص في القولون. كما جاء آخر، وهو يشكو من رجفان في القلب. كما أن عامل صيانة جاء يشكو من أعراض غير واضحة، مثل اضطراب النوم، وعدم القدرة على التركيز."

"حسناً إذاً، شكراً لكما." نقل كراين أنظاره بينهما. "هل سنتعاطى مع ما نحن بصدده إذن؟"

نتعاطى مع ماذا؟" سألته بيشوب. "لست أدري بالضبط ما هو سبب دعوتك لنا إلى هذا الاجتماع."

نظر كراين إليها عبر الطاولة متسائلاً عما إذا كانت كل خطوة ستقتضي منهم خصاماً أو جدالاً. "لقد دُعيت إلى هذا الاجتماع، يا دكتورة بيشوب لكي نقرر معاً مع ماذا نتعاطى هنا."

تراجعت بيشوب في كرسيها. "هل استطعنا أن نحصر السبب في عامل واحد؟"

"إنه عامل واحد، هذا صحيح. لكن الأمر هو أننا لا نعرف ما هو."

شبكت بيشوب ذراعيها ناظرة إليه بعناية.

"إن ربع سكان هذه المنشأة يُظهرون أعراضاً مرضية،" تابع كراين كلامه. "وهذا لا يمكن أن يكون مجرد مصادفة. إن المشاكل الصحية لا تحدث في العزلة وأنتي أفترض سابقاً أن السبب هو داء الغواصين. ولقد كنت مخطئاً في أن أقوم بهذا التقدير قبل أن أستجلي الحقائق. ولكن مع كل ذلك فإن شيئاً ما يحدث هنا."

"ولكن ليس ثمة أعراض مشتركة،" قال كوربيه. "على الأقل، ليس هنالك أعراض مشتركة واضحة ومحددة."

"لكن يجب أن يكون هنالك شيء مشترك - لم تتمكن من اكتشافه بعد. لقد كنا شديدي الإنشغال في الجري هنا وهناك لإطفاء الحرائق الصغيرة، ولم يبق لنا وقت للنظر إلى الصورة الكبيرة بكاملها. وعلينا الآن أن نعود إلى الوراء، وأن نقوم بتشخيصٍ يقوم على ظواهر متفرقة مترابطة."

"وكيف تقترح علينا أن نقوم بذلك؟" سألته بيشوب.

"نقوم به مثلما علمونا في كلية الطب. نراقب الأعراض، ونفترض تفسيرات ممكنة لها، ثم نقوم بحذف كل فرضية عندما يثبت خطأها. ولنبدأ ذلك بإعداد لائحة." ثم أخرج ورقة من داخل ملفه وتناول قلماً ونظر إلى الحاسوبين اليدويين يلتصقان فوق صفحة الخشب الصقيلة. "آسف،" قال بضحكة بسيطة. "ما زلت أفضل"

أداء هذا الأمر حسب الطريقة القديمة.

ابتسم كورييه، مومناً برأسه، ثم أخذ رشفة جديدة من فنجانته. طيبت رائحة الإسبرسو الطازجة جو الغرفة.

"نحن نعرف الآن أن هواء المحطة، لا تشوبه أي غازات غير اعتيادية أو سواها من العوامل الجوية - وعلينا أن نحتفظ بهذه المعلومة لأنفسنا، بالمناسبة - وعليه يمكننا حذف هذا العامل كسبب محتمل للمشكلة. ماذا يبقى أمامنا بعد ذلك؟ يا دكتورة بيشوب، كنت قد ذكرت عدة شكاوى من الغثيان. هذا يوجّه أنظارنا إلى احتمال وجود تسمم: إما منهجي، عن طريق المأكّل والمشرب، وإما عمومي، كتفاعل مع مادة سامة هنا في هذه المحطة."

"كما أنها تعني مجرد حالات عصبية سيئة،" أجابت بيشوب.

"هذا صحيح." دونّ كراين ملاحظة. "هناك حجج جيدة في صالح أن يكون السبب سيكولوجياً - ولعلّ وایت قد عبّر عن ذلك. فنحن نعيش في بيئة غريبة مرهقة."

"وماذا عن العدوى والتلوث؟" سأل كورييه. "تفشّي شيء ما تكون طبيعته غير معروفة لنا؟"

"إنه احتمال آخر. فقد تكون عاصفة الأعماق، أو واحداً من سكانها، خزّاناً لنوع مرض معيّن، فيروسي، فطري، بكتيري. فبعض أو جميع المرضى الذين يأتون إلينا قد يكونوا حاملين للمرض."

"لست متأكدة من أنني موافقة على ذلك،" قالت بيشوب. "والشيء الوحيد الذي يمكنني التفكير فيه،

والذي من شأنه أن يظهر نفسه في شتى الأساليب،  
قد يكون الآثار الجانبية لاستعمال الأدوية."

"إنه اقتراح رائع. فالأدوية قد تكون أحياناً عوامل مرضية،" دون كراين ملاحظة أخرى. "هل جرى إعطاء الجميع مجموعة من الحقن، لنقل، قبل إدخال كل شخص إلى المحطة؟ أو هل وُصف له نوع محدد من العلاج أو الفيتامينات؟ هل يتعاطى العمال أي نوع من الدواء من أجل المحافظة على اليقظة والانتباه؟"

"ليس على حدِّ علمي،" قالت بيشوب.

"علينا أن نتحرى عن هذا الأمر. ثم إن هناك احتمال استعمال المخدرات."

"مثل الميتافيتامينات،" أضاف كوربيه.

"أو عقار إكستازي. فهو يثبِّط توزيع الغلوتامين، ويمكن أن يتجلى ذلك في سلوك يشبه السلوك الذي ظهر على وايت."

"الوجبات الغذائية قد تكون بدورها احتمالاً من الاحتمالات،" قالت بيشوب. "فموظفو قسم التغذية قد طوّروا هنا وجبة خاصة غنية بالبروتين وخفيفة بالكربوهيدرات. والبحرية على ما يبدو يقومون باستعمال منشآتنا وكأنها أحد أسرّة حقل الاختبار."

"شيء مثير للانتباه. علينا أن نعيد فحص الدم الشامل للجميع من جديد، وذلك لكي نرى ما إذا كانت التغذية تلعب أي دور." نقل كراين نظره، بين بيشوب وكوربيه، سعيداً بمشاركتها له. "إننا نطوّر مجموعة لا بأس بها من الاحتمالات. لنر الآن ما إذا كان بإمكاننا القيام بحذف أي من هذه الاحتمالات. فنحن نعرف أن

الأعراض غير محصورة بمنطقة معينة من المحطة، ولا بنوع محدد من العمل. فهل يكون ثمة علاقة للعمر أو للجنس؟"

نقرت بيشوب على حاسوبها اليدوي. "كلا. فالمرضى يتوزعون بين جميع الأعمار، ومعدل الإصابات قياساً على جنس المرضى يطابق معدل نسبة كل جنس بين أفراد الطاقم."

"حسناً. على الأقل صار لدينا شيء ننطلق منه. فحص كراين ملاحظاته التي قام بتدوينها. "من النظرة الأولى، يبدو أن التسمم، أو ربما العقاقير، قد تكون سبباً أرجح من سواه. فقد يفسر التسمم بالمعادن الثقيلة هذا التنوع الواسع في الأعراض. وقد تكون الأمراض المعدية احتمالاً بعيداً يأتي في الدرجة الثالثة، لكنه أمر لا يزال جديراً بالتأكد. "نظر إلى كوربيه. "من هو أكفا تقني في الجناح الطبي؟"

فكر كوربيه لحظة. "إنها جاين راند."

"حاول أن تجعلها تنظم جميع سجلات المرضى، وأن تنشئ من هذه السجلات قاعدة بيانات للعناصر، وأن تنقب عن أي شيء مخبوء، ذي صلة. دعها أيضاً تفحص أي شيء، من سجلات الاستخدام حتى نتائج الفحوصات الطبية. "ثم أنصت قليلاً. "هل تستطيع أن تدرس اختيارات المرضى من الطعام الذي تقدمه الكافيتيريا أيضاً؟"

نقر كوربيه على مفاتيح قليلة في حاسوبه اليدوي، ثم رفع أنظاره عنه مومناً برأسه.

"أضف هذا إلى اللائحة: وراقب ما إذا كان يتبين لك

منها أيّ شيء. ثم قارن هذه النتائج مع السجلات الطبية للموظفين الأصحاء. فلربما تقع على مساحة اختلاف. "نظر إلى بيشوب، "يا دكتورة بيشوب، هلاً تحاولين الاهتمام بفحوص الدم للبحث عن أي شيء يمكن أن تستفاد منه أي إشارة إلى التسمم أو إلى استعمال العقاقير؟"

"حسناً، سأفعل،" قالت بيشوب.

"لطفاً اجعلي مساعدتي يأخذون عينة من الدم من أيّ مريض كان قد أتى إلى الجناح الطبي في الأسبوعين الماضيين. ومن الآن فصاعداً، علينا أن نأخذ عينات من البول من جميع المرضى الجدد حتى ولو كان كل ما يشكون منه هو إصابة بشظية صغيرة. وفي الواقع علينا أن نجري مجموعة كاملة من الفحوصات، كمخطط كهربائية القلب، ومخطط كهربائية الدماغ، والأشعة الصوتية، وما أشبه ذلك."

"لقد قلت لك من قبل إننا لا نملك جهازاً لتخطيط كهربائية الدماغ،" قالت بيشوب.

"هل من فرصة للحصول على جهاز؟"

هزت كتفيها. "لكن ضمن الوقت اللازم."

"حسناً، أرسلني في طلب الجهاز من فضلك. لا أريد أن نترك أي حصة من دون تغليب. وبالمناسبة، يمكنك أن تطلبي من مساعدتي من الباحثين الطبيين أن يفحصوا التقارير القديمة عن المرضى. فإذا كان هذا نوع من الوباء المنتشر، فلربما استطعنا عزل الحالات الأخيرة." وقف كراين. "أعتقد أن علي أن أتحدث مع مسئولوي التغذية وأن أتعلم ما أستطيع تعلمه عن

وجبتهم الخاصة. وعلينا أن نجتمع غداً صباحاً لمناقشة ما توصلنا إليه."

توقف عند الباب. "بالمناسبة، ثمة شيء آخر كنت أود أن أسألكما عنه. من هو الدكتور فلايت؟"

تبادلت بيشوب وكورييه النظرات.

"الدكتور فلايت؟" تساءلت بيشوب.

الرجل العجوز اليوناني الذي يرتدي وزرة ذات صديرية. لقد دخل إلى مقصورتني من دون دعوة مني بعد وصولي بوقت قصير. إنه شخص غريب الأطوار، ويستسيغ الكلام الملغز. ما هي طبيعة عمله هنا."

كان هناك سكوت.

"آسف يا دكتور كراين،" قال كورييه. "لا أعتقد أنني أعرفه."

"وأنت أيضاً لا تعرفينه؟" استدار كراين نحو بيشوب. "إنه شخص قصير القامة أشعث، وله لبدة شاذة من الشعر الأبيض؟ قال لي إنه يتولى عملاً شديداً السرية."

"لا يوجد أحد هنا ممن تنطبق عليهم هذه الأوصاف،" أجابت بيشوب. "فأكبر العمال سناً هنا لا يتجاوز الثانية والخمسين."

"ماذا؟" قال كراين. "لكن ذلك مستحيل. لقد رأيت الرجل العجوز بعيني."

أقلت بيشوب نظرة علي حاسوبها اليدوي، ثم طبعت عليه بضع كلمات، وحدقت قليلاً في الشاشة. ثم رفعت بصرها ثانية. "مثلما قلت لك يا دكتور كراين. لا يوجد أحد يدعى فلايت في عاصفة الأعماق."

## 15

تنحى روبرت لوازو إلى ما وراء مجال حركة العمل، وأزال قبعة الطاهي من على رأسه، ومسح العرق عن وجهه بمنشفة الطاهي المتدلية إلى جانبه. ومع أن الجو كان بارداً في المطبخ، إلا أنه كان يتصبب عرقاً. وكان قد ابتداءً نوبة عمله منذ نصف ساعة فقط. كانت الأمور تبدو أنه قادم على نهار عمل طويل جداً.

نظر إلى ساعة الحائط، وكان الوقت هو الثالثة والنصف. لقد انقضت فترة زحمة الغداء، وفريق التنظيف يقوم الآن بغسل القدور والأوعية، وكان المطبخ هادئاً. لكن كلمة "هاديء" هي كلمة نسبية المعنى. فلقد تعلم منذ وقت طويل أن العمل في مطبخ البحرية لا يشبه العمل في المطابخ على اليابسة. فلا يوجد هنا مثلاً جداول موافيت محددة لوجبات الطعام. والناس هنا يأتون ويروحون حسب مزاجهم. ولأن المنشأة تعمل على قاعدة ثلاث نوبات للعمل، فلم يكن من غير المعتاد أن يجري تقديم طعام الإفطار لشخص ما، عند الساعة الثامنة مساءً، أو أن تقديم وجبة الغداء لشخص آخر عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل.

مسح وجهه مرة ثانية، ثم أعاد المنشفة إلى مكانها. يبدو أنه بات يتعرق طيلة الوقت في هذه الأيام، إذ إن

هذا الأمر لا يقتصر على فترة وجوده في المطبخ فقط. وقد كان هذا أحد الأشياء التي بدأ يلاحظها مؤخراً مثل رجفة خفيفة في يديه، وتسارع في ضربات قلبه. وكان يشعر بالتعب طيلة الوقت أيضاً، ومع كل ذلك، لم يكن يقوى على النوم. لم يكن متأكداً متى بدأت هذه الأشياء تظهر، لكن شيئاً واحداً كان يبدو مؤكداً بالنسبة إليه، وهو أن هذه الحالة تزداد سوءاً ببطء، لكن بثبات.

مرَّ به آل تانر، وهو طاه مختص بالمعجنات. وهو يردد أغنية "ذات مساء مسحور". كان يحمل قمعاً نسيجياً لصبِّ المعجنات، يتدلى بطريقة عارضة على كتفه كما لو أنه إوزة تمَّ اصطيادها للتو. توقف عن الغناء فترة من الوقت تكفي فقط لكي يقول: "مرحباً وازو."

"إنها 'وا - زو'، تتم لوازو بصوت خفيض. هل تعتقد أن من يلبسون ثياب المطبخ يستطيعون أن يحسنوا التلفظ باسم فرنسي. وربما كان الجميع يحاولون تعذيبه ليس إلا. لكن الحقيقة هي أن رينو فقط، وهو رئيس الطهاة، كان يستطيع أن يلفظ الاسم بطريقة صحيحة. لكن هذا الأخير نادراً ما يتنازل وينادي الناس بأسمائهم، بل أنه كان يفضل دوماً أن يوميء إليهم بحركة من سبَّابته.

وبتنهيدة، عاد إلى مكانه قرب منضدة العمل. لا وقت متوفر لأحلام اليقظة. وعليه الآن أن يقوم بتحضير شيء من صلصلة الباشاميل، لا بل كمية كبيرة من الباشاميل في حقيقة الأمر. فكبير الطهاة يعتزم تقديم طبق فيليه التورنيديو، وصلصلة مورناي، وضيع الخروف، على لائحة طعام العشاء. كلا المرققين تستعملان الباشاميل قاعدة لهما، وبالطبع، كان لوازو قادراً على إعداد الباشاميل حتى وهو نائم. لكنه تعلم الطريقة الصعبة التي تقول

إن الطهي مثل الجري في سباق الماراثون: عندما تتوقف، يتابع الجميع ركضهم. وإذا توقفت طويلاً فلن يكون باستطاعتك اللحاق بهم بعد ذلك.

حمّر البصل، وأضف إليه خليط الطحين المطبوخ مع الدهن... وفيما كان يتابع إخراج مسرحيته هذه، شعر لوازو أن ضربات قلبه عادت تتسارع من جديد، وأن أنفاسه بدأت تضيق. من الممكن بالطبع أن يكون مريضاً. لكنه اعتقد أن لديه تفسيراً أفضل لتعرق كفيه، وأرق ليلته: إنه القلق. لقد كان العمل على متن حاملات الطائرات ذات الهنغارات الفسيحة، والممرات التي لا نهاية لها، والتي تنعكس أصداء الأصوات فيها، شيئاً؛ أما العمل هنا في هذه المنشأة فهو شيء آخر مختلف. لم يتوقف دماغه عن التفكير في أنه يعيش في عاصفة الأعماق. فقد كان الراتب ممتازاً، وكانت فكرة العمل في مشروع سري مغرية بعض الشيء. لقد صرف خمس سنوات في البحرية، وهو يعمل في مطابخ الأدميرالات. وكم هو الفرق بين القيام بالطبخ في أعماق البحر بدلاً من العوم على وجهه؟

ومثلما تبين له، فلا شيء كان يمكن أن يحضره لذلك.

يا للهول، الجوّ حارّ. قام ببطء بإضافة الدقيق المطهو بالدهن إلى المزيج المكوّن من الحليب، والصعتر، وورق الغار، والزبدة، والبصل. وبينما هو فوق القدر، يحركه بنشاط، غمره شعور قصير بالدوار فرض عليه التراجع، لاهتاً للحصول على الهواء. لقد أفرط في استنشاق الهواء، هذا هو سبب ما يشعر به. تحكّم بأعصابك يا فتى، فنوبة العمل قد ابتدأت لتوهّا، وما زال أمامك طن من هذه المادة كي تطبخها.

كان تانر الآن راجعاً من مخزن المؤن وهو يحمل بين يديه كيساً كبيراً من الطحين الصالح لصناعة الكعك. عندما رأى لوازو، توقف. "هل كل شيء على ما يرام يا صاحبي؟"

"نعم، أنا بخير،" قال لوازو. وبعدها تجاوز تانر مسح وجهه من جديد بمنشفته وعاد مباشرة لمتابعة تحريك المزيج. فلو توقف الآن عن التحريك، لاحتقرت الصلصلة، ووجد نفسه مجبراً على البدء بتحضير سواها من جديد.

بان له الآن كم أنه لم يدرك من قبل إلى هذه الدرجة قيمة فقدانه لنور الشمس، والهواء الطازج. فحاملات الطائرات تتحرك من مكانها على الأقل. لم يشك لوازو قط من رهاب الإحتجاز. لكن العيش في صندوق معدني لا سبيل للخروج منه، فيما المحيط حولك من كل جانب، ويضغط بثقله عليك.. هو أمر لا بد له من أن يأتي إلى ذهنك، ولو بعد حين. وكائناً من كان هذا الذي صمم عاصفة الأعماق، فإنه قد قام بجهد مبدع في النممة. وعندما كان يعمل في البداية على السطح، على صالة الطبقة الحادية عشرة، لم يلحظ هذا الأمر كثيراً. لكنه نُقل بعد ذلك إلى المطبخ الرئيسي في الطبقة السابعة. وكانت الأشياء هنا أكثر تراكمًا من سواها. فعندما تصبح الحركة في أوجها، وتحس أن الأرض ذاتها تتحرك، تجد العديد من الأجساد المحتشدة، بحيث يكاد لا يبقى لك سوى مجال قليل للتحرك. وقد كان ذلك عندما شعر لوازو في الأيام القليلة الأخيرة أن هذا الشعور قد وصل إلى أسوأ ذروته. فعندما استفاق اليوم من نومه، خطر بباله أولاً زحمة موعد العشاء التي لا بد من أن تأتي. وكانت مجرد الفكرة كافية لجلب التعرُّق إليه حتى وهو ما يزال في سريره الخاص...

شدد قبضته على المقبض الطويل المصنوع من الفولاذ غير القابل للصدأ عندما انتابه إحساس بالتشنج في معدته نتيجة عسر الهضم. كما عاد إليه الدوار - بإحساس ضئيل من الذعر هذه المرة - فهز رأسه ذات اليمين وذات الشمال، على أمل أن يتمكن من تبيده. لعله واقع ضحية المرض، في نهاية الأمر. ولعله على وشك الإصابة بنزلة برد. وعندما ينتهي من أداء نوبة عمله، سوف يتوقف في طريقه عند الجناح الطبي. وسواء أكان السبب مرضاً أم تعباً عصبياً، فبإمكانهم ربما مساعدته في ذلك.

وبجهد كبير عاد إلى متابعة تحريك الصلصلة، مُرجعاً إياها بعناية عن الغليان، ومحاولاً تركيز انتباهه للتأكد من لونها ومن رائحتها. وفيما كان يفعل ذلك، لاحظ 'رسولاً' - وهو واحد من العمال المعينين في الأعماق، أي في خدمة مائدة الطعام الموجودة في أعماق أعماق المنشأة - يتقدم وهو يحمل كدسة طويلة من الصحون الجاهزة. فمنطقة الأعماق ليس لديها سوى صالة صغيرة مخصصة لها، وهي بالتالي تعتمد على خدمة 'الرُّسل' - الذين يعملون ويعيشون في القسم المصنف السري من عاصمة الأعماق، وهم يتمتعون بحق الدخول والخروج - من أجل جلب الأطباق الجاهزة من المطبخ الرئيسي إلى الأقسام السفلى.

لقد كان هذا شيئاً آخر مما أقلق لوازو: كلُّ هذه السرية. لقد كانت مراعاة السرية أشدَّ إثارة للانتباه هنا في الأسفل مما هو عليه الحال في الطبقات العليا. كان بإمكانه دائماً التمييز بين العاملين في المناطق السرية المصنفة وبين العاملين في سواها. فهم عادة يتكفرون بعضهم إلى البعض الآخر عند طاولة بعيدة عن

طاولات الآخرين، رؤوسهم متقاربة، ويتكلمون بأصوات خفيضة. ما الداعي الذي يجعل بعثة علمية تتصرف بهذه الطريقة الكتومة في أي حال؟ فمع كل هذه السرية، لم تكن لديه أدنى فكرة عن كيفية سير أمور هذه البعثة، ولا عن مقدار التقدم الذي تحققه. وهذا يعني أنه لا يدري متى سيكون باستطاعته الخروج من هنا والعودة إلى بيته من جديد.

البيت...

فجأة، صدمته موجة أخرى من الدوار أقوى من الأولى، فاستغرقته بالكامل. ترنح لوازو مشدداً قبضته على مقبض الفرن من جديد. لم تكن فورة عصبية بل أكثر من ذلك. شيء على جانب من الخطورة. فسيطر عليه الخوف وهو يكافح للبقاء واقفاً.

فجأة، بدأت الظلمة تغشي عينيه. وفي أنحاء المطبخ، كان الناس يوقفون أعمالهم، ويضعون سكاكينهم من أيديهم، وكذلك مغارفهم، وملاعقهم الخشبية لكي يحملقوا فيه. كان أحدهم يتحدث إليه، لكن الصوت قد وُهن وتحوّل إلى لغطٍ لم يفقه منه شيئاً. حاول المحافظة على توازنه، ومدّ يده ليمسك بالقدر الثقيل المليء بالبشاميل، لكنه أخطأ فوقع إلى جانبه. لم يشعر بشيء. ومع هذا، فإن موجة أخرى من الدوار، أكثر طغياناً، قد اجتاحتته. والآن صعّدت إلى أنفه رائحة غير طيبة. رائحة الشعر المحروق واللحم المبالغ في طبخه. تساءل إن كان ذلك مجرد هلوسات وهمية. كان الناس يركضون في اتجاهه. نظر إلى الأسفل، ولاحظ أن يده قد دفعت قدر البشاميل جانباً ووقعت فوق النار مباشرة. كانت السنة اللهب الأزرق تلحس أصابعه. لكنه لم يكن يشعر بشيء. ثم أطبقت عليه غيمة سوداء

أشبه بلحاف ثقيل، ورأى لوازو أنه من الطبيعيّ أن  
يتمدّد على الأرض ويغوص في أحلام سوداء.

## 16

"هل شارفتَ على الانتهاء، يا دكتور؟"

استدار كراين ليري رينو، كبير الطهارة، يحوم بالقرب منه، وهو مكتوف الذراعين، ونظرة من عدم الرضا تطوف على وجهه.

"تقريباً." ثم عاد إلى الرف الذي يحمل على الأقل مئة أنبوب صغير من الزبدة. قام باختيار واحد منها عشوائياً، أزال اللقافة البلاستيكية عنه، وغرف منه مقدار ملعقة ووضعه في أنبوب الاختبار الصغير.

كان البراد المتنقل للمطبخ الرئيسي غاية في الإفصاح. فهو لم يكن حافلاً فقط ببضائع مطعم نموذجي - من لحوم الطيور الداجنة، إلى لحم العجل، والبيض، والخضار، والحليب، وما شابه - ولكنه كان يحوي أيضاً مقومات يمكن أن يجدها المرء في المؤسسات السياحية الفخمة في القارة. فمن الكمأة البيضاء والسوداء، إلى الخلّ البلسمي الذي لا يكاد يقدر بثمن، والمعبأ في أوعية زجاجية صغيرة؛ إلى طيور التدرج، والطياهيح، والإوز، إلى علب كبيرة من الكافيار الإيراني والروسي. وكان كل شيء منضداً في فسحة لا تزيد مساحتها عن عشرة أقدام في عشرين قدماً. ونظراً

لحيرته أمام مثل هذه الوفرة والغنى، وجد كراين نفسه مجبراً على أن يقصُر اختياراته للعينات على تلك التي يمكن أن تكون أكثر استعمالاً واستهلاكاً في الحياة اليومية. ومع كل ذلك، فإن جميع أنابيب الاختبار الممتلئين التي احتوت عليها صندوقة النماذج باتت على وشك أن تمتلئ. كما أن هذه العملية التي استغرقت ساعة كاملة، كانت قد استنزفت صبر كبير الطهارة إلى درجة تقارب فقدان الأعصاب.

أرجع كراين وعاء الزبدة إلى مكانه، وانتقل إلى الرف الثاني الذي احتوى على السوائل الأساسية لقوارير التتبيل كالخلّ الفرنسي الفاخر وزيت الزيتون المعصور على البارد.

"إنه من أسبانيا،" قال كراين، ملتقطاً قارورة من الزيت، ومدقفاً في البطاقة الملصقة عليها.

"إنها الأفضل،" قال رينو ببساطة.

"كنت أحسب أنها إيطالية -"

أطلق رينو صوتاً من شفثيه، فيه شيء من الهزء وشيء من قلة الصبر "هذا جنون! ليس هناك من مجال للمقارنة. فحبوب الزيتون التي عَصِرَ منها هذا الزيت قد قُطِفَت بالأيدي من أشجار زُرعت بمعدل لا يزيد على ثلاثين شجرة في الفدان المربع الواحد. وهي تُروى بطريقة مقتصدة، ولا تُسمد إلا بروث الخيول -"

"روث الخيول" كرر كراين، وهو يهز برأسه قليلاً.

عبق وجه رينو. "سماد طبيعي، ويخلو من المواد الكيميائية." لقد اعتبر أن أسلوب كراين يشكل إهانة شخصية لكفاءة مطبخه، كما لو أن كراين مفتش أت من

قبل مجلس الصحة والنظافة بدلاً من أن يكون طبيباً يتحرى سبب مشكلة طبية غامضة.

سحب كراين سدادة القارورة، واستلَّ أنبوب اختبار آخر من صندوقه، ثم سكب فيه مقداراً صغيراً وأقفل سدادة الأنبوب. أعاد قارورة الزيت إلى مكانها، ثم تناول أخرى من رفٍ آخر. "كثير من المواد الغذائية هنا تبدو لي طازجة. كيف يتيسر لكم حفظها من التلف؟"  
هزَّ رينو كتفيه. "الطعام هو الطعام. إنه دائماً عرضة للفساد."

ملاً كراين أنبوباً آخرًا. "ماذا يحصل له بعد تلفه؟"  
"بعضه يتم إحراقه. والباقي يوضب مع بقية الفضلات ويرسل إلى الأعلى عبر الحوض."

هزَّ كراين رأسه. فالحوض، حسبما علم، هو عبارة عن جسم للتوريد، لا يشغله أشخاص، يقوم برحلات يومية بين المنشأة وبين محطة التوريد الموجودة على السطح. وهو يُعرف رسمياً تحت مسمى: غواصة أعماق إعادة التموين أ.ل. أف. 2 - أم، وهو من طراز الأجهزة التي تستعملها البحرية لتموين الغواصات الجاثمة في الأعماق بالأشياء الضرورية الطارئة. ولقد أخذ اسمه المختصر من شكله المستطيل البشع، الذي يشبه إلى حد كبير، حوض حمام عملاق.

"وهل تأتي إمداداتكم الطازجة عبر الحوض أيضاً؟"  
سأله.

"طبعاً."

ملاً كراين أنبوب اختبار آخر بالخل. "من الذي يقوم بطلب مشترياتكم الجديدة؟"

"إنه قسم مشتريات قسم التغذية، وفقاً لقائمة الجرد، وللخطة المسبقة لتنظيم قوائم الطعام."

"ومن ذا الذي يتولى فعلياً نقل التموينات من الحوض إلى المطابخ؟"

"يقوم بذلك ضابط المخازن، تحت إشرافي المباشر. أما إرسالية اليوم فينبغي أن تصل في وقت قريب. وفي الحقيقة، علينا أن نكون في طريقنا لاستلامها." تجهم رينو. "إذا كنت تلمحُ يا دكتور إلى أنني -"

"إنني لا ألمحُ إلى أيِّ شيء،" أجاب كراين بابتسامة. وهو في حقيقة الأمر لم يكن كذلك لقد كانت أحاديثه مع مسؤولي التموين الغذائي ومع أخصائيي التغذية، عن مخططاتهم التطوعية للوجبات، تبدو سليمة ومنطقية. ومع أن كراين كان قد صرف وقتاً لازماً لأخذ عينات، بكل دقة، من عشرات المواد الموجودة في الطبقات العليا، والآن من المطبخ المركزي، إلا أنه لم يضع أملاً كبيراً في أن يقع على أي شيء ضار. كما يبدو أنه من المستبعد أن يدخل شيء ضار على الطعام، ولا بطريقة عرضية أو حتى متعمدة. وهكذا، فإن شكوكه باتت تتجه أكثر فأكثر نحو التسمم بالمعادن الثقيلة.

أعراض التسمم بالمعادن الثقيلة هي أعراض غامضة وغير محددة، مثل جميع هذه الأعراض التي تنبت هنا وهناك في المنشأة: تعب مزمن، واضطرابات معدية ومعوية، وفقدان للذاكرة لمدد قصيرة، وآلام في المفاصل وعمليات فكرية مشوشة وطيف من سواها. وكان فعلاً لديه موظفين إثنين من القسم الطبي يفحصان أجواء العمل وأماكن الترفيه في عاصفة

الأعماق تحرياً عن وجود معدن الرصاص، أو الزرنيخ، أو الزئبق، أو الفلزات، وغيرها من المعادن الثقيلة. وفي الوقت عينه، فإن جميع المرضى الذين شكوا من أعراض ما، كان يُطلب إليهم العودة إلى الجناح الطبي لتقديم عينات من الشعر والدم والبول من أجل اختبارها. أما التعرُّض للأعراض فلا بدَّ له من أن يكون حاداً، لا مزمنياً، لأن الناس هنا جميعاً لم يكونوا موجودين على ظهر المنشأة منذ مدة طويلة.

أقفل كراين أنبوب الاختبار الأخير، ثم وضعه على الرف المتحرك، وأقفل سحَّاب حقيبة التحليل العائدة له وهو يشعر بإحساس ضئيل بالاكْتفاء. فإذا تبين أن التسمم بالمعادن الثقيلة، أو بالزئبق هو العامل الجاني، فإن عقاقير من أنواع اللواقط القوية يمكن أن تستعمل ليس فقط من أجل اختبارات المقاومة، بل من أجل العلاج أيضاً. ولا شك في أن عليه عندئذٍ أن يطلب الكميات الضرورية لكي ترسل إليه بواسطة "الحوض": فلن يكون هناك إمدادات كافية من هذه الأدوية في الصيدلية تكفي لمعالجة جميع المرضى في جميع أنحاء المنشأة.

استدار ليلحظ أن رينو قد غادر المكان. التقط حقيبته الخاصة بالتحاليل، وخرج من داخل غرفة التبريد وأغلق الباب خلفه. وجد رينو عند الجانب الأقصى من المطبخ يتحدث مع شخص ما، يرتدي ثياب رؤساء الطهارة البيضاء. وحالما اقترب كراين استدار رينو نحوه.

"هلاً انتهيت" قال له. ولم تكن العبارة مصاغة بصيغة السؤال.

"نعم." قال له "ما عدا بعض الأسئلة التي عليَّ أن

أطرحها حول الطاهي الذي سقط مريضاً. روبرت لوازو. "  
بدا رينو وكأنه غير قادر على التصديق "أسئلة  
أخرى؟ فالطبيبة الأخرى، الإمراة، كانت قد طرحت  
الكثير من الأسئلة قبل الآن."

"لكن لا يزال هناك أسئلة قليلة باقية."

"عليك أن تمشي معنا إذن. لقد تأخرنا عن موعد  
الاستقبال."

"حسناً." لم يأبه كراين لهذا الأمر- لأنه سوف يمنحه  
فرصة لمراقبة عملية ترحيل المواد الغذائية من  
"الحوض" إلى المطبخ، وهذا سيجعل عقله يطمئن  
إلى أن هذا المصدر المحتمل للتلوث قد تم استقصاؤه.  
تم تقديمه بسرعة إلى الرجل الآخر الذي يرتدي ثياب  
رئيس الطهاة. - إنه كونراد مسؤول المستودعات -  
بالإضافة إلى شخصين آخرين من موظفي المطبخ  
وهما يدفعان خزانتي طعام كبيرتين ذات عجلات. وهكذا  
تلكاً كراين خلف هذه المجموعة الصغيرة، وقد غادر  
الجميع المطبخ وملكوا الممرات التي يترجع فيها  
الصدى في اتجاه المصعد.

كان رينو مشغولاً في بحث مسألة نقص في إمداد  
بعض الخضار التي تؤكل جذورها مع ضابط  
المستودعات. ولم يستطع كراين طرح أكثر من سؤال  
واحد عن لوازو في الوقت الذي وصلوا فيه إلى الطبقة  
الثانية عشرة.

"كلا،" قال رينو عندما انفتح باب المصعد وهم<sup>٤</sup>  
بالخروج. "لم يكن ثمة إنذار. لم يكن من إنذار على  
الإطلاق."

لم يكن كراين قد حضر إلى هذا المكان منذ وقت وصوله، لكنه كان يتذكر الطريق إلى مجمع الضغط. ومع هذا، فإن رينو قد اندفع في الاتجاه المعاكس، متابعاً خطواته على طريقٍ معقّدٍ يمرّ عبر متاهة من الممرات الضيقة.

"إن الرجل لا يزال في غيبوبة، ولم نكن قادرين على طرح أيّ أسئلة عليه،" قال كراين بينما هم يتابعون المشي. "ولكن هل أنت متأكد أن لا أحد قد لاحظ أي شيء غريب أو مغاير للمألوف؟"

فكّر رينو للحظة. "أتذكّر أن تانر يقول إن لوازو بدأ كأنه شاحب متعب."

"تانر؟"

"إنه الطاهي المسؤول عن المعجنات."

"هل قال شيئاً أكثر من ذلك؟"

هزّ رينو رأسه. "عليك أن تسأل السيّد تانر نفسه."

"هل تعلم إذا كان لوازو يتعاطى مخدّرات من أي نوع؟"

"بالتأكيد لا!" قال رينو. "لا أحد في مطبخي يتعاطى المخدّرات."

وفي اتجاه الأمام، انتهى الممر بفتحة كبيرة بيضاوية يقوم على حراستها جندي واحد من البحريّة. وفي الأعلى، كان ثمة شارة كتب عليها "الممر إلى الهيكل الخارجي." نظر الجندي إليهم، كلٌّ بدوره. دقق في ورقة يحملها رينو. دخل إلى الكوة وأوماً للآخرين بالتباعد.

خلف هذه الكوة كان يوجد ممر فولاذي صغير مضاء

بمصايح حمراء تتراجع داخل تجاويف، متينة. كان هناك كوة أخرى إلى الأمام، مقفلة ومسدودة من طرفها الآخر البعيد. انغلقت الكوة خلفهم. وسُمع صوت الأدوات الضامّة تدور إلى مكانها. وببطء تلاشت أصوات الصدى. وبينما هم ينتظرون تحت الضوء القرمزي الخافت، شعر كراين برعشة قابضة للصدر، وبرائحة بحرية خفيفة ذكرته بالحياة في جوف الغواصة.

بعد لحظات قليلة، سمعت ضجة احتكاك أخرى عالية. جاءت هذه المرة من أمامهم، ثم تراجعت فتحة الكوة الأمامية المقابلة لهم. عبروا إلى حجرة صغيرة. ومرة ثانية أقفلت الطريق وراءهم تلقائياً. الرّعشة والرائحة كانتا أكثر وضوحاً الآن. وفي نهاية الحجرة، كان ثمة كوة فولاذية ثالثة - أكبر وأثقل من سابقتها. كانت المصاريح الدائرية تبقي الفتحة مغلقة، وكانت محروسة باثنين من جنود البحرية المسلحين. كان ثمة إشارات عدة تحذر من الخطر، وتعدد الكثير من المحظورات، وقد كانت هذه الشارات مثبتة إلى جدران الحجرة.

وللحظة، انتظر الجميع في صمت بينما قام الجنود مرة ثانية بالكشف على أوراق رينو. ثم استدار أحدهم وضغط على زر أحمر موجود على لوحة المفاتيح. سُمع صوت جرس حاد. وبجهد واضح أدار الجنود كلاً من المصاريح الثقيلة نصف دورة. ثم معاً أداروا العجلة العملاقة للكوة بعكس اتجاه عقارب الساعة. كان هناك صوت ارتطام حديد، ثم صوت هسيس الهواء الهارب عن طريق الكوة التي كانت قد تحررت من خاتمها. شعر كراين أن أذنيه تنتفخان. دفع الجنود الفتحة إلى الخارج ثم أوماً أحدهم إلى بقية المجموعة كي تتقدم. تقدم عاملاً المطبخ اللذان يحملان غلائق الطعام، أولاً. ثم

تبعهما كل من كونراد ورينو. دخل كراين وراء الجميع  
جاهزاً لسؤال جديد. لكنه تجمّد في الممر محدّقاً  
بنظرات مستقيمة إلى الأمام. أما السؤال، فقد غاب عن  
باله فجأة.

كان يقف عند حافة هاوية عميقة سوداء. هذا هو الانطباع الذي انتابه، في بداية الأمر على الأقل. وحالما ألفت عيناه الضوء الخافت، أيقن أنه كان في ممر ضيق مغلق يؤدي إلى خارج جدار المنشأة. وكان الحائط العملاق يشمخ فوقه، كما يمتدُّ تحته، كما أنه كان مشبوكاً من حوله بشبكة من السلالم والأدراج التي تهبط اثنتي عشرة طبقة بشكل عمودي في الأعماق والظلام. للحظة شعر بموجة من الدوار. وبسرعة مدَّ يده ليتمسك بالسياج الفولاذي. وقد أيقن بشكل غامض أن أحد الجنود كان يتكلم معه.

"سيّدي" كان الجندي يقول له، "لطفاً اخرج، لأن هذه البوابة لا يمكنها أن تبقى مفتوحة على الدوام."

"أسف،" قال كراين وهو يسحب بسرعة قدمه الأخرى عن العتبة. وعندها أقفل الجنديان باب الفتحة، الثقيل. ومن الداخل جاء صرير الأقفال وهي تنغلق.

تطلع كراين حوله، وهو لا يزال متمسكاً بالحاجز. وعلى مسافة ممتدة أمامه، نهض حائط معدني متحدّب لا يكاد يُرى تحت الضوء الخافت: إنه الحائط الخارجي للقبة. كانت أنوار الصوديوم موزّعة خلاله على مسافات

متباعدة، لكنها منتظمة. وكانت هذه الأنوار ذات إضاءة ضعيفة. تطلع إلى الأعلى، وتابع بأنظاره ارتقاء القبة الهائلة المستديرة حتى منتهى ذروتها الواقعة مباشرة فوق المنشأة. كان ثمة أنابيب معدنية صاعدة من سطح المنشأة إلى داخل القبة. هذه الأنابيب، حسبما افترض، كانت محابس الهواء التي تؤمّن وصوله إلى غوّاصات الأعماق وإلى سفينة الهرب.

ثم سقطت نظرتُه نزولاً من القبة إلى المدخل الذي هو فيه. لقد اتسع المدخل أمامه، ليصبح منحدرًا لطيفاً يدور بشكل لولبي في الفجوة العميقة الواقعة بين المنشأة وبين القبة. وكان بقية أعضاء المجموعة قد تقدموه في ترفي المنحدر إلى الأعلى في اتجاه المصطبة المثبتة إلى جدار القبة. أخذ نفساً عميقاً، ثم أرخى قبضته عن الحاجز، وبدأ في اللحاق بهم.

كان الهواء أكثر صقيعاً هنا، كما كانت رائحة البحر أكثر إعلاناً عن نفسها. وبينما كان يمشي، سمع وقع أقدامه على الأرضية الحديدية للممر الضيق. وكان للوقع دويٌّ له رجعٌ أصداً تتردد في الفضاء الواسع. وللحظة صار لديه صورة ذهنية عن المكان الذي هو فيه. إنه في قاع المحيط، يمشي على جسرٍ ضيقٍ يقع بين بناء له شكل صندوق معدني مقفل، علوه اثنتا عشرة طبقة، وبين قبة هائلة تعلو البناء المذكور وتحيط به، بينما كان ثمة فضاء فارغ بين المنشأة وبين الغلاف الداخلي للقبة يمتد من ذروتها حتى قاع المحيط. لقد أزعجه هذا الشعور، فحاول أن يطرده من ذهنه، وأن يركّز بدلاً من ذلك على مسألة اللحاق بالجماعة، التي كادت الآن أن تطأ عتبة المصطبة المذكورة.

كان كونراد يمشي وراء رينو والموظفين من طاقم

المطبخ وقد صار كراين الآن يطأ الأرض إلى جانبه.  
"وهنا اعتقدت أن الاستقبال سيكون في غرفة صغيرة  
لطيفة" قال، "ولربما احتوت على جهاز تلفاز، وبعض  
المجلات على المناضد."

ضحك كونراد. "يأخذ الأمر بعض الوقت للاعتياد على  
هذه الأشياء، أليس كذلك؟"

"تستطيع أن تقول ذلك. لم يكن لدي فكرة أن الفضاء  
الواقع بين المنشأة وبين القبة هو فضاء مضغوط، وكنت  
أخاله أنه مليء بالمياه."

"إن المنشأة لم تكن مصممة للعمل عند مثل هذه  
الأعماق. وتحت مثل هذا الضغط، فإنه لم تكن لتصمد  
دقيقة واحدة من تلقاء ذاتها. فالقبة تؤمن لنا الحماية.  
وكان أحدهم قد شرح لي أنهما يعملان معاً، كما يعمل  
البدن المزدوج في الغواصة، أو شيء من هذا القبيل.  
وفي الحقيقة لم أستطع فهم هذه الفكرة، إن شئت أن  
أكون صريحاً معك."

هزَّ كراين برأسه موافقاً. إن هذه الفكرة لا يبدو  
المنطق فيها جلياً. فهي بمعنى من المعاني تشابه  
الغواصة، بهيكلها الداخلي المضغوط، وهيكلها  
الخارجي المضغوط أيضاً، وبخزانات حفظ التوازن  
الواقعة بينهما.

"لقد لاحظتُ وجود مجموعة من الأدراج في خارج  
جسم المنشأة. ما الحاجة لهذه الأدراج بحق السماء؟"

"كما قلت لك، إن المنشأة معدة في الأساس للعمل  
في أعماق أكثر ضخالة من هذه، حيث لا يكون ثمة  
حاجة لمثل هذه القبة الوقائية. لذلك فإنني أعتقد أن

تلك الدرجات كانت مصممة في الأساس لكي يستعملها الغواصون للتسلق صعوداً ونزولاً حول جوانب المنشأة، عندما يريدون القيام بأعمال الصيانة أو سواها.

التفت كراين وراءه فلاحظ وجود دعامتين عرضيتين كبيرتين أشبه بأنبوبين يمتدان أفقياً من الطرفين المتقابلين للقبة إلى المنشأة حيث يلتقيان بها عند نقطة هي أعلى بقليل من مركزها. وقد أيقن كراين أن هاتين الدعامتين هما اللتين أخبره عنهما أيشر ودعاهما برامق الضغط، أي أنهما كناية عن أنبوبين مفتوحين على مياه البحر كوسيلة أخرى للتعويض نوعاً ما عن الضغط الهائل. ومن هذه المسافة، فقد ظهرا كأنهما شعاعاً دولاب. لكنهما بديا بالنسبة إلى كراين أكثر شبهاً بسفودٍ للشبواء شكَّت به المنشأة. وسواء أكانت هذه الأنابيب للتعويض أم لغير ذلك، فإن كراين لم يستسغ أن يجد البحر يُطبق من جميع الجوانب من حول الصندوق الحديدي الذي يعيش الآن فيه.

وصلوا الآن إلى المصطبة التي ينتهي إليها المنحدر الضيق اللولبي، وكانت مساحتها حوالي العشرين قدماً مربعاً، وهي مثبتة بأمانٍ إلى الجانب الداخلي من جدار القبة. وكان ثمة فتحة صغيرة تؤدي إلى غرفة صمامية تعمل بالهواء المضغوط، موجودة عند جانب من بدن القبة، وكان باب الفتحة شديد الضخامة ويقوم على حراسته عدد أكبر من جنود البحرية. كانت هذه الفتحة بحسب كراين، تؤدي إلى عمق البحر المحيط ببدن القبة من الخارج. وما من شك في أن الحوض سوف يرسى نفسه هنا، وسوف تُجلب التموينات إلى الداخل من خلال هذا المعبر الصمامي المضغوط بالهواء.

كان ثمة رهطاً من الناس الذين سبقوهم إلى الانتظار عند هذه المصطبة. فمنهم التقنيون في معاطف المختبر، ومنهم عمال الصيانة في سترات القفز. وكان معظمهم قد جلب معه حاويات من مختلف الأحجام. أما عناصر فريق الصيانة فكانوا قد جلبوا أكبر هذه الحاويات حجماً. حاويات سوداء، بلاستيكية، ذات عجلات، لها أحجام تجعل من الصعب تمريرها خلال غرف الصمامات الهوائية. لقد اعتقد كراين أن هذه الحاويات لا بد من أن تحتوي على نفايات يتم إرسالها إلى السطح.

وقرب الفتحة، كان ثمة لوحة تحكّم تعمل عليها امرأة أنيقة في زيٍّ عسكريٍّ. وكما لاحظ كراين، فإنها نقرت على عددٍ قليلٍ من المفاتيح، وحدّثت في شاشة صغيرة. "تصل الرحلة في وقتها مع تأخير دقيقتين،" قالت في قرارة نفسها.

كان هناك بعض التنهات البرمة من الجماعة. "تأخر مرة جديدة." دمدم أحدهم.

خفّت الآن وطأة الدوار الذي كان يشعر به كراين. وانتقلت عيناه تنتقلان من المرأة التي تشرف على المحطة إلى جدار القبة نفسها. كان الانحناء لطيفاً ومحكم الصنعة والاستدارة بحيث يعطي أكبر قدر من المتانة، كما أنه كان متعة للعين والنظر. ومن المذهل أن يفكر المرء بالضغط الهائل الذي تقع تحته هذه القبة. إنه ضغط آتٍ من الحجم الذي لا يمكن تصوّره من المياه الضاغطة على سطح القبة. إنه ضغط علمته حياته في الغواصات ألا يركن إليه. ومن دون وعي منه، مدّ يده، ومسح بها برفق سطح القبة الداخلي. لقد كان السطح جافاً، ناعماً، وبارداً.

نظر رينو، رئيس المطبخ، إلى ساعة يده بنوع من قلة الاصطبار، ثم استدار نحو كراين. "وهكذا يا دكتور،" قال بنوع من الشعور بالرضى، "يصل الحوض، ثم يقوم رجالي باستخراج المواد الغذائية منه، ثم يقوم كونراد بإعداد لائحة تفقد للواردات لكي يتأكد من أن لا شيء قد فات وصوله سهواً، وكل ذلك تحت إشرافي. هل صار كل الشرح كافياً؟"

"نعم،" أجابه كراين.

"تصل الرحلة بتأخير دقيقة واحدة،" نادى المرأة.

اقترب رينو أكثر. "هل لديك أسئلة أخرى؟" سأله. ثم نظر ثانية إلى ساعة يده كأنه يقول لو كان لديك أي أسئلة جديدة أسألها الآن بينما أنا أضيّع دقيقة من وقتي الثمين على أي حال.

"هل اشتكى أي شخص آخر من موظفيك من مشاكل صحية في المدة الأخيرة؟"

"إن طاهي المرق عندي مصاب بالتهاب في الجيوب الأنفية. لكن ذلك لم يعطله عن العمل."

كان كراين قد توقع هذا الجواب. والآن، وبعد أن استوفى أسئلته عن طريقة معالجة الطعام وتداوله، فقد بات تواقاً إلى العودة إلى العمل على مسألة إمكانية التسمم بالمعادن الثقيلة. بدأت مقلته بالتجوال والطواف حول الرهط المحتشد، كما إلى المرأة الجميلة الجذابة عند محطة الرقابة، وإلى حاجز إنشائي كبير يقربها. نقط من البخار المتكثف كانت تقطر من قعر الحاجز ببطء. كان يحدوه إغراء لكي يقول وداعاً لهذا الجمع، ثم يقفل عائداً إلى الممر، ثم إلى الفتحة

المؤدية إلى داخل المنشأة. لكنه كان شديد التأكد من أنه يحتاج إلى أوراق رينو كي يُسمح له بالدخول.

كان هناك صوت غليظ مكتوم عند الجانب البعيد من القبة، اهتزت له المصطبة قليلاً. وصل الحوض الآن. بدأ الناس يتحركون حول المكان، استعداداً لانفتاح المغلاق الهوائي.

"الرسو تمّ بنجاح،" أعلنت المرأة. "بدأت الآن عملية إفراغ الهواء من حجرة التوصيل."

"وماذا عن أنماط السلوك الاجتماعي؟" وجه كراين سؤاله إلى رئيس الطهارة. "هل سبق أن تصرف أحدهم بطرق غير مألوفة؟"

عبس رينو "تقول غير مألوفة؟ ماذا تعني بهذه الكلمة؟"

لم يجبه كراين. عادت نظرتة المتجولة إلى الحاجز الكهربائي حيث بات الماء المتكثف يتساقط بقطرات غزيرة الآن. إنه شيء غريب، فكر في نفسه، لماذا ينبغي أن يحصل التكثف أصلاً - ؟

سُمع صوت عالي الطبقة، يشبه صوت قطة تنقبأ، وكان الصوت وجيزاً جداً، لدرجة أن كراين لم يكن متأكداً من أنه قد سمعه فعلاً. وفجأة، برز انبجاس للماء، لا يزيد قطر مصدره عن رأس دبوس، في النقطة التي كانت ترشح منها نقاط الماء من قبل. وللحظة حدّق كراين في مصدر الماء بعين غير مصدّقة. كان نفث الماء يسير في خط أفقي تماماً وكأنه شعاع من ضوء الليزر، وكان للماء صغير وغليان، ثم لا يلبث خطه أن ينحني إلى الأمام على مسافة لا تقل عن مئة قدم من مصدره، حتى أنه

يكاد يصل إلى جسم المنشأة ذاتها قبل أن تبدأ الجاذبية  
بجذبه نزولاً في قوسٍ متدرّج.

مرّت لحظة من الصمت المذهل. ثم انطلق صوت  
بوق يعوي منذراً. "صدعٌ في المحيط الدائري. هذه حالة  
طوارئ".

علت صرخة دهشة من الجمع المحتشد فوق  
المصطبة. أمسكت المرأة ذات اللباس العسكري جهاز  
الراديو العائد لها، ثم تكلمت عبره بسرعة. "هذه واي  
برايت تتكلم من محطة مراقبة الحوض. لدينا تسربٌ  
بحجم الدبوس في قناة أسلاك المراقبة. أكرر، الخلل  
هنا، الصدع هنا! أرسلوا فريقاً لاحتواء الصدع على  
الفور!"

أطلق أحدهم صرخة، وتراجع الجمع إلى حوافِ  
المصطبة. بدأ قليل من الناس بالانحدار نزولاً على  
المنحدر اللولبي في اتجاه المنشأة.

"إن الثقب سوف يتسع!" صاح أحدهم.

"لن نستطيع الإكتفاء بانتظار وصول فريق الإصلاح!"  
قال كونراد قبل أن يمدّ يده كي يقفل الصدع بها.

إندفع كراين فوراً إلى الأمام. "لا تفعل هذا!" صرخ  
به، ماداً ذراعه لجذب كونراد إلى الوراء. لكن قبل أن  
يتمكن من فعل ذلك، كانت يد كونراد اليسرى قد مرّت  
عبر سهم الماء المنطلق.

وبدقة تضارع دقة مبضع طبيبٍ جراح، كان الماء  
المضغوط قد قطع كل إصبع من أصابع يد كونراد عند  
مستوى العقدة الثانية.

صارت المصطبة الآن مسرحاً للجلبة: صيحاتٌ

وصرخاتٌ دهشةٍ وروع، إضافةً إلى الصوت الصارخ لتوجيه الأوامر. سقط كونراد إلى الأرض يعتصر يده المصابة بينما فمه فاغر بالدهشة. صار الممر الحديدي الضيق يرتج تحت وقع الأقدام التي تتعل الأحمدة العسكرية، "كان ذلك بعد أن انفتحت فتحة الطريق الصّمامي المؤدي إلى المنشأة، وخرج منها رجال في ملابس ثقيلة، ليندفعوا في اتجاه الجمع المحتشد على المصطبة، فيما كانوا يحملون في أيديهم أجهزة صيانة ضخمة. في هذا الوقت، خفض كراين هامته إلى الأرض، وعمل ما بواسطة لتجنب نفث الماء، والتقط الأصابع المبتورة عن الأرض، ووضعها بكل عناية، الواحدة بعد الأخرى، في جيب قميصه.

## 18

وقف الأدميرال ريتشارد أوليسس سبارتان عند زاوية من المصطبة المعدنية وقفة صارمة الانتصاب، يحدّق دون كلام في المشهد الدائر حوله. فمنذ عشر دقائق، عندما وصل إلى المكان قبل غيره، كانت مصطبة الانتظار المثبتة إلى جدار جسم القبة الداخلي أشبه ما تكون بحلبة في مستشفى للمجانين: عمال إنقاذ ومسعفون طبيون ومهندسون جنود وضباط بحريون في بزّاتهم العسكرية؛ كما كان هناك عالم مرعوب متسمراً تحت حالة من الهستيريا في مكانه ويرفض الترحيح. أمّا الآن، فقد أصبح المشهد أكثر هدوءاً. وقف جنديان عند حافة الممر الضيق يمنعون دخول المزيد من الناس إلى المصطبة. تجمّع بعض المهندسين وعمال الإصلاح حول سدّادة التيتانيوم التي تمّ الآن تثبيتها فوق نقطة الصدع والتسرب التي لا تتجاوز حجمها رأس دبوس، بينما انحنى عامل تنظيف واحد على الأرضية المضلّعة مع سطلٍ له يمسح بقع الدم عن وجه المعدن.

تجهم سبارتان وهو يراقب هذا المشهد بكامله. كان يكره الصدوع والأخطاء ولا يتحملها. فالصدوع، حتى البسيطة منها، يجب ألا يكون لها مكان في العمليات العسكرية. وكان هذا يصدق أكثر ما يصدق على مرفقٍ

مثل هذا، حيث التوقعات المرجوة منه كبيرة، والمراهنات المعقودة عليه عالية جداً، والبيئة شديدة الخطر. كانت المنشأة عبارة عن جهاز شديد التعقيد. إنها شبكة رائعة من الأجزاء التي يعتمد بعضها على البعض الآخر. فهي أشبه ما تكون بجسم الإنسان. وكون هذه المنشأة قادرة على العمل كان يعتبر أعجوبة من عجائب عبقرية الهندسة. ولو أزلت مجرد واحدٍ فقط من الأجهزة الأساسية، فإن نتيجة دورة التفاعل لن تكون سوى تعطيل باقي الأجهزة بكاملها. ولسوف يموت الجسد بكامله، كما تتعطل المنشأة بكاملها.

ازدادت حدقتا سبارتان تضيُّقاً. لقد باتت الحقيقة قريبة من التحقق، بشكل مقلق في هذه اللحظة بالذات. والأسوأ من ذلك كله، أنها على ما تبدو ناتجة عن عنصر آخر هو أسوأ بكثير من الخطأ. إنه تدخل يد بشرية مخرّبة.

حركة ظهرت في حقل نظر عيني سبارتان. استدار جانباً، فرأى شبح الضابط كوروليس يتقدم نحوه على الممر الضيق آتياً من المنشأة. وصل كوروليس إلى المصطبة ومعه حارسان سرعان ما تراجعاً إلى الخلف.

دنا كوروليس من سبارتان مؤدياً له تحية عسكرية بارعة. ردّ سبارتان على التحية بإيماءة من رأسه. وكان كوروليس هذا، يعاني من مشكلة صحية تدعى الحول الخارجي: ذلك أن إحدى عينيه تستطيع النظر إلى الأمام بصورة طبيعية، بينما الأخرى تتجه نحو الخارج. لكن هذه الحالة لم تكن بالغة السوء، إلا أنها تجعل من الصعب على المرء أن يعرف متى يكون كوروليس محدقاً إليه، وأي العينين هي التي تقوم بالتحديق، وما إذا كان صاحبهما ينظر مباشرة نحو مخاطبه أم لا. ولا بد

أن هذا الأمر يخلق شعوراً غير مريح. وقد برهن هذا الشعور عن نفع كبير عند عمليات التحقيق، وسواها من المواقف الأخرى. وعندما ينحصر الأمر بين سبارتان وبين نفسه، فإن كان يأنف من هذا الولع المتفرد لذهن كوروليس بالسريّة العسكرية. لكن لا بدّ له رغم ذلك أن يعترف بولاء هذا الرجل المتطرف لعمله.

وكان كوروليس يتأبط تحت ذراعه ملفاً أبيض رقيقاً. قام الآن بتسليم الملف إلى سبارتان. فتحه الأدميرال. فإذا بداخلة ورقة واحدة مطبوعة.

نظر سبارتان إلى الملف في لمحة واحدة، ومن دون أن يقرأ محتوياته، نظر إلى كوروليس وقال: "هل هو مؤكّد."

هزّ كوروليس برأسه إيجاباً.

"والمضمون أيضاً؟"

"نعم،" أجاب كوروليس. "لقد كانت المسألة مجرد حظّ أن يحصل الشرح في المكان الذي حصل فيه هذه المرة."

"حسناً. وماذا عن رجالك الجدد؟"

"سوف يصلون في غضون دقائق."

"مفهوم." وبذلك أعطاه سبارتان إشارة الانصراف بهزة من رأسه.

بقي دقيقة واقفاً يراقب بإمعان الضابط وهو ينسحب عبر الممر الضيق اللولبي، إلى أن لم يبقَ من كوروليس سوى ظلّ صغير أمام مدخل المنشأة. عند ذلك ألقى سبارتان نظرة جديدة إلى الملف، وفتح

وجال ببصره على سطور الورقة الموجودة بداخله. وقد كان لمحتويات تلك الورقة تأثيراً عليه، وبدا ذلك من خلال انقباض عضلات فكيه.

لكن الأصوات المرتفعة أعادته إلى الانتباه. نظر الأدميرال ليري آيشر يتجادل مع الحراس الذين كانوا يمنعونه من الصعود إلى المصطبة. تطلع آيشر صوب سبارتان، فأوماً الأدميرال برأسه إيداناً للحراس بالسماح للرجل بالدخول. تراجع الحارسان، فدخل آيشر وهو يتأفف قليلاً.

"ما الذي آتى بك إلى هنا، يا دكتور؟" سأله سبارتان بلطف.

"جئت لأتحدث إليك."

"لقد ظننت ذلك."

"إنك لم تردّ علي مكالماتي، ولا علي رسائلي الالكترونية."

"كنت منشغلاً قليلاً،" قال سبارتان. "لقد طرأت عليّ بعض المسائل الهامة."

"إن ما أرسلته إليك كان علي أهمية كبيرة أيضاً. فتقرير الباحث الذي أوفدناه يفيد عمّا وجدته في مكتبة قلعة غريم وود. هل قرأته؟"

شردت نظرات سبارتان للحظة في اتجاه المهندسين العاملين على إحكام مكان الصدع، قبل أن يعيد النظر إلى كبير العلماء. "لقد اطلعت عليه بسرعة."

"إذن أنت تدرك ما أقوله؟"

"بصراحة، يا دكتور، إنني متعجب قليلاً. كيف يكون

لرجل علمٍ موثوقٍ بهٍ مثلك، أن يغرب عن بآله أن كل هذا الشيء يمكن ألا يكون سوى ضرب من أعمال الخيال. فأنت تعلم مدى ولع الناس بالخرافات. فمن روايات قديمة عن الشياطين، والساحرات، ووحوش البحار موثوق به وسوى ذلك، إلى السخافات التي لا حصر لها. وحتى وإن توهمنا أن هذه الرواية حقيقية بالتصديق، فإنها لا تتعلق لا من قريب أو من بعيد بهذا الشأن الذي ينصبُّ عليه اهتمامنا هنا.

"لو أنك قرأت الوثيقة جيداً لكنت قد اهتديت إلى مرادفاتِها." بدا آيشر، الذي يكون في العادة رائقاً وهادئاً ومتمالكاً لنفسه، ثائراً هائجاً الآن. "بالطبع، من الممكن ألا تكون ثمة صلة بين الموضوعين. لكن، إن لم يكن لهذه الوثيقة من شيء آخر تقوله لنا، فإنها على الأقل تؤكد لنا على ضرورة التروِّي والتمهُّل في عملنا حتى يتسنى لنا أن نعرف المزيد عما هو موجود هنا تحتنا."

"الطريقة الوحيدة لعمل ذلك بأي درجة من اليقين إنما تكون بالكشف عنه واستخراجه. لقد تعلمنا حتى الآن شيئاً لا يستهان به، كما أننا وجدنا أشياء منه – وأنت وحدك تعرف تلك الحقيقة."

"نعم، ولك أن تنظر إلى النتائج. أناس أصحاء يقعون تحت وطأة المرض بأعداد تدعو إلى الهلع. وأناس لم يُعرف عنهم أيُّ سوابق نفسانية، يقعون في نوبات من المرض العصبي."

"وأنت قد استقدمت أحدهم لكي ينظر في ذلك الأمر. فماذا تراه يفعل؟"

اقترب منه آيشر مسافة أخرى. "إنه يعمل فيما يداه مكتوفتان، لأنك لم تعطه إذناً بالوصول إلى الطبقات

الدنيا، حيث تدور أحداث القصة الحقيقية.

ألقي عليه سبارتان ابتسامة باردة. "لقد بحثنا هذه المسألة من قبل. السرية تأتي في المقام الأول. بتر كراين هو مجازفة بسرية المشروع."  
"إنه أقل مجازفة بكثير من -"

لكن سبارتان أوماً إليه بالسكوت. تراجع آيشر متابعاً نظرة سبارتان. عبر شخص جديد إلى المصطبة: شخص عضلي حمرة الشمس، يرتدي ثياب ميدان عسكرية قاتمة، ويحمل كيساً من القماش الخشن لأمتعته العسكرية الشخصية. كان شعره الحديدي اللون قصيراً جداً. وعندما وقع نظره على سبارتان، تقدم نحوه وحياه بتحية عسكرية بيّنة.

"المؤهل ووبرن يمثلُ لديكم طبقاً للأوامر يا سيدي،" قال له.

"أين رجالك أيها المؤهل؟" سأله سبارتان.

"إنهم ينتظرون خارج مجمع الضغط."

"إذن، انضم إليهم، وسوف أجعل الضابط كوروليس يدلكم إلى أماكن نزولكم."

"حسناً، علم يا سيدي." أذى الضابط تحية عسكرية أخرى قبل أن يستدير بطريقة عسكرية.

استدار سبارتان من جديد نحو آيشر. "أعدك بأنني سوف أفكر في طلبك."

كان آيشر قد بقي صامتاً خلال المبادلة القصيرة بين الرجلين. وكانت نظره تتحرك بين وجه الرجل الغريب، وبين الشارة المعلقة على بزّته العسكرية. والآن قال

مواجهاً سبارتان. "من هو ذلك الرجل؟"  
"إنك بكل تأكيد قد سمعته يعرف عن نفسه. إنه  
ضابط الصف، المؤهل ووبرن."

"تستقدمون المزيد من العسكر؟ لا بد من أن يكون  
هناك خطأ ما."

هزَّ سبارتان رأسه. "لا أخطاء. إنهم هنا بناء على  
طلب الضابط كوروليس. وسوف يأخذون أوامرهم منه  
مباشرة. إنه يعتقد أننا بحاجة إلى المزيد من الرجال من  
أجل تعزيز الأمن."

صار وجه آيشر قامتاً. "إن التعزيزات البشرية  
الجديدة هي قرارات يجب أن تكون مشتركة بيننا يا  
أدميرال، نتخذها بصورة جماعية معاً كفريق واحد. ثم إن  
هذه الشارة، فالرجل هو -"

"لسنا هنا في وضع يسمح لنا بممارسة  
الديموقراطية يا دكتور، خاصة عندما يتعلق الأمر  
بسلامة المنشأة. وفي هذه اللحظة، يبدو أن السلامة  
هنا تتعرض للخطر." وهنا أعطى سبارتان إشارة خفية  
في اتجاه مجموعة المهندسين الذين يعملون عند  
أقصى زاوية المصطبة.

استدار آيشر في اتجاههم. "ما مدى سوء الصدع؟"

"لقد تمَّ احتواؤه بنجاح، كما تستطيع أن ترى. لقد تمَّ  
إرسال غواصة من السطح حيث عمل له تصفيح  
إضافي من الخارج. وقد تمَّ وضع سداة مؤقتة إلى أن  
يتم تصنيع واحدة دائمة. وهذا لا بد من أن يستغرق  
بعض الوقت. فالمساحة المصابة يبلغ طولها حوالي  
أربعة أقدام."

تجهم آيشر. "أربعة أقدام، قياساً إلى ثقب بحجم رأس الدبوس؟"

"أجل، لقد كان الثقب بحجم رأس الدبوس فقط، لكن لم يقصد إحداثه بهذا الحجم فقط."

وللحظة بقي آيشر صامتاً، يحلل هذا الكلام. "لست واثقاً من أنني فهمتك."

أشار سبارتان من جديد في اتجاه المهندسين. "أترى ذلك الفاصل الإنشائي حيث حصل الخرق؟ إنه يؤدي مباشرة إلى غرفة المحبس الهوائي حيث توجد مفاتيح التحكم المغنطيسية والكهربائية التي تقوم بفتح الكوة. وعندما قامت فرق الطوارئ العاملة لدينا بقفل الصدع، لاحظوا وجود شذخ طوله ثلاثة أقدام، يمتد من هذا الثقب الذي هو بحجم رأس الدبوس حتى غرفة المحبس الهوائي."

"شذخ،" أعاد آيشر ترداد هذه الكلمة ببطء.

"هنا، على طول الجدار الداخلي للقبة. وقد تم إحداثه بواسطة آلة قاطعة ليزرية محمولة، حسبما نعتقد. ثم أن هنالك تحقيق مفصل يأخذ الآن مجراه. إن هذا الشذخ قد هدّد سلامة عمل الفاصل الإنشائي بكاملها. فقد كان من الممكن له أن يتعطل في أي لحظة، مع أن العطل كان من المرجح أن يحصل خلال لحظة حرجة عالية الإجهاد، مثل لحظة رسو الحوض. ولحسن الحظ أن الشذخ الذي تم إحداثه بواسطة الليزر لم يعمل بطريقة محكمة، فقد تفاوت عمقه بين نقطة وأخرى. ومن هنا نشأ الثقب الذي لم يتجاوز حجم رأس الإبرة إتساعاً." ولو نجح الشذخ في عمل ما جرى التخطيط له، لكان ثقب الدبوس قد امتد إلى الفاصل

الإنشائي وإلى المحبس الهوائي نفسه..."  
"تمزيق فتحة الدخول،" تتم ايشر. "إحداث شدخ  
كبير للبدن."

"شدخ نهائي فتاك، وخلف أي إمكانية إحاطة."  
"وهذا الشدخ الذي تتكلم عنه. أتعني أنه لم يكن  
حادثة عابرة؟ هل تريد أن تقول إنه كان عملاً تخريبياً  
متعمداً؟"

للحظة، لم يفه الأدميرال بأي جواب. ثم، وببطء، رفع  
سبابته - ومبقياً نظره على ايشر - ووضعها بشكل  
عمودي فوق شفتيه.

## 19

تراجع كراين عن عدسة المجهر المحاطة بإطار مطاطي، ثم مسد وجهه بكلتي يديه. التفت حوله في المختبر في انتظار أن يتكيف نظره مع ضوء الغرفة من جديد. وشيئاً فشيئاً صارت صور الأشياء تتوضح أمام ناظره، وكان ثمة تقني طبي يعمل في الغرفة على تركيب معايرة كيميائية. كما كان تقني آخر يدخل البيانات إلى محطة للحاسوب. أما قبالة تماماً تستعمل منظراً نقلاً لفحص الصور الساكنة. وكما لاحظ، فإنها هي أيضاً تراجعت في مقعدها إلى الخلف، وهكذا التقت نظراتهما.

" يبدو عليك الشعور بالتعب تماماً مثلما هو حالي أنا، " قالت له.

أوما كراين برأسه موافقاً معها. فلقد كان متعباً للغاية. مضى عليه في العمل عشرون ساعة من دون توقف. فقد بدأ مع عملية جراحية دقيقة مضمّنة لإعادة ترميم الأجزاء المبتورة من أصابع كونراد في مكانها. ثم انتقل إلى متابعة لا تنتهي للفرضية القائمة على وجود تسمم بالمعادن الثقيلة.

وإلى جانب التعب الذي يشكو منه، كان هناك

الشعور بخيبة الأمل. ففي الواقع، وحتى ذلك الوقت، لم تظهر بعد إيجابيات في النجاح في عزل أي دلائل على وجود تسمم بالمعادن الثقيلة بين أفراد القوى العاملة في عاصفة الأعماق. فمن تحليلات عينات الشعر، إلى تحاليل البول، إلى غيرها من العينات، كانت النتائج تصل إلى لا شيء. لقد كان يقوم الآن مع بيشوب على معاينة شرائح الفحوص بواسطة مطياف فلورة الأشعة السينية المشتتة. ولكن مرة جديدة، لم يظهر شيء يستحق التوقف عنده. أما المناطق المزدحمة من المنشأة، فقد تبين أنها نظيفة من كل ما يثير الانتباه.

أصدر تنهيدة عميقة. لقد كان شديد الإقتناع أن التسمم بالمعادن الثقيلة ينبغي أن يكون هو الجواب الصحيح. لكن كل اختبار كان يجريه لإثبات هذه الفرضية كان يأتي بنتيجة سلبية. وهكذا بدت فرص الوصول إلى نتيجة في هذا الموضوع تتناقص بشكل مستمر. من ناحية أخرى، مخيبة للأمل أيضاً، فإن جهود التنقيب في بيانات المرضى، التي تتولاها جاين راند، لم تسفر أيضاً عن العثور على أي مؤشر.

"أنت بحاجة إلى بعض الراحة" قالت له بيشوب.  
"قبل أن تصبح أنت نفسك مريضاً عندنا."

تنهّد كراين من جديد، ثم تمدّد. "أعتقد أنك على حق." وقد كانت فعلاً كذلك: فقد خشي أن يصبح بعد قليل كليل النظر إلى درجة لن تسمح له بقراءة الشرائح بشكل دقيق. لهذا نهض مودّعاً بيشوب وبقية العاملين معها، قبل أن يخرج من الجناح الطبي.

ومع أن معظم الأماكن في المنشأة بقيت مناطق

مجهولة بالنسبة إليه، إلا أنه كان يعرف طريقه من الجناح الطبي إلى محل إقامته بما يكفي لكي يقوم برحلته هذه من دون توقف للتفكير الواعي. إذ كان عليه أن ينزل إلى باحة التايمز، ثم ينحرف يساراً ماراً أمام المكتبة والمسرح، ثم يصعد طبقة واحدة بواسطة المصعد، ليذهب يساراً من جديد، ثم ينحرف مرتين إلى اليمين. تناءب بينما هو يفتح باب حجرته مستخدماً بطاقة الدخول. كان غير قادر على التفكير. لكن ست ساعات من النوم الجيد كانت كافية من وجهة نظره لكي تعيد الأمور إلى نصابها. ولربما سيسعفه ذلك أيضاً في العثور على الجواب الذي ما زال يفلت منه.

دلف إلى الداخل متثائباً من جديد، ووضع حاسوبه اليدوي على المنضدة. ثم استدر فتجمد في مكانه دهشة.

كان هاوارد آيشر يجلس على الكرسي المخصص للزائرين، كما كان ثمة شخص آخر مجهول برداء المختبر، يقف إلى جانبه.

تجهم كراين في دهشته. "ماذا تفعل -" بدا كلامه.

أعطاه آيشر إشارة جافة بوجوب التزام الهدوء، بواسطة يده اليمنى، ثم أوماً إلى الرجل الذي يرتدي رداء المختبر. وفيما كان كراين يراقب، قام الرجل الغريب بغلق وإقفال باب الغرفة إضافة إلى بابي الحمام.

جلى آيشر حنجرته بهدوء. ولم يكن كراين قد رآه سوى لماماً منذ لعبة الإسكواش. كان وجهه متعباً ومتألماً، كما كان ثمة وميض مسكون في عينيه، وكأنه شخص يطرد الأشباح التي تطارده.

"كيف أصبحت ذراعك؟" سأله كراين.

"إنها ما انفكت تؤلمنى قليلاً في اليوم أو اليومين الماضيين." صارحه آيشر.

"عليك بالانتباه. فإن نقص التروية الوعائية يمكن أن يؤدي إلى تقرُّح، وحتى إلى الفرغرينا إذا شاب وظيفة العصب أي خلل. يجب عليك أن تدعني -"

لكن آيشر قطع عليه الحديث بإشارة أخرى من يده. "ليس هناك متسع من الوقت لهذا الحديث الآن. علينا أن نتحدث معك بهدوء. إن جارك روجيه ليس في الغرفة المجاورة الآن، لكنه قد يأتي في أي لحظة."

كان هذا آخر ما توقع كراين أن يسمعه. أشار برأسه مدعناً ذاهلاً.

"لم لا تجلس؟" قال آيشر مشيراً إلى كرسي المكتب. ثم انتظر حتى استقر كراين في كرسيه قبل أن يستأنف الكلام.

"إنك على وشك العبور فوق عتبة جديدة يا بيتر،" قال بصوت خافت من جديد. "سوف أفضي إليك بشيء ما، وعندما أقوم بإخبارك عنه، لن يكون لك مكان للعودة. كما أن الأشياء لن تبقى هي نفسها بالنسبة إليك من جديد، أبداً. سيكون هذا العالم قد تغير جذرياً بالنسبة إليك لينقلب إلى عالم جديد. هل تفهم ذلك؟"

"ولم عليك أن تخبرني،" قال كراين، "فلقد كنت على وشك أن تقول لي في المرة الماضية في قاعة الإسكواش أنني على حق في ما اعتقده من أن الأمر لا يتعلق بالأتلانتس لا من قريب ولا من بعيد."

مرت ابتسامة مكشوفة فوق ملامح آيشر. "الحقيقة

هي حتى أغرب من هذا بكثير.

شعر كراين برعشة في عمق معدته.

ألقي آيشر كوعيه على ركبتيه. "هل سمعت من قبل بالانقطاع الموهوروفي؟"

"تبدو لي التسمية مألوفة، لكنها لم تكن واضحة المعنى لدي."

"إنها تُعرف أيضاً، على سبيل الاختصار، باسم: الانقطاع ميم. أو بتسمية ثالثة: 'الموهو'."

"إنني أتذكر أستاذي في مادة جيولوجيا البحار بجامعة أنابوليس وهو يتحدث عن الموهو."

"إذن، أنت تذكر أنها تعني الحدود بين قشرة الأرض وبين الوشاح تحتها."

أوما كراين موافقاً.

"تقع طبقة الموهو عند أعماق مختلفة في قشرة الأرض. فالقشرة تكون أكثر سماكة تحت القارات مثلاً مما هي عليه تحت المحيطات. وقد تصل سماكتها إلى سبعين ميلاً تحت سطح القارات، بينما تكون عند حيوذ معينة واقعة وسط المحيطات ضحلة بحيث لا تتجاوز بضعة أميال."

انحنى آيشر في اتجاه كراين، مبالغاً في تخفيض صوته. إن منصة ستورم كينغ للنفط مبنية تماماً فوق حيد مثل هذا في قعر المحيط"

"إذن تريد أن تقول إن طبقة الموهو قريبة من قشرة الأرض الواقعة تحتنا تماماً."

أوما آيشر موافقاً.

ابتلع كراين ريقه. لم يكن لديه فكرة عن مغزى هذا الحديث.

"لقد أخبرناك القصة المختلفة ذاتها التي أخبرناها لجميع العاملين في الطبقات غير السرية من عاصفة الأعماق، والتي مفادها أننا، وخلال عمليات الحفر الروتينية، قد عثرنا على دليل بوجود حضارة قديمة تحت قاع المحيط. وهذه القصة هي قصة حقيقة، إلى الحد الذي تذهب إليه."

أخرج آيشر مندبلاً من جيبه ومسح به العرق عن حاجبيه. " لكن للقصة بقية هي أكثر من ذلك. فأنت ترى أن فريقنا لم يعثر على أشياء صناعية، ولا على أبنية قديمة، ولا على أي شيء من ذلك. إن كل ما اكتشفوه هو مجرد إشارة."

"إشارة؟ أتعني أنها مثل موجات الراديو؟"

"إن الطبيعة الدقيقة لهذه الإشارة إشكالية. فهي أقرب إلى الأزيز الزلزالي، وهي أشبه بإشارة السونار. ولكنها ذات طبيعة مجهولة. وكل ما نستطيع أن نقوله عنها بثقة، هو إنها لا تحدث بفعل الطبيعة. ولسوف أبرهن لك صحة هذا الاعتقاد قبل مغادرتنا لهذه الغرفة."

فتح كراين فمه للكلام. لكنه توقف، إذ إن الذهول، والصدمة، والارتباك، وعدم الاعتقاد، قد ثارت كلها في داخله أخذة منه كل مأخذ.

رأى آيشر نظرة كراين البادية على وجهه، فابتسم من جديد. لكن ابتسامته كادت أن تكون حزينة هذه

المرّة. "نعم يا بيتر. والآن، نأتي إلى الجزء الصعب من الموضوع. لأن هذه الإشارة، كما ترى، من تحت طبقة الموهو، التي هي مباشرة تحت قشرة الأرض."

"تحت؟" تتم كراين غير مصدق.

أوما آيشر برأسه موافقاً.

"لكن ذلك من شأنه أن يعني –"

"بالضبط. كائناً من كان الذي يقوم بإرسال هذه الإشارة – فإننا لم نضعها نحن هناك. بل إن جهة أخرى هي التي فعلت ذلك."

للحظة بدت المحطة هادئة. جلس كراين ساكناً يحاول أن يستوعب كلَّ ما سمعه، بينما كانت كلمات آيشر تعتمل في داخله.

"خذ دقيقة تفكير وتروّ، يا بيتر،" قال له آيشر بمحبة. "أعرف كم هو صعب عليك الآن أن تُقرّ قرارك حول هذا الموضوع."

"لست واثقاً من أنني أصدّق شيئاً،" أجاب كراين في نهاية الأمر. "هل أنت متأكد من عدم وجود خطأ ما في هذه الرواية؟"

"لا وجود لأيّ خطأ. فالجنس البشري لا يمتلك التكنولوجيا القادرة على زرع أداة ميكانيكية تحت قشرة الأرض، ناهيك عن زرع أداة قادرة على بثّ مثل هذه الإشارة. وبسبب التغيير الطبيعي الذي يحدث في طبقة الموهو، فإن أجهزة التنصّت على وجه الأرض ليست حسّاسة، ولا هي على درجة كافية من التقدم التكنولوجي لكي تستطيع أن تلتقط بعض الأنواع من الموجات الصادرة من تحت قشرة هذه الأرض. ولكن بسبب وجود هذا الحديد في قعر المحيط الأطلسي، فإن طبقة الموهو عادة ماتكون ضحلة ف مثل هذه المواقع.

كل ذلك مضافاً إلى العمق الذي بلغته حفريات الآبار العائدة إلى منصة ستورم كينغ؛ والواقع أن هذه العوامل مجتمعة، قد قادت إلى اكتشاف هذه الإشارة بطريقة عرضية.

عدّ كراين من جلسته في مقعده. "تابع كلامك."

وبالطبع، فإن هدف الحكومة المباشر قد صار بعد ذلك يتجه إلى الحفر حتى الوصول إلى المصدر الذي تنبعث منه هذه الإشارة، وذلك من أجل التأكد من ماهية هذا المصدر. لقد اقتضى الأمر بعض الوقت ليتم الانتهاء من بناء، وإنشاء، ورفع دعائم، هذا المشروع؛ كما لإكمال تجهيزه بالمعدات اللازمة، وإتمام تركيبها في مواضعها. أما العمق الذي نعمل فيه فإنه يجعل الأمور في غاية الصعوبة. فهذه المنشأة كانت قد بنيت في الأصل لغايات مختلفة جداً كما أنها لم تكن معدة في الأساس للعمل في أي مكان يقارب هذه الأعماق. ومن أجل ذلك نشأت ضرورة إلى إحاطتها بهذه القبة الواقية.

"ما هي المدة التي استغرقتها تلك التحضيرات، بالضبط؟"

"عشرون شهراً."

"فقط؟" قال كراين مندهلاً. "إن شركة جنرال موتورز لا تستطيع حتى أن تصمّم نموذجاً أصلياً لسيارة جديدة في مهلة عشرين شهراً."

"لعلّ هذا يعطيك فكرة عن مدى الأهمية التي تتعاطى بها الحكومة مع هذا المشروع. وفي أي حال، فإن الحفر كان قد استمرّ منذ أكثر من شهرين تقريباً، أما

وتيرة الحفر فهي وتيرة جنوبيّة. وقد تمّ إحراز تقدّم بارز في هذا المجال. لقد تم حفر بئر أسطواناني رأسي تحت المنشأة. وما زلنا نتابع تعميقه في اتجاه مصدر الإشارة."

"وكيف يكون ذلك ممكناً؟ أليست الصخور ذائبة عند هذا العمق؟"

"القشرة الأرضية في هذا المكان رقيقة نسبياً، كما أن معدلات حرارة باطن الأرض منخفضة؛ أما الحرارة الناتجة عن النشاط الإشعاعي فهي أقل مما يمكن أن تكون عليه عند القشرة الأرضية الواقعة تحت القارات. كما أن قراءات موجات العمق والموجات السطحية، تشير إلى أن سماكة القشرة الحجرية تحتنا قد لا تتجاوز ثلاثة كيلومترات وبالطبع، يبقى هذا التقدير تقديراً نسبياً."

هزّ كراين برأسه. "يجب أن يكون ثمة تفسير أكثر منطقية، وأكثر علاقة بسكان الأرض أنفسهم، من هذا التفسير. كوجود جهاز روسيّ مثلاً، أو ربما صيني، أو ظاهرة طبيعية الحدوث. فإن كنت قد تعلمت شيئاً من المقرر الجامعي حول جيولوجيا المحيطات، فهو أننا نعرف معرفة شحيحة عن تركيب كوكبنا الخاص، عدا عن أرق طبقة من قشرته الخارجية."

"ليست المسألة مسألة روس ولا صينيين. كما أنني أخشى أن تكون ثمة أشياء كثيرة لا يمكنها أن تتلاءم مع فكرة وجود ظاهرة طبيعية اعتيادية، كنظرية الارتطام مثلاً. ففي الظروف العادية، ينبغي لكي يُطمر شيء ما عند هذا العمق تحت سطح الأرض، أن يتوقع المرء وجود اضطراب جيولوجي ما - وهو ما يكافئ في عمق

البحر، وجود حفرة أحدثها ارتطام نيزك بالأرض. لكن في هذه الحالة، فإن طبقات الترسيب الموجودة فوق شذوذ القشرة تكاد تكون في الحقيقة مطابقة تماماً لنسيج المنطقة المحيطة بها. فكّر في طفل يقوم بحفر حفرة على الشاطئ، فيرمي في داخلها صدف، ثم يعيد الرمل إلى مكانه. ليس هنالك من ظاهرة أرضية يمكنها أن تقدّم تفسيراً لذلك."

"لكن يجب أن يكون ثمة تفسير،" قال كراين.

"كلا. إنني أعتقد أن التفسير الصحيح يقع خلف ذلك. فكما تعلم، إن بعض الأشياء التي هي من صنع يد بشرية كانت قد استخلصت من الموقع." وهنا أشار آيشر إلى الرجل الصامت الذي يرتدي رداء المختبر. مشى الرجل في اتجاه الجدار الأبعد، وركع، ثم فتح حقيبة بلاستيكية كانت ملقاة هناك. استخرج من جوفها شيئاً ما، ثم نهض، وسلمه إلى آيشر.

نظر كراين بفضول. كان هذا الشيء عبارة عن شكل مكعب، مغلف بنوع من الغطاء المعدني. نظر آيشر في اتجاهه فتلاقت النظرات.

قال: "أتذكّر ما قلته لك يا بيتر، عن دخول عتبة جديدة؟" ثم سحب برفق الغطاء عن المكعب، وقدمه إلى كراين.

كان المكعب أجوف ومصنوعاً من البلاستيك الرائق الشفاف. وكانت كل الحواف مختومة بإتقان. وكان ثمة شيء ما في داخل المكعب. تناول كراين المكعب من يد آيشر، وقربه إلى مسافة قريبة من نظره، ثم شهق شهقة عالية من فرط دهشته.

ففي مركز فضاء المكعب تماماً، كان ثمة جسم صغير يطوف. ولم يكن حجم ذلك الجسم يتجاوز حجم قطعة الدومينو. وكان ينبعث منه ضوء رفيع جداً شديد البياض نحو سقف الحجرة. كان من المستحيل إعطاء الجسم نفسه لوناً واحداً محدداً، بل هو أقرب إلى قوس قزح له خليط من الألوان المتلألئة والمتوهجة التي تظهر في حزمة ذهبية وبنفسجية، ونيلية، وقرنية، عدا عن ألوان كثيرة أخرى، لم يتصورها كراين من قبل، وكلها في حالة دائمة من التبدل والتغير. هذه الألوان تنبثق، حسبما يبدو، من عمق هذا الجسم، وترتفع في اتجاه الخارج من صميم نقطة مركزه، كما لو أن هذا الجسم الصغير يتوهج ويشعل بنار غريبة دافية داخلية.

بدأ بتقليب الصندوق البلاستيكي الصغير إلى جميع الجهات، محدقاً إلى هذا الجسم الذي هو في وسطه. وكيفما قام بتقليبه، فإن الجسم كان لا يفارق أبداً مركزه في نقطة الوسط تماماً من فضاء المكعب. بدأ يفحص بعناية جسم المكعب نفسه، مفتشاً عن أسلاك خفية، أو عن قطعة مغناطيس مموهة. لكنه بدأ مكعباً بسيطاً من البلاستيك الرائق الشفاف، ولم يكن فيه أي خدعة أو حيلة.

هزّ المكعب أولاً بلطف، ثم بعنف. فتأرجح الجسم المتوهج الذي في وسطه قليلاً إلى فوق ثم إلى تحت، وكان كلما عالجه هكذا، لا يلبث أن يعود للاستراحة في نقطة الوسط من فضاء المكعب بالضبط، لكي يتابع طفوه هناك بهدوء، فيما عمود ضوءه الأبيض يبقى متجهاً نحو سقف الحجرة.

عاد إلى التحديق من مسافة قريبة في الجسم

الذي يحتلّ وسط المكعب، بغم فاغر من فرط الدهشة. ولاحظ أن حوافّ هذا الشيء الذي يبلغ حجم قطعة الدومينو، لم تكن في الحقيقة شديدة الوضوح والثبات. لقد بدا الجسم وكأنه ينبض نبضاً ضعيفاً، وعند ذلك تغدو حوافه حادة، ثم لا تلبث أن تلتين من جديد. لقد بدا الأمر وكأن كتلة هذا الجسم، وشكله: هما في فيض مستمر.

رفع نظره عن المكعب، بينما أيشر يقف هناك مبتسماً، ويده ممدودة. وبعد ترددٍ قصيرٍ جداً، أعاد إليه كراين المكعب على مضضٍ من أمره. قام كبير العلماء بإعادة المكعب إلى موضعه داخل الغطاء، ثم سلمه إلى مساعده لكي يعيده إلى الحقيبة البلاستيكية.

تراجع كراين في مقعده وهو يومض بعينيه. "ما هو هذا الجسم بحق السماء؟" تساءل بعد هنيهة.

"لا ندري بالضبط ما هو الغرض الحقيقي منه."

"وممّ هو مصنوع؟"

"هذا أمر مجهولٌ أيضاً."

"هل هو خطير؟ هل يكون هو سبب المشكلة المتفشية هنا؟"

"لقد تساءلتُ عن هذا الأمر أيضاً، بالطبع. بل جميعنا فعلنا ذلك. ولكن، لا: إنه يبدو عديم الأذى."

"وهل أنت متأكد من ذلك؟"

"كانت الاختبارات الأولى التي قمنا بإجرائها تهدف لمعرفة ما إذا كان هذا الجسم يقذف أيّ إشعاعات عدا الضوء. لكنه لم يكن كذلك، بل بدا أنه خامل تماماً. وقد جاءت جميع الفحوص اللاحقة لكي تؤكد ذلك. أما

السبب الذي حدا بي إلى وضعه في وسط المكعب البلاستيكي الشفاف، فهو عائد إلى صعوبة التعامل معه بغير هذه الطريقة. فهو على الدوام، يجد لنفسه مكاناً في وسط الحيز الذي يطوف في جوهه تماماً."

"وأين كنتم قد عثرت عليه؟"

"لقد خرج من خبائه لملاقاتنا أثناء عملية الحفر الجارية للبئر. إلى جانب حوالي دزينة أخرى من أمثاله حتى الآن." سكت آيشر قليلاً. "كانت مهمتنا عندما ابتدأنا الحفر واضحة تماماً: الحفر بأقصى سرعة ممكنة ضمن حدود شروط السلامة، في اتجاه مصدر الإشارة. أشار إلى الحقيبة البلاستيكية. ولكن عندما بدأنا باكتشاف مثل هذه الأشياء، صارت الأمور أكثر تعقيداً."

جلس ثانية، وانحنى ناحية كراين متابِعاً في همس تآمري. "إنها أشياء ذات قيمة يا بيتر - حتى أن قيمتها تفوق الانطباع الذي تبيده عن نفسها. فهي تبدو غير ممكنة التدمير أو التلف. كما أنها منيعة على كل ما قمنا بتعريضها له في بيئات مُتحكَّم فيها. فهي تمتص بعض أنواع الضرر، كالإشعاع، ولكنها تعكس أنواعاً غيرها. وثمة شيء آخر ملفت: إنها يمكن أن تعمل أيضاً كمكثِّفات."

"مكثِّفات؟" كرَّر كراين. "يعني مثل البطاريات؟"

أوما آيشر بالإيجاب.

"ما هو كمُّ الطاقة التي تصدرها؟"

"لم نستطع قياس أقصاها بعد. لكن عندما نضع أسلاكاً موصلة عليها، فإنها تجعل أكثر أجهزة قياسنا قوة تتوهج احمراراً."

"وكم كان أقصى قياس؟"

"تريليون واط."

"ماذا؟ هل هذا الشيء الضئيل الحجم؟ يقوم بتخزين ما يعادل ألف جيغا واط من الطاقة؟"

"بإمكانك أن تضع مثل هذا الشيء في سيارة، فيقوم بتزويدها بكفايتها من الكهرباء التي تكفل تشغيلها طيلة عمرها التشغيلي، أي ما يعادل مئة ألف ميل. وهناك أشياء أخرى." مدّ آيشر يده إلي جيب معطفه العائد للمختبر، ثم سحب منه مظروفاً أسمر سلّمه إلى كراين.

فتح كراين المظروف وسحب من داخله ورقة. كانت عبارة عن مادة مطبوعة عن شاشة الكومبيوتر، وهي عبارة عن دفعة من الأرقام القصيرة التالية :

```
0000011111001010110101011001110111000101
0110001100010100011010011000010000000000
0000011111001010110101011001110111000101
0110001100010100011010011000010000000000
0000011111001010110101011001110111000101
0110001100010100011010011000010000000000
```

"ما هذا؟" سأل.

"ذاك الشعاع من الضوء الذي ينبعث من الجسم؟ إنه ليس متواصلاً، ولكنه عبارة عن نبضات متقطعة. إنه يرسل منها الملايين في كل ثانية. وهذه النبضات شديدة الانتظام، فهي تنطفئ وتضيء."

"أحفار وآحاد. أرقام."

"إني أؤيد هذا الاعتقاد. وهذا هو المبدأ ذاته الذي يشتغل على أساسه كل جهاز كومبيوتر فوق أي مكتب في هذه الدنيا. وحسب هذا المبدأ ذاته تنطلق الأوامر من العصبونات في أدمغتنا. إنه قانون أساسي من قوانين الطبيعة. إن هذه الآلة الصغيرة قد تكون شديدة التعقيد بشكل هائل، لكن لماذا لا تستطيع أن تتواصل معنا رقمياً؟" نقر آيشر على الورقة. "إنها سلاسل طول الواحدة منها 80 بت. وهي تتكرر، مرة بعد أخرى. وهذه فعلياً أقصر من الرسالة الأخرى، أي من الرسالة التي تُرسل من تحت طبقة الموهو، وهي الرسالة التي تم اكتشافها بدايةً."

"تقول الرسالة الأخرى، هذا يعني أنك تعتقد أن هذا الوميض الضوئي يحاول أن يقول لنا شيئاً ما؟"

"نعم، إني أعتقد ذلك - شرط أن نُحسن فكَّ الغازه."

رفع كراين الورقة. "هل لي أن أحتفظ بها؟"

تردّد آيشر. "حسناً، لكن لا تُطلع أحداً عليها."

أعاد كراين الورقة إلى المظروف. ووضعها في دُرج مكتبه. "وهذه الأشياء التي هي من صنع الإنسان".

"إننا ندعوها: العلامات، وأحياناً نسميها: الخافرات."

"ولمَ تسمونها خافرات؟"

"لأنها تبدو تقريباً وكأنها في وضعية الانتظار والمراقبة طيلة هذه السنين، لكي تقدّم لنا شيئاً ما."

فكّر كراين للحظة. "إذن، أنتم تحفرون في اتجاه مصدر الإشارة. وماذا بعد ذلك؟"

"هنالك أيضاً ستزداد الأشياء تعقيداً بشكل قليل."

أمسكْ آيشِر عن الكلام من جديد لفترة وجيزة. "قمنا بإنزال مجسّات فوق صوتية في داخل البئر... وقد التقطت دليلاً على وجود شيء ما تحت حقل المصنوعات البشرية. كان عبارة عن جسم شديد الضخامة مطمور على مسافة أعمق من مصدر الإشارة."

"أي نوع من الأجسام هو؟"

"نعرف أن له شكل حلقي، كما نعرف أنه كبير جداً - وقد يمتد أميالاً. وعدا عن ذلك، فإننا لا نعرف شيئاً." "هزّ كراين رأسه. "لكن يجب أن تكونوا قد كوّنتم بعض النظريات."

"تقصد أننا قد كوّننا نظرية عن غرض وجود هذا الجسم هنا، وعن ماهية عمله؟ بالتأكيد." بدا آيشِر على سجيته أكثر قليلاً، كأنه يشعر أنه شخص قد تحلل من عبء حقيقة ثقيلة مؤلمة يحملها. "بعد نقاشات مستفيضة فإن الإجماع بين العلماء وبين العسكريين هنا كان قد رسي على أن ثمة شيئاً ما كان قد خلفه أحدهم وراءه هنا للبشرية كيما تقوم باكتشافه عندما تصبح هذه الإنسانية متقدمة إلى درجة كافية."

"تعني أنه شيء يشبه الهدية؟"

"تستطيع أن تسمي الأمر هكذا. من الذي يستطيع القول ما هي الاكتشافات التي كان الجنس البشري مسؤولاً عنها، وما هي سواها التي كانت قد مُنحت إلينا بطريقة أو بأخرى؟ ومن هو الذي يستطيع القول مثلاً إن النار لم تكن هدية قد أتت إلينا من وراء النجوم؟ وماذا عن الحديد؟ وماذا عن الخبرة اللازمة لبناء

## الأهرامات؟"

"هدية من وراء النجوم،" كرّر كراين متردداً.

"إن الإغريق يؤمنون بأن النار قد جاءت من الآلهة. وهناك شعوب أخرى لديها أساطير مشابهة. ولربما كان ثمة نمط من هذه الأنماط هنا؟ عندما يصبح لدينا تقنية كافية لالتقاط إشارة صادرة من تحت طبقة الموهو - عندما نستطيع في الواقع أن نحفر إلى موقع إرسال الإشارة - سوف يُنظر إلينا على أننا أصبحنا جاهزين للقيام بالقفزة التالية إلى الأمام."

"وهكذا، فإن هذا الجسم المظمور الذي تتابعون الحفر في اتجاهه، هل هو يحتوي على تكنولوجيا نافعة من أي نوع؟ تكنولوجيا نافعة نكون قادرين على اكتشافها متى صرنا جاهزين لكي نحسن استعمالها والاستفادة منها؟"

"بالضبط. مثل التكنولوجيا التي تمكنت من صنع الآلة التي أطلعتك عليها منذ قليل. شيء يكون في استطاعته مساعدة الإنسانية على التقدم أشواطاً أخرى بعيدة، لكي تقوم بعد ذلك بقفزة جديدة."

خيم الصمت، بينما كان كراين يستوعب ذلك.

"إذن، ما هي المشكلة؟" سأل في نهاية الأمر.

"في البداية، كنت متأكداً من كل هذا مثل الباقين. لكنني مؤخراً لم أعد واثقاً إلى الدرجة ذاتها. أترى، إن كل واحدٍ هنا يريد أن يعتقد أن ثمة شيئاً جميلاً رائعاً يرقد هناك في الأسفل. فالعلماء الذين يعملون معي مفرطون في التفاؤل، ويحلمون بأفاق جديدة تماماً للمعرفة. أما أشباح القوات البحرية فيتصبّب لعابهم

طمعاً في إمكانية الحصول على تقنية يمكن استعمالها كسلاح. ولكن كيف يمكن لنا أن نكون متأكدين من أن هذه الأشياء الرائعة هي بالفعل موجودة هناك؟ وهذه الخافرات التي وجدناها ليست سوى فتات من الخبز قياساً بأشياء أطيب منها وأدسم طعماً. ولكن قبل أن تتسنى لنا ترجمة الإشارات وفكِّ الغازها، فلن نستطيع حقيقة أن نعرف ما هي طبيعة الأشياء المطمورة تحتها."

مسح آيشر العرق عن حاجبيه مرة ثانية. "ثم حدث أمرٌ ما. لقد افترضنا على الدوام، يا بيتر، أن هذه الأشياء المصنَّعة، إنما هي مطمورة هناك منذ ملايين السنوات. لكن منذ يومين فقط، اكتشفنا أن عملية الطمر هي عملية حديثة نسبياً، أي أنها تعود إلى السنة 1400 ميلادية. عند ذلك تيقنتُ أن مشاهدات - وأعني مشاهدات عيانية - عن عملية الطمر قد تكون جزءاً من سجلات التاريخ المدونة. وهكذا قمت بإرسال باحث يتحرى عن مثل هذه الوثائق في المنطقة، يقوم بزيارة المكتبات، والأديرة، والجامعات - وأيِّ مكانٍ آخر، يمكن أن يوجد فيه سجلات تتحدث عن شهود عيان على مثل هذه الحادثة. وفي قلعة غريم وولد، ثمة دير قديم يقع عند شاطئ اسكتلنده، وهناك وجدنا وثيقة من هذا النوع." هنا عبرت على وجه آيشر غمامة سوداء. "لكنها وثيقة تحتوي على رواية مقلقة، ومرعبة، ومحيِّرة."

"وهل أنت متأكد من أن هذه الرواية التي عثرت عليها تصف هذا الطمر الحقيقي بالذات. أعني.."

"ليس هناك من طريقة للتأكد تماماً."

"هل أستطيع قراءتها؟"

"سوف أعطيك نسخة عنها. لكن المسألة هي التالية: على افتراض أنها فعلاً تقوم بوصف حادثة الطمر، فإن رواية هذا الشاهد العيان هي تقريباً من الوضوح في إعطائها رسالة تشير بالتريث إلى أبعاد الحدود التي يمكن لي أن أتخيلها."

هزّ كراين كتفيه. "هذا منطقي تماماً. خصوصاً وأنك لم تستطع بعد أن تفكّ رموز الإشارة الرقمية."

"إلا أن رجال البحرية ما زالوا مثابرين إلى الأمام بسرعة تتزايد من لحظة لأخرى. إنني لم أتواجه شخصياً مع الأدميرال سبارتان حول هذه المسألة. وأسوأ ما يخشاه هذا الرجل هو أن تتسرب المعلومات عمّا قمنا باكتشافه إلى دول أخرى. لذلك فهو يريد الوصول إلى الجسم المظمور، واختراقه، والكشف عليه، في أسرع وقت ممكن، وأن تؤخذ عينات مما قد يُعثر عليه في داخله، من أجل القيام بتحليلها ودراستها."

"هل يعلم أحدٌ ممن هم في خارج القطاع المصنّف شيئاً عن هذه الأمور؟"

"القليلون فقط هم الذين يعلمون. لكن الإشاعات تسري، والغالبية يعتقدون أن الأمر يتعدى مسألة الأتلانتس." فجأة، نهض أيشر وبدأ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً. "وعلى كل حال، إن ثمة سبب آخر للحذر والاحتراس. فنحن نعرف أن القشرة الأرضية مكونة من ثلاث طبقات - الطبقة الرسوبية، والطبقة القاعدية، والطبقة المحيطية. لقد قمنا باختراق الطبقتين العلويتين، وقد وصلنا تقريباً إلى عمق الطبقة الثالثة السفلى العميقة. تحت هذه الطبقة توجد طبقة

الموهو. والمسألة هي أن لا أحد يعرف حقيقة، وعلى وجه التأكيد، ما هي طبقة الموهو هذه، أو ما هو الأمر الذي سوف يحدث عندما نقوم بالوصول إليها. إن علينا أن نتقدم في عملنا بالكثير من الحذر. لكن كلما رفعت صوتي محتجاً علي السرعة، تزايد تهميش دور العلماء. ويصل إلى المنشأة الآن المزيد من القوات العسكرية. ولم يعد الأمر مقتصرًا على القوات البحرية فقط، فقد بات عندنا جنودٌ هم أشبه بالهة الحصاد السود عند الرومان، بل هم أشد منهم روعاً."

"أناسٌ من أمثال كوروليس؟" قال كراين.

عند ذكر هذا الاسم، مرّت نظرة عفوية عابرة على وجه آيشر. "كوروليس هو من قام باستقدامهم، وسوف يكونون تحت إمرته مباشرة. وفي أيِّ حال، فإن ما أخشاه، هو أن يقوم سيارتان على وجه السرعة بالاستئثار بالسلطة في قيادة هذه العملية، بشكل يكون فيه كوروليس القوة المساندة له. وإذا ارتفع صوتي بالاعتراض على ذلك عالياً، فإنني قد أعفى من مناصبي، ويتم طردي من المحطة." توقف آيشر عن المشي محدّقاً في اتجاه كراين. "وعند نلك، لا بدّ من أن تحلّ أنت مكاني."

ردّ كراين النظرة إلى آيشر، "أنا؟"

"إنني آسف جداً يا بيتر. لم أرد مرة أن ألقى تبعه هذه المعرفة عليك، أو تبعه هذه المسؤولية أيضاً. كنت آمل أن تُحلّ المشكلة الطبية بسرعة، وأن تتمكن من العودة القريبة إلى السطح فيما أنت لا تزال تعتقد أننا قد عثرنا على الأتلاتس. لكن مع عثورنا على الشهادة المكتوبة، وأخذاً بعين الاعتبار ازدياد وتيرة السلوك

العدواني الذي يظهر على تصرفات سبارتان... حسناً، فإنك أنت الخيار الوحيد الذي يبقى متوفراً لدي.

"ولكن لمَ أنا بالذات؟ ثم إنك تأخذ مجازفة كبيرة بقيامك بالإدلاء بهذه المعلومات إليّ."

ابتسم آيشر في ملل. "لقد قمت بواجباتي، أتذكر؟ إن جماعتي هم من العلماء. وهم شديدو الرعب من أشخاص من أمثال كوروليس لكي يتمكنوا من مساعدتي. أما أنت فلست مؤهلاً لمعالجة أمراض ما تحت سطح الماء فحسب، بل إنك قد خدمت أيضاً على ظهر غواصة تجسس تقوم بمهمة استقصاء معلومات. وإن ما أخشاه أن هذا هو ما ستؤول إليه هذه المنشأة: مهمة استقصائية، وربما أكثر من ذلك أيضاً."

"ماذا تقصد بذلك؟"

"أعني أنهم كل يوم يقتربون أكثر من الموهو. لا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك، وبشكل أو بآخر، ينبغي علينا أن نعرف ماذا يوجد تحتنا - قبل أن تصل حفارة سبارتان إليه."

"ما الذي يجعلك شديد اليقين أنني سوف أكون منحازاً إلى جانبك لا إلى جانب سواك؟ فأنا عسكري سابق، كما قلت. وقد يقع وفاق بيني وبين الأدميرال سبارتان."

هز آيشر رأسه. "لا، ليس أنت. والآن، إصغ إليّ. لا تذكر أي كلمة من كل هذا الكلام الذي سمعته لأي كان." تردّد قليلاً. "وربما لن يكون أي شيء من هذا ضرورياً. فقد ننتهي من تحليلاتنا القائمة على فك شيفرة هذه الخافرات غداً، أو بعد غد، وكل ما قلته لك

الآن سوف يغدو جدلاً غير ذي أهمية عملية. " أوما إلى الرجل الواقف قرب خزانة الأدلة، ذلك الرجل الذي لم يقل كلمة واحدة طيلة مدة هذا النقاش. " هذا هو جون مارييس، عالم في تحليل الشيفرة، وهو يعمل ليلاً نهاراً على هذه المسألة. والآن، ما أريدك أن تفعله - "

عند هذه اللحظة، سُمعت طريقة خشنة على الباب. وقد تكرر القرع مراراً وتكراراً.

نظر كراين ناحية آيشر. تجمد كبير العلماء في مكانه بجانب الكرسي وغدا وجهه شاحباً فجأة. ثم أعطى من رأسه هزة عنيفة.

طريقة أخرى على الباب، عنيفة، وأكثر إصراراً. " يا دكتور كراين!" دوى صوت عميق أت من الممر.

استدار كراين ناحية الباب.

"انتظر!" قال آيشر بصوت خفيض ملحّ.

لكن في هذه اللحظة، كان الباب قد فتح. وكان الأدميرال سبارتان يقف عنده، وعلى خلفية صورته انتشر ضوء الممر، وفي يده بطاقة مرور حمراء، وخلفه رهط من جنود البحارة المسلحين وبأيديهم بنادق صغيرة من طراز أم 16.

## 21

نقل سبارتان نظره بين كراين وآيشر، وكانت تعابير وجهه غير مقروءة. ثم دلف إلى داخل الغرفة.  
"هل قاطعتكم عن شيء؟" سأل.

ران على الغرفة صمتاً ثقیلاً. نظر كراين نحو آيشر، الذي بدت عليه نظرة الغزال الذاهل الذي وقع فجأة بين ضوئين باهرين.

وعندما لم يتلقَ الأدميرال سبارتان جواباً، استدار نحو جنود البحرية. "خذوه إلى خارج الغرفة"، قال وهو يشير إلى كراين.

أشار أحد الجنود بإشارة من فوهة بندقيته إلى كراين للتقدم أمامه نحو الباب. ابتلع كراين ريقه بالمر. لقد تبخرت الآن عجائب الدقائق الماضية، ليحل محلها الشعور الأليم بالضعف والإهانة.

مشى إلى الممر وهو يشعر بالخذلان. أغلق سبارتان باب الغرفة، ثم أحكم إقفاله وراءه.

لبث كراين منتظراً في الممر، فيما وقف جندي إلى كل من جانبيه في صمت. كان فمه جافاً، فيما قلبه يتراكم في صدره. بدأت الأصوات العالية تتسرب من

خلال الباب. أصغى بكلّ انتباه، لكنه لم يستطع أن يستجلي كلمةً واحدة. ما الذي يحدث؟ لم يكن بدري ما إذا كان عليه أن يكون أشدّ قلقاً على نفسه، أم على الرجل العجوز الذي ما زال داخل الغرفة.

مرّت خمس دقائق رهيبية. ثم انفتح الباب، وخرج منه سبارتان. نظر إلى كراين محملياً. "تعال معنا يا دكتور،" قال له.

"وإلى أين نحن ذاهبون؟"

"سيكون من الأسهل عليك لو اكتفيت باتباع الأوامر." كان هذا هو الجواب المقتضب.

ذهبت نظرات كراين إلى ورائه، حيث كانت تتبعه بندقية مرفوعة في يد كلّ من الجنديين. مشى في الممر وراء سبارتان، فيما مشى الجنديان في إثره. قليل من التقنيين العابرين تلكأوا للتحديق في هذا الموكب الصغير. "إلى أين؟" قال كراين من جديد. ثم توقف. كل ما قد يقوله الآن، كان كفيلاً بجعل الفجوة تتعاطم. ومن الأفضل له ألا يقول شيئاً. لا شيء على الإطلاق، إلى أن يكون عليه، فعلاً، أن يفعل ذلك.

لكن الأسئلة الصامتة بقيت. ما مدى ما يعرفه سبارتان؟ ما الذي قد قاله له أيشر؟ لا شكّ أنهما يبدوان مذنبان إلى أبعد الحدود: متأمرون يجتمعون في الخفاء...

كانت هذه في الحقيقة عملية عسكرية. تنهد حسرةً بسبب التعهدات التي كان قد وقعها عند منصة النفط. وإلّا وحده يعلم هي الحقوق الشخصية التي كان قد وقع بالتنازل عنها. خطر في باله، برعدة مؤلمة، أنه

حتى وإن كان سبارتان لا يعلم كل شيء، فإنه من دون شك، يملك الوسائل، والتقنيات - وعلى الأرجح، الحقوق أيضاً - لاستخلاص ومعرفة ما يريد معرفته.

توقفوا أمام المصعد. اتخذ الجنديان لهما مكاناً عن كل من جانبيه بينما ضغط سبارتان على الزر. وخلال لحظات، انفتحت درفتا المصعد، فدخل سبارتان إليه منتظراً قيام الحارسين باقتياد كراين إلى الداخل. ثم ضغط الزر العائد إلى الطبقة السابعة، وهي طبقة تقع في أسفل الطبقات غير المصنفة في المنشأة.

ما الذي كان آيشر قد أفضى به إليه منذ قليل؟ قد يُقدم سبارتان قريباً على الإستئثار بكامل الإمرة على العملية، بينما يكون كوروليس حليفه وسنده. جاهد كراين للإبقاء على نفسه طبيعياً، للإبقاء على مظهر هاديء.

توقف المصعد، وانفتح بابه على الطبقة السابعة. خرج سبارتان متخذاً لهم الطريق إلى باب يخلو من أي إشارة. قام بفتحه مستعيناً ببطاقت مروره الحمراء، بينما كان الجنديان لا يزالان ملازمان له من جانبيه.

كانت الغرفة الواقعة خلف الباب صغيرة، وخالية عن الأثاث، ما عدا طاولة مستطيلة مع كرسيين إلى الجانب القريب منها. خلف الكرسيين كان ثمة مصباحان كبيران لكل منهما دعامة مستقلة، وبصيلة تستند قاعدة معدنية لامعة وعاكسة للضوء. وكان كلا الضوئين مسلطين على بقعة تقع تقريباً عند مستوى رأس الإنسان. عندما رأى كراين هذين الضوئين، شعر أن قلبه بدأ يعدو في صدره بسرعة أكبر. إن أسوأ مخاوفه قد تحققت الآن.

"تقدّم إلى ذاك الجدار القصيِّ يا دكتور كراين،" قال سبارتان بصوتٍ خالٍ من أيِّ تعبير.

تقدّم كراين على مهلٍ نحو الجدار.

"استدِرُّ من فضلك."

فعل كراين مثلما أمر.

كان هناك فرقة معدنية مفاجئة، بعدها انطلق الضوء الباهر للمصباحين معاً، ما جعله يتسمّر تقريباً إلى الجدار بفعل قوة إشعاعه. رمش بعينه، ورفع يديه غريزياً نحوهما.

"قفّ دون حراكٍ يا دكتور كراين،" جاء صوتُ سبارتان الذي غدا غير مرئيٍّ خلف الجدار الباهر من الضوء الأبيض.

بدأ عقل كراين يعمل باهتياج. حافظ على هدوئك قال في نفسه. ما الذي عليه أن يخشاه؟ فهو أحد أعضاء الفريق الطبي. ومن المفترض به أن يكون في هذا المكان، ولم يبدُ منه مرة أنه كان يتجسّس، أو يقوم بأي شيء من هذا القبيل...

لكنه ما لبث أن تذكّر سلوك الحراس الصارم معه عند الحاجز، كما تذكّر الخوف الذي شاهده على وجه آيشر.

من خلف جدار الضوء، سُمع صوتُ فرقةٍ لمرّةٍ واحدةٍ.. ثم تلتها لحظة من الركود. ثم انطفاً المصباحان، الواحد تلو الآخر.

"اجلس يا دكتور،" قال سبارتان. اجلس الآن إلى جانب الطاولة. وفتح أمامه ملف لم يلاحظه كراين من

قبل.

جلس كراين على المقعد الفارغ بحذر، فيما قلبه كان لا يزال يضرب ضرباتٍ مدويةً في صدره. وضع سبارتان يده على الملف ودفعه نحو كراين. كان الملف يحتوي على ورقة واحدة، ولا شيء سواها. وكان على الورقة الرسمية نص مؤلف من أربعة أسطر، مطبوعة تحت اسم وزارة الدفاع.

"وقع في أسفل الورقة لو سمحت." قال سبارتان. واضعاً قلماً مذهباً، بكلّ تودة، فوق الطاولة.

"لقد قمتُ بالتوقيع على كلِّ ما يلزم، عندما كنتُ لا أزال على السطح،" قال كراين.

هزَّ سبارتان رأسه. "لكنك لم توقع بعدُ هذه الورقة."

"هل لي أن أقرأها قبل ذلك؟"

"لا أنصحك بذلك، إذ إنك ستخيف نفسك دونما حاجة لذلك."

التقط كراين القلم، وتناول الورقة، وتردّد. تساءل عما إذا كان يقوم بالتوقيع على اعترافٍ مسبقٍ بأنه مذنب، حتى قبل أن يعترف، بذنب التكتّم على معلوماتٍ سرية. لكنه أيقن أن الفرق سيكون سيّان تقريباً. أخذ نفساً عميقاً، ووقع في أسفل الورقة، ودفعها نحو سبارتان.

أقفلَ الأدميرال الملفَّ ووضعهُ عند حافة الطاولة بكلِّ دفعة. عند تلك اللحظة بالذات، سمعت نقرة على الباب.

"أدخل،" قال سبارتان.

فُتح الباب، فدلف ضابط بحريّ. قدّمَ التحية إلى

سبارتان، وناولَه مَظروفاً أبيض. كرر التحيّة من جديد، ثم استدار، وغادر الغرفة.

حمل سبارتان المظروف، جاعلاً إياه يتدلى من بين سبابته وإبهامه. ثم - وبطريقةٍ مضايقةٍ - مدَّ ذراعه نحو كراين.

تناول كراين المظروف بحذرٍ شديدٍ.

"افتحْه"، قال سبارتان.

بعد لحظةٍ تردِّدٍ، فضَّ كراين زاويةَ المظروف، وقلَّبه في يده. وأخرج من المظروف رقاقةً بلاستيكيةً تُشبه بطاقة الائتمان، إلا أنها أكثر منها سماكةً. خرجت من المظروف. كان أحد وجهيها خالياً من الكتابة، وكان باستطاعته أن يلاحظ أن ثمة غابةً من الرقائق المجهرية مبيّنة فيه. قلبها إلى وجهها الآخر ليرى صورة وجهه تحدِّق فيه، كما كان ينظر منذ دقائق، عندما أعماه الضوء الباهر. كان هنالك رمز رقمي شريطي تحت صورته، كما كانت الكلمات التالية مطبوعةً تحته باللون الأحمر: دخولٌ محدود. كما كانت رقاقةً من النحاس مثبتةً إلى جانبٍ من البطاقة.

"هذه البطاقة، بالإضافة إلى مسح لشبكتي العينين، وبصمات الأصابع، سوف تسمح لك بالعبور عند الحاجز"، قال سبارتان. "حافظ عليها يا دكتور، وابقها بحوزتك طوال الوقت. هناك عقوبة قاسية جداً من جراء فقدان هذه البطاقة، أو السماح لها بالوقوع في اليد الخطأ.

"لست واثقاً من أنني أفهمك"، قال كراين.

"إنني أمنحك الآن حقَّ الدخول إلى القسم المصنّف

من المنشأة. كان ذلك بناء على اقتراح الضابط كوروليس، إذا كان لي أن أضيف.

حدّق كراين في بطاقة التعريف، بينما الانفراج يغمر كيانه. فكّر قائلاً: "يا إلهي، إن هذا المكان سيجعلني شخصاً موسوساً".

"لقد فهمتُ،" قال فيما لا يزال مذهولاً قليلاً بسبب المفاجأة. ثم، "إنني شاكرٌ لك."

لماذا؟" سأله سبارتان. "ماذا توقعت أن يحصل؟"

وكان بإمكان كراين أن يحلف بأنه - لهنيهة واحدة فقط - لمحّ ابتسامة مرتبكة تعبّر عن قسمات وجه الأدميرال، قبل أن تعود من جديد إلى شكلها الخالي من أيّ تعبير.

على بعد أربعين ميلاً عن شاطئ غرينلاند، لاحت منصة النفط ستورم كينغ برصانة بين السماء القاتمة النائية الرياح، وبين البحر المرغى المزبد الغاضب. فلو مرت بالقرب من هناك باخرة عابرة، أو ربما - وهو الأمر الأكثر احتمالاً - قمر استطلاع جعل مسار مداره من هناك نزولاً عند رغبة حكومة شديدة الفضول، لما تمكن أحد من ملاحظة أي شيء غير اعتيادي. ميكانيكيون قليلون يتحركون ببطء على ظهر المنصة وحول هيكلها الداعم؛ يبدو أنهم عاكفون على تشغيل الرافعات، وأجهزة الحفر، أو يقومون بفحص الأجهزة والمعدات، والكشف عليها. لكن، وعلى وجه العموم، فقد كانت ستورم كينغ تبدو هادئة بقدر ما يبدو الجو المحيط بها ثائراً هائجاً. كان يبدو كما لو أن المنصة العملاقة تغط في نوم عميق.

لكن، ضمن غلافها الفولاذي، كان الأمر مختلفاً، لا سيما وأن داخل ستورم كينغ شبيه بخليّة نحل كثيفة الحركة. فغواصة التزويد بالمؤن، التي اصطاح على تسميتها الحوض، كانت قد عادت لتوها من رحلتها اليومية إلى المنشأة التي تقع على عمق ميلين تحت سطح الماء. والآن، ثمة العديد من الأشخاص الذين يحومون في غرفة استعادة البضائع، في الانتظار، بينما

انتشلت رافعة عملاقة هذا الحوض الخالي من اليد العاملة، وذلك عبر فتحة أكبر من حجمه، ابتداءً من أعماق طبقات منصّة النفط. ووبراعة، ثم التقاط الحوض، ذي الشكل الأخرق القميبي، من جوف الفتحة، ثم أنزل ليستقر في مساحة مخصصة لاستقباله. وتحت الأعين الساهرة لجنود البحرية، قام ضابطان من قسم التموين بغضّ الفتحة التي تقع عند مقدمة الحوض، كاشفين عن فاصل إنشائي معدّ للعبور إلى جوفه. وبعد فتح هذا الفاصل أيضاً، بدأ الضباط بإفراغ جوف الحوض، مزيلين بذلك كل شيء كان قد نُصِّد بداخله قبل مغادرته المنشأة. وكان ثمة تنوعٌ ملفتٌ من الأشياء التي أُخرجت منه: حاوياتٌ سوداءٌ ضخمةٌ للنفايات، أجهزةٌ للإحراق في المحرقة، وطرودٌ ذات محتوياتٍ سريةٍ لفتت باحكامٍ وختمت بعناية، وعيناتٌ طبيةٌ منصّدةٌ بعناية داخل صناديق مكفولةٍ من خطر التلوّث البيولوجي، ومعدّةٌ للفحص في الخارج، بما أنها عيناتٌ شديدة الغرابة، بحيث أنه لا يمكن إجراء الفحوص عليها داخل المنشأة ذاتها. جرى تمرير المحتويات، شيئاً فشيئاً، إلى أفراد الجمع المنتظر، الذين بدأوا بدورهم يتفرقون في أنحاء منصّة النفط. وفي غضون ربع ساعة، كانت غرفة الاستلام قد باتت خاليةً سوى من جنود البحرية، ومشغّل الرافعة، وإثنان من ضباط التموين، وقد قام الأخيران بإغلاق الفاصل الإنشائي، وختم الفتحة الخارجية، جاعلين الحوض بذلك جاهزاً لرحلة اليوم القادم.

وكان بين الجمع المنتظرٍ ساعٍ يعمل في قسم الخدمات العلمية. خرج الرجل من غرفة الاستلام وهو يحمل ستة مظاريف مختومة تحت إبطه. وكان هذا الساعي من الذين قد التحقوا بالخدمة في المنصّة.

كان يضع على عينيه نظارتين شكلهما أشبه بشكل الفراشة، كما كان يعرج قليلاً في مشيته، كما لو أن إحدى قدميه أقصر بقليل من الأخرى. أما الاسم الذي أعطاه لذي استخدامه فهو والاس.

وبعد عودته إلى مكاتب القسم العلمي الموجودة في الطابق المخصص لإنتاج الأجهزة والآلات، تحرّك والاس برشاقة ونشاط من مختبرٍ لآخر، رغم ما يشكو منه من عرج، حيث قام بتسليم المطاريف الخمسة الأولى إلى أصحابها المفترضين. لكنه تباطأ عن تسليم المطروف السادس الأخير، إذ إنه بدلاً من تسليمه، عرج على مكتبه الضئيل المنزوي في ركنٍ بعيدٍ.

أغلق والاس خلفه باب مكتبه بعناية، وقام بإقفاله أيضاً. ثم قام بفتح المطروف مُخرجاً محتوياته المكوّنة من قرص مُدمج واحد أدخله في حاسوبه. أدار الحاسوب وجعل القرص ينزلق في سواقته. وقد أظهر الفحص السريع لمحتويات القرص أنه يحتوي على ملفٍ واحدٍ، رمز إليه بالعبارة: "jpg.108952"، ويبدو أنه يحتوي على صورةٍ، ربما كانت عبارة عن رسم شخصي. نقر على الأيقونة العائدة إلى الملف فظهرت من دون أي مشكلة على الشاشة. وكانت الصورة المعروضة، من دون شك، صورةً شبيهةً باللونين الأسود والأبيض للقطعة تشخيصية مأخوذةً بأشعة إكس.

لم يكن اهتمام والاس منصباً على الصورة بحدِّ ذاتها، بل على شيءٍ تحويه في خلفيتها.

ورغم أن مؤهلات والاس كانت رائعة، وخلفياته بحسب لوائح التأكد، لا غبار عليها، إلا أنه كان موظفاً جديداً في مشروع عاصفة الأعماق، ولهذا، لا بدّ من أن

يكون الهامش الأمني الذي يتمتع به، ضيقاً ومحدوداً. وهذا يعني، في ما يعنيه، أن جهاز الحاسوب في مكتبه لا بد أن يكون محدود نطاق الصلة والاتّلاع، قاصراً فقط على الوصول إلى البيانات المتاحة على الحاسوب المركزي لبرج الحفر، إذ ليس لهذا الحاسوب من قرص صلب مستقل به، لذلك فقد كان قاصراً عن إدارة الأقراص المدمجة ذات الملفات التي تحتوي على تعليمات برمجية. ونتيجة لذلك، فقد كان هذا الحاسوب قادراً فقط على إدارة برامج الكومبيوتر الموافق عليها، ولا يمكن تركيب برامج أخرى عليه سواها.

كان هذا على الأقل، هو المبدأ النظري.

قرّب والاس لوحة المفاتيح منه، فتح البرنامج الأولي لتعديل النصوص، الذي جُهِّزَ به الحاسوب أصلاً، من ضمن برنامج تشغيله. ثم أدخل عليه البرنامج القصير التالي :

```

void main (void)
{
char keyfile = fopen ('108952.jpg');
char extract;
while (infile)
{
extract = (asc ( (least_sig_bit (keyfile) )/2)^6);
stdoutput (extract);
}
}

void least_sig_bit (int sent_bit)
{
int bit_zero;
bit_zero = << (sent_bit, 6);
return (bit_zero);
bit_zero = >> (sent_bit, 6);
}

```

**فحص والاس هذا البرنامج واستعرضه، خطوة خطوة في رأسه، متأكداً أن المنطق الذي فيه لا تشوبه شائبة. ثم نخر نخرة، هي عبارة عن علامة الارتياح والرضى ونظر نظرة جديدة إلى صورة الأشعة السينية.**

**كانت كلُّ نقطة من المساحة التي تحتلها الصورة على الشاشة تحتوي على بايت واحد من الملف الموجود على القرص. أما برنامجهِ القصير، لكن الشديد الفعالية، فليسوف ينتزع الرقمين الأقلُّ دلالة في كل بايت، ويقوم بتحويلهما إلى ما يكافئهما من كود أسكي لترميز الحروف، ثم يقوم بعرض الأحرف الناتجة عن ذلك**

على الشاشة.

وبسرعة جمع هذا البرنامج القصير وقام بتشغيله. فتح له الكمبيوتر نافذة جديدة فوق الشاشة لم تعرض صورة الأشعة هذه المرة بل عرضت بدلاً من ذلك، الرسالة التالية :

نطلب تأخير محاولة التخريب الثانية وتعليقها.

تطورات جديدة في القسم المصنّف.

قرأ هذه الرسالة، ثم كرر قراءتها، وهو مزمووم الشفتين.

مع الحواسيب الآلية، يمكن دائماً دس رسالة خفية في أي مكان تقريباً؛ فقد يكون ذلك في خلفية هسيس الموسيقى المسجلة، أو في داخل النسيج الجببي لصورة رقمية. وكان والاس يستعمل تقنية التجسس القديمة لتخبئة المعلومات الخفية حيث لا يتنبه إلى وجودها أحد، بدلاً من اللجوء إلى تشفيرها وجلبها إلى المستوى الرقمي.

ثم مسح الشاشة، ومحا البرنامج، وأرجع القرص إلى المظروف. لقد استغرقت منه كل هذه العملية خمس دقائق فقط.

وهناك في المختبرات العلمية، وبعد ذلك بستين ثانية، كان أخصائي الأشعة ينظر في مظروفٍ وُضع بهدوء على ظهر مكتبه.

"آه، حسناً، لقد كنت في انتظار هذه الصورة الشعاعية،" قال. "شكراً لك يا والاس."

واكتفى والاس بالابتسام.

كان المرور خلال الحاجز إلى القسم السري المحظور، في المنشأة أقل تعقيداً في المرة الثانية. ويعود السبب يعود إلى أنه بات يحمل بطاقة تعريف حديثة ملائمة معلقة على جيب قميصه، كما أن الأدميرال سبارتان، الصامت تقريباً، كان يمشي إلى جانبه بعد أن تراجع أفراد الشرطة العسكرية عن طريقهما بوقار. وهكذا استغرق الأمر منهما دقيقتين فقط لكي يصل إلى الطبقة السادسة. وهناك انفتحت كوة العبور على ممر ضيق، خرج إليه سبارتان ثم تبعه كراين.

ففي المرة الماضية، عندما أتى إلى المكان عينه، كان يهرع إلى رانديل وايت، الفصامي الذي كان في حالة نفسية عصبية. لذا فقد كان عنده وقت قليل لملاحظة أي شيء. أما في هذه المرة، فإن كراين كان ينظر إلى الأشياء حوله بعينين فضوليتين. لكنه، وخلال عبورهما في الممرات، لاحظ أن كل المؤشرات الخارجية لم تكن لتختلف عن سواها في الأقسام الأخرى، سوى ربما بكثرة إشارات التحذير المعلقة على الجدران ذات الحبيبات المتلألئة، وكذلك بجنود البحرية الواقفين تقريباً على حراسة كل مكان، إضافة إلى الحواف المطاطية التي تحكم إقفال جميع الأبواب.

قاد سبارتان طريقهما إلى مصعدٍ جاهز في الانتظار، وأشار إلى كراين بدخوله قبله. وبخلاف المصاعد الموجودة في الطوابق العليا، فإن لوحة المفاتيح هنا تحمل من الأزرار فقط ما يعود إلى الطوابق الواقعة بين الأول والسادس. ضغط سبارتان على المفتاح الذي يشير إلى الطابق الثاني، وبدأ المصعد يهبط بهما.

"لم تخبرني بعد،" قال كراين، كاسراً هدوء الصمت.

"ثمة الكثير من الأشياء التي لم أخبرك عنها،" قال سبارتان من دون أن ينظر إليه. "ما هي الأشياء التي تقصد أنني لم أخبرك عنها بعد، بالضبط؟"

"ما الذي جعلك تغيّر رأيك؟"

فكر سبارتان في هذا السؤال. ثم استدار وحدّق في نظرة هادئة إلى كراين. "لا بد أنك تعلم أنني قد أطلعتُ نفسي على ملفك الشخصي، أليس كذلك؟"

"هذا ما قاله آيشر لي."

"إن قائد الغواصة يو. أس. أس. سبكتر كان شديد الإعجاب بسلوكك الوظيفي. لقد قال إنك، وبمفردك، قد تمكنت من إنقاذ الغواصة."

"إن الكابتن نايسبي يميل إلى المبالغة في هذا الأمر."

"عليّ أن أقول يا دكتور كراين، أنني لم أعرف على وجه الدقة ماهية الشيء الذي قمتَ بفعله هناك."

"لقد كانت المهمة سرّية. لذا، لا يسعني التحدث عنها يا سيدي."

ندّت عن سبارتان ضحكة خافتة كئيبة. "أعرف كل

شيء عن تلك المهمة. لقد كان هدفها الحصول على معلومات استخبارية أولية عن عملية بناء موقع لتخصيب اليورانيوم عند شواطئ البحر الأصفر. وإذا لزم الأمر، القيام بتدميره بطوربيد يحمل قنبلة قدرة، بطريقة تجعل الأمر يبدو كما لو أنه حادث انفجار عارض.

نظر كراين إلى سبارتان في دهشة. ثم أيقن أن الحكومة ربما قلما تخفي أسرارها عن مثل هذا القائد العسكري ما دامت درجة تصنيف سريتها هي من درجة تصنيف سرية هذه المنشأة ذاتها.

"ثم إنني لم أكن أعني أن أسألك عن طبيعة المهمة،" تابع سبارتان كلامه. "إن ما عنيته بسؤالي هو أنني على غير بينة دقيقة عن الدور الذي قد قمت أنت به بالذات، لإنقاذ الغواصة."

بقي كراين صامتا للحظة، كأنه يستعيد ذاكرته، ثم بدأ كلامه: "بدأ أفراد طاقم السفينة يموتون بطريقة تسبب الهلع. بدأت تجاوبفهم العظمية تتآكل، وصارت أدمغتهم تتحول إلى نسيج جيلاتيني غروي. ولقد حصل الأمر كله في غضون ساعات. وقد مات عشرات الرجال في اليوم الأول وحده. وكنا نبحر بأنوار مطفأة، وتعتيم في الاتصالات، ولم يكن بوسعنا التوقف عن متابعة دوريتنا. ولقد ساد رعب على متن السفينة، وشاع الحديث عن وجود عمل تخريبي يستخدم الغازات السامة."

وعندما ماتت مجموعة أخرى من الرجال في الليلة التالية، دبّت الفوضى تماما. واضطرب حبل الهرمية القيادية، وظهرت بوادر تمرد في صفوف البحارة.

وتشكلت عصابات اتخذت لنفسها شكلاً فرّق إعدام،  
وبدأت تجوب أرجاء السفينة بحثاً عن الخونة  
المحتملين.

"وماذا فعلت أنت؟"

"لقد أيقنتُ أن سبب الوفيات، الذي افترض الجميع  
بأنه ناتج عن تسرب غاز سام، قد يكون بدلاً عن ذلك  
ناتجاً عن فطرياتٍ مُخاطِبة."

"أسف، لم أفهمك؟"

"إنه مرضٌ فطريٌّ نادرٌ الحدوث، إلا أنه قاتلٌ. لقد  
استطعت أن أزواج معاً المواد اللازمة لاختبار الأنسجة  
المستخرجة من جثامين البحارة الموتى، ووجدت أن  
أجسادهم كانت مثقبةً بجذورٍ فطريةٍ رزِيَّةٍ كان المرض  
الفطري مسؤولاً عنها."

"وهل هذا هو المرض الذي كان يقتل بحارة  
السبكتر؟"

"بالضبط، إنه نوعٌ خصوصيٌّ من الفطريات، شديد  
الأذى، وكان قد عشش في جوف الغواصة."

"وكيف تمكنت من إيقاف انتشاره؟"

"قمتُ أولاً بمعالجة بقية أفراد الطاقم. جعلتهم في  
حالةٍ سيطر عليها من قلوية الدم والأنسجة، ولا  
تستطيع أبواغ الفطر أن تتحملها، أو أن تتعايش معها."

"وهكذا تمكنت من إنقاذ السفينة."

ابتسم كراين. "كما قلت لك أيها الأدميرال. إن  
الكابتن نايسبي يبالغ في الأمور."

"لا يبدو لي أن في الأمر أيّ مبالغةٍ. لقد حافظت على اتزانك، ثم وجدت سبب البليّة، ثم عملت على الموارد المتوفرة تحت يدك لكي تجد حلاً."

انفتحت أبواب المصعد، فخرجنا. "وماذا عساه يؤثّر ذلك في مشكلتنا الراهنة؟" سأل كراين.

"لنكفّ عن الكلام مداورة يا دكتور كراين. إن المرادفات شديدة التعدد، وبإمكانك أن تراها مثلما أراها." مشى سبارتان بنشاط نحو نقطة تقاطع في أسفل الممر. "لقد كنتُ أراقبُ سعيك يا دكتور. لذا، فقد رأيت أنه من الحكمة أن أمنحك درجة أعلى من الثقة."

"أكان هذا هو السبب الذي دفعك إلى إعطائي إمكانيةً أوسع للتجول في أقسام المنشأة." قال كراين. "علّ ذلك يساعدي على كسر قشرة الغموض بسرعة أكبر؟"

"إن السبب، كما تقول أنت، يقع خلف ذاك الباب." هنا أشار سبارتان إلى الكوة الموجودة في نهاية الممر، المحروسة برجال البحرية الذين لا ينفكون عن ملازمتها.

وبناء لإشارة من الأدميرال، قام أحد الجنود بفتح الكوة عليّ وسعها. بدأ كراين بالعبور، ثم توقف من جديد، إذ إنه وجد خلف الفتحة بئراً من الظلام الدامس.

عبر سبارتان الفتحة، ثم نظر وراءه. "هل أنت قادم؟"

أوغل كراين في عتمة الفتحة، ونظر حوله بدهشة.

لقد كانا في غرفة مراقبة طويلة ضيقة، تشرف على عنبر من المعدات يمتدُّ بأرجائه الفسيحة تحتهما. جلس التقنيون في صفين طويلين على جانبي كراين يراقبون المحطات الطرفية. كان ثمة إشارات صوتية متقطعة

آتية من الأجهزة الإلكترونية. وجلبه للمفاتيح، وهمهمة صاعدة عن الأصوات الخفيفة. وخلف الجدار الزجاجي لغرفة المراقبة، على أرضية العنبر المذكور في الأسفل، كان التقنيون في معطفهم البيضاء يتحركون جيئة وذهاباً، يدفعون هنا أمامهم جهازاً، ويأخذون هنالك ملاحظة على حواسيبهم اليدوية. لكن كراين تجاهل كل هذا؛ فقد كانت كل أنظاره مصوّبة باتجاه ذلك الشيء المعلق إلى حبل معدني متين، وشديد الضخامة. كان ذاك الجسم يكاد يمسُّ أرضية العنبر المذكور.

إنه عبارة عن كرة معدنية - ربما كانت مصنوعة من التيتانيوم، أو مما هو أثمن منه من المعادن - يبلغ قطرها حوالي عشرة أقدام. وكانت الكرة صقيلة كالمرآة الصافية، ولماعة كشمس ثانية في كنف هذا المبنى. صار كراين مبهوراً لمنظر هذه الكرة بحيث أنه لم يكن ليقو على النظر إليها سوى بعينين نصف مغمضتين. فها هي تبدو كاملة التكوين، تامة الإستدارة. والشائبة الوحيدة التي تشوب سطحها، إنما هي عبارة عن غابة من المجسّات، والأنوار، والأجهزة الروبوتية التي علقت في جانبها الأسفل علوق الطحالب البحرية في غاطس السفينة. كما كان هنالك كرتان مضارعتان للكرة المذكورة، مركوبتان في مكانين مناسبين لهما إلى جانب حائط قصي من العنبر مع احتياطات لسلامة استقرارهما في موضعيهما.

"ما هو ذاك الشيء؟" سأل بصوت يشبه الهمس.

"ذاك ما اتفقنا هنا على تسميته بـ البلّورة يا دكتور كراين، وهي ما يقوم كل شيء على خدمته والتكامل معه."

"هل هذا هو الجسم الذي يقوم بالحفر؟"

"كلا، هنالك ماكينة مزدوجة التصفيح تصلح للثقب العمودي، تقوم بهذه المهمة. أما وظيفة البلورة في الوقت الحاضر، فهي متابعة عمل آلة الحفر، وإسناد أقسام ريشة الحفر المرتفعة فوق فوهة الثقب بأذرع فولاذية. ولاحقاً، عندما ينتهي الحفر، ستنتقل مهمة البلورة نحو أعمال الاستكشاف، والاستعادة."

"وهل هي ذاتية الأداء؟"

"كلا. ليس هنالك من إمكانية لأداء كل هذه المهام بطريقة آلية. لذلك فإن لها طواقم عمل، يتألف كل منها من ثلاثة أفراد."

"تقول طواقم؟ لكنني لا أرى في جسم الكرة أي ثغرة لدخولهم."

أعطى سبارتان نخرة جافة قد تؤخذ على أساس أنها ضحكة. "إننا نعمل في الأعماق يا دكتور، وهناك لا يجوز أن يكون في جسم البلورة أي فتحة، وذلك بسبب شدة الضغط. على البلورة أن تكون مستديرة الشكل تماماً، وهي لا يمكن أن تختلف عن الشكل الكروي بأي درجة على الإطلاق."

"إذن، كيف تتمكنون من إدخال الطاقم إليها وإخراجهم منها؟"

"عندما يستقر الطاقم في الداخل، يتم إقفال البدن وتلحيمة بشكل تام. ثم يُعمل على تسوية اللحم وحف حوافه، حتى يختفي أي أثر لها، وتصبح صقيلة كالمرأة."

أطلق كراين صفرة تعجب.

"أجل، وذلك هو السبب الذي جعلنا نَعْمَدُ إلى تمديد كل نوبة عمل إلى أربع وعشرين ساعة؛ فعملية الدخول والخروج تستهلك الكثير من الوقت. ومن حسن الحظ، كما تستطيع أن تلاحظ، أن لدينا بلورتين أخريين احتياطيتين. وبذلك، وبينما تعمل إحدى البلورتين على تأدية مهمتها، تكون الأخرى في طور الإعداد والتجهيز. وبهذه الطريقة يمكن متابعة العمل على مدار الساعة لـون توقف."

"أخذا برهنة إلى الصمت، ووجد كراين أنه لا يرغب في رفع نظره عن تلك الكرة الرائعة التوهج. فقد كانت من أكثر الأشياء التي شهدتها في حياته روعة وجمالاً. ومع كل هذا، فقد كان من الصعب على المرء أن يتخيل كيف أن ثلاثة أشخاص يحشرون أنفسهم داخل هذا الفضاء الضيق - لقد لاحظ وجود شاشة عرض قريبة منه، وهي تعرض صورة مجرعة للتقنيين يحومون حول البلورة. فعلى ما يبدو كانت الصورة تأتي عن طريق التغذية بواسطة نظام الفيديو، وهذا البث يأتي من داخل البلورة نفسها."

"يخيل إلي أنك غير مقتنع بالفكرة التي تقول إننا نبحث في أثر مدينة الأتلانتس،" قال سيارتان بإيجاز. "لكن مهما يكن فإن هدف بحثنا، ليس شأنًا من شؤونك. أما الموقف الطبي، فهو مجال اهتمامك حتى آخر الحدود. لن تكون اعتباراً من الآن تحت إمرة آيشر، بل ستكون تحت إمرتي أنا. ولا حاجة لي لتذكيرك أنه عليك ألا تبحث في أي شأن من شؤون مشاهداتك هنا، مع أي شخص من الذين يعملون خارج المنطقة المصنفة. تحركاتك هنا سوف تكون دائماً تحت المراقبة، وسوف تكون في حاجة إلى مرافقين يقومون بمراقبة عملك"

كلما احتجت إلى الدخول إلى بعض المواقع الأشد حساسية - سيراعى هذا التدبير في بداية الأمر على الأقل. وسنقوم بالطبع بتزويدك بجميع المعدات والآلات واللوازم التي ستحتاجها من أجل أداء عملك. لقد عملت في مهمات سرية قبل الآن، وهكذا، فإنك تعرف امتيازات عمل مماثل، مثلما تعرف المسؤوليات التي تترتب عليه. قم مرة واحدة بإساءة استخدام هذه الامتيازات، وسترى أنك عندما تقف في المرة القادمة بين مصدري الضوء الساطعين، فإن ذلك لن يكون من أجل القيام بالتقاط صورة فوتوغرافية لك."

عند ذلك، على الأقل، رفع كراين أنظاره عن البلورة، ليتحوّل بها نحو وجه سبارتان. ولم يكن وجه الأدميرال مبتسماً.

"ما الذي حصل بالضبط؟" سأله كراين.

مرّ سبارتان يده عبر الجدار الزجاجي، نزولاً في اتجاه أرضية العنبر الذي يبدو تحتها. "حتى الآن، لم يتأثر مجمع الحفر بعد بتلك العلة التي تتسبب بمرض طاقمنا. لكن خلال الساعات الإثنتي عشر الماضية، سقط ثلاثة من العاملين في هذا القسم بالذات مرضى."

"وما هي الأعراض التي ظهرت عليهم؟"

"تستطيع أن تسألهم ذلك بنفسك. إن هنالك محطة طوارئ طبية في الطبقة الرابعة. وقد قمنا بتفعيل هذه المحطة، ويمكنك الآن استعمالها كمستوصف مؤقت. وسأجعل العاملين فيها يتلقون أوامرهم منك مباشرة."

"ما السبب الذي دعا إلى عدم إعلامي بهذه الحالات

الجديدة قبل الآن؟" سأل كراين.

"ها أنا الآن أقوم بإعلامك بها. إن هؤلاء العاملين محاطون بدرجة عالية من التدابير السرية، ولأنهم كذلك، فإنهم ممنوعون من الخروج إلى الطبقات العليا غير المصنفة."

"هل أستطيع طلب المساعدة من الدكتورة بيشوب؟"

"إن لديها وصولٌ محدودٌ في ما يتعدى بوابة الدخول إلى المنطقة المصنّفة، ويجوز لها ذلك، فقط في الحالات الاضطرارية، على أن تكون مصحوبةً أيضاً بعناصرٍ من الحراسة الأمنية. وسوف نتعامل في كل حال، مع هذه الحاجة عندما تصبح لها أهمية ماسّة. أما الآن، إذا جاز لي أن أتابع، فإنني أقول إنه بالإضافة إلى الحالات الثلاث التي أخبرتك عنها، فإنني قد لاحظتُ أن البعض من سواهم في مجمّع الحفر قد أصبحوا متأثرين سيكولوجياً."

"وهل عرف كوربيه بذلك؟"

"كلا، وهو لن يحاط علماً بذلك أيضاً. كوربيه، دعنا نقول، هو رجل نخروبيّ تسرّبني. لذلك فإن أيّ خبرة، أو خدمة، يمكن له تأديتها إنما بحب أن تصفى وتنقى من خلالك أنت. "نظر سبارتان في ساعة يده. "سأطلب من ثلة من المرافقين العسكريين أن يقوموا بإعادتك الآن إلى مكان استراحتك. عليك أن تنال قسطاً من النوم. أريدك أن تعود إلى هنا عند الساعة التاسعة تماماً من يوم غد، وأن تكون في كامل نشاطك وحيويتك."

هزّ كراين برأسه إيجاباً بكل بطة. "إذن، هذا الأمر

يفسر قيامك بإعطائي حق الدخول إلى هنا. فالتلف قد امتدَّ إلى هذه المنطقة أيضاً."

تضَيَّقتُ حدقتا سبارتان." إن أمامك الآن وظيفة جديدة، يا دكتور. لم يعد يكفينا في هذه المرحلة أن نتعرف على السبب الذي يجعل الناس هنا مرضى. بل عليك أن تحافظ عليهم بحالة صحية جيدة." ثم أشار مرة جديدة باتجاه البلورة، والتقنيين المحيطين بها. "لأن كل شيء، وكل شخص، في هذه المنشأة قد يكون ممكناً الاستغناء عنه - عدا عملية الحفر نفسها. فهذه يجب ألا تتوقف أبداً، ومهما كان الثمن. فهذا العمل ذو أهمية حيوية قصوى، ولن أسمح لأي شيء أو لأي شخص، بأن يتسبب بإبطاء هذا العمل. ولسوف أقوم بنفسى بقيادة البلورة فيما لو اضطررتُ إلى فعل ذلك. هل صار الأمر برمته واضحاً لك؟"

وللحظة، اكتفى الرجلان بتبادل النظرات. ثم أعطى كراين إيماة بسيطة من رأسه.

"الأمر واضح تمام الوضوح، يا سيدي،" قال له.

استلقى كراين متعباً على سريره. كانت الساعة تقارب الثالثة صباحاً، وكانت المنشأة شديدة الهدوء. لم يكن بوسعه سماع شيء سوى صوت موسيقى مزمار تنطلق منه موسيقى الجاز الساحرة التي تتسرب خلال الحمام المشترك. لقد كان جاره روجيه كوربيه من عشاق بيني غودمان وأرتي شو.

كان نهاره الأخير حافلاً بشتى أنواع المفاجآت والأحداث المدهشة إلى درجة لا يقوى على تذكرها الآن جميعاً. ومع كل ذلك، فإنه كان شديد الإرهاق إلى درجة تجله يشعر بأن النعاس سيتسرب إلى عينيه فور قيامه بإطباق جفونه. لكن أنى له أن ينام، فليس الوقت بعد وقت نوم، إذ عليه القيام بعمل واحدٍ بعد، قبل أن يسمح لنفسه بالاستسلام للرقاد.

مدّ يده إلى منضدته وأخرج منها المظروف الأسمر. فتحه وسحب من داخله وثيقة قصيرة: إنها رواية الشاهد التي ذكرها له أيشر عن حادثة الطمر البحري. فرك عينيه لطرد الغشاوة عنهما ونظر في أعلى الصفحة. فرأى صورة فوتوغرافية مكبرة عن ورقة من مخطوطة مزخرفة مكتوبة بالحبر الأسود، بخط يد صغير الأحرف، وكان النص محاطاً بشروحات على الهامش

ملونة - إن لم تكن مزعجة - كما ابتداء النص بحرفٍ مفرطٍ في الحجم. وكان الورق بالياً إلى درجةٍ سيئةٍ بين سطرين أفقيين حيث كانت الورقة قد طويت حسبما يبدو. أما حواف الورقة فقد تكدر لونها بسبب تداول الأيدي عليها على مر السنين. كان النص مكتوباً باللغة اللاتينية. ولكن، لحسن الحظ، فإن الباحث الذي كان قد أوفده أيشر، قد أرفق بصورة النص الأصلي ترجمة له إلى اللغة الإنكليزية، ألحقها بالصورة الفوتوغرافية. تحول كراين إلى النص المترجم فقرأ فيه ما يلي :

كان ذلك في العام 1397 من ميلاد السيد المسيح حين قمت أنا جون البارن، صياد من ستافهورن، بدور الشاهد.

كنت قد كسرت ذراعي كسراً لئماً في تلك الآونة، الأمر الذي أقعدني عن الإبحار في مركبي، كما عن القيام بطرح شباكي. ولأن الوقت كان نهاراً، فقد تمشيت نحو الساحل الصخري الشاهق، لاحظتُ أن السماء تتوهج ضياءً أكثر فأكثر، رغم أنها كانت مغطاة بالغيوم التي تحجبها. ثم تناهى إلى مسمعي صوت غناء غريب، كما لو أنه يصدر عن جمعٍ كبيرٍ من الأصوات، صوتٌ جعل السماء ذاتها ترتعد.

لم أتماهل أبداً، ولكنني قفلت راجعاً كي أنقل الخير إلى جميع الناس ليشهدوا معي هذا التجلي. لكنني وجدت أن جماعتي في القرية كانوا قد سمعوا ما سمعت بأذانهم، ورأوا ما رأيت بعيونهم. وكانوا في سبيلهم إلى حافة الساحل المتطرف. كان اليوم يوم

أحد. ولذلك فإن جميع رجال القرية كانوا يقضون النهار في بيوتهم مع أفراد عائلاتهم. وما هو إلا وقت قصير حتى فرغت القرية من سكانها الذين تجمعوا عند حافة المياه.

زادت السماء توهجاً وإشراقاً. كان ثمة ثقلٌ في الهواء الذي كان يمر بطريقة غريبة. وقد لاحظ الكثيرون بيننا كيف أن شعر أبدانهم بدأ خفيفاً ومنتصباً.

فجأة، حدثت عدة صواعق من البرق متبوعة بقصف رعدٍ مدوّ. ثم تباعدت كتل الغيوم فوق المحيط وهي تذرّو منها أقواس قزح وضباباً يغلي بينما هو يتحرك. ظهرت فجوة في قبة السماء. ومن خلال تلك الفجوة، بزغت عين عظيمة الحجم مكلّلة بشعلة بيضاء. تناهت من الفجوة أعمدة من الضوء نحو الأسفل، وكانت مستقيمة مثل أي عمود. ومساحة الماء التي وقع عليها هذا الضوء المقدس، في وجه المحيط، بدت غريبة الهدوء.

كان جميع سكان القرية مأخوذين في نشوة من السرور لأن تلك العين بدت لهم في جمال عظيم يدعو إلى العجب. لقد كانت مشرقة بما يتجاوز أيّ وصف أو قياس، وكانت مطوّقة بأقواس قزح راقصة. وقد تكلم جميع الأهالي كيف أن الله العليّ القدير قد أتى إلى قريتنا لكي يخصنا بجماله وإحسانه.

بدأ رهط الرجال في القرية يتداولون في

ما بينهم حول كيفية الإبحار في اتجاه هذا الضوء الباهي من أجل أن نسبح الإله وأن نتقبل بركاته. لم يرحب واحد من الجمع بالفكرة لأن المسافة شديدة البعد في عرض البحر. لكن العين كانت على جمال فائق الوصف، وكان ما يحيط بها من نار مليء الصفاء والبياض، الأمر الذي سحر الجميع وسيّرهم إلى زوارقهم، وهم في شوق إلى ملامسة ذلك الضوء المقدس بأيديهم، وإلى الاحتيال لجعله يسقط على أجسادهم. وكنت الشخص الوحيد الذي ترك على الشاطئ. لقد امتلأت القوارب بجميع رجال القرية ونسائها وأطفالها. ولأن ذراعي مكسورة بطريقة مؤسفة، لم يكن بوسعي مشاركتهم في الإبحار. وهكذا، فإني اتخذت طريقي نحو أعلى الشاطئ، الصخري كي أتمكن من أن أشهد الأعجوبة على خير ما يكون.

وفي دقائق، كانت القوارب قد انتشرت في البحر. ثلاث دزينات من هذه القوارب أو أكثر. وكان الجميع يترنمون بترانيم دينية من الشكر والتقدير. وكنت أنا بدوري طوال الوقت أصلي وأشكر الله من موقعي في أعلى الجرف، لأنه قد اختص قريتنا، ستافهورن من بين جميع قرى ومدن مملكة هولندا، ببركته ونعمته هذه. ظهر كما لو أن خط القوارب كان يشق طريقه عبر المياه بسرعة كبيرة، رغم قلة اشتداد الرياح، وبينما كنت أصلي شعرتُ بحزنٍ يدبُّ إلى قلبي

لأنني أمسيت المخلوق الوحيد الباقي  
لوحده على اليابسة.

ومرَّ وقت قصير، كانت القوارب لا تزال فيه  
على مسافة هي أقلّ بعداً من فرسخ واحد  
عن الشاطئ، عندما بدأت العين بالانحدار  
بشكل بطيء من أعالي السماء. وكانت  
الغيوم التي زنتها لا تزال في غليان، وقد  
تعلّقت حولها سحب عظيمة من الضباب.  
كانت سحب الضباب تعدو خلال ذلك العدد  
الذي لا يحصى من أقواس قزح. لكن ذلك  
العمود من الضوء الأبيض الذي سقط من  
العين نحو صفحة البحر بات الآن عرضة  
للتغيّر. لقد لاحظتُ أنه قد بدأ ينحني ويتلوّى  
كما لو أنه كان مخلوقاً فيه روحٌ حيّة. كما أن  
وجه البحر الذي سطع عليه عمود الضوء بدأ  
هو الآخر يتغيّر بدوره. لم يعد ساكناً مثل ذي  
قبل، بل بدأ يغور ويغلي وكأن تحته موقداً  
هائلاً عظيم. أصوات الأغاني الأثيرية ازدادت  
علواً وارتفاعاً، لكنها الآن لم تعد تنم عن  
أناشيد وأصوات سماوية. لقد ارتفعت هذه  
الأصوات أعلى فأعلى حتى أصبحت أشبه  
بصراخ أرنب واقع في مصيدة. كان صوتاً  
قاهراً مؤذياً بحيث وجدت نفسي مدفوعاً  
إلى الجثو على ركبتيّ ومحاولاً إغلاق أذنيّ.

ومن أعلى الجرف استطعت أن أرى  
المراكب تتردد في سيرها نحو الأمام. واحد  
أو اثنان منها توقفاً، بينما حاولت المراكب  
الأخرى أن تستدير إلى الوراء. لكن الأمر بدأ

كما لو أن البحر قد صار الآن في غضب عظيم. أعمدة الماء بدأت تظهر الآن متعالية حول عمود الضوء، تتماوج إلى الأعلى من دون تردد. كان الأمر أشبه بصخرة عملاقة يلقي بها وسط بركة صغيرة. وحالما نزلت العين العظيمة أكثر فأكثر، تحوّل عمود الضوء الذي تحتها إلى عمود من النار البيضاء. نار أكولة يصعب النظر إليها.

صارت جميع المراكب الآن في حالة تقهقر تامة. لكن الهزة الأرضية الكبيرة قد جاءت الآن وانشقت الغيوم عن بعضها بعضاً في صرخة وحشية، وبدأ الأمر للحظة كما لو أن جميع النجوم قد تقوّضت إلى البحر. نيران عجيبة نشبت حيث وقعت كل نجمة، ثم أتى كم كبير من البخار يغلي ويفور إلى الخارج، انطلاقاً من المركز، ويحجب جميع المراكب عن الرؤيا.

وقعت منبطحاً على وجهي من هول الهزة الأرضية. لكنني رغم عظيم خوفي وألمي وهلعي، لم أكن قادراً على أن أرفع ناظري عن المشهد. كان الضباب المفترس يمتد حتى في اتجاه الشاطئ. ومن خلال سحبه كنت أستطيع أن أرى لهبات من السنة النار الحمراء والأرجوانية وهي تنطلق في الفضاء كما لو أنها تريد بلوغ قبة السماء، ثم أنها لا تلبث أن تهوي من جديد فوق البحر بألف لسان من السنة النار. وخلال كل ذلك المشهد، كانت العين الهائلة تزداد قرباً من

البحر. وكانت لا تزال تحيط بها نيران بيضاء مشرقة بحيث أن منظرها كان لا يزال قادراً على اختراق كل حجاب، حتى حجاب الضباب الكثيف ذاته. بدأ الأمر لي كما لو أنها تسقط في تعمّد كبير. وعندما صدمت وجه البحر بدت القبة العليا وكأنها تمزقت بفعل قوة جسيمة تتجاوز كل قوة يمكن وصفها. وقد بقيت هذه الرعدات والهزات تتوالى قرابة ساعة من الزمن، فتهتز الأرض لها بعنف كنت أخال معه أن الأرض سوف تتفسخ مرقاً ممزقة. وبعد مرور وقت طويل بدأ أنين الأرض يتلاشى ببطء، وبدأ الضباب بالانقشاع.

يا للغرابة والهول. بدأ أن الشيطان نفسه قد استدرج وخدع سكان قرية ستافهورن عندما أغرى بهم إلى مصير بائس، أسود، تحت قناع سماوي. فعندما بدأ الضباب ينقشع، كان البحر كان قد استحال إلى لونٍ أحمر غامق، وكانت تغطي صفحة وجهه، على مدى امتداد البصر، الأسماك الميتة وسواها من حيوانات الأعماق النافقة. ولم يظهر قط أي أثرٍ لأحدٍ من جميع أهالي قريتي، ولا لمركبٍ واحدٍ من مراكب الصيد العائدة لهم. لكن وسط كل فجيعتي ويأسي، كنت أيضاً شديد الحيرة ما إذا كان الشيطان ما زال باقياً يشمت في انتصاره علينا؟ لكن لم يبق ثمة أثر من العين العظيمة التي تحيق بها لهبات النار البيضاء. بدأ الأمر كما لو أن المصير المريع الذي آل إليه مصير ركاب القوارب، هو مجرد مسألة لا تستدعي

التوقف عندها في نظر ذاك الشيطان  
المارق.

ولعدة أيام خلت بعد الحادثة، كنتُ أجوب  
أنحاء الدانمارك أخبر الناس روايتي لكل من  
يريد أن يصغي إليّ، وينتبه إليّ تحذيري.  
لكنني دُمغتُ على الفور بأنني مجرد  
هرطوق يستحق الموت. ولذلك غادرتُ  
أراضي المملكة فراراً بحياتي. وها أنا أتوقف  
هنا الآن، في قلعة غريم وولد، لمدة قصيرة  
فقط، وذلك من أجل التزود بالمؤونة والزاد.  
أما إلى أين سأذهب بعد ذلك، فلست أدري  
رغم أنه يتحتم عليّ أن أغادر.

جون البارن

أملت هذه الشهادة على مارتين من  
بريشيا، الذي كتبها علي الورق، والذي  
يقسم الآن يميناَ معظمة أن هذه الرواية قد  
تم تسجيلها بكل أمانة.

عيد انتقال مريم العذراء، سنة 1398  
للميلاد

عندما وضع كراين في نهاية الأمر تلك الأوراق جانباَ،  
اضطجع على ظهره ثم أطفأ نور غرفته. ورغم الإرهاق  
الشديد الذي كان يلم به لم تتضاءل وطأته قط، إلا أنه  
بقي مضطجعاَ في سريره صاحياً. وكان ملء رأسه  
صورة واحدة لا تفارقه، هي صورة عين واسعة، لا يرف  
لها جفن، وهي مسورة بشعلة نار صافية بيضاء.

كان باب غرفة مختبر جون مارييس مفتوحاً، لكن أيشر طرق الباب قبل الدخول في كل حال.

"أدخل،" ناداه صوت أخصائي تحليل الشيفرة.

كان لدى مارييس أكثر المختبرات ترتيباً في المنشأة. إذ لا أثر فيه للطخة غبار واحدة. وخلا عدد قليل من الكتب، المرتبة في عمود واحد أنيق على زاوية مكتبه، لم يكن ثمة شيء آخر على ظهر المكتب المذكور سوى لوحة المفاتيح وشاشة العرض المسطحة العائدة للحاسوب في مكتبه. ولم يكن في مكتبه أي صور أو يافطات، أو ذكريات شخصية من أي نوع كان. لكن أيشر فكر في أن هذا هو سلوكٌ نموذجي يمتاز به مارييس. فهو شخص خجول، يحب الاختلاط، متكتم على وجه العموم حول حياته الخاصة، مثلما هو متكتم أيضاً على آرائه الشخصية، فهو شخصٌ يكرس حياته بكاملها لعمله. وهي صفاتٌ ليس هناك ما هو أفضل منها عندما يتعلق الأمر بأخصائي تحليل الشيفرة.

يا للعار في أن يكون هذا المشروع الحاليُّ - رغم ما يبدو عليه من قصر، ومن بساطة رمز - قد تكشف عن كل هذا الكمِّ من العموض.

أغلق آيشر الباب وراءه، وجلس على الكرسي الوحيد المخصص للزائرين. "لقد تسلمتُ رسالتك،" قال له. "هل هناك أي نجاح قد تحقق لك في ما يتعلق بهجمات القوة الوحشيّة؟"

هزّ ماريِس رأسه.

"وماذا عن مرشّحات البتّات العشوائية؟"

"لا شيء، يمكن تفسيره."

"حسناً." تراخى آيشر في كرسيه. فعندما وصلته رسالة ماريِس الإلكترونيّة التي يطلب منه فيها المرور به في أقرب مناسبة ممكنة، شعر بطفرة أمل بأن ماريِس قد يكون وُفق إلى فكِّ شيفرة الرمز. فأن تأتي رسالة إلكترونيّة من ماريِس، الرابط الجاش، تطلب منه المرور به في أقرب مناسبة ممكنة، فذلك يعني بالنسبة إلى آيشر صرخة استغاثة من أجل الحصول على استشارة عاجلة. "ما الأمر إذن؟"

نظر ماريِس إليه، ثم حوّل نظره عنه من جديد. "كنتُ أعجب ما إذا كنا نقارب فكِّ هذا الرمز من زاوية خاطئة تماماً."

تجهّم آيشر. "هلاً فسّرت لي ذلك؟"

"حسناً. في الليلة الفائتة كنت أطالع كتاباً عن حياة آلان تورينغ."

لم يكن في ذلك ما يدهش آيشر. إذ إن ماريِس الأكاديمي تماماً، كان يعمل من أجل الحصول على درجة دكتوراه ثانية. وقد أراد هذه المرة أن نكون في تاريخ الحوسبة. والآن تورينغ كان رمزاً أولياً من رموز نظرية الحواسيب الأولى. "تابع كلامك." قال آيشر.

"حسناً... هل تعرف ما هي ماكينة تورينغ؟"

"أودُّ لو أنك أنعشتَ ذاكرتي حولها."

"في الثلاثينيات، وضع آلان تورينغ حاسوباً افتراضياً عُرف في ما بعد باسم ماكينة تورينغ. كان يتألف من 'شريط' و'رقي'، هو عبارة عن لفافة ذات طولٍ اعتباطيٍّ، وهذا الشريط كان مغطى برموزٍ مأخوذة من أبجديةٍ محدّدة. ثمة 'رأس' كان يجب أن يدورَ فوق الشريط لكي يقرأ الرموز، ويقوم بتحليلها، استناداً إلى جدولٍ بحثٍ. وكان في المفروض أن تتغير حالة الرأس وفقاً للرموز التي يكون قد قرأها. والشريط نفسه قد يقوم بتخزين إما البيانات، أو "الانتقالات"، وهو يعني بكلمة الانتقالات: البرامج الصغيرة. أما في حواسيبنا العصرية، فإن الشريط صار يعني الذاكرة، والرأس، صار يعني المُعالج الميكروي. وقد أعلن تورينغ أن مثل هذا الكمبيوتر الافتراضي قد يستطيع حلَّ أيِّ مسألةٍ حسابيةٍ."

"تابعُ كلامك"، قال آيشر.

"لقد بدأتُ في التفكير حول هذا الرمز الذي نحاول فكَّ شيفرته." وهنا حرَّكَ ماريس يده في إتجاه شاشة الكمبيوتر، حيث توجد الإشارة التي ترسلها ومضاتُ "الخفير"، الضوئية، التي تكاد أن تكون مُهينة من فرط شدة اختصارها وإبهامها، وقد بدت كما يلي:

0000011111001010110101011001110111000101

0110001100010100011010011000010000000000

"وقد تساءلت عما إذا كان هذا الرمز هو مجردُ عبارةٍ

عن شريط يشبه أشرطة تورينغ؟" تابع مارييس كلامه.  
" ترى ما سيكون من شأن هذه الآحاد والأصغار لو أننا  
قمنا بتمريرها في ماكينة تورينغ؟"

وببطء، مال آيشر قليلاً في مقعده إلى الأمام. " هل  
تريد أن تقول إن هذه البتات الثمانون... هي عبارة عن  
برنامج حاسوبي؟"

"أعرف أن هذه الفرضية قد تبدو فرضية مجنونة،  
ياسيدي-"

"إنها ليست أكثر جنوناً من حقيقة وجودنا هنا في  
قعر هذا المحيط، جال في ذهن آيشر. "تابع كلامك من  
فضلك؟"

"حسناً، في بداية الأمر، قلت عليّ أن أجزئ هذا  
الشريط من الآحاد والأصغار إلى أوامرٍ إفرادية. أقوم أولاً  
بالافتراض أن القيم الأولية هي خمسة أصغار وخمسة  
آحاد، وهي كناية عن الرمز الذي يمكن أن يقوم مقام  
إسمٍ أو عنصرٍ من المجموعة المرموز إليها، وهذه  
الفرضية تساعدنا على الدلالة على طول كل أمرٍ.  
وهكذا، تكون كل كلمة رقمية مؤلفة من خمس بتات.  
وهذا يتركني مع أربعة عشر أمراً يتألف كل منها من  
خمس بتات. "هنا نقر مارييس على أحد المفاتيح،  
فاختفى الشريط الطويل من الأرقام لكي يحل محله  
سلسلة من أرتال الأرقام المرتبة على النسق التالي:

00101

01101

01011

00111

01110

00101

01100  
01100  
01010  
00110  
10011  
00001  
00000  
00000

نظر آيشر إلى الشاشة. "هذه بيانات جد قصيرة لكي يتشكل منها برنامج حاسوبي."

"بالطبع. هذا شيء واضح. لذلك فإنه يجب أن يكون برنامجاً كومبوترياً شديد البساطة. وفي لغة الآلة - وهي أبسط اللغات، وأكثرها عالمية، بين اللغات الرقمية."

هز آيشر رأسه موافقاً. "وماذا أيضاً؟"

"عندما جئتُ إلى مكتبي في هذا الصباح، قمتُ بكتابة تواترٍ قصيرٍ يمكن له أن يقارن هذه القيم بتعليمات وأردة في لائحة أساسية مصاغة بلغة الآلة المعيارية. ثم دفقتُ النظر لأرى ما إذا كان قد برز لي أي برنامج حاسوبي يمكن تشغيله نتيجة لهذه العملية."

"ولكن ما الذي يدعوك إلى الاعتقاد أن أولئك - كائناً من يكونوا- الذين يقومون بإرسال الرسائل إلينا، قد يعمدون إلى استعمال نوع تعليمات لغة الآلة نفسه، الذي نقوم نحن باستعماله؟"

"عند المستوى الرقمي الثنائي، يا سيدي، ثمة تعليمات رقمية لا يمكن اختزالها. وهذه لا يمكن لها سوى أن تكون مشتركة بين كل آلة حاسوبية ممكنة التصور: زيادة، تناقص، قفز، إحدف لو كان الرقم صفراً،

فرضيات الجبر البولي. وهكذا، فإنني جعلت البرنامج  
الروتينيّ يجري لوحده، وانصرفت إلى القيام بعملٍ  
آخر.

أوما آيشر برأسه.

"ولكن، منذ عشرين دقيقة، كان الروتين قد أكمل  
عمله."

"وهل هذه الأربعة عشر سطرًا من الثنائيات يمكن  
ترجمتها إلى أيّ برنامجٍ حاسوبي قابلٍ للحياة؟"

"نعم، واحد."

شعر آيشر فجأة أن اهتمامه قد بات له طعمٌ.  
"حقاً؟"

إنه برنامج يصلح لتعبيرٍ رياضيّ بسيطٍ. وها هو. "هنا  
نقر مارييس على مفتاحٍ آخر، فظهرت مجموعة من  
الأوامر على وجه شاشة الحاسوب.

انحنى آيشر إلى الأمام لكي يتمكن من قراءتها كما  
يلي:

التعليمة	الرمز التذكيري	الشرح
00101	ADD	أنشئ عصا حساب في المركز.
01101	01101	من الرقم الذي هو في المركز الثالث عشر (عشري).
01011	CNM	أعكس علامة الرقم في عصا الحساب.
00111	PLC	ضع الرقم الناتج عن العملية
01110	01110	في المركز الرابع عشر.
00101	ADD	إطرح من
01100	01100	الرقم من المركز الثاني عشر.
01100	ISZ	زد على عصا الحساب، والغِ إن كان الجواب صفراً.
01010	JMP	أعد إدارة البرنامج إلى
00110	00110	الخطوة السادسة
10011	END	أنه البرنامج.
00001		المركز الثاني عشر
00000		المركز الثالث عشر
00000		المركز الرابع عشر

**"وما الذي يقوم به هذا البرنامج؟" سأل آيشر.**

**"تلاحظ أنه مكتوب على هيئة مجموعة من عمليات الطرح المتكررة، وهي مرمّزة في حلقة. وهذه هي الطريقة نفسها التي تستعملها الحواسيب في عملية القسمة بلغة الآلة: ويكون ذلك بالإنقاص المتكرر. حسناً، إنها إحدى الطرق - كما يمكنك أيضاً أن تستعمل**

الترحيل الحسابي إلى اليمين- لكنها تحتاج إلى نظام  
كومبيوتر أكثر تخصصاً."

"إذن، إنها تعبيرٌ عن عمليةٍ قسمةٍ؟"

هزّ ماريِس رأسه إيجاباً.

شعرَ آيشرٌ بالدهشة والحيرة يتمازجان مع التشويق  
المفاجيء القوي. "لا تتردد يا رجل. ما هو الرقم الذي  
يريدون قسمته؟"

"واحد."

"واحد. وعلامَ يريدون قسمته؟"

لعق ماريِس شفثيه. "حسناً، أنت ترى، هنا تكمن  
المشكلة، يا سيدي..."

كان الباب واحداً من إثني عشر باباً في الممر الواقع في الربع الشمالي الشرقي من الطبقة الثالثة. وهو يحمل شعاراً واحداً: "العلاج بالأشعة بي أي أن جي."

أوما الضابط كوروليس لواحدٍ من جنوده المرافقين لكي يفتح الباب، ثم دلف إلى الداخل. نظر كراين من وراء كتف الضابط، فرأى مختبراً صغيراً جيد التجهيز. وإذا كان هناك من ملاحظة ملفتة، فهي المبالغة في تكثيف تجهيز هذا المختبر، إذ إن معظم المساحة المتوفرة فيه كانت مكدّسة بشتّى التجهيزات الضخمة. وعلى مسافة ليست بعيدة عن الباب، جلست امرأة آسيوية، ترتدي معطفاً أبيض أمام حاسوب آليّ تضرب على لوحة مفاتيحه بسرعة. رفعت أبصارها حالما دخل كوروليس إلى الغرفة، ثم وقفت وابتسمت وانحنت.

لكن كوروليس لم يستجب لها. وبدلاً من ذلك، جال في الغرفة هنيهة، وكانت إحدى عينيه تحدّق بعدم استحسانٍ نحو كراين، أما العين الثانية فكانت تحدّق في مكانٍ ما، لناحية كتفه الأيسر.

"هذه الغرفة يجب أن تكون مليئةً لغرضك"، قال. ثم جال نظره في المختبر مرة أخرى، كما لو أنه يمسح

بنظره الأغراض التي يحتوي عليها، والتي من الممكن أن يقوم كراين بسرقتها. ثم رجع الرجل أدراجه إلى الممر الخارجي. "ضع خفيراً هنا في الخارج،" أصدر أمره لواحد من مرافقيه، ثم استدار وذهب في سبيله.

راقب كراين الضابط كوروليس وهو يتعدد للحظة من الزمن، ثم أوما برأسه إلى الجنديين، ودخل إلى غرفة المختبر وأقفل الباب خلفه. سُمعت صرخة للمطاط حالما التصق الإطار المطاطي المحيط بسائر حواف الباب في مكانه الصحيح بإحكام. ثم اقترب من عالمة الشابة التي كانت لا تزال جالسة إلى جانب طاولة مختبرها فيما هي تتسم له.

"إسمي بيتر كراين،" قال لها مصافحاً. "آسف لاقتحامي مختبرك بهذه الطريقة، لكنني لا أجد مساحة للعمل هنا في الأسفل، وقد ذكروا لي أن هذا المختبر مجهز بطاولة مضاءة."

"إسمي هوي بينغ،" أجابت المرأة، وكانت ابتسامتها تفصح عن أسنان بيضاء لامعة. "لقد سمعتُ عنك يا دكتور كراين. فأنت هو الشخص الذي يتابع أمر الإصابات المرضية، أليس كذلك؟"

"هذا صحيح، وإنما الآن بحاجة إلى قراءة هذه الصور الإشعاعية."

"ليس في الأمر أيُّ مشكلة، خذ راحتك في استعمال أيِّ شيء تحتاج إليه." كانت هوي امرأة نحيلة قصيرة القامة، ولها عيان سوداوان مشرقتان. وكانت تتكلم الانكليزية بطريقة لا تُعاب، وبنبرة صينية قوية. قدر كراين أن عمرها لا بد أن يكون قد تجاوز الثلاثين بقليل. "إن طاولة قراءة الأشعة هنالك."

نظر كراين في الاتجاه الذي أشارت إليه المرأة.  
"شكراً لك."

"أخبرني إذا كنت بحاجة لأي شيء؟"

مشى كراين نحو طاولة قراءة الأشعة، وأدار مصباحها ثم سحب صور الأشعة العديدة التي كان قد أمر بإجرائها للعديد من العاملين في مجمع الحفر. ولقد تكشفت النتيجة عما كان يتوقع أن يراه فيها فعلاً، إذ ليس هنالك من خيط دليلٍ واحدٍ يظهر في أيٍّ من هذه الصور الشعاعية.

وفي خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية، كان قد قام بإجراء العديد من الكشوفات غير الرسمية على الكثيرين من العاملين في مجمع الحفر، وقد تبين له أن الأعراض التي يشكو منها تشبه إلى حدٍ بعيدٍ تلك التي يشكو منها سائر زملائهم في الطبقات العليا غير المصنفة. فهي مثلها مختلفة ومتنوعة إلى درجةٍ محيرة. فهذا واحدٌ يشكو من الغثيان الشديد؛ وآخر يشكو من غبش في الرؤيا، ومشاكل في حقل النظر؛ كما أن البعض يشكو من اختلاط واضح في السلوك السيكولوجي، كعدم انتظام الحركة أو ضياع متقطع للذاكرة. ولم تكن أيٌّ من هذه الحالات - كما هو الحال عادةً - شديدة، أو يربطها رابط واضح بسواها. لكنَّ ثمة حالة واحدة كانت تبعث على الاهتمام العميق. إنها حالة عاملةٍ شابةٍ كانت قد أظهرت تفلتاً في السلوك. فقد كانت، بحسب عاداتها، من النوع الخجول الهاديء الممتنع عن المسكرات امتناعاً تاماً، ولكنها في الأيام الأخيرة الماضية بدت دنيسةً، عدوانيةً، وتحدت الممارسات الجنسية غير المشروعة وغير اللائقة. ففي اليوم الفائت، كانت قد ألزمت البقاء في مخدعها بسبب

العثور عليها ثملة أثناء نوبة العمل. قام كراين باستجواب المرأة، كما تحدث بشأنها مع زملائها في العمل، وهو على عزم إرسال تقرير شامل عن حالتها إلى روجيه كوربيه من أجل تقييم حالتها - بالطبع، بعد تنقيته والتأكد من خلوه من أي معلومات سرية.

نزع كراين آخر الصور عن لوحة قراءة صور الأشعة وقد نذت عنه تنهيدة. وكان قد أمر بإجراء تصوير بالرنين المغنطيسي لبعض المرضى كما سحب منهم عينات من الدم أرسلت إلى المختبر من أجل تحليلها. لكن ما يخشاه هو أن النتائج سوف تعود إليه دون أن يكون فيها أي شيء يعود إلى استنتاج مؤكد. كان جزء منه يأمل في أن يتمكن من الإهداء إلى ثغرة هنا في الأقسام المصنفة تقوده إلى بداية الحقيقة. فلو كان قد تبين ثمة بؤرة لمرض ما في مجمع الحفر - حيث العمل الحقيقي للمشروع - لكان ذلك بمثابة إشارة إلى الاتجاه الصحيح في كيفية العلاج. لكن الناس هنا لم يظهر عليهم أنهم في حالة صحية أسوأ مما هو عليه حال زملائهم في بقية الأقسام العليا.

لا؛ لقد تبين له الآن أن الاهتمام المفاجيء للأدميرال سبارتان لم يكن ناتجاً عن زيادة في اشتداد الحالة، بل لأنها بدأت تظهر في قسم معين بذاته أيضاً. فقبل ذلك، لم يكن عدد الإصابات في ذلك القسم كافياً لإثارة قلقه. أما الآن وقد صار بعض العاملين المسؤولين مباشرة عن عملية الحفر يسقطون مرضى، فإن سبارتان قد استنفر لهذه الظاهرة.

أطفا مصباح لوحة قراءة الأشعات. إن هذه الحالات الجديدة التي ظهرت، حتى وإن لم تكن قد ساعدته في الإهداء إلى خيط محدد، فإنها على الأقل قد فتحت

أمامه مجالاً أوسع للبحث. فالسماح له بدخول الأقسام المصنفة من المنشأة سوف يضاعف، من دون شك، عدد الأشخاص الذين صار بوسعه مراقبة تطوراتهم الصحية، وتضاعف الفرص أمامه للبحث عن عوامل بيئية جديدة ممكنة.

جالت هوي بينغ بعينها. لقد كانت صورة ملفتة للنظر بين الأبيض والأسود: شعر وعينان ونظارتان سوداوان، فوق معطف المختبر الأبيض، والبشرة الباهتة الشفافة. "لا يبدو لي أنك سعيد"، قالت له.

هز كراين كتفيه. "إن الأشياء تعاندني عن الوقوع في مواقعها بالسرعة التي أتمناها وأرجوها."

هزت بينغ برأسها بينما من تنزع كفيها قفازين من المطاط. "هذا ما يحصل معي أيضاً." كان شعرها اللامع قصيراً، وكان يموج كلما حركت رأسها.

"علامَ تعملين الآن؟"

"على ذلك." هنا أشارت بينغ إلي الجانب البعيد، حيث تستلقي قطعة ضخمة من المعدات.

مشى كراين إلى الآلة وحدق في محيط حوافها. ولشد ما أدهشه أن يرى واحدة أخرى من "الخوافر"، وهي تبدو كتوأم لتلك التي كان قد أطلعه عليها أيشر من قبل. كانت تدور في وسط الفضاء متوهجة بعدد لا يحصى من الألوان المتبدلة. وكان عمود الضوء النحيل الضئيل النقي البياض هو ذاته ينبثق عن هذا الجسم صعوداً نحو سقف الغرفة.

"يا إلهي،" قال كراين مذهولاً. "وأنت أيضاً لديك واحدة من هذه الأشياء؟"

ضحكت بينغ قليلاً. "ليست هذه الأشياء شديدة الندرة هنا، على وجه التحديد. فقد تمّ العثور على ما يزيد على عشرين منها حتى الآن." نظر كراين إليها في دهشة. "تقولين عشرين؟"

"أجل، وكلما توَعَّلنا في النزول عمقاً حصلنا على المزيد منها."

"إذا كنتم قد حصلتم على هذا العدد في ممر عمود الحفر فقط، فهذا يعني أن قشرة القاع هنا مشبعة بمثيلاتها."

"لا، لم تكن هذه الأشياء لتوجد في طريق عمود الحفر."

تجهم كراين. "ماذا تعنين بذلك؟"

"حسناً، لقد كان أولُ جسمٍ عثرنا عليه منها، موجوداً فعلاً في نطاق عمود الحفر، ولكن منذ ذلك الحين، فإن بقية ما تبقى منها كانت تأتي بنفسها لملاقاتنا."

"تأتي لملاقاتكم؟"

ضحكت بينغ من جديد. "لست أدري كيف أقولها لك بطريقة أخرى. لقد كانوا يأتون إلى "البلورة". كما لو أن جاذباً يجذبهم إليها."

"هل تعنين أن بإمكان هذه الأجسام أن تتسرّب من خلال الصخور؟"

هزّت بينغ كتفها. "نحن لا نعلم شيئاً عن كيفية مجيء هذه الأجسام بالضبط. لكنها تأتي."

نظر كراين نحو الجسم نظرة أكثر قرباً. لقد بدا الجسم غريباً إلى درجة غير معقولة. فها هو يطغو في

نقطة الوسط بالذات من فضاء المختبر، وهو يتلأأ بتوهج عميق داخلي بقوس فزح، لامع بما لا حد له من أطياف الضوء الملونة تطلع إليه، فانتابه اعتقاد عميق مفاجيء أن مخاوف أيشر ليست سوى مخاوف واهية، ضعيفة، لا أساس لها. فلربما كانت شهادة الشاهد المقلقة التي كان قد قرأها في الليلة الماضية، مجرد شهادة مكذوبة، أو شهادة تشير إلى شيء آخر مختلف للغاية. لعله من المؤكد أن ما يجعل الناس يمرضون هنا لا بد من أن يكون له جذور ممتدة في مكان غير هذا. فهذا الشيء لا بد له من أن يكون حميداً. إذ إن حضارة غير راقية إلى درجة عالية لن تقوى على إنتاج مثل هذه الأشياء ذات الجمال والكفاءة، ومثل هذه الحضارة، لا يعقل إلا أن تكون بعيدة عن أغراض الحرب أو الشر أو العدوان.

"وماذا تدرسين فيه؟" سألها بصوت يشبه الهمهمة.

"أقوم بدراسة ذاك الضوء الضئيل الذي يصدر عنه. لقد كنت أقوم بتمريره خلال جهاز قياس انكسار الأشعة، وخلال جهاز قياس الإشعاع الطيفي. كنت أتطلع إلى تحليل مكوناته. لكن الأمر صعب على ما يبدو."

"هل تعنين أن الصعوبة في ذلك ناتجة عن اضطرارك إلى تحريك أجهزتك إلى مكان يناسب مكانه، بدلاً من أن تجلبي هذا الشيء إلى مكان وجود كل جهاز؟"

ضحكت بينغ مرة جديدة. "هذه مشكلة أيضاً. ولكن لا ليس هذا ما قصدته بقولي إن ما يحصل معك يحصل معي أيضاً. إنني أقصد أن الأشياء تتلاءم مع بعضها

البعض."

طوى كراين ذراعاً فوق أخرى، وانحنى متكئاً إلى القطعة الضخمة من المعدات. "أخبريني عن هذه الآلة وعن هذا الجسم،" قال لها.

"يسرني أن أفعل ذلك. إذ يبدو أن العلماء دون سواهم هم الذين يابهون لأمر هذه الخوافر. أما الباقون، فلا يحركهم سوى الشوق إلى النفاذ إلى العرق الذي تنبعث منه الإشارة. وأحياناً تتابني الأفكار بأنني قد أعطيت هذه المهمة اللاضورية لسبب واحد فقط هو أن كوروليس يريد تنحيتي عن الطريق. فلقد تمّ استقداًمي بالأساس لكي أقوم بإعداد البرامج العلمية للحواسيب، وليس لمجرد القيام بتشغيلها."

وللحظة، بدت غير قادرة على تحاشي ظهور شعورها بالمرارة في نبرة صوتها. وهكذا، فإن كوروليس يبدو أنه قد قام بإبعادها عن الجزء الهام من العمل، ونفاها إلى ركود هذا المختبر، حال في ذهن كراين. المكان الذي تبدد فيها مواهبها على النظريات وعلى القياسات الثانوية. "ولم يفعل بك ذلك؟" سألها. "ألا يثق بك؟"

"إن كوروليس لا يثق بأحدٍ مطلقاً، خصوصاً بشخص يحمل درجة علمية من جامعة بكين للتكنولوجيا." ثم وقفت وتقدّمت مشيرة إلى الشيء الذي يطوف في وسط الغرفة. "وفي أي حال، أترى ذاك الشعاع الضوئي الذي ينبعث منه؟ يبدو ضوءاً ثابتاً، اليس كذلك؟ ولكنك عندما تُخضعه للتجربة، يمكنك أن ترى أنه ينبض ولكن بسرعة لا يمكن تصديقها. إنه يتذبذب أكثر من مليون مرة في الثانية."

"نعم، أذكر أن آيشر كان قد ذكّر ذلك أمامي من قبل."

"ليس هذا كل شيء. فهو يبدو ضوءاً عادياً، أليس كذلك؟"

"إذا استثنينا درجة سطوع بياضه، فالجواب نعم."

"لكنه أبعد ما يكون عن الضوء العادي. وفي الحقيقة، إنه شيء مثير للجدل. فكل ما قد أجرته عليه من تجارب كان قد عاد إليّ بنتائج شاذة."

"ماذا؟ الضوء هو الضوء، أليس كذلك؟"

"هذا ما كنت أظنه من قبل. لكن اختباراتي تبرهن لي أشياء أخرى. إليك مثلاً. فتلك الآلة التي تستند إليها الآن، هي آلة لرسم الطيف."

"لم أرَ من قبل آلة بمثل ضخامتها."

ابتسمت بينغ مرة أخرى. "حسناً، إنها آلة كهروضوئية خاصة جداً لرسم الطيف. وهي تعمل كل ما عمله مثيلاتها، لكن يفارق سرعة أكبر، وبتفصيل أوفر بكثير. هل تعرف شيئاً عن كيفية عمل راسمات الطيف؟"

"إن هذه الآلات تعمل عادة على تجزئة الضوء إلى مكوناته من أطوال الموجات."

"هذا صحيح، فعندما تتأين المادة - لنقل بفعل الحرارة - فإنها تفيض بالضوء. لذلك، فإن الأنواع المختلفة من المادة تفيض بأنواع مختلفة من الضوء. وهذا ما يُطلق عليه اسم 'الانبعاثات الخطية'. وجهاز رسم الطيف يستطيع التقاط هذه الانبعاثات، وأن يقوم بتصنيفها. وهذه الانبعاثات شديدة الأهمية بالنسبة إلى

علماء الفلك. فعن طريق دراسة الانبعاثات الخطية لنجم معين يستطيعون تقرير المادة التي يتكوّن منها ذلك النجم.

"تابعي كلامك."

"وهكذا، فإنني قمتُ باستعمال راسم الطيف هذا للقيام بتحليل شعاع الضوء الذي يطرحه هذا الجسم. وهذه هي النتيجة." هنا استدارت بينع لتبحث عن ورقة ناولتها إلى كراين.

ألقي كراين نظرة شاملة على القراءة، لكنه لم يرَ فيها أي شيء غير عادي. لقد ظهر على القراءة البيانية خط شاذ متعرج مليء بالذرى والبطون، يتعرج من يسار الصفحة إلى يمينها، فهو لا يختلف كثيراً حسبما رأى، عن التخطيط الكهربائي للقلب.

"إنني لا أفقه الكثير عن المِطيافية الكهرضوئية،" قال لها. "لكنني لا أرى شيئاً غير اعتيادي في هذا التخطيط."

"ليس ثمة شيء غير اعتيادي قياساً على نجمة بعيدة ربما. أما أن تظهر هذه النتيجة عن هذا الجسم الصغير؟ فلا يمكن أن يكون ذلك إلا غريباً. فهذه" - وهنا أشارت إلى عدة نتوءات في الخط البياني - "هي خطوط امتصاص."

"وماذا يعني ذلك؟"

"يكون لديك خطوط امتصاص فقط عندما يكون شيء ما أمام النجم الذي تنظر إليه. كأن يكون هناك غيمة، أو كتلة غازية، أو شيء من هذا القبيل، يحجب بعض الضوء، ويمتص بعض أطوال الموجات المحددة.

ويجب أن لا ترى مثل هذه النتائج عندما يتعلق الأمر بشعاع من الضوء واقع في الغرفة نفسها التي تكون موجوداً فيها."

نظر كراين إلى رسم الطيف من جديد متجهماً. "إذن أنت تريدين القول إن نوع الضوء الذي يرسله هذا الشيء، لا يمكن رؤيته سوى من نجمة سحيقة البعد." "هذا صحيح، فطيف الضوء الذي يقوم هذا "الخافر" بإرساله مستحيل أساساً."

بقي كراين صامتاً. ثم ناولَ الرسم البياني إلى بينغ من جديد.

"وهذا ليس إلا واحدة من بضع متناقضات وقعت عليها حول هذا الشيء الصغير. فكل اختبار أقوم بإجرائه عليه يفضي بي إلى نتائج لا يمكن فهمها. إنه شيء جميل ساحر، لكنه يبعث الإحباط أيضاً. لذلك كان اهتمامي باللجوء إلى جهاز رسم الطيف في الدرجة الأولى. لقد قدرتُ أن شيئاً يستعمله علماء الفلك في العادة سوف يكون مأموناً على الأقل." هزت هنا رأسها. "ثم ومن ناحية أخرى هناك مسألة المكونات الفيزيائية لهذا الجسم. ما الذي يجعله يبعث هذا الشعاع من الضوء أساساً؟ وهل لاحظت كيف أن هذا الشعاع من الضوء لا ينطلق سوى في اتجاه واحد فقط - إلى أعلى - كيفما قمت بتقليب الجسم ذاته؟"

"لا، لم أتنبه لذلك." وصل كراين إلى الجسم الطافي، وبذهن نصف شارٍ أداره بأصابعه. ورغم أن الجسم قد دار على محوره بطواعية تحت ضغط بسيط، إلا أن شعاع الضوء المنبعث منه بقي متجهاً على الدوام نحو السقف. أما نقطة الانبعاث فقد كانت تتحرك بيسرٍ

على سطحه أثناء دورانه. لقد بدا الجسم بارداً عند ملامسته، كما كان زليقاً إلى درجة غريبة.

"أمره غريباً،" قال. "فالضوء يشعُّ من النقطة النسبية ذاتها مهما كانت زاوية اتجاهه في الفضاء. كما لو أن محيطه الخارجي بكامله قابلٌ للامتصاص. "قربٌ إليه الخافر أكثر. لا شك أن هذا من فعل خياله. لكن الشيء بدأ وكأنه يصبح أكثر حرارة في يده. التفت ناحية هوي بينغ. "إني أتساءل عما إذا -"

ثم سكت فجأة. فقد تراجعَت خطوة عنه، وعلت وجهها فجأة نظرة من المفاجأة والخوف. "ما الأمر؟" سأَلها كراين.

أخذت الدكتورة بينغ خطوةً إضافيةً إلى الوراء، تحرَّكت إلى ما وراء آلة كبيرة الحجم. "القفازات..." قالت في صوتٍ مخنوق.

فجأة تنبَّه كراين إلى حرارة تكاد تكون مؤلمةً عند أطراف أصابعه. نفض يده بسرعة. تاركاً "الخافر" الذي انزلق بسهولة ليَتَّخذ مكانه الأول في وسط فضاء الغرفة بالذات.

حدَّق كراين في الجسم الطافي، بينما هو مسمَّرٌ في مكانه من الخوف المفاجيء. كانت بينغ قد نطقت بكلمة واحدة فقط، لكن معناها شق طريقه إلى عمق وعيه:

لم يَقم أحد بلمسه قبل الآن من دون قفازات...  
وعندما ازداد الشعور بالحرارة في أصابعه ازدياداً حاداً، شعر أن ضربات قلبه قد بدأت تتسارع وأن فمه يجفُّ. لقد اقترب لتوه الخطيئة التي لا تغتفر، والتي

تُعتبر خطأً فاضحاً حتى ولو صدرت عن أيِّ باحثٍ مبتدئ. والآن...

لكن أي فكرة أخرى تالية كانت قد سُدتَّ عليها الطريق بعد سماع نداءٍ مفاجيء صادرٍ عن بوقٍ كبيرٍ. فقد اصطكَّ الحديد بالحديد، وأغلقت جميع منافذ الهواء في أنحاء المختبر. كما انطفأت جميع الأنوار الآتية من السقف ليحلَّ محلها ضوء الإنذار الأحمر.

ضغطت بينغ على زرٍّ للطوارئ موجود على الجدار. وبذلك سجن الاثنان معاً في داخل الغرفة.

وقف كراين جامداً. كان صوت البوق يكاد يجعل الجدران ترتج، أما أضواء الطوارئ فقد جعلت غرفة المختبر بكاملها تصطبغ بلون الدم.

ما الذي حصل؟ لقد قام بلامسة الجسم الغريب - ويبدو أن هذه الملامسة قد أطلقت ما يشبه سلسلة من التفاعلات. يا إلهي، فكر فيما الخوف يسمّره بوحشية. هل تراني قد تعرضت إلى إصابة بالإشعاع؟ إصابة بنوع من أنواع أشعة ألفا، أو لعله الإشعاع النيوتروني الخفيف؟ ما هو مدى قوة الجرعة التي تعرضت إليها؟ وكيف لي حتى...

نفض عن ذهنه كل هذه التوقعات محاولاً أن يكافح لردّ الخوف عنه والعودة إلى التفكير المنطقي. ما هو علاج تعرض البدن جزئياً للأشعة؟

ابتعد عن الجسم العائم. "حمام!" صاح. "إنني في حاجة إلى الاستحمام في مياه مالحة، بسرعة!"

تطلع نحو هوي، فلاحظ أنها تتكئ إلى الآلة الكبيرة وهي تتكلم معه. لكنه لم يكن ليسمع منها شيئاً بسبب صغير بوق الإنذار.

"ماذا تقولين؟" قال لها.

رفعت صوتها إلى درجة الصياح، كما كانت تخاطبه بالإشارات.

"ماذا تقولين؟" نادى عليها من جديد.

استدارت هُوي، ثم ضغطت على زرٍ على الحائط. فجأة سكت صوت بوق الإنذار. بعد ذلك بلحظة، تمت استعادة الأنوار العادية.

"لقد قلتُ إن الأمر بسيطٌ!" نادت قائلة. "إنها مجرد أشعة تحت الحمراء."

حدّق كراين نحوها. "تقولين إنها أشعة تحت الحمراء؟"

"نعم، لقد حصلتُ لتوي على بيانٍ بذلك من شاشة هذا الجهاز. فعندما قمتُ بملامسة الخافر، بدأ بإرسال ضوءٍ تحت الأحمر." راقبت بينغ الآلة التي أمامها لحظة إضافية. ثم استدارت من حول الجهاز وتقدّمت حاملة عداد جيجر النقال، وقامت بتمريره على الجهة الأمامية العليا والسفلى من جسد كراين، جاعلةً الجهاز يتوقف عند أصابعه. "إنها فقط قراءة لدرجة الإشعاع المنتشرة، قراءةٌ عادية يمكن لك أن تجدها الآن في جميع أنحاء المنشأة."

في هذه اللحظة، تنبّه كراين إلى الأصوات العالية وإلى الطرقات المتتالية على الباب. استدارت هُوي وأسرعت إلى شاشة الاتصالات، وأمسكت سماعة الهاتف. "هنا الدكتور بينغ،" تكلمت من خلال السماعة. "إنه إنذار خاطيء. أكرّر، إنذار حصل بطريق الخطأ."

استجاب صوتٌ داخلي بالقول في رنّته الميكانيكية التي لا نبرة لها: "أدخل رمز التحقق."

استدارت هوي إلى لوحة الكتابة الرقمية وأدخلت بواسطتها سلسلة من الأرقام.

"تم التحقق من الرمز،" قال الصوت، "انتهت حالة الإنذار."

وبصوت اصطكاك معدني جديد، تراجع الغطاء عن فتحات مسارب التهوية وتسرب الهواء النقي إلى داخل المختبر من جديد. قامت هوي بفتح باب الغرفة، فكاد الحارسان القائمان على الباب، واللذان كانا يجتهدان على قرعه، أن يقعا أرضاً لدى فتحه.

"إنه إنذار خاطيء،" قالت هوي وهي تتسّم باحترام وتوميء برأسها. "إنني آسفة جداً للإزعاج."

نظر الحارسان حول المكان بارتياح للحظة، فيما كان سلاحهما في حالة جهوز. استمرت هوي تتسّم وتوميء برأسها. وبعد لحظة - وبنظرة أخيرة نحو كراين - تراجع الجنديان إلى الخارج وعادا إلى وضعهما السابق في محاذاة المدخل. أغلقت هوي الباب من جديد، ثم استدارت نحو كراين. صارت ابتسامتها مرتبكة على الفور.

"آسفة،" قالت له.

"هل أنت من يجب أن يتأسف؟ لقد ارتكبت لتوي خطأ يجب أن يخجل للإتيان بمثله حتى تلميذ مدرسة."

"لا. اعتقدت أنك تعرف التعليمات. لقد بالغت في ردة فعلي، إنني... حسناً، أعتقد أننا جميعاً متوترون هنا قليلاً. إن كل اختبار قد قمنا به كان قد أظهر، حتى الآن، أن هذه الأشياء غير مؤذية، بل حميدة، وساكنة..."

تضاءل صوتها، ووقفا لحظة دون تبادل أي كلام. أفرغ

كراين رثيه من الهواء ببطء، شاعراً أن قلبه عاد إلى بطنه المعتاد. أما أطراف أصابعه، فكانت لا تزال تؤلمه.

بدا وكأن هوي تفكر بشيء ما. "في الواقع،" قالت ببطء، "أعتقد أنك قد قمت لتوِّك بتقديم خدمةٍ إليّ، يا دكتور كراين."

"وكيف ذلك؟" سألتها كراين، وهو يحكُّ أصابعه من دون انتباه.

"لقد أهديتني إلى شيءٍ جديدٍ لكي أقومَ بتحليله. لأنَّ المؤشِّر الآن، بدأ يصور نوعين من الإشعاعات الكهرمغناطيسية."

نظر كراين إليها. "هل تقصدين -"

"نعم." أشارت هوي إلى الآلة أمامها. "إن الجسم لا يزال يُصدر ضوءاً أحمر، إلى جانب ضوءه المرئي."

وعندما اقترب كراين من جديد من الجسم الطافي، بشيء من الخشبة هذه المرة، فإن الخافر طاف أمامه متألّفاً، وكانت حوافه تتذبذب قليلاً كما هو شأنها دائماً، فهي أشبه بالخطوط اللينة، غير الثابتة للسراب. "ما الذي يدعو هذا الشيء لكي يتصرف بهذه الطريقة؟" غمغم لنفسه.

"هذا هو السؤال، أليس كذلك يا دكتور كراين؟"

حدّق كراين إلى الشيء من جديد. "ليس الأمر لبتعلق أبداً بأسلوبه في الدّسر - هل يعقل أن يكون لذلك علاقة؟"

"يبدو ذلك أمراً مستبعداً جداً."

"هل هذا السلوك هو ضربٌ من آلية دفاعية؟"

"تعني أنه يتصرف هكذا ليجعلك تفلته؟ إن هذا أيضاً احتمالٌ مستبعدٌ إلى الدرجة ذاتها، لأن شيئاً في غاية التعقيد، مثل هذا الشيء، ينبغي أن يمتلك من وسائل حماية نفسه ما هو أشدُّ فعاليةً من هذا السلوك بكثير. أضف إلى ذلك، أننا قد حاولنا مرةً أن نتلف واحداً هذه الأشياء - إنها أشياء قد بانت لنا منيعة عن كل أذى حاولنا أن نرميها به. ثم إن أناملك لا يمكن أن تشكل ما يمكن اعتباره تهديداً له."

استدار كراين حول "الخافر" متجهماً. فقد كان لا يزال يشعر بقليل من الاضطراب، بسبب دفقة الأدرينالين التي تسبب بها الخوف له. التقط أنبوب اختبار بلاستيكي، ثم عالج الجسم العائم، بروية، وعناية، حتى أدخله إلى الأنبوب، وختم فوهته بسدادة حمراء مطاطية، ثم توقف قليلاً ليتفحصه. فلم يكن من هذا الجسم الصغير سوى أن طاف في وسط فضاء أنبوب الاختبار بالضبط. كأنما هو متغافلٌ تغافلاً علوياً عن هذا الذي جرى له.

"إن آيشر يرى في هذه الأجسام نوعاً من أنواع الرسالة،" قال لها. "أما النبضات التي تضيء وتنطفئ، فهي عبارة عن رمز رقمي."

أشارت هوي برأسها إشارة الموافقة، "إنه استنتاج منطقي."

"إنني أتساءل كيف يمكن أن يكون حاله الآن،" قال كراين وكأنه يخاطب نفسه أكثر مما يتوجه بالكلام إليها. لقد شعر بالإثم لعدم معاودة اتصاله بكبير العلماء. فالمرة الأخيرة التي كان قد شهدده فيها كانت في حجرته الخاصة، عندما اقتحم سبارتان وبحارته الغرفة

عنوة على من بداخلها. لقد كان شديد الانشغال منذ ذلك الحين، بحيث لم يتوفر لديه أي وقتٍ، بكلِّ بساطةٍ، للاتصال بالرجل أو للبحث عنه.

"سوف أرسل إليه رسالة بالبريد الإلكتروني،" قالت بينغ ثم جلست إلى مكتبها وبدأت تطبع. توقفت قليلاً، وتجهمت، ثم عادت تطبع من جديد. "هذا غريب،" قالت.

"ما الأمر؟" قال كراين متقدماً نحوها.

"إنني لا أحصل سوى على أخطاء في الشبكة،" أشارت إلى الشاشة. "انتبه. ثم تجاوز الحيز الأقصى المتاح."

"ما هو نوع الشبكة التي تعملين عليها؟"

"إنها الشبكة العادية اللاسلكية طراز 11g-802، وهي الشبكة نفسها المعتمدة في سائر أنحاء المنشأة. قامت هوي بطباعة المزيد من الأوامر. "هذه الأوامر تأتي بالاستجابات نفسها، أيضاً."

"لم أواجه أبداً أي مشكلة مع الشبكة في الجناح الطبي."

"هذه هي المرة الأولى التي يحصل معي فيها مثل ذلك. كانت الخدمة دائماً ثابتة كالصخر في ما مضى." عادت هوي إلى الطباعة. "حسناً لقد تمكنت من إرسال الرسالة الإلكترونية في المحاولة الثالثة."

لكن كراين كان لا يزال يفكر. "ما هي موجة التردد لشبكة 11g-802 اللاسلكية؟" سألها.

"إنها خمسة فاصلة واحد جيغاهرتز. ولكن لماذا تسأل؟" استدارت هوي من مواجهة شاشة الكمبيوتر

إلى مواجهته. "هل تفترض -"

"أن شيئاً ما يقوم بالتداخل معها؟ إنه سؤال جيد. هل لديك أي أجهزة أخرى في هذا المختبر تعمل أيضاً على الموجة 5.1.. جيغاهرتز؟"

"كلا الشبكة اللاسلكية فقط هي التي تبث على هذه الموجة..."

تقلقل صوت هوي للحظة. نظرت العالمة والطبيب كلاهما نحو الآخر. ثم وكأنهما منقادين إلى فكرة واحدة - استدار كلاهما نحو الجسم الصغير الذي كان يطفو في أنبوب الاختبار بسكون. كان كراين هو الذي يمسك بالأنبوب.

نهضت هوي عن كرسيها، ومشيت إلى طاولة مختبر قريبة. ثم فتشت بين مجموعة من أجهزة القياس حتى وجدت جهاز تحليل. نهضت في اتجاه الجسم العائم رافعةً جهاز التحليل أمامه، ناظرة إلى الشاشة الصغيرة لجهاز التحليل.

"يا إلهي،" قالت. إنه يرسل على ذبذبة خمسة فاصل واحد جيغاهرتز أيضاً."

"إنه يتواصل على ثلاث ترددات،" قال كراين.

"ثلاثة هي التي نعرفها. لكن يخطر لي الآن أن أراهن على أن هنالك المزيد من الترددات أيضاً. وقد تكون هذه الترددات كثيرة جداً."

"وهل أنت واثقة من أن هذه هي ظاهرة جديدة؟"

"تماماً. لقد كان خيط الضوء البسيط هو وحده الموجود دون سواه." حدق كراين في الجسم الطافي

الصغير. "ما الذي تعتقد أن قد طرأ؟" قال مغمماً.  
أقلت إليه بينغ بابتسامة فضولية. "يبدو أنك قد  
أيقظته، يا دكتور كراين."  
ثم تراجعت إلى مكتبها، حيث جلست وبدأت  
بالطباعة كالمحمومة.

## 28

"أجهزة غسل الغاز، ثاني أكسيد الكربون؟"

"فُحص."

"آلية المؤازرة والمحافظة على الوضع الأفقي؟"

"فُحص."

"سلامة جدار منع التسرب؟"

"مئة بالمئة."

"مؤشرات التوجيه العطالي؟"

"أخضر."

"القفل الكهرومغناطيسي؟"

"إلى الدرجة القصوى."

"مجس الحرارة؟"

"فُحص."

استدار توماس أدكينسون في كرسية في اتجاه لوحة مفاتيح ماكينته، وضبط جهاز الاتصال المتبادل بين

الملاح والمهندس. كانت شاشته الخاصة خضراء، أما الأذرع الروبوتية المثبتة إلى أسفل البلورة فقد كانت مُعدّة، وجاهزة، للعمل.

سلسلة من الأصوات الداوية، الآتية من خارج جسم البلورة، لاشت ليحل محلها صوت مُهسهس. لقد أُعيدَ تلحيم صفيحة فتحة الدخول في مكانها، كما تمّ صقلُ جميع آثار التلحيم صقلًا كاملاً. فلو قدم الآن قادمٌ جديد إلى مجمع الحفر، ومشى حول البلورة، لما أمكنه أن يرى سوى كرة تامة الاستدارة، صقيلة الوجه إلى حدّ الكمال. ولن يكون ثمة ما يشير إلى وجود ثلاثة رجال في داخلها.

ثلاثة رجال محشورين في وضعٍ بالغٍ من قلة الراحة.

تململ أدكينسون على كرسيه "المعدنيّ الصغير، مجاهدًا للحصول على الوضعية الأكثر راحة له في الأربع والعشرين ساعة القادمة. وبسبب كون الدخول إلى البلورة والخروج منها، عملية تستهلك الكثير من الوقت - تسعون دقيقة لإتمام عملية الدخول وتحضيرها، وتسعون دقيقة أخرى لإخراج الفريق إلى خارج البلورة - فقد كان على الطواقم أن تعمل على أساس ثلاث نوبات عمل كل أربع وعشرين ساعة، للحصول على أقصى درجة ممكنة من الكفاءة.

كفاءة العمل القصوى وعدمها، سيّان. يجب أن يكون هناك، طريقة أيسر من هذا العمل، لكي يكسب المرء قوته.

سُمع صريفٌ لوصلة الاتصال المشتركة. "البلورة رقم واحد، هذا هو مركز التحكم في الغطس،" جاء صوت مكتوم من الميكرو. "كيف هو الحال عندكم؟"

أمسك غروف، ملاح البلورة، الميكرو. "هذه هي  
البلورة رقم واحد. كل الأجهزة: عادية."  
"علم."

أرسل أدكينسون نظرة إلى غروف. فبوضعه للبلورة،  
كان غروف من الناحية التقنية مسؤولاً عن عملية  
الغطس، وهذا كان في الحقيقة نكتة طريفة لأن للملاح  
الشيء القليل مما يمكنه عمله سوى مراقبة بعض  
مقاييس الضغط، والتأكد من عدم وجود متاعب. أما  
العمل الحقيقي فكان يقوم به هو، أي أدكينسون،  
وزميله المهندس هورست. ومع كل هذا، فإن غروف  
كان هو الشخص العارف دائماً بأخر مستجدات اتصالات  
الصوت والصورة التي يجري نقلها في الاتجاهين ليس  
مع مجمع الحفر فحسب، بل أيضاً مع قاعدة مراقبة  
سلامة العمليات، الموجودة في مكان ما، خارج  
واشنطن، أيضاً. وكان عليه أن يتصرف تصرف الأمر،  
كرامة عين الكاميرا...

خرج صريفٌ جديدٌ من وصلة الاتصال. "إلى البلورة  
رقم واحد، بوابة العبور إلى الماء مفتوحة. أنتم جاهزون  
للانحدار فيها."

"أخذنا علماً بذلك،" قال غروف.

وللحظة كان كل شيء هادئاً. ثم كانت رجّة مفاجئة  
فيما تآرجحت البلورة من مأواها في اتجاه حجيرة الماء.  
تلا ذلك شعور بالاستقرار التدريجي، أعقبه شعور آخر  
بسقطة عمودية مفاجئة حالما تحررت الكلابات  
وسقطت البلورة في داخل حجيرة الماء. كان هناك وقع  
صوتٍ داوٍ جاءهم من فوقهم بينما أقفلت صمامات  
الضغط. وكجميع الأصوات التي تأتي إليهم من الخارج،

فقد كان هذا الصوت ملطفاً إلى درجة غريبة، كان للصوت سلسلة من الترجيعات التي تكررت بخفوت في عشرات من الأشكال الضعيفة المسعورة.

وكان هذا راجع إلى الشكل اللاإعتيادي - الشاذ في الحقيقة - للبلورة. فقد كان جسمها الخارجي الصفائحي، مصنوعاً من راتينجات كربيد الكالسيوم، الممزوجة بالتيتانيوم والسيراميك. أما جسم التجويف الداخلي فقد كان مصنوعاً من الفولاذ المقوى. فقد كان التصفيح المزدوج لهياكل الأجسام الغاطسة، أمراً شائعاً في صناعة الغوّاصات. أما الذي جعل البلورة فريدة في تصميمها فهو وجود تلك الحشوة بين غلافها. ولقد كان أدكينسون قد شاهد بأمر عينه صوراً وتصاميماً لمثل هذه الأجسام. كان هناك أشكالاً انضغاطية: مئات منها تصل بين الغلاف الخارجي والغلاف الداخلي، وتشدُّ واحدها إلى الآخر. كما كان ثمة أشكالاً انضغاطية أخرى بين طبقات هذه الشكالات ذاتها.

وكان مصممو البلورة قد استقوا هذا التصميم من أعمال الطبيعة ذاتها. وهذا ما وجدته أدكينسون أغرب ما في الأمر. لقد خال أن المهندسين يمازحونه حينما لجأوا إلى تبسيط الأمر له. فهذا التصفيح المعقد بما يجاوز التصديق إنما صُمم على غرار.. رأس طائر نقار الخشب. فلو قام أي طائر آخر عادي بنقر جذع شجرة، يوماً بعد يوم، لكان ذلك أمر كفيل بتحويل دماغه إلى هلام جيلاتيني في وقت قياسي بسبب وطأة الصدمات. لكن الطبيعة قد جهزت جمجمة نقار الخشب بطبقتين عظيمتين محشوتين - هل تدري بماذا؟ - بالكثير من أنسجة الشكالات الانضغاطية القائمة بينهما.

هزَّ أدكينسون رأسه. نقار الخشب، يا إلهي. يا لها

من فكرة أن يُحكَم علي المرء كَلِيَّة في جوف هذه الكرة المعدنية المشعَّة، لكنَّ كلَّ ذلك كان له سبب يبرِّره، ألا وهو شِدَّة الضَّغط...

هذا الضَّغط، الذي طالما جَهد أدكينسون ألا يفكِّر في أمره.

"إلى البلورة رقم واحد،" خرج صوت من وصلة الاتصال يقول: "هذه وحدة مراقبة الغطس. لقد تجاوزتم الآن حجرة الماء. كما تمَّ تفعيل هاوس إغلاق الضَّغط"

"أخذنا علماً بذلك،" قال غروف. أعاد الراديو إلى مكانه واستدار نحو هورست. "كيف هي حالة مجسِّ التحسس؟"

كان هورست منكباً فوق لوحة التحكم الخاصة به، وهي تتألف من ثلاث شاشات، ولوحة مفاتيح، وذراعي إدارة صغيرين، "إنه يكاد يدرك طلبته الآن."

اكتفى أدكينسون بمراقبة ما حوله بكسل، وفيما كان المهندس منكباً على عمله، كانت عينا هورست معلقتان على شاشاته الثلاث. وكان ثمة جسم بارز، واحد على صفحة كلِّ شاشة. كانت ثلاثة أجسام يُظهرها مكشاف الصدى بلون مخضب بالأخضر. وكان لكلِّ شاشة صورة لجسمٍ من هذه الأجسام الثلاثة. فالشاشة الأولى تعرض صورة بلورتهم الخاصة وتظهر ماكينة حفر النفق على الشاشة الثالثة؛ أما على الشاشة الثانية الوسطى، فقد ظهرت صورة الروبوت الذي يمتدُّ في مياه المحيط، والذي اصطلح على تسميته بمجسِّ التحسس. وكان هناك كاميرا خارجية حقيقية واحدة على متن البلورة، هي عبارة عن جهازٍ لاسلكيٍّ متناهي الدقة، وله عين للرؤيا لا تتجاوز في

حجمها عين المثاق (البريسكوب). أما وظيفة هذه الكاميرا فمقتصرة على خدمة الملاح.

"لدينا عقبة،" قال هورست.

"علم." نقر غروف بعض المفاتيح على لوحة التحكم أمامه، ثم أدار طارةً مستديرةً ضخمةً أمامه بمقدار تسعين درجة إلى اليمين. "حاصل التعزيز هو خمسة وسبعون بالمئة."

جاء صوت صرير من لوحة تحكم غروف، تبعه طنين بدا كأنه يأتي من مكان ما، ومن لا مكانٍ، في أن معاً. ثم أحسّ بإحساس غريب قادم من قعر معدته عندما تذبذبت البلورة بعنف نحو الأسفل للحظة من الزمن، كما لو أنها بالون منفوخ بالهواء قد تلقى دفعة عنيفة مفاجئة.

"تموضع تام،" قال هورست.

التقط غروف الراديو من مركبته. "إلى وحدة مراقبة الغطس، هذه هي البلورة رقم واحد. اعترضتنا عقبة في مجس التحسس. إننا ننحدر الآن."

عاد هورست إلى أذرع التحكم أمامه. كان هناك دفعة أخرى ألطف من الأولى، نحو الأسفل، ثم بدأت البلورة بالتحدر السهل إلى الأسفل في اتجاه الثغرة المحفورة إلى وجه موقع التنقيب.

هز أدكينسون رأسه من جديد. فكما هو غريب أمر تركيبه هذه الصخور، فإن طريقة الحفر فيها تبدو بدورها أشد غرابة. لقد كان معتاداً على الغواصات، بما لها من خزانات تعمل كصابورات ترحيح، وبما لها من مكابح تحكم. لكن لا يمكن وجود خزانات ترحيح في جسم

البلّورة. فالتجاويف في سطحها الخارجي، أو حتى إحداهن أصغر كوة فيه، كانت مسائل خارج نطاق البحث تماماً. وبدلاً من ذلك، فقد كان لكل بلّورة مجسّس تحسس، وهو كناية عن جسم غاطس روباتي يوضع في الممر الرأسي تحت البلّورة، ويجري إنزاله إلى سطح منطقة الحفر عند بداية كل نوبة. وهذا المجسّس مرتبط بالبلّورة بحقل كهرمغناطيسي قوي؛ فإذا ذهب المجسّس التحسس نزولاً، جذب إليه البلّورة فتبعته.

وقبل الشروع في عملية الغطس، تكون البلّورة معدّة لكي تتوازن ضغطياً عند المستوى ذاته المخصص للمنشأة. ثم أنها تنحدر إلى قاع مهواها الرأسي بفضل انجذابها المغناطيسي إلى مجسّس التحسس الذي يقوم بالعمل كله. ثم عند إنتهاء أمد النوبة، سيكون علي هورست، وهو الشخص المولج بالتحكم في مجسّس التحسس، أن يقوم، بكل بساطة، بفصل الوصلة المغناطيسية. عند ذلك، ترتفع البلّورة من جديد، باحثة عن مستقر توازنها البارومتري، فيما الماء يحيط بها من كل جانب، إلى أن تصل إلى أمان المنشأة، حيث يحصل لها التوازن وتستقر في مقرّها.

قد تبدو هذه الطريقة غريبة، لكنها أثبتت نجاحها كالسحر في عمليات الغطس المتتالية إلى الأعماق السحيقة. حتى أنها تتمتع أيضاً بألية نجاه في حال محاولات الغطس العائرة. فلو أن طارئاً طرأ على مجسّس التحسس، فإن كل ما يكون على المهندس المسؤول فعله هو أن يقوم بقطع الاتصال الكهرمغناطيسي قبل أوانه المقرر. وعند ذلك ترتفع البلّورة من تلقاء ذاتها. لقد كان أدكينسون يكره الاعتراف بهذه الحقيقة، لكن هندسة هذا الأمر كلها لم تكن فكرة خارقة في

عبقريتها. وعندما تصل في بحث ذلك الأمر إلى عمقه، تجد أن الضغط لن يسمح بسوى ذلك من الحلول.

فبداية الأمر كله، ونهايته، هي الضغط.

لسنا على أقلّ من ألف قدم تقريباً،" أعلن غروف في جهازه.

"الوصلة الكهرمغناطيسية، عشرة على عشرة،" قال هورست. "نحن في حالة هبوط بمعدل ثابت مستمر."

لعق أدكيسنون شفّتيه. فالضغط لم يكن قد أجبرهم على اللجوء إلى حلول مفرطة التكلفة، من أجل تأمين العمل في الأعماق فحسب، لكنه قد جعل العمل ذاته أيضاً بطيئاً ومرهقاً. فبادئ ذي بدء، تقوم ماكينة الثقب الصلبة، العصية على الانكسار والتدمير في واقع الأمر، والممتدة تحت أسفل الثقب بمسافة إثني عشر قدماً أو حولها، بالسماح لمياه البحر بملء الثقب الذي يزداد عمقاً شيئاً فشيئاً. ثم يقومون بتثبيت جدار هذا الجزء الحديث الثقب بواسطة أربطة فولاذية، مستعملين من أجل ذلك الأذرع الدقيقة، الشديدة التعقيد والكفاءة، لمجسّ التحسيس، الذي هو الروبوت المرتبط بالجزء الأسفل من البلورة. إن هذه إحدى وظائفه الأساسية، بالإضافة إلى وظيفة شفت الطمي المحفور من داخل البئر إلى خارجه، بواسطة أنبوب تفريغ موصول إلى آلة خاصة، من شأنه أن يسحب هذه المواد خلال قناة واسعة ممتدة إلى فجوة في قاع المحيط تبعد عدة مئات من الياردات عن موقع المنشأة. وكل هذا العمل يجب أن يؤدي على جناح السرعة، وبكل دقة، وإلا فإن الصخور والرواسب المستخرجة ستتراكم وتتكهف

بسرعة لتطمر آلة الثقب، لا سمح الله.

"نحن على عمق ما لا يقلُّ عن ألفي قدم تقريباً،"  
أذاع غروف.

وبالطبع، فقد كان الرجال مدربين جيداً، وكانت العملية تسير تحت إشرافٍ دقيقٍ، وإلا لما كان من الممكن للأمر أن يحدث. فخبرته وتدريبه - ولعل الفضل يعود في ذلك إلى شخص غريبٍ، ذميمٍ، حقيرٍ كانت خبرة فريدة من نوعها، كما كانت بشكلٍ خاصٍ، غير باعثة على السرور، بالإضافة إلى كونها شديدة التطلب.

وبعدما تنتهي فترة مناوبتهم، فإن البئر سيكون قد امتد ثلاثمئة قدم إضافية أو أكثر في خطٍ مستقيم نزولاً تحت المنشأة، وستكون هذه المسافة الإضافية أيضاً قد عززت جدرانها بشكلٍ دقيقٍ بالفولاذ المقوّى. وحيث إن البئر ذاته سيكون مغموراً بمياه المحيط، فإن الحزام الفولاذي للبئر لن يكون عرضة لأيّ ضغط.

"إن معدّل نزولنا قد انخفض،" قال غروف.

حدّق هورست في شاشاته. "إن مجسّ التحسس قد أبطأ."

تجهم غروف. "الأمر يختلف هذه المرة عن المرة الماضية، أليس كذلك؟"

وعبارة "المرة الماضية" كانت تشير في الحقيقة إلى مهمة اليوم السابق، حيث توقف مجسّ التحسس عن الاستجابة للأوامر لمدة ستين دقيقة، من دون سبب مبررٍ أو واضح. وكان موقعه آنذاك، عند أعماق نقطة من البئر. وبشيء من التكاثر، تساءل

أدكينسون متعجباً، ما اسم ذلك المَعْتَوِه الذي أُطلق علي هذا الروبوت إسم: مجسّ التحسس دودل باغ؟. إلا أن دُودِل باغ بدت كلمة قصيرة ومحَبَّبة وبينما الشيء الحقيقي لم يكن في واقع الأمر كذلك، إذ إنه كان ثقيلًا ضخماً، وله هيئة رجلٍ أليٍّ متوحِّشٍ، لو أنك قد وصلت إليه لمعاينته مباشرة.

"كلا، ليس الأمر هذه المرة شبيهاً بالمرة السابقة،" كان المهندس يقول؛ "إنها مجرد مسألة اضطراب في درجة الحرارة. ولسوف تنتهي منها في لحظة أو لحظتين من الزمن."

عدّل أدكينسون من جلسته بهدوء على كرسيه الصغير. استرجع في ذهنه أن هذا اليوم هو يومٌ مميزٌ من جميع النواحي. ففي الليلة السابقة كانت ماكينة الحفر قد ثقت القاعدة السفلى للطبقة الثانية لقشرة الأرض. وبذلك سيكونون هم اليوم فريق العمل الأول الذي يبدأ في اختراق وجه الطبقة السفلى الثالثة تحت قاع المحيط، وهي أعمق طبقة بين طبقات القشرة الأرضية. أما تحت هذه الطبقة الأخيرة، فتقع منطقة الموهو... وما أدراك ما هو الشيء الذي ينتظرهم في منطقة الموهو هذه!

لقد كان أدكينسون شديد الفضول حول الأشياء التي وجدوها حتى الآن في الطبقة المحيطية من القشرة. وكل ما عرفه عن هذه الطبقة الأخيرة بشكل أكيد حتى الآن، هو أنها أقل طبقات قشرة الأرض الثلاث سماكة، وأنه تتوافر عنها معلومات أقل من سواها. وبعد كل شيء، فإن أي مشروع سابق لثقب قاع المحيط لم يكن قد وصل مرة إلى مثل هذا العمق. إنهم الآن يلجون مكاناً لم يلجه أي جهد بشري في أي وقت

مضى. وقد راق له أن يتذكر ذلك.

تنهَّد في كسلٍ ممرّاً أطراف أصابعه على مقداح التشغيل المعقد لذراع الروبوت، وهو ذراع يدار من بعد، وذلك لأنه لا تستطيع أذرع هيدرولية أو أسلاك كهربائية أن تخترق جدار البلورة. لقد جال في ذهنه أن رحلته هذه إلى الأعماق ربما كانت ستكون أقلَّ إحساساً بالوقت لو أن أصحابه فيها كانوا من النوع الأمتع صحة. لكن التكلم إلى كلِّ من هورست وغروف كان في رأيه المكافئ الاجتماعي لمراقبة الطلاء وهو يجفّ.

"نحن على عمق ما لا يقل عن قرابة خمسة آلاف قدم،" قال غروف.

اللعنة عليك، جال في ذهن أدكينسون غاضباً.

مرّت عشر دقائق لم يكسر خلالها الصمت سوى قرعات الراديو الآتية من السطح، واستجابات غروف الروتينية المسهبة التي لا ينزاح عنها. وعندما قاربوا أخيراً قاعدة البئر اشربَّ عنق أدكينسون للمرة الأولى. فقد خال أنه حين يستطيع البدء بعمله الذي يتطلب براعة فريدة - والذي يقوم على استلام الأربطة الفولاذية نصف الأسطوانية المدلاة إليه بواسطة كابل خاص من المنشأة، ثم إنزال هذه الصفائح بإحكام في أماكنها الصحيحة مستعيناً بعددٍ لا يحصى من الرافعات التي تتحكم بذراع الروبوت، وإحكام التحامها مع سواها بعد ذلك - فسوف يشعر عندئذٍ فقط أن الوقت صار يعدو بسرعة.

"ابدأ بتخفيف السرعة،" قال غروف.

نقر هورست على لوحة المفاتيح لصغيرة المثبتة

بين ذراعي التحكّم أمامه. "البدء بالانزلاق نحو الأسفل."

"قبض غروف على الراديو. "إلى وحدة مراقبة الحفر، هذه هي البلورة رقم واحد، إننا نقرب الآن من السطح البيني. ابدأوا بإرسال الحمولة إلينا."

"إلى البلورة رقم واحد. عَلم،" جاء صوت ناعق من البوق. "الجمل الابتدائي في طريقه إليكم في خمس"

التفت غروف إلى أدكينسون. كانت هذه هي الإشارة لكي يبدأ بالعمل. رد على الالتفاتة بإيماءة من رأسه بدأ يُعدّ محطته. أدار جهازه السونار، متهيئاً بذلك لمراقبة إنزال الصفائح الفولاذية. أمسك برفق مفتاح تشغيل ذراع الروبوت، وثناه، وفحص أذرع التشغيل الستة، ثم بدأ بتشغيل مجموعات الاختبار، أولاً لاشتغال المحرّك الكبير، ثم لاشتغال موتوراك التحكّم.

يا للغرابة. إن ذراع التحكّم تبدو بليدة متعثرة، بل خاملة تقريباً في استجاباتها لتحريكاته...

دخل صوت غروف فجأة على أفكاره.

"لقد توقفنا،" قال الملاح. استدار نحو هورست، "ما الأمر؟"

"لست متأكدًا." نقر المهندس على لوحة مفاتيحه، محدّقاً في إحدى شاشاته.

"هل هناك من إنذار يتعلق بالمتاخمة مع ماكينة الثقب؟"

"كلا،" أجاب هورست. "لقد بدأت عملها حسب برنامجها. وقد قامت بحفر أربعة أقدام من الممر

الرأسي حتى الآن."

"إذن، ما الذي جعل المجسّ التحسّسي يتوقف؟"

"السبب مجهول." طافت أنامل هورست فوق لوحة المفاتيح. "إنه يستجيب بشكل متقطع فقط إلى الأوامر."

"يا إلهي. إن هذا هو كل ما نحتاج إليه." صفق غروف يده على وجه فاصل إنشائي.

كان يمكن تحمّل صحبة الملاح هذا، عندما تكون الأمور لا تزال تسير سيراً حسناً، لكنه إذا ارتطم بعقبة ما، فعندئذٍ يستحقّ وعن جدارة جائزة أسوأ الناس خلقاً. تمنى أدكينسون بكل حرارة أن لا تتحوّل نوبة العمل هذه إلى واحدة من التي تسجلها كتب الأرقام القياسية عادة.

"هل لك أن ترفع المردودية؟" سأل غروف.

"إنها عند مداها الأعلى الآن."

"حسناً، اللعنة عليها، عليك أن \_"

"ها هي،" قال هورست. "إنها تتحرك من جديد."

"هذا أفضل،" أجاب غروف، فيما عادت لهجته إلى الهدوء. "حسناً، يا أدكينسون تهياً من أجل \_"

"أوه، تبا!" قال هورست. ثم أن العجلة المباغثة التي ظهرت في صوت المهندس أرسلت دفعة من الذعر في قلب أدكينسون. "إنه يرتفع!"

"ما الذي يرتفع؟" سأل غروف.

"مجسّ التحسس. لم يعد ينزل نزولاً، بل يرتفع في

اتجاهنا!

انحرف أدكينسون ليتمكن من مواجهة شاشة المهندس التي هي في الوسط. لقد بدا له الأمر واضحاً عبر صورة السونار المخضوضرة بأن المخلوق الروبوتي يتحرك نحو الأعلى. وحتى وهو يحدّق في الصورة، فإنه لاحظ أن سرعة الروبوت تتزايد.

"حسناً، أوقفه!" صرخ غروف، "أطفئه!"

طبع هورست على لوحة مفاتيحه بيأس. "لا أستطيع، إنه لا يستجيب لأيّ من الأقفية."

ثم ارتفع صوت إنذار حادّ مفاجيء. "خطر الاصطدام"، قال صوت نسوي خفي. "خطر الاصطدام..."

"الوضع ليس جيداً!" صاح هورست. "لقد باتت المسافة خمسين قدماً وأقرب."

شعر أدكينسون بدفعة خوف أخرى أقوى من الأولى تسري في أوصاله. فلو أن المجسّ نطح البلورة وأتلف جدارها الخارجي على الأقل، فإن هذا قد يؤدي إلى إتلاف الشبكة المعقدة للشكالات الانضغاطية التي تحافظ على سلامة بنية البلورة في مواجهة الضغط الشديد...

وفي دعر مفاجيء، جال حوله بيدين مقبوضتين حيناً ومنبسطتين حيناً آخر، وكأنه يفتّش بشكل مخالف للعقل عن مخرج من البلورة.

"إنني أقرر إلغاء المهمة!" صاح صوت غروف عبر الثُّغَاء الذي يهذر به بوق الإنذار. "يا هورست، قم بفصل الاتصال الكهرومغناطيسي مع الروبوت. سوف نتجه نحو

السطح."

"إنه مفصول أصلاً، والروبوت لا يزال متجهاً إلينا. إنه على بعد ثلاثين قدماً عنا الآن، وهو آتٍ بسرعة كبيرة!"

"تياً." أمسك غروف بالراديو. "إلى فريق مراقبة الغطس. هذه هي البلورة رقم واحد. ألغينا مهمتنا، ونحن عائدون."

"إلى البلورة رقم واحد. كرّر ما قلته من جديد؟" قرع صوت الراديو.

"المجسّ التحسسي خارج عن السيطرة. إننا نقوم بصعود اضطراري."

تشبث أدكينسون بمقعده، يائساً يحاول الإبقاء على السيطرة على نفسه. بدأ يشعر الآن أنهم بدأوا بالصعود ولكن ببطء مؤلم. كانت عيناه مسمرتين إلى شاشات هورست. أسرع، لعنك الله، أسرعى.....

"التصادم وشيك،" أذاع صوت نسوي حريري. "التصادم وشيك."

"عشرة!" قال هورست وكأنه يصرخ. "يا إلهي!"

"تحضّروا للصدمة!" صاح غروف.

رمى أدكينسون نفسه فوق لوحة التحكم التي أمامه، متمسكاً بأقصى ما يمكنه بالفاصل الإنشائي المستوي. عضّ على فكيه. وللحظة شديدة الغرابة، سادت كل مفردات الضجة الرهيبية في داخل البلورة – فمن عويل الإنذار حول اشتداد مسافة القرب، إلى صيحات غروف – وتحولت إلى لحظة عذاب معلق. ثم من الأسفل، جاءت الصدمة القاتلة؛ قاومت البلورة بعناد، ثم

انحرفت جيئة وذهاباً، وكان المعدن يصطك ويصرف  
بحدّة، ويجلف بعضه بعضاً؛ وكان صعود سريع مفاجيء  
خارج عن كل سيطرة؛ اصطدمت جمجمة أدكينسون  
بعنف بالأرضية... ثم ختمت الظلمة التامة على وعيه.

هرول كراين عبر الممرات المتاهية للطبقة الثالثة،  
مصحوباً بجندي بحري له شعر أشقر قصير.

"ما الأمر؟" سأل كراين. ما الذي حصل؟"

"لست أدري يا سيدي،" قال الجندي البحري. "إن الأوامر التي تلقيتها تقضي بأن أصطحبك إلى مجمع الحفر دون أي إبطاء."

توقف الجندي ليفتح باباً لا يحمل أي يافطة، وهذا الباب أفضى بهما بدوره إلى بيت درج ضيق مخصص للخدمات. اتخذوا طريقهما على الدرجات المعدنية، إلى الأسفل، درجتين درجتين، إلى أن وصلا إلى الطبقة الأولى. فتح الجندي باباً آخر، فعبرا شبكة جديدة من الممرات. وبينما كان يهرول، لاحظ كراين أن الجدران في هذه الطبقة - وهي واقعة في قعر جميع طبقات المنشأة - مطلية باللون الأحمر الباهت.

كانت تقع أمامهم مجموعة ضخمة من الأبواب المزدوجة. وما إن اقترب كراين حتى فتح له الجنود الواقفين في الخارج الأبواب. وخلفها كان يقع مجمع الحفر. كان هناك عنبر المعدات الضخمة الذي سبق أن رآه من طبقة عليا في اليوم السابق. فالغواصل

الإنشائية للمعدات. والرفوف المعدّة لتنفيذ الآلات تزير ثلاثة من الجدران. وكان ثمة عدد من فتحات المرور التي تؤدي إلى فسحات مخصصة لإيواء التجهيزات، أو إلى بعض المختبرات، أو محطات المراقبة، أو غرف العزل. أما السقف - وهو بارتفاع طبقتين في هذا المستوى فقد كان مكللاً بالرافعات، وقناطر الرافعات المتحركة، والسلاسل الثقيلة، والمعدّات الهيدروليّة. وكان التقنيون يتسارعون هنا وهناك، ويتخاطبون بأصوات خفيضة، أما وجوههم فكانت ناضبة وقليلة. وفي مكان ما، بعيداً، كان ثمة صوت إنذار.

وفي وسط العنبر، كان جماعة من الناس يتحلّقون حول ما كان يبدو بوضوح أنه السداد العلوي لفتحة منع تسرب المياه. وكان الأدميرال سبارتان حاضراً بين هذا الجمع. مشى كراين بسرعة متقدماً نحوهم.

"ما الذي يحدث هنا؟" وجّه سؤاله إلى سبارتان.

نظر الأدميرال إليه للحظة قبل أن يعيد النظر في اتجاه فتحة منع تسرب المياه. "لقد حصل نوع من الحادث مع البلّورة رقم واحد."

"أي نوع من الحادث؟"

"كنا قد فقدنا الاتصال مع الفريق الذي بداخلها، وليس هناك من وسيلة الآن للتأكد. من الواضح أن الآلية الروبوتية التي تقوم بجذب البلّورة إلى الأسفل باتجاه الجفر قد تعطلت. ثم اصطدمت بالبلّورة. أما الآن، فإن البلّورة رقم واحد ترتفع نحونا وهي خارجة عن أي سيطرة."

"يا إلهي، هل فقدوا الضغط؟"

"بالطبع هذا غير محتمل، وأيَّ إصابات موجودة قد تكون حدثت على الأرجح بسبب تأثير الاصطدام"

"رضوض كبيرة،" تتمم كراين. نظر حوله مفكراً بسرعة. "لقد قلت إن البلورة مأهولة بطاقم من ثلاثة أشخاص؟"

"صحيح."

"ليس لديَّ أيُّ إمداداتٍ طبيَّةٍ تحت يدي هنا."

"بعض حقائب الإسعاف الميداني الطبي هي في طريقها إلينا الآن."

صدر صوت مزعج صارفٍ عن بوق يقول: "الوقت المقدَّر لحصول الاصطدام دقيقتان."

"إن حقائب الإسعاف الطبي الميداني لن تكون كافيةً أيها الأدميرال،" قال كراين. "سوف أحتاج إلى إعداد المكان هنا للعلاج الطارىء. وسوف أحتاج إلى الدكتورة بيشوب لكي تقوم بمساعدتي، خصوصاً إذا كان هنالك من حاجةٍ إلى تصنيف المصابين."

استدار سبارتان لكي يعيد النظر إليه. "لا، ليس في مجمَّع الحفر."

"لكن -" ابتداءً كراين بالكلام.

"بإمكانك أن تستعمل المستوصف المؤقت في الطبقة الرابعة، وسأستدعي الدكتورة بيشوب إلى هناك." أشار سبارتان إلى واحدٍ من الجنود البحريين المتمركزين هناك. "إبحث عن الدكتورة بيشوب، وقم بمرافقتها إلى الطبقة الرابعة،" قال أمراً.

أدَّى الجندي تحية عسكرية لقائده قبل أن ينصرف

إلى مهمته بسرعة.

"ماذا لو كان هناك إصابات في الأعناق؟" سأل كراين. "لن يكون باستطاعتنا تحريك مثل هؤلاء المصابين..." لكنه سكت عندما قرأ تعابير وجه الأدميرال.

نظر فني مختبر من وراء لوحة تحكّم قريبة "أيها الأدميرال، وقال إن معدل سرعة ارتقاء البلورة رقم واحد، قد بدأ بالإبطاء قليلاً."

"ما هو معدل سرعتها الحالي؟"

"ثلاثة وأربعون قدماً في الثانية، يا سيدي."

"لا يمكنها أن تتوازن،" قال سبارتان. "إن هذه لا تزال تعتبر سرعة هائلة."

انتظر كراين، محاولاً مراجعة العمليات التي سيلجأ إليها حالما تتم استعادة البلورة. فرغم كل علومه المتخصصة، فإن الأمر سينتهي إلى الإجراءات ذاتها التي سوف يقوم بها أي طبيب آخر مختص بالتعامل مع إصابات الرضوض في الحالات الطارئة. والإجراءات الأولى هي تأمين التهوية، والتنفس، ودوران الدم أما إذا كان اصطدام الحفار الروبوتي بالبلورة عنيفاً إلى درجة كبيرة، فمن المحتمل أن تكون قد حصلت أيضاً إصابات تمزق في الأنسجة، أو تقطيع في الأوصال، أو التواءات في مفاصل العظام، كما أن الارتجاجات الدماغية لن تكون مستبعدة. وبما أنه سيتربّ على ذلك نقل أفراد الطاقم إلى الطبقة الرابعة، فإن الأمر سيحتاج إلى أطواق تثبيت للعنق، كما يتطلب أن يمدد الرجال على ألواح قصيرة كاحتياط ضد —

"إن الوقت المقدر لحصول الاصطدام هو ستون ثانية،" جاء الصوت المنغلي من مكبر الصوت.

"أليس هنالك من طريقة لإبطاء سرعتها؟" سأل كراين.

"قبيل اصطدامها بالمحبس المائي بقليل، سوف نقوم بإطلاق وسادة من ثاني أكسيد الكربون" قال سبارتان. "هذا الإجراء، من الناحية النظرية، سيقوم بتقليل وقع الاصطدام. لكن التوقيت ينبغي أن يكون شديد الدقة."

مشى نحو فني المختبر. "أطلق الغاز قبيل الاصطدام بخمس ثوانٍ."

"حسناً يا سيدي." بدا التقني شاحب الوجه.

التفت كراين حوله في العنبر الفسيح. توقفت الآن الحركة المحمومة وحل مكانها صمت مطبق. وقف الجميع وكأن على رؤوسهم الطير. الجميع ينتظرون.

"ثلاثون ثانية،" جاء الصوت من البوق. "صمام الضغط قد جرى تفعيله."

التقط سبارتان جهاز راديو من محلة التحكم. "على الجميع أن يحموا أنفسهم وقع الصدمة."

تقدم كراين نحو الحاجز الإنشائي القريب منه واستند إليه بكلتي يديه.

"ما هو معدل سرعة الارتفاع؟" سأل سبارتان التقني.

"إنه ثابت عند سرعة اثنين وثلاثين قدماً في الثانية، يا سيدي."

دمدم مكبر الصوت "خمس عشرة ثانية."

نظر سبارتان بسرعة حوله في أرجاء مجمع الحفر، مدققاً النظر في كل واحد بدوره بنظرةٍ وجيزةٍ، كما لو أنه يقوم بالتأكد أن كل لاعب يقف في مكانه الصحيح. ثم استدار نحو التقني قائلاً، "أطلق شحنة ثاني أكسيد الكربون."

ضغط التقني على مجموعة من المفاتيح. "تم إطلاق الغاز يا سيدي."

في هذه اللحظة، شعر كراين بخبطةٍ عنيفةٍ تحت قدميه. اهتزت لها المنشأة بعض الشيء.

بدا كما لو أن دائرة كهربائية قد اكتملت لتوها. فانتفض المجمع بكامله للعمل والحركة. بدأ إصدار الأوامر، وانطلق التقنيون بمعاطفهم البيض، والعسكريون البحارة بثيابهم العسكرية، كل إلى مركزه، وترددت أصدااء وقع النعال الثقيلة على الأرضية المعدنية.

"ما هو مدى سلامة المحبس المائي؟" وجه سبارتان سؤاله إلى التقني

"مئة بالمئة، يا سيدي."

أمسك سبارتان جهاز الراديو، وضغط مفتاحاً لاختيار التردد. "قم بفتح الكوة"، قال أمراً. "أدخل رجالي إلى هنا."

"أبواب محبس الماء الخارجية تفتح الآن،" قال الفني الواقف أمام لوحة التحكم.

رأى كراين ثلاثة عمال يدفعون أمامهم جهازاً غريباً

على عجلاتٍ، نحو مكانٍ قَرَبَ محبس الماء. كان الجهاز عبارة عن سقالة فولاذية، يبلغ طولها حوالي سبعة أقدام، وقد تَبَّتْ عليها حلقة معدنية كبيرة مسننة. وقد بدا أن ثمة زوج من أجهزة الليزر اللتان تصلح قوتُهما للاستخدام الصناعي، قد جرى تثبيتُهما في داخل الحلقة. كل واحدٍ منهما عند مئة وثمانين درجة في مقابل الأخرى. والواضح أن هذه الآلة، هي التي سوف تُستخدَم من أجل فتح فتحةٍ مستديرة في جانب البلورة لتوفير ممرٍ لإخلاء أفراد الطاقم من داخلها إلى داخل المنشأة.

"البلورة رقم واحد في داخل المحبس المائي الآن." قال الفنيّ. "إننا نقوم بإقفال الأبواب الخارجية."

"كم سيلزم من الوقت لإحداث فتحة الخروج بواسطة الليزر؟" سأل كراين.

"ثمانى دقائق،" قال سبارتان. "هذا إذا سار العمل بسرعةٍ مئتين بالمئة من السرعة الطبيعية."

انشغل انتباه كراين عن جسر الرافعة المتحركة بسبب لغطٍ قادم من المدخل الرئيسي. دخل ثلاثة جنود بحريون يدفعون عرباتٍ مستطيلة يمكن استخدامها كطاولات مؤقتة؛ ثم تبعهم رابعٌ يحمل على كتفه صناديق إسعافات ميدانية أولية. نظر سبارتان نحو كراين مشيراً نحوه بأقلِّ إيحاءةٍ ممكنة من رأسه في اتجاه البلورة. الآن جاء دورك، كان هذا هو مغزى الإيحاءة.

مشى كراين في اتجاه جسر الرافعة المزود بآلة الثقب الليزرية، مشيراً إلى الجنود بأن يتبعوه بالطاولات ذوات العجلات وبمواد الإغاثة الطبية الميدانية. أشغل

نفسه بأمر تهيئة الطاولات، وفتح صناديق الإسعافات الأولية، وترتيب الأدوات، وتهيئة الأطواق الواقية للأعناق، والألواح القصيرة التي ستلزمهم في عملية الإخلاء القادمة. راجع في ذهنه لوائح التأكد من وجود الأشياء والشروط اللازمة استعداداً للتعامل مع الجراح والإصابات التي يمكن أن تكون في انتظارهم.

"تمَّ فَعَلَ الصِّمَامَ،" قال التقني. "بدأنا العمل على موازنة الضغط."

"أرجع الذراع المُبَعَدَة إلى مكانها،" أمر سبارتان. "سُمِعَت ضَجَّةٌ مَدْوِيَّةٌ، فنظر كراين ليري كلاباً روبوتياً ضخماً يجري دفعه إلى مكانٍ ملائمٍ فوق حجيرة الماء. "تمَّت موازنة الضغط،" قال التقني.

"افتحوا الحجيرة،" قال سبارتان.

وللحظة، ران صمتٌ على الجميع من جديد. ثم أحسَّ كراين بهديرٍ تحت قدميه. تراجعت درفتا الحجيرة إلى الوراء عن مكانهما في الأرضية، لتكشفا عن صفحة ماء معتمة. انخفض الكلاب ببطءٍ مصدراً هديرًا ميكانيكيًا، متمايلًا جيئةً وذهابًا تحت السلك الغليظ، وكان فكا الكلاب في وضعية تشبه الثأوب العريض. وصل الذراع ذو الكلابتين إلى الماء واستمر في الغطس حتى غاص تمامًا. توقفت الضجة المدوية. سمع كراين اصطكاكاً مخنوقاً. بدأ السلك

العملاق بالارتفاع من جديد، إنما ببطءٍ أشدِّ هذه المرة. شاهد رأس الكلاب يصدع سطح الماء، ويرتفع إنشاً بعد إنش كاشفاً عن شبكةٍ من الأذرع الهيدرولية، ثم عن فكيه الثقيلين... وثم في النهاية، وببطءٍ شديدٍ،

ظهرت البلّورة رقم واحد نفسها إلى النور، وكانت معلقة بين أنظار الحضور.

هنا حبس الجميع أنفاسهم، ثم سُمع تأوه جماعي من الحضور، ثم صرخة جماعية مكبوتة. وبدأ أحد الأشخاص الواقفين وراء كراين بالنحيب.

لكن كراين، قلما سمع من كل ذلك شيئاً.

أما ما كان موجوداً هذه المرة بين فكّي الملقط الروبوتي فلم يكن تلك الكرة الصقيلة، اللامعة، التامة الاستدارة، ذات الجمال الأخاذ. بل لقد كانت كتلة منكمشة مشوشة من المعدن، متجعدة ضمناً بشكل فظيع، وقد تحول شكلها بسبب الضغط الرهيب، إلى مضغة رمادية يصعب تبيين شكلها، بينما تناقص حجمها إلى ثلث ما كان عليه تقريباً. جزء من بدنها الخارجي قد انفلق بطريقة تبدو كأنها ناتجة عن انفجار، فتكشفت عن بُتيلات ما لبثت أن التوت على نفسها إلى الداخل، كاشفة عن عدد لا يُحصى من الشكالات الانضغاطية التي تشبه أشواك فروة الشيهم. أما بعض الأقسام الأخرى، فقد انضغطت بعنف حتى لتبدو كأنها قد انصهرت. ولم يكن ثمة واحد من الخطوط المتصدعة والملتوية ما يمكن تمييزه على أنه يمت بصلة إلى البلّورة المميزة التي كانت قد أخذت لُبّه مرة.

خيم صمت رهيب بظله الثقيل فوق أرجاء العنبر، بحيث لا تقطعه سوى أصوات النحيب والنشيج وللحظة طويلة، بقي الملقط معلقاً في مكانه في الفضاء فوق الماء. وكأنما عامل الرافعة جمداً، وبات لا يقوى على متابعة العمل.

"أنزلها. "انطلق الأمر من سبارتان، بصوت وحشيّ.

اختلس كراين نظرةً إليه، لكن تعابير وجه الأدميرال كان من الصعب جداً تفسيرها. لذلك، أعاد نظره إلى البلورة.

وبصرخةٍ من المعدن الذي بدا كأنه يحتجُّ الماءً، ممزوجةٍ بقعقة السلاسل، تمَّ اقتياد ما تبقى من البلورة رقم واحد إلى مساحه تقع إلى جانب محبس الماء، حيث بقيت معلقة في الهواء على ارتفاع ذراع واحدٍ فوق مستوى أرضية مجمع الحفر. بينما كانت مياه البحر تنساب عنها بشلالاتٍ غزيرة. ولم تكن المسألة مسألة مياه بحرٍ فقط، فقد لاحظ كراين بنظرة ألمٍ وياسٍ، أن بعض هذه الجداول المنسكبة لم تكن لتقتصر على مياه البحر فقط، بل كان يخالطها مزيجٌ من مادةٍ حمراء كثيفة.

لقد بدا الأمر واضحاً – بل شديد الوضوح – أنه لم تكن ثمة حاجة لأطواق حماية العنق، ولا للألواح القصيرة... ولا حتى لأي شيءٍ آخر. استدار كراين نحو الجنود يستعدُّ للطلب إليهم بأن يعيدوا الأعتدة الطبية إلى مواضعها.

ولكن بينما كان يقوم بذلك، إذا به يلمح وجهاً أليفاً لديه بين الجمع الذي صعقه الرعب، وقد كان الوجه يراقب المشهد من محيط مجمع الحفر. لقد كان رجلاً قصيراً يرتدي المريول الباهت ذا الصديرية نفسه، وله نظرة العينين الزرقاوين الثاقبة ذاتها. وعلى صدغه لُبدة الشعر الأشعث الفضي عيُنُها. لقد كان الرجل هو فلايت، الرجل الغريب العجوز الذي خاطبه في مقصورته وكان من الصعب ملاحظته وهو يقف خلف عاملين فنيين، وكان يحدِّق في هذا المشهد المحزن بهيئة تكاد تشبه هيئة طفلٍ حزين. ثم ما لبث الرجل أن تحول نحو كراين، ممسكاً إياه. وفي نظرة عميقة، قال له بصوت

خفيض بطيء، معتمد، الكلمات ذاتها التي كان قد  
نطقها في وجهه في المرة الماضية عندما أتاه، دون  
دعوة، في غرفة استراحته.  
" لقد تحطّم كل شيء "

كان آيشر قد خصَّ نفسه بمختبرين اثنين في نطاق منشأة عاصفة الأعماق، واحد ضيق المساحة، مكتظ، في الطبقة الثامنة، وآخر أكبر منه في الطبقة الرابعة. وكان المختبران مختلفان جداً. فبينما يتميز مختبره في الطبقة الثامنة بأحساس حيٍّ بالحياة، فإن مختبره في المنطقة المصنَّفة كان شحيحاً في مظهره، ويحمل سِمة مكان عملٍ فحسب، وله مسحة سريرية. كان يجلس في مختبره - مسنداً رأسه بين راحتيه، يفكر في مجموعة شديدة التعقيد من الجداول البيانية والمعادلات الملقاة أمامه - عندما فتح بابه ليطل منه الأدميرال سبارتان.

حدَّق كل من الرجلين في الآخر لحظةً كشريكين نذيين. ثم انبسط وجه آيشر المكدود قليلاً.

"أترغب في الجلوس؟" قال بصوت هاديء حزين.

هزَّ سبارتان رأسه. "إن وحدة الجذب المغنطيسي في مجلس التحسس في حالة سيئة. وإننا نخطط لاستعمال ألوحدة الاحتياطية ريثما نُجري عليها فحصاً دقيقاً."

"هل يعني هذا أنك تنوي متابعة الغطس؟"

"بالطبع. ولمَ لا؟"

نظر آيشر إليه نظرة غير مصدِّقٍ. "أيها الأدميرال، لقد مات لنا للتو ثلاثة رجال؟"

"إنني أعرف ذلك. هل توصل مهندسوك إلى أيِّ استنتاج؟"

"تعني عن السبب الذي جعل مجسَّ التحسس يتعطل عن عمله الطبيعي؟ كلا، لم يتوصلوا إلى أيِّ شيءٍ محدد"

"وماذا عن إمكانية التأكد أن مثل هذا الحادث لن يتكرَّر؟"

للحظة، حدَّق آيشر في الأدميرال بنظرة تفحص، ثم تنهَّد. "أعتقد أنه يجب مضاعفة قوة الحقل الكهرومغناطيسي مرتين - أو ربما الأفضل ثلاث مرات - لأن هذا يضمن أن الوصلة تبقى صامدة، ومستقرة، في مرَّات الغطس القادمة."

أوما سبارتان برأسه موافقاً. "وهل من اقتراح آخر؟"  
"نعم، إنني اقترح إغلاق أي عمليات روبوتية أو أوتوماتية ليست ضرورية بالكامل لبناء البئر. وهذا ينطبق على البلورتين الباقيتين ولذلك على مجسِّ التحسس. علينا أن نشتغل بالحدِّ الأدنى الممكن من التجهيزات والآلات، والاستخدام الحساس للآلات، يعني أن لا تُستعمل الحزم الزائدة منها إلا بعد التأكد من استمرار صلاحيتها للعمل."

"هل هذه هي اقتراحاتك؟"

تجهَّم وجه آيشر. "إن اقتراحاتي هي أن نقوم

بإيقاف جميع العمليات حتى نتوصل إلى فهم كامل للعامل المسبب لهذه الكارثة، ولماذا حصلت."

"هذا خيارٌ غير مطروح، يا دكتور آيشر. فلا أحد يدري كم سنستغرق من الوقت لكي نصل إلى هذا الفهم."  
"لكنّ الوفيّات \_"

"إنها كارثةٌ مأساوية. لكن غروف، وأدكينسون، وهوست كانوا يعلمون مسبقاً الخطورة الكامنة في هذا العمل عندما وقعوا للقبول به. وهذا ما فعلته أنت أيضاً في هذا الخصوص."

حاول آيشر من جديد: "أصغ إليّ أيها الأدميرال \_"

"لا يا دكتور آيشر. بل أصغ أنت لدقيقة واحدة. ألم يكن الناس دائماً راغبين في الموت من أجل الاكتشاف والمعرفة؟ أليس من أجل ذلك ترانا جميعاً موجودين هنا؟ أنظر إلى روبرت فالكون سكوت، وإلى إيميليا إيرهارت، اللذين ينتميان إلى طاقم المكوك الفضائي تشالينجر. إننا جميعاً نضع أرواحنا على أكفنا هنا من أجل حمل الرسالة، في سبيل مستقبل أفضل للبشرية."

تنهّد آيشر ثم فرك عينيه بيدٍ متعبّة. "هذا هو الدليل التجريبي أمامك لكي تأخذه بعين الاعتبار."  
"أيّ دليلٍ يمكن أن يكون هذا؟"

"اخترقت البلورة رقم واحد للتوّ بداية الطبقة الثالثة السفلى من قشرة الأرض - أي طبقة المحيط. فهل هو محض صدفة أن لا يحصل هذا العمل الشاذ إلا عندما بلغنا هذا القدر من العمق؟"

"إن الضغط لا يمكنه أن يتسبب بخلي كهذا."

"لكنني لا أتكلّم عن الضغط. إنني أتكلّم عن الاقتراب لهذا الشيء الموجود تحتنا والذي نحاول بلوغه. إن طبقة المحيط هي الطبقة الأرق بين جميع طبقات قشرة الأرض. وحتى لو أننا وضعنا هذه الوفيات الأخيرة جانباً للحظة من اللحظات، ألا ترى أن كل هذه المشاكل الصحية يجب أن تعني لنا شيئاً؟ ألا يقلقك أن يبدأ الناس هنا بالهمس أن ثمة مشكلة معنويات خطيرة؟"

وعندما امتنع سبارتان عن الإجابة، نهض آيشر وبدأ يذرع أرض الغرفة في انفعال. "شكر للدكتور كراين، فبفضله قمنا بقفزة كبيرة إلى الأمام."

"على الدكتور كراين أن ينصرف إلى الاهتمام بوظيفته،" قال سبارتان.

"لقد يسّر لنا فتح أكبر ثغرة حتى الآن أيها الأدميرال، هذه الخوافر لم تعد تثبت إشارتها على طول موجة واحدة فقط. إنها ترسل الآن إشارات متعددة مختلفة، وعلى آلاف أطوال الموجات، بل ربما الملايين منها. والواقع أنها تثبت على كل ذبذبات الطيف الكهرمغناطيسي. من موجات الراديو، إلى الموجات الميكروية، إلى موجات الأشعة تحت الحمراء، إلى موجات الأشعة فوق البنفسجية - ولك أن تسمي من سواها ما شئت."

"ولأنهم يفعلون ذلك، فإنهم يشوّشون على أجهزتنا واتصالاتنا اللاسلكية،" قال سبارتان. "ولو كان هذا يعني شيئاً، فإنه من المحتمل أن يعني ترحيباً بنا، بشكلٍ أو بآخر."

"هذا احتمال<sup>١٦</sup> ممكن<sup>١٦</sup>، قد يعني شيئاً آخر بدلاً من ذلك."

"مثل ماذا؟"

"لست أدري. لكن ما يريدون قوله هام جداً في كل حال لأنهم يستنفذون كل أطوال الموجات المتوفرة لبثنا إلينا." تردد آيشر. "إن رأيي الثابت هو أنه علينا أن نتوقف عن متابعة الحفر حتى نكون قد وُقِّعنا إلى ترجمة رسالتهم إلينا. إن لديك أكثر مما يلزمك من الأشباح التي تتجسس لمصلحة مخابرات القوات البحرية في الخارج. فإذا تمكنت من رصد اتصالاتهم، من طريق تجميع مجهوداتنا، فقد نستطيع حلَّ شيفرة هذه الرسالة بسرعة أكبر."

"إن لديهم مهاماً أخرى في الوقت الحاضر. هذا إلى جانب أن لا برهان لديك على أنك تتلقى أي رسالة."

رمى آيشر يديه في الهواء حنقاً وسخطاً. "ماذا تظن أنهم يعملون إذاً؟ هل تعتقد أنهم يبثون أفضل أربعين أغنية أذيعت على نجم قنطورس. ثم بدأ يذرع أرض الغرفة من جديد.

راقبه سبارتان للحظة. "حسناً يا دكتور آيشر. دعنا نفترض أن ثمة رسائل إلينا. ولكن كما قلت لك، هناك احتمالات بأنها رسائل ترجب بنا، أو لعلهم يرسلون إلينا إرشادات للعمل تتعلق بما نقوم بالحفر للوصول إليه. هل أبدو شديد الفضول حول هذا الأمر؟ الجواب: نعم، جداً. ولكن هل أنا مستعدٌ لإيقاف كل شيء إلى أن تتمكن من معرفة ماذا يحاولون أن يقولوا لنا؟ الجواب: كلا. وذلك لسبب وحيد، وهو أنك لا تستطيع أن تعطيني مدة محددة لفك هذا الرمز. هل تستطيع؟"

"إنني... " توقف آيشر، معطياً هزة غضبٍ عنيفة من رأسه.

"ولسبب آخر، لن يغيّر في الأمر شيئاً كائناً ما يكون محتوى الرسالة. فكما أشرت أنت سابقاً، إننا الآن قد ابتدأنا الحفر في طبقة المحيط، ولا يفصلنا عن الوصول إلي طبقة "موهو" سوى أسبوع واحد فقط، بل ربما أقل من ذلك. ومهما كان يوجد هناك، فلا بد لنا من أن نستخرج محتوياته ونقوم بدراستها - قبل أن تسبقنا إلى ذلك جهة أخرى."

فتح آيشر فمه ليتفوه بالإجابة. لكن قبل أن يتمكن من الكلام كانت الأرض قد ارتعدت بشيء من الرفق بادية الأمر، ثم بعنفٍ شديدٍ. وقعت الكتب والملفات عن الرفوف، وكان هناك تحطم للزجاج عندما سقطت صينية عليها أدوات مختبر، من فوق طاولة عمل قريبة. سُمعت أصوات مبهمه من الخارج، كما سُمع صوت إنذار يأتي من مسافة بعيدة. قفز سيارتان واقفاً على قدميه، ثم جرى في اتجاه هاتف آيشر. وبدأ يطلب رقماً عندما حصلت رجفة أخرى اهتزت لها المنشأة بأكملها.

"هنا الأدميرال سيارتان يتكلم،" قال في سماعه الهاتف. "حددوا مصدر ما يحدث. وإذا كان هناك من أضرار، أريد تقارير فورية."

استدار لينظر نحو آيشر. وكان كبير العلماء ممسكاً بشدة بحافة طاولة العمل ومستنداً إليها. أما الآن فقد وقف في هدوء تام، ورفع رأسه كمن يسترق السمع. "لم يبق سوى الهزات الارتدادية الآن،" تتمم لنفسه.

"ماذا كان هذا بحق الجحيم، يا دكتور آيشر؟"

"إنه الثمن الذي ندفعه جِراء عملنا فوق حيد في قعر المحيط. طبقة قشرة الأرض التي تعلو طبقة الموهو، هي رقيقة هنا، وسماكتها تقل عن خمسة أميال في هذا الموضع. فقاع المحيط هنا مكون من عدة حيوذ، وهي نقاط ضعيفة معرضة للهزات الأرضية."  
"هزات أرضية،" كرر سبارتان الكلمة.

"نعم، إنها صغيرة في حجمها، على العموم - فهذه منطقة متباينة، بعد كل شيء." نظر من فوق نظارتيه إلى سبارتان نظرة نصف حزينة، ونصف حائرة. "إنك لم تقرأ الورقة البيضاء التي أرسلتها إليك حول تكتونيات الألواح القشرة وجغرافيا المحيطات؟"

لكن الأدميرال لم يجب. كان نظره مثبتاً على بقعة ما، خلف كتف أيشر الأيمن. أخيراً هز رأسه. "تماماً،" قال. "تماماً."

كان المستوصف في الطبقة الرابعة صغيراً بقدر ما كان الجناح الطبي في القسم الأعلى من المنشأة واسعاً. لقد أعاد هذا المستوصف إلى كراين ذكرى الركن الطبي الصغير على متن الغواصة، يو. أس. أس. سبكر، حيث عمل بجسمه وعقله لمدة عام على الفواصل الإنشائية والممرات. ومع هذا، ورغم كلّ ضيق هذا المستوصف، فإنه بدا في هذه اللحظة خالياً بطريقة باعثة على اليأس. فقد كان كراين يتوقع أن ينشغل هذا المكان بالرجال الثلاثة الذين يشكلون طاقم البلورة رقم واحد. لكن لم يبق من هؤلاء الرجال شيئاً يكفي حتى لحشوه داخل كيس نفايات أحمر. وهكذا، تمّ توضع البلورة رقم واحد بغلاف محكم من البلاستيك، ووضعت في حجرة مقفلة مبرّدة، تمهيداً لإجراء التحاليل عليها في وقتٍ لاحقٍ مناسب.

تنهّد مستديراً نحو بيشوب. "شكراً لمجيئك إلى هنا. آسف لإضاعتي وقتك."

"لا تكن سخيّاً."

"هل عرفتِ أحداً منهم؟"

"لقد عرفتُ هورست. كان يشكو من بعض أعراض

احتباس النَّفس أثناء النوم، وقد زارني مرتين للاستشارة.

"لم تسمح لي أيُّ فرصة للتعرف على أحدهم،" هزَّ كراين رأسه.

"لا تلم نفسك بسبب أيِّ شيء من ذلك، يا بوتر. الذَّنْب ليس ذنبك."

"أعرف، لكن الأمر كله يبدو خسارة مأساوية."

لم يكن موت هؤلاء الرحالة الثلاث هو كل ما أثقل كاهل كراين. فقد كانت تمثل أمامه أيضاً حقيقة أنه كان يحقق القليل مما يمكن اعتباره تقدماً مفيداً. فقد كانوا قد جربوا كل اختبار تحدت عنه الكتب - التصوير المقطعي بالحاسوب، والتصوير بالرنين المغنطيسي، والتخطيط الكهربائي للقلب، وتعداد الدم الكامل. لكن لم تأت أيُّ نظرية جديدة، ولا أيُّ شعب واعد من شعاب البحث العلمي بأيِّ نتيجة واضحة، بل كانت تصل بهم جميعاً إلى حائطٍ مسدودٍ. لم تكن الأمور لتسير معه سيراً منطقياً، فقد اتبع جميع قواعد التشخيص الدقيقة، لكن بقي الوصول إلى تشخيص واضح بعيداً عن متناوله بكل عناد. كان الأمر يبدو، وكأنَّ ما يحدث هنا من أعراض مرضية، إنما يعود إلى سببٍ يتعدى كلَّ قوانين الطبِّ ذاتها.

تململ في مكانه، وبدأ يبذل جهداً عامداً لتغيير الموضوع. "كيف هي الأحوال في القسم الأعلى؟ لقد كنت شديد الانشغال هنا بحيث أنني لم أملك فرصة حتى لزيارة مرضاك والاطِّلاع على حالتهم."

"لقد تلقينا حالتين جديدتين في الأربع والعشرين

ساعة الماضية. واحد يشكو من حالة غثيان شديدة،  
والثاني من عدم انتظام في ضربات القلب."

"وهل وضعت له جهاز مراقبة لضربات القلب؟"

"نعم وضعت له هذا الجهاز لمدة أربع وعشرين  
ساعة. ثم أن هناك مسألة لوازو الطبخ، فإنه قد عانى  
من نوبة جديدة - أسوأ من الأولى."

"وهل قمت بإدخاله إلى المستشفى؟"

أومأت ببشوب بالإيجاب. "هذا كل ما عندي. وحالياً  
فإن روجيه هو الذي يتلقى معظم الحالات."

"ماذا تعنين؟"

"لقد تلقى سبع - وربما، ثماني- حالات. لقد كانوا  
يشكون من اضطرابات نفسانية عامة."

"مثل ماذا؟"

"الشكاوى المعتادة. مشاكل في التركيز، وفترات<sup>16</sup>  
من فقدان الذاكرة، وإخفاق في ضبط السلوك. يعتقد  
روجيه أن هذه الحالات المفاجئة ليست سوى فورة  
محلّية ناتجة عن تراكم الإرهاق."

"هكذا إذن." كان كراين ميّالاً إلى عدم موافقتها دون  
القيام بفحوصات أوسع. لكن خبرته الخاصة في  
غواصات التجسس التي يعمل على متنها رجال ونساء  
تحت الضغط المستمر لا تشمل مثل هذا الاستنتاج.  
أضف إلى ذلك، أن أي أفة شخصية في السلوك كانت  
على الأرجح ستكون عرضة للانكشاف، واستبعاد  
صاحبها من الخدمة منذ ما قبل تجنيده. "هلا تخبرني  
المزيد عن حالة الإخفاق في ضبط السلوك؟"

"إنه أحد العاملين في عقدة الوسائط المتعددة. شاب منكمش على نفسه وخجول. افتعل شجارين في ساحة التايمز في الليلة الماضية. وعندما وصل رجال الأمن إلى الموقع، كان في حالة من السكر والتشوش، وكان لسانه لا ينفك عن قذف الشتائم."

"إنها حالة مثيرة للاهتمام."

"لماذا؟"

"لأن أحد المرضى هنا، في المنطقة المصنفة، قد بانت عليه أيضاً بعض التغيرات في شخصيته." توقف برهة للتفكير. "يبدو أن الحالات النفسية باتت تفوق الحالات الفيزيولوجية."

"وماذا يعني هذا؟" بدت بيشوب غير مقتنعة. "هل تعني أننا جميعاً معرضون للجنون بدرجات؟"

"كلا. ولكن ربما - أقول ربما فقط - هناك خيط مشترك يجمع كل هذه الحوادث، وعلينا البحث عنه." تردد قليلاً. "هل سمعت من قبل بقصة فينياس كايج؟"

"تبدو كأنها قصة من قصص هاوثورن."

"إنها بالحقيقة قصة واقعية. ففي العام 1848، كان فينياس بي. كايج مشرفاً على فريق من العمال الذين يعملون في شركة لمد خطوط سكك الحديد في فيرمونت. ويبدو أن حادث انفجار قد حصل. فقد قذف الانفجار قضيب الدك الذي يحمله، وهو مسمار حديدي بطول متر يزن ستة كيلوغرامات، ويبلغ قطره إنشاً واحداً، وأدخله في رأس الرجل مباشرة."

"كشّرت بيشوب. "يا لها من طريقة بشعة للموت."

"هذا كل ما في الأمر، فالرجل لم يمت في الواقع. حتى إنه لا يمكن الجزم أيضاً أنه قد فقد الوعي تماماً، رغم أن المسمار الحديدي قد تسبب بإتلاف معظم فلقتي دماغه الأماميتين. وفي غضون أشهر قليلة، كان الرجل قادراً على متابعة العمل. لكن هنا زبدة الحديث: إن الرجل لم يعد هو الرجل ذاته. فقيل الحادث، كان كايح رجلاً كفوءاً، مرحاً مهذباً، مقتصداً، ذكياً في أمور العمل وشؤون الحياة. أما بعد الحادث، فقد غدا مجدّفاً، شكساً، قليل الصبر، فاسقاً إباحياً، وغير قادرٍ على تحمّل أيّ مسؤولية أو الاحتفاظ بأي عمل."

"مثلما كان يحصل مع المرضى الأوائل الذين كان يجري إخضاعهم لعمليات استئصال جراحي جذري في الدماغ السابق."

"بالضبط. لقد كان كايح هو المريض الأول الذي مثل على وجود صلة وصلٍ بين فصّي الدماغ الأماميين، وبين شخصية الإنسان."

هزّت بيشوب رأسها مفكرة بامعان. "وإلام ترمي من هذه الحكاية؟"

"لست متأكداً تماماً، لكنني بدأت أتساءل عما إذا كانت مشكلتنا هنا ليست سوى مشكلة أعصاب. هل وصلت آلة تخطيط الدماغ التي كنا قد طلبناها؟"

"أجل لقد وصلت هذا الصباح. لقد أقاموا الدنيا ولم يقعدوها بسببها، لقد احتلت نصف مساحة الحوض عندما أنزلوها إلينا."

"حسناً، لنضعها على الفور موضع الخدمة. إنني أرغب في أن تُجرى عملية تخطيط لكهرباء الدماغ"

لبضعة مرضى من ذوي الحالات الصعبة. إن تصنيف الأعراض ليس أمراً هاماً. وفي الواقع، فإنني أريدك أن تمزجي الحالات الفيزيولوجية مع الحالات العصبية." تمطى بجذعه، وحكَّ أسفل ظهره. "إنني أحتاج إلى بعض القهوة. ماذا عنك؟"

"أكيد شرط أن تقوم أنت بإحضارها." تجهَّمت وهي تشير بإبهامها في اتجاه الباب.

"آه، طبعاً" وللحظة، كان كراين قد نسي أمر الجندي المتمركز عند باب المستوصف، الجندي المكلف بمرافقة بيشوب إلى القسم المصنف، بناءً على طلب سبارتان. وهو الذي سيقوم بمرافقتها أيضاً في رحلة العودة إلى الأعلى. ومن الواضح أن بيشوب لم تكن سعيدة بحقيقة أن يكون لها مرافق يلعب دور الحاضنة بالنسبة إليها. "سأرجع إليك بعد قليل."

خرج من المستوصف، وأوماً برأسه إلى الجندي، وأخذ طريقه إلى الممر. كانت المراقبة الأمنية عليه قد خفت وطأتها، وقد تشعر بقليل من الاستغراب عندما بات يتمتع بحق الدخول غير المقيد نسبياً إلى جميع أنحاء المنشأة، مع أنه لا يزال هنالك الكثير من المناطق التي لا يسمح له تصنيفه الأمني المتوسط بالدخول إليها. فخلال مقابلاته الطبية مع مرضاه في اليومين الماضيين، كان قد رأى من المختبرات، والباحات المخصصة للتجهيزات، والمكاتب، وغرف السكنى، وورشات إصلاح الماكينات، ما يكفيه لبقية عمره.

والكلام نفسه يصحُّ أيضاً على المساحات المخصصة للهو. فالكافيتريا في الطبقة الرابعة كانت تحمل طابع ذوق سبارتان في تصميمها، وكان فيها من

الطاولات والكراسي ما يكفي لاستضافة عدد محدود من الأشخاص. لكن كراين كان قد وجد أن أصابع البطاطا المحمّرة لا تقل هنا جودة عن تلك التي يجري تقديمها في مقهى ساحة التايمز.

دخل الكافتيريا، واتجه نحو منضدة الخدمة وقدم طلبه. وبعد أن شكر للمرأة الواقعة خلف المنضدة، أضاف قليلاً من الحليب إلى كوبه - كانت بيشوب تريد قهوتها دون حليب - ثم أراد العودة إلى المستوصف. لكن ضجة ارتفاع الأصوات، جعلته يتوقف.

كان هناك مجموعة من الرجال يجلسون حول طاولة في أقصى الزاوية. لقد كانوا مجموعة صغيرة: إثنان من الرجال يرتدون معاطف المختبر البيضاء الإلزامية لفنيي المنشأة. والثالث يرتدي بذلة عامل ميكانيكي، أما الأخير فقد لبس بذلة ضابط عسكري صغير. لقد كانت رؤوس الرجال الأربعة متقاربة فوق الطاولة عندما دخل كراين إلى الكافتيريا، وكانوا يتداولون بصوت لا يكاد يُسمع، حتى أنه كاد لا ينتبه إلي وجودهم. وقد ظن أنهم يتداولون في أمر مصيبة البلورة، رقم واحد. ولكن خلال البرهة الوجيزة التي طلب خلالها قهوته، ما لبث أن تطوّر الحديث إلى جدال عنيف.

"وكيف لك أن تعرف ذلك؟" كان أحد العالمين يقول. "إنها فرصة غير اعتيادية للجنس البشري، وأهم اكتشاف وقع للإنسان حتى الآن. إنه البرهان - البرهان النهائي - على أن الجنس البشري ليس الجنس الوحيد الموجود في هذا العالم. إنك لا تستطيع تجاهل هذه الحقيقة، ولا أن تدسّ رأسك في الرمال."

"إنني أعرف ممّا قد رأيت"، ناقضه الميكانيكي،

"وممّا قد سمعته من الناس، أننا غير معنيين بعد  
باكتشاف هذه الأشياء."

قال العالم متهكِّماً. "تقول غير معنيين باكتشافها؟"  
"نعم لقد بدا الأمر كأنه محض صدفة. كما لو أن الأمر  
لا يزال كله سابقاً لأوانه بكثير."

"لو لم نقم نحن بإيجاده، لكان سيجده سوانا،" قال  
الضابط الصغير محتدّاً. "هل لي أن أفترض أنك ترغب  
في رؤية الصينيين يسبقوننا في وضع اليد على هذه  
التكنولوجيا؟"

"عن أي تكنولوجيا ملعونة نتحدث؟" قال  
الميكانيكي رافعاً صوته من جديد. "لا أحد يملك ذرّة  
ملعونة من العلم عن ماهيّة الشيء المدفون هناك في  
الأسفل!"

"يا إلهي، يا تشاكي، أخفض صوتك." قال العالم  
الثاني، وهو يحرك كوبه بعصبية.

"لقد عملتُ على 'الخوافر' بنفسي،" قال العالم  
الأول. "وأعرف ما هي قادرة على عمله. وقد تكون هذه  
هي فرصتنا الوحيدة من أجل..."

"وأنا قد انتهيت لتوي من توضيب ما قد تبقى من  
البلّورة رقم واحد." صاح الرجل الذي يدعى تشاكي في  
وجه العالم. "أشلاء منثورة بما يستعصي على أي  
تمييز. ثلاثة من أصدقائي ماتوا. إني أقول لك إننا لسنا  
جاهزين بعد لمثل هذا الاكتشاف. ولقد تمادينا كثيراً في  
مهمتنا هنا."

"ما حصل مع البلّورة رقم واحد هو شيء رهيب،"  
قال العالم الأول "وإنه لمن الطبيعي للمرء أن يحزن.

لكن عليك ألا تدع حزنك يعميك عن الموضوع الأهم:  
لماذا نحن موجودون هنا. لم يحصل أي تقدم من دون  
مخاطرات. يبدو واضحاً أن هؤلاء الزائرين يريدون  
مساعتنا، إذ لديهم الكثير مما يمكنهم تعليمه لنا -"

"كيف لك بحق جهنم أن تعلم أنهم يرغبون في  
تعليمنا أي شيء؟" صاح تشاكي متسائلاً.

"لو أنك فقط رأيت كم هي جميلة تلك 'الخوافر'،  
وكم هي -"

"حتى وإن؟ ألا تدري أن النمر الأسود هو مخلوق  
جميل أيضاً... إنه جميل حتى اللحظة التي يبدأ فيها  
بتمزيق أحشائك."

تنفّس العالم. "هذه مقارنة في غير محلّها."

"بل هي في محلّها بحق الجحيم. فأنت تفترض أنها  
مخلوقات مسالمة. وتظن أنك تعلم كل شيء عنها. لكن  
دعني أقول لك شيئاً: إن الطبيعة لم تكن يوماً لتعرف  
المسالمة. فكوكبنا مليء بأشكال الحياة، والكل فيها  
مشغول في قتلٍ سواه!" عاد صوت الميكانيكي  
لارتفاع مجدداً.

"لا تظلم الآخرين بسبب إخفاقات أهل كوكبنا،" قال  
العالم الأول.

"لعلهم بذروا الكوكب جميعها في الكون بمثل هذه  
المخلوقات." كان وجه تشاكي باهتاً ويدها ترتعشان  
قليلاً. "نحن نقوم أولاً بالكشف عنهم، ثم يقومون  
بإرسال إشارة إلى أسيادهم الذين يأتون بعد ذلك  
لتدميرنا. إنه أسلوب فعال لإزالة المنافسين  
المحتملين."

هزَّ العالم الثاني رأسه. "هذه فكرة عظامية  
مجنونة، ألا تعتقد ذلك؟"

"عظامية؟ إذن هَلَّا شرحت لي تفسير ما يحدث  
هنا؟ كل هذه الحوادث، والمشاكل التي يتحاشى  
الجميع التحدث عنها!"

"هَوْن عليك،" قال الضابط الصغير متذمراً.

وقف تشاكي نافضاً كرسية إلى الورااء. "إذن قل لي  
لماذا يموت الناس هنا؟ لماذا يقع الناس مرضى هنا  
فجأة؟ لماذا أصاب أنا بالذات بالمرض؟ لأن ثمة شيء  
ما، مغلوط، هنا.. ثمة شيء مغلوط يخالط رأسي..."

كان كراين على وشك التقدّم للتدخل، عندما صمت  
الميكانيكي فجأة وأعاد كرسية إلى وضعه الصحيح  
وجلس عليه. ثم مدَّ الضابط الصغير يده إلى كتف  
الميكانيكي مهدئاً.

دخل الضابط كوروليس إلى الكافتيريا مصحوباً  
ببعض الجنود في بزات عسكرية داكنة، ونعالٍ عسكرية  
ثقيلة.

وللحظة صمت الجميع. وكان الصوت الوحيد  
المسموع هو صوت تردد أنفاس الميكانيكي المتعب.

أدار كوروليس عينه الحولاء الشاحبة في اتجاه  
كراين. وتصلبت قسماً وجهه التي توحى بعدم  
الرضى. ثم أعاد نظره نحو الجماعة المتحلقة حول  
الطاولة، محولاً نظرتة ببطء من شخص إلى آخر. كما لو  
أنه يحفظ صورة لوجه كل منهم في ذاكرته. ثم - وببطء  
وتعمدٍ شديدين - استدار متجهاً إلى الخارج من دون أن  
يتفوه بكلمة واحدة.



بعد ثلاث ساعات، كان ثمة استدعاء من آيشر. كانت ميشيل بيشوب قد غادرت المستوصف الذي يقع في الطبقة الرابعة لكي تشرف على رسوم تخطيط الدماغ التي كان كراين قد طلب إجرائها لبعض المرضى، كما كان كراين قد انتهى لتوه من أحداث الصباح، وكان يعد لتتبع حالة "تشاكي" الميكانيكي، من أجل الوصول إلي تقييم نفسيّ وفيزيولوجي لا بد منه للرجل عندما رن جرس الهاتف.

مشي عبر الغرفة الصغيرة، وتناول سماعة الهاتف.  
"الدكتور كراين يتكلم."

"بيتر؟ هنا هاوارد آيشر. أحتاج إلى مساعدتك، لو سمحت."

"حياً وكرامة. هل أنت في مكتبك؟ سوف آتي إليك"

"كلا أنا في المكان المخصص للضغط العالي. في الطبقة السابعة. هل تعرف مكانها؟"

"طبعاً. ولكن -"

"تعال على الفور لو سمحت." ثم أقفل الخط.

"حدّق كراين في سماعه الهاتف كأنه لا يصدّق.  
لماذا يكون على آيشر التواجد في ذاك المكان دون  
سواه من الأمكنة؟ إنه شيء غير منطقي.

استلزم الأمر عشر دقائق لعبور الحاجز والوصول  
إلى الطبقة السابعة. كان الطابق العلمي كعادته مليئاً  
بالحركة والنشاط، لكن الجناح الصغير المكوّن من غرفٍ  
تقع في صدر الممر كان يحوي غرفة العلاج بالضغط.  
وكان هذا الجناح يبدو خالياً، كما لو أن الأشباح تسكنه.  
وهذا أيضاً كان أمراً متوقعاً لأن الجوّ في سائر أرجاء  
المنشأة لم يكن مكيفاً بأيّ صورة من الصور. لذلك لم  
يكن ثمة أمراض ناشئة عن الضغط ينبغي لها أن تعالج.  
وكان كراين قد اكتشف هذه الحقيقة بصعوبة عندما  
تتبّع نظريته الأولى التي افترضها عن داء الغواصين.

كان جناح المعالجة مؤلفاً من غرفة مراقبة صغيرة؛  
ومن مساحة مخصصة للانتظار خارج غرفة الضغط  
ذاتها، وهذه الأخيرة هي عبارة عن أسطوانة معدنية  
يبلغ قطرها ستة أقدام، ويبلغ طولها حوالي عشرة  
أقدام، ولها فتحة مراقبة في مدخلها، وأخرى من أحد  
جوانبها. وبين الفتحين كان ثمة مقعدان منجدان على  
طول كلّ من جانبيها كما لو أنهما يتقابلان. وعلى طول  
السقف كان ثمة شريطان متطابقان للتحكم ويوفران  
الإضاءة وكذلك أنابيب رشّ المياه التي تُستخدم عند  
الضرورة.

كان آيشر يقف عند فسحة الانتظار، وكان معه جون  
ماريس، أخصائي تحليل الاتصالات المشفرة. وكان  
يتدلي من رقبة آيشر علاقة كبيرة لذراعه. بدا آيشر  
متعباً، بل منهك القوى تقريباً، وكانت يده اليسرى  
المعلقة إلى رقبته تجانب جسده، وهي ملفوفة بنسيج

من الشاش. نظر بذهنٍ شارد إلى كراين حال دخوله.  
"لا تبدو لي في حالة طيبة،" قال كراين. "هل تنام  
جيداً؟"

اقتصرت إجابةٍ أشر على ابتسامة منه باردة.  
أشار كراين نحو اليد المغلّفة بالضّماد. "ما الذي  
جرى؟"

"أنظر إليها بنفسك بلطف لو سمحت." استدار آيشر  
نحو موريس. "سوف نقوم بمراجعة روتينات هذه اللغة  
المشتركة من جديد. حيث نضاعف عمق الطيّة. لعلنا  
نحصل على نتيجة مختلفة."

بعناية، قام كراين بفكّ المشبك المعدني الذي  
يشبه الفراشة، ثم فكّ الرباط من حول الذراع. وتحت  
طبقة الشاش كان ثمة تقرح لا يبشر بمنظره بالخير،  
وكان التقرح قد تكوّن على ظهر يد آيشر.

فحص كراين اليد بدقّة. كان الجلد المحيط بالقرح  
باهتاً أشبه بالرخام. ومع هذا، فإن أصابع آيشر كانت  
تبدو زرقاء دكناً حول الأظافر.

"متى لاحظتَ هذه الأشياء لأول مرة؟" سأل بينما  
هو يوجه نظرة حادّة نحو كبير العلماء.

"خلال الليلة الماضية."

"الأمر ليس مزحة أبداً." أعاد كراين لفّ الضّماد على  
اليد المصابة. إنك تعاني من ضعفٍ وورودٍ الدم في  
الأنسجة فاليد ليست متقرّحة الآن فقط، لكن هناك  
دلائل على موتٍ أوليٍّ للأنسجة أيضاً. عليك أن تذهب  
إلى الجناح الطبي. يجب علينا أن نصوّر هذه اليد

بطريقة دوبلر، ونجري لها جراحة تحويلية في العروق لكي نتجاوز هذا الإنسداد -"

"لا،" صاح آيشر بضراوة. أخذ نفساً عميقاً. وضبط أعصابه. "لا، ليس هنالك من وقتٍ يمكن أن نوفره لإجراء عملية جراحية."

رفع كراين رأسه في وجه آيشر، "ما الذي تقوله؟"

"علينا أن نقوم بفكّ شيفرة ذاك الرمز. لقد خسرنا ثلاثة رجال. إنه من الأهمية الحيوية أن نفهم مضمون هذه الرسالة. هل تسمعني يا بيتر؟ فقبل أن ننتهي من ذلك، لن يكون لدي وقت أضيعة."

تجهّم كراين. "لكن يدك -"

إنني ما زلت أتناول الكومادين. وعندما ذهبت لتضميد يدي هذا الصباح، قام الطبيب المناوب في الجناح الطبي بإعطائي جرعة من المضادات الحيوية. ثم إن هناك هذه أيضاً." وهنا أشار آيشر إلى الغرفة.

تساءل كراين عما إذا كان هذا فعلاً ما يدور في ذهن آيشر. فالعلاج بالضغط كان في الحقيقة يستعمل عادة كعلاج مساعد لبعض الحالات السريرية مثل نقص التروية الشريانية، أو في حالات التهابات الأغشية الضعيفة المتنخرة. فالأكسجين النقي، تحت الضغط، يدخل إلى الأنسجة بطريقة أكثر فعالية، ويؤلّب خلايا الدم البيضاء للدفاع عن الجسم. ومع ذلك، فإنه لا يمكن أن يشكّل بديلاً عن العلاج الأقوى والمباشر.

"إصغ إليّ يا بيتر،" قال آيشر فيما غدا صوته منخفضاً وجاهداً للإقناع. "لقد بتنا قريبين. والفضل يعود لك، لأن 'الخوافر' الآن باتوا يبتنون على ترددات لا حصر

لها. لقد كانت هذه قفزة كبيرة بالنسبة إلينا. وبفضل رسائل مختلفة على كل من الترددات، بات لدينا المزيد من العينات التي يمكننا فحصها. فأنت ترى أن المشكلة كانت تأتي من كوننا كنا نتصدى للمسألة من زاوية خاطئة في اليومين الماضيين.

"كيف ذلك؟"

"خَيْلَ إلينا أننا قد كسرنا اللغز. لقد اعتقدنا أن الخوافر كانت تبت... حسناً، عبارة رياضية..."

"عبارة رياضية؟" كرر كراين بعده. لقد وجد من الصعب عليه أن يُبعد نبذة عدم التصديق من صوته.

وللحظة بدت نظرة آيشر خجولةً مرتبكة. "إنها عبارة رياضية في غاية البساطة."

"وما هي؟"

وعندما أبطأ آيشر في الإجابة، مدَّ مارييس يده إلى جيبه وأخرج منها ورقةً عليها بيانات مطبوعة، وناولها إلى كراين.

Pass 1 of 1

Mode: reductive

× = 1/ 0

Pass complete

Integrity verified

Machine cycles: 236340

أعاد كراين الورقة إلى مارييس. "واحد مقسوم على صفر؟ إن أول شيء تعلمناه في الرياضيات هو أنك لا تستطيع القسمة على صفر."

بدأ آيشر يذرع أرض المكان بانفعال. "من الواضح أنك لا تستطيع ذلك. إن القسمة على صفر أمر ممنوع في سائر قوانين الكون. لكن الغريب في الأمر هو أن حل الشيفرة قد مضى في غاية السهولة، وانطبقت الأشياء على بعضها جيداً... لقد خيل إلينا أننا وقعنا في مجرد خطأ تقديري بسيط في ترجمتنا للرسالة. ولهذا، فإنني لم أخبرك قبل الآن، ولهذا أيضاً، ضيعنا كل ذلك الوقت في إجراء المحاكاة الحاسوبية، وفي محاولات فك الشيفرة، محاولين العثور على نقطة الخطأ في حساباتنا. لكنني أرى الآن أننا كنا نسير في الاتجاه الخاطيء كلياً." هنا توقف عن الكلام ودفع عجلات كرسيه في اتجاه كراين، وكان في عينيه وميض ملتهب. "سوف نقوم بتمرير هذه الإشارات خلال سلسلة من برامج تحليل اللغة المشتركة. ولقد كان بوسعنا أن نفعل ذلك قبل الآن لو لم نكن منهمكين في ذلك المشروع الأحمق." أشار إلى الورقة في يد مارييس. "لقد ضيعنا وقتاً ثميناً - وقتاً ليس ملكنا. لهذا لا يسعنا أن نتوقف الآن. ولهذا أيضاً، فإنني أمرك - لا بل أطلب منك - أن تقوم بإعداد الغرفة للعلاج بالأكسجين."

لم يتحرك كراين من مكانه. "هذا ليس علاجاً شافياً، إنه فقط عملية تأجيل ما هو محتم."

بذل آيشر جهداً واضحاً لكي يحافظ على هدوئه. "أعرف ذلك. لكن المسألة كلها هي أنني في حاجة

ماسّة إلى الوقت – ربما بضع ساعات، أو ربما يوماً –  
لتمرير هذه الإشارات خلال أجهزة تحليل اللغة. ثم  
سأذهب بعد ذلك مباشرة إلى الجناح الطبي وأستسلم  
لأي نوع من العلاج أو الإجراءات التي تريدها. ويستطيع  
ماريس أن يعتني بالمسألة الأخرى بنفسه، على الأقل  
في الوقت الحاضر."

"المسألة الأخرى؟" سأله كراين.

"يعتقد ماريس أنه قد توصل إلى تصوّر حول أسلوب  
الإرسال الذي يستعمله الفريق المخرب من أجل  
استقاء المعلومات من المنشأة وتسريبها إليها."

"حقاً؟ ما هو؟"

"ليس هناك وقت مناسب لشرح هذه المسألة الآن.  
لكن عندما أخرج من الغرفة، سوف يقوم باختبار  
نظريته، ثم يحاول أن يتتبع عمليات الإرسال إلى  
مصدرها. أمّا في الوقت الحاضر، فإنني بعثت برسالة  
إلكترونية إلى جميع رؤساء الأقسام – فيرغسون،  
كونوفر، بيشوب، والباقون – من أجل أن يكونوا متيقظين  
إلى شيء يثير الشبهة." سكت قليلاً. "لكن هذا ما  
سنهتم به لاحقاً. أمّا الآن فإن مهمتنا التي تأتي في  
الدرجة الأولى هي فكّ الغاز هذه الإشارات."

تنهّد كراين، "حسناً ولكن في اللحظة التي تخرج  
فيها من الغرفة، أتوقع أن أراك في الجناح الطبي."

هنا مرّت ابتسامة عابرة على وجه آيشر، ابتسامة  
قديمة تذكرها كراين منذ يومه الأول الذي التقى فيه  
آيشر في المنشأة. "شكراً لك يا بيتر." ثم استدار نحو  
ماريس، "هل كل شيء جاهز؟"

لوح مارييس بجهاز الكومبيوتر المحمول، ثم أوما برأسه بالإيجاب.

"أما نحن فسوف يكون بمستطاعنا الدخول إلى الشبكة الواسعة، لاسلكياً ومن داخل الغرفة،" قال آيشر. "و'الخوافر' جميعها موجودة تحتنا بعدة طبقات، ولن يكون لإرسالها أي تشويش هنا."

"سوف أهتمُّ بتجهيز الغرفة،" قال كراين وهو يتعد، ثم ما لبث أن توقف. "انتظر لحظة. ما هي قصة صيغة الجمع؟"

"سأدخل إلى الغرفة مع الدكتور آيشر،" قال مارييس.

تجهّم كراين. "هذا أمر غير اعتيادي إلى درجة كبيرة، فليست أنت الذي من يحتاج إلى العلاج."

"إنه السبيل الوحيد للاستمرار في عملنا، دون مقاطعة،" قال مارييس.

تردّد كراين لحظة أطول من الأولى. ثم هزّ كتفيه. إنه أكسيجين فقط، في نهاية الأمر. "حسناً استمرّاً في خطتكما إذن، أدخلنا إلى الغرفة من فضلكما، وسوف أطلعكما تدريجياً على الإجراءات التمهيديّة بواسطة الميكروفون المجهز في داخلها."

ثم دخل إلى غرفة التحكم ليجد أن آيشر قد تبعه إليها. ألقى كبير العلماء يده اليمنى على ذراع كراين. "بيتر،" قال له في صوت خفيض. "لا تخبر سبارتان."

"لا أخبره عن ماذا؟"

"حول الاتجاه الخاطيء الذي وقعنا فيه، ولا حول

مدى اقترابنا من حل اللغز الآن.

"أصاب هذا الطلب كراين بالدهشة. "كنت أعتقد أن سبب كل هذا الجهد هو إخبار سبارتان عما استطعت أن تكتشف."

هزَّ آيشر رأسه بقوة. "كلا ليس مباشرة وفوراً. فأنا لا أثق في سباتان." انخفض صوته أكثر. "كما أنني أثق في كوروليس أقل مما أثق في سبارتان." ازدادت قبضته شدة على ذراع كراين. "هل تعذني بذلك يا بيتر؟"

تردد كراين. فعندما سمع ذلك - وعندما أنس ضوءاً غريباً يشع من عيني آيشر، ثم رأى بريقاً من العرق فوق حاجبيه - خطرت له فكرة جديدة مفاجئة. إن نقص التروية الشريانية قد لا يكون هو السبب الوحيد الذي يصيب آيشر. ولعل الشيء الذي يصيب بقية الموظفين قد بدأ يؤثر فيه الآن أيضاً.

كانت هذه فكرة باعثة على الكآبة العميقة والاضطراب.

حرَّ ذراعه من قبضة آيشر بلطفٍ. "حسناً، سأفعل."

هزَّ آيشر برأسه وابتسم مرة جديدة، ثم استدار ومشى في اتجاه غرفة الأكسجين. وبينما انخرط كراين في عملية التهيئة من غرفة المراقبة - جاعلاً آلات ضغط الهواء في حالة جهوز، ومتأكداً من أن خزانات الأكسجين مليئة، وأن صمامات التنفيس والضغط سليمة - فإن النظرة الخائفة المسكونة بالجن في عيني آيشر بقيت ماثلة أمامه.

جرّ تشارلز فاسلهوف قدميه ببطء وقلّة ثقة في اتجاه الأسفل، حيث قاعة الطعام، في الطبقة الثالثة. لم يكن لديه شعور كبير بالجوع - لكن فمه كان جافاً كما لو أن حشرات عثّ صغيرة قد عشّشت بداخله، كما كان ثمة شعور غير مريح في قاع معدته. كان سبب ذهابه إلى قاعة الطعام يعود بكل بساطة إلى أنه لا يجد مكاناً آخر يلجأ إليه. كانت هامته الكبيرة تهتز تحت وطأة القشعريرة، إلا أنه مع كل ذلك شعر أنه محروور جداً لدرجة أن عليه أن يحرّر النصف العلوي من سحاب بذلة القفز البرتقالية التي يرتديها. أما ما كان يزعجه أكثر، فقد كان رأسه. وكان الألم قد ابتدأ كما لو أنه صداع عادي، ولقد افترض أن هذا الألم ليس سوى نتيجة الإرهاق، وربما التعب، بسبب المبالغة في العمل. لكن الألم ما لبث أن تفاقم: فقد صار شعوراً غريباً مقلقاً بالامتلاء، كما لو أن دماغه قد كبر كثيراً عن حجمه، حتى ضاقت عنه جمجمته. بات نظره مشوشاً أغبشاً، بينما باتت أصابعه متململة وخدرة عند أطرافها. لذا، توقف عن العمل في مرآبه المخصص لإصلاح الآلات الكهربائية، حيث كان يومها منشغلاً بإصلاح التلف الذي أصاب مجلس التحسس "ألفا دودل بّي"، وذهب إلى غرفة مخدعه.

لكن ذلك لم يأتِه بأيِّ فائدة. تقلّب وتململ ناعماً الوسادة بعرق باردٍ، ومسرّبلاً أطرافه بالشراشف. وكان باتروني، أحد أقرانه الذين يشاركونه النوم في المهجع ذي الأسرة الثابتة، موجوداً هناك. وكان يلقي قدمين ضخمتين كريهتي الرائحة على الطاولة المشتركة، ويراقب برنامجاً عن الطبخ، يجري بثه على شبكة الكابلات الداخلية في المنشأة. صار الطنين المثابر لبرنامج الطبخ مصدراً إزعاج له أكثر فأكثر. لقد ازداد الشعور الغريب في داخل رأسه حدة، متسبباً له بطنين في أذنيه. ثم كان هناك الطريقة التي كان يرمقه بها زميله باتروني - فقد كانت نظراته جانبية طويلة مخاتلة، تشبه نظرتك إلى شخص يتحدث إلى نفسه بصوت مرتفع. لقد كان فاسلهوف متنبهاً إلى إكثار الناس من التحديق إليه في اليومين الماضيين - إذ خيّل له أن هذه الظاهرة قد ابتدأت في الوقت نفسه الذي ابتداء الألم في رأسه - لكن هذه الظاهرة لم تمتد مرة إلى زملائه في المهجع. وهكذا، وبشثيمة تلفظ بها همساً، طوّح برجليه إلى خارج مخدعه، وانتصب على قدميه، وخرج إلى الممر مغلقاً الباب خلفه دون أن ينبس بكلمة واحدة.

وجد الآن أن قدميه تقودانه في اتجاه الطوابق السفلى، أو على الأقل، هذا ما خيّل إليه أنه هو الاتجاه الذي يسير فيه. لكن بطريقة أو بأخرى، وجد نفسه أمام مختبر للأشعة. حمله وتمايل قليلاً على قدميه ثم قفل راجعاً. فلا بدّ أنه اتخذ اتجاهًا خاطئاً في مكان ما. وسيحاول إيجاد طريقه الآن من جديد. التمس العودة نزولاً خلال الممر الضيق، واضعاً كل قدم أمام الأخرى بطريقة متعمّدة.

مرّ به رجلٌ يرتدي معطفاً أبيض، وكان في يده لوحة رقمية. "مرحى تشاكي،" قال له دون أن يتوقف.

اتّخذ تشاكي لنفسه خطوتين أخريين وببطء، وحتى بتصلب، استدار في اتجاه التقني الذي كان قد اجتاز منتصف الممر. لقد استغرقت الكلمات بعض الثواني قبل أن تنطبع في ذهنه. وكان الشعور الغريب بشدة الامتلاء في رأسه يدفع عينيه إلى الإدماع قليلاً، كما يدفع الصوت المدوي في أذنيه إلى الازدياد علواً. وكان منسحباً إلى داخل ذاته، مع ما يلاقه من ألم في رأسه، ومن ارتجافات بردٍ تضني جسده.

"مرحباً،" قال. وكان صوته غريباً وثخيناً. لعق شفّتيه من جديد لكنه لم يكن قادراً على ترطيبهما أبداً لفرط جفاف حلّقه ولسانه. استدار إلى الخلف، وجعل خطواته البطيئة، غير الواثقة، تسير به في اتجاه الكافتيريا. كان يتوقف عند كل تقاطع لينظر بعينيه الطارفتين نحو إشارات توضيح الاتجاهات، دافعاً نفسه دفعاً خلال ضباب اختلاط الأمر عليه، ليتمكن من القيام بالاستدارات الضرورية.

كانت الطبقة السفلى مكتظة قبيل حلول وقت تبديل نوبة العمل القائمة. وكان بعض الناس متجمّعين حول سببة تحمل لوحة إعلانٍ بمختلف النشاطات الرياضية لهذا المساء. وهناك آخرون انتظموا في صفٍ ينتظرون دورهم في خدمة السّفرة. وقد انضم تشاكي إلى هذا الطابور. وكان يعجب لنفسه كيف أن قدميه متخشبتين وثقلتين. وقد بدا له أن ضجيج اللغط في قاعة الطعام الصغيرة قد جعل الدويّ في أذنيه يزداد سوءاً. كان صوتاً عالياً، وشديد البعد وكان واثقاً أن الآخرين يجب أن يكونوا قادرين على سماعه أيضاً. ومع

هذا، فلم يكن ليبدو على أحدهم تصرفاً يدلّ على ذلك. كان الأمر يبدو كما لو أن أعمدة لا منظورة من الضجة تتجه نحو رأسه، دون سواه.

تُرى من أين يأتيه هذا الصوت؟ ومن ذا الذي كان يتسبب له به؟

أخذ صينية من كدسة الصواني، وأزاح قدميه إلى الأمام، لكنه اصطدم بالشخص الذي يقف أمامه، فتمتم بكلام اعتذار وترنّح إلى الوراء.

لقد احتاج الأمر منه كلّ تركيز استطاع أن يستجمعه لكي يواصل تقدّمه في الطابور. تناول علبة من شراب الصودا، ثم أخرى، فأخرى، وذلك في اعتقادٍ منه أن هذا الشراب قد يزيل عنه ما يشعر به من جفاف في فمه. تناول طبقاً من سلطة الجرجير (الرشاد)، نظر إليه في غير يقين، ثم أعاده إلى مكانه. توقف عند موضع التزود باللحم المقطع. وكان خلف النضد طبّاح يستخدم ببراعة سكيناً فولادياً كبيراً يقطع بواسطته شرائح كبيرة من اللحم من ضلعٍ سمين، ينقلها بشوكة إلى طبقٍ ويكسوها بخطّ بنيّ من صلصة المرق.

حمل صينيته بكلتي يديه، واتّخذ طريقه نحو أقرب مائدة يوجد إلى جانبها مقعد فارغ، وجلس بكل ثقله، بينما علب الصودا تصطك الواحدة منها بالأخرى. لقد سهى عن إحضار شوكة وسكين، لكن هذا لا يهمه الآن في حقيقة الأمر. فالاضطرهاد المؤلم الذي ألم به في رأسه قد انتشر الآن مسبباً له آلاماً امتدّت حتى إلى فكّيه، كما أن رقبته غدت صلبة ومتخشّبة. ثم أن أي أثر للشعور بالجوع، كان الآن قد هجره تماماً. وكان ثمة امرأتان تجلسان إلى المائدة نفسها تتكلمان بحديث

مفعم بالحيوية. توقفتا عن حديثهما للنظر إليه. تذكر  
أنهما تعملان مبرمجتين في قسم الأبحاث، لكنه لم يقو  
على تذكر اسم واحدة منهما.

"مرحباً يا تُشاكي،" بادرته إحداهما.

"إنه الثلاثاء،" أجابها تُشاكي. تناول تنكة من الصودا،  
وسحب غطاءها، ثم سحبه ثانية، انفتحت العلبة ناثرة  
رشاشاً قليلاً من سائل بني على يديه. رفع العلبة إلى  
فمه وأخذ منها جرعة طويلة متعطشة. كان قد صعب  
عليه إطباق شفثيه تماماً على فتحة العلبة، وهكذا  
انحدرت الصودا إلى ذقنه بينما كان يتلع جرعته الأولى،  
وحتى ابتلاع الصودا كان أمراً موجعاً له.

"اللعنة".

أنزل العلبة، رامشاً بعينيه، ومصغياً إلى الطنين  
المدوي في رأسه. لا، لقد كان مخطئاً، إنه لم يكن  
طنيناً، لكنه صوت. لا، بل هو مجموعة من الأصوات،  
وكلها يهمس إليه.

شعر فجأة بالخوف: خوف من الخدر الذي بات ينتاب  
أنامله، وخوف من الرعدات المتتالية التي كانت تختلج  
بدنه، أما الخوف الأكبر فقد كان يأتيه من الأصوات  
الهامسة من داخل رأسه. عاد فمه جافاً من جديد  
فشرب جرعة أخرى من الصودا، فيما قلبه يقرع في  
صدره. كان يشعر بالشراب الدافئ ينسرب إلى داخل  
جوفه، لكنه لم يكن ليشعر له بأي طعم.

أما الأصوات فقد استفحل دويها. وعند ذلك، استحال  
خوف تُشاكي إلى غضب. هذا ليس عدلاً. ماذا جناه  
ليعملوا به هذا العمل؟ إنه لم يفعل شيئاً. لماذا يرسلون

أعمدة من الإشارات إلى رأسه هو بالذات دون سواه. ألا يوجد أغبياء كثر غيره في هذه المنشأة هم أحق منه بهذه المعاملة؟

كانت المرأتان على الطاولة تنظران إليه، وكانتا تتجهّمان بقلق بادٍ. "هل أنت بخير يا تشاكي؟" قالت المبرمجة الأخرى.

"اللعنة عليك،" أجابها تشاكي. لم يرفُّ لهما جفن من أجله. لقد اكتفتا بالجلوس أمامه والتحديث فيه وهما تاركتين الأصوات تملأ رأسه حتى كاد ينفجر...

نهض فجأة قلباً صينيته، ومرسلاً شراب الصودا ومرق اللحم على الطاولة. ترنح بشكلٍ خطيرٍ ثم عدل وقفته. كانت الكافتيريا تدور من حوله وكانت الأصوات تتعالى في رأسه. ولكن لقد بات الأمر أسهل عنده الآن: فقد أيقن الآن من أين تأتي إلى رأسه هذه الأصوات. إنها نشاط إشعاعي، ولا يمكن لها أن تكون سوى ذلك، لقد كان مخبولاً عندما غفل عن أمر هذه الحقيقة من قبل. اندفع الآن نحو مكان تقطيع اللحم، امتشق واحداً من السكاكين الكبيرة الموجودة هناك، وكانت لا تزال عليه آثار من اللحم والدهن. تفوه الطباخ بشيء ما قبل أن يندفع نحو تشاكي. لكن تشاكي رفع السكين في وجهه فتراجع الرجل. كان هناك خليط من الصيحات المرتفعة، لكنها كانت أخفض من الأصوات التي كان يسمعها تشاكي تأتي من داخل رأسه، ولذلك لم يعر أصوات الناس انتباهاً. ترنح خارجاً من الكافتيريا إلى الممر وهو يلوح بسكينه. إنه الإشعاع، وهو يعرف ذلك الآن جيداً: الإشعاع الذي يتسرب إلى دماغه فيجعله غريباً ومريضاً.

وهو بسكينه هذا عازم الآن على وضع حدٍ لهذا الإشعاع.

اندفع بأقصى سرعة يمكنه الوصول إليها في عمق البهو. لقد كان يعرف بالضبط إلى أين عليه الآن أن يذهب. ولم يكن المكان الذي يطلبه بعيداً. وكان الناس الذين يمرُّ بهم يلاصقون الجدران تجنباً له. لكنهم بدوا الآن له أكثر من أشخاص شكسين، لقد باتوا في نظره أشكالا لا لون لها، لذلك لم يعرِّها اهتماماً.

وبينما كان لا يزال يجرُّ قدميه أحياناً أخرى في الممر، فإن الرِّعَدات اشتدت عليه سوءاً، كما أن الأصوات ازدادت في رأسه ارتفاعاً. لن يصغ إلى هذه الأصوات، لا، لن يقدم على فعل الأشياء التي تأمره الأصوات بفعلها. إنه فقط سيوقف هذه الأصوات. وهو يعرف تماماً ماذا ينبغي له أن يفعل من أجل ذلك.

إن مصدر الأصوات قد بات قريباً أمامه. إنها تأتي من وراء هذه البوابة المسحورة التي توجد تلك الإشارة اللعينة، إشارة الأشعة الخمرية الصفراء. تلك البوابة التي يقوم الآن على حراستها جنديان بحريَّان. عندما تبين شكله للجنديين، حدَّق به كلاهما وهما يصرخان فيه، لكن أني له أن يسمعهما، وهو يسمع صوت الصراخ المدوي في رأسه في كورس واحد؟ ركع أحد الجنديين على ركبتيه متخذاً وضعية الرامي وهو لا يزال يصرخ به بعنف ويصوب نحوه شيئاً ما.

لكن تُشاكي خطأ خطوة أخرى إلى الأمام، ثم كان ثمة شهاب ثاقب تبعه صوت مدوّ طغى حتى على الأصوات الداوية في رأس تُشاكي، وطمس صورة الشعار التي تمثل الأصوات هذه. كبر الألم في صدر

نُشَاكِي، وشعر بنفسه يتراجع إلى الوراء بعنف لا يُصَدِّق. ثم، وببطء، بدأ الألم وكذلك الأصوات بالتراجع لمصلحة ظلمة لا نهاية لها - وبعد وقت طويل - ها هو الآن يجد السلام.

كانت الفسحة الكبيرة من فسحتي العمليات الجراحية في الجناح الطبي قد زُوِّدَت بكلِّ ما يلزم من الأجهزة والمعدات الضرورية للإيفاء بحاجة القيام حتى بعمليات جراحية كبيرة، بدءاً من عمليات استئصال الزائدة الدودية التقليدية، وصولاً إلى عمليات التنظير الجراحية المعقدة للبطن. ومع هذا، كانت في هذا المساء مخصصة للاستعمال لغرض مختلف تماماً: إذ تحوّلت الآن إلى مشرحة مؤقتة.

كان جثمان تشارلز فاسيليهوف ممدداً فوق طاولة العمليات، وكان لون بشرته باهتاً ضارباً إلى الزرقة تحت الأنوار الساطعة. أزيلت فحفة الجمجمة عن مكانها وأخذ وزن الدماغ ثم أعيد. أما الآن فإن الفواصل المعدنية التي تفصل هذه الفسحة عن سواها كانت ترن برجع صوت منشار سترايكر الذي كان يستعمله كراين لإحداث قطعٍ طوليٍّ في عظمة القص، محدثاً شقاً يشبه شكل الحرف Y من أسفل الصدر حتى أسفل البطن. وإلى كتف الدكتور آيشر، وبجانب صينية تحتوي على أدوات التشريح، وقفت طبيبة مقيمة. أما وراءها تماماً، فقد وقفت الدكتورة ميشيل بيثوب، وكانت تغطي وجهها بقناع طبي لكن حاجباها كانا مقطبان.

قرب الباب، وعلى مسافة ليست قريبة من الجثمان،

وقف الضابط كوروليس. "متى سيكون التقرير النهائي جاهزاً يا دكتور كراين؟" سأل.

تجاهل كراين سؤاله. أطفأ المنشار المتذبذب وناوله إلى الطبيبة المقيمة التي تقف رهن أوامره، ثم استدار نحو الميكروفون العائد لآلة تسجيل رقمية، متابعاً الإملاء من خلالها "جرح ناتج عن عيار ناري إلى الجانب الأيمن من الصدر. جرح أصاب الجلد والأنسجة اللينة. لم تخرج المقذوفة من الجسد. لا دليل على أن إطلاق النار قد حصل من مسافة شديدة القرب، إذ لا توجد آثار حرق بارود أو سخام حول الجرح." نظر إليّ ببشوب التي ناولته من دون أن تبادلته الكلام زوجاً من المقصات الصالحة لقطع عظام الأضلع. قام بقطع الأضلع الباقية، ثم رفع صفيحة القفص الصدري بكل عناية.

وبواسطة الملقط الجراحي، درس التمزق الحاصل تحت أشعة ضوء غرفة العمليات. "إن ممر الجرح، هو من الأمام إلى الخلف، مع اتجاه بسيط نحو الأسفل. الجرح نفسه يتكوّن من ثقب مستدير يبلغ أقل من الإنش، وله سحج مستدير، مع تمزق هامشي شعاعي بسيط. هناك جراح في الضلع الثاني الأيمن الداخلي، وفي الفصّ الأسفل من الرئة اليمنى، والشريان الأيمن تحت الترقوي وأسفل الحجاب الحاجز بين المعدة والأمعاء. "التقط جهاز قطع الأمعاء، وأنزل في داخل تجويفه الأنبوبي الشفرة التي تشبه شكل المصباح، ودفع به دفعا متريفاً نحو الأسفل، دافعاً الأحشاء إلى الجانب. "إن المقذوفة المشوهة الشكل، الصادرة عن سلاح ذي عيار ثقيل قد استقرت في الأنسجة الواقعة إلى الجانب الأيمن من الفقرة (T2) من العمود الفقري." وبحذرٍ شديد، قام باستخراج الرصاصة مستعملاً

الملاقط الطبية. ثم عاد من جديد إلى آلة التسجيل.

"إن التشخيص الباثولوجي،" تابع قائلاً، هو كما يلي: كان دخول الطلقة النارية الذي تسبب بجرح الجهة العليا من الصدر، قد أدّى إلى اختراق التجويف الأيمن من الصدر ممزّقاً الشريان تحت الترقوي. سبب الوفاة: جراح ونزف كبير إلى داخل التجويف الأيمن. طبيعة الوفاة: عملية قتل؛ سوف يتبع لاحقاً تقرير عن التسمم."

رفع كوروليس حاجبيه. "تقول حادثة قتل يا دكتور كراين؟"

"وماذا تريدني أن أسمى سبب الوفاة؟" ردّ عليه كراين بحدة. "دفاع عن النفس؟" رمى الرصاصة في داخل طشت معدني، حيث تقلقت جيئة وذهاباً.

"كان الرجل يشهر سلاحاً قاتلاً بأسلوب عدواني وتهديدي."

ضحك كراين ضحكة مريرة. "هكذا إذن؟ كانت حياة هذين الجنديين المسلحين في خطر."

"إن نية فاسيلهوف كانت تتجه نحو الدخول الممنوع إلى نقطة حساسة جداً يحظر الدخول إليها."

ناول كراين الملاقط الطبية إلى الطبيبة المقيمة. "ماذا، هل كان ينوي تقطيع أوصال مفاعلكم النووي الثمين بسكين المطبخ؟"

انطلقت عينا كوروليس بسرعة نحو الطبيبة المقيمة ونحو الدكتورة بيشوب، قبل أن يعيد النظر نحو كراين. "لقد كان الأمر واضحاً لكل شخص عند توقيعه بالانضمام أن الموجودات الاستراتيجية في هذه المنشأة سوف

تتمتع بالحماية تحت أيّ ثمن. وعليك أن تكون أكثر انتباهاً لكلامك يا دكتور. لأن عواقب الإخلال بالتعهدات التي قمت بالتوقيع عليها هي عواقب شديدة القساوة."

"إذن ما عليك سوى أن تقاضيني."

صمت كوروليس لحظة، كما لو أنه يفكر في هذه المسألة. أما عندما تكلم من جديد فقد بدا صوته بدا أكثر نعومة، لا بل صوتاً حريزاً. "متى يمكنني أن أتوقع وصول هذا التقرير؟"

"عندما أنتهي منه. أمّا الآن، فلم لا تنصرف عني وتدعني أكمل عملي؟"

صمت كوروليس من جديد. ثم تكونت على شفثيه ابتسامة صغيرة - أكثر بقليل من إبراز أسنانه. نظر من جديد إلى الجثمان، ثم وبايماءة قلما يمكن إدراكها في اتجاه بيشوب استدار كوروليس صامتاً، وغادر حجرة العمليات.

وللحظة، وقف الثلاثة دون حركة يصغون إلى خطوات كوروليس المغادرة. ثم تنهدت بيشوب. "أعتقد الآن أنك كسبت عدواً."

"لا أبالي،" أجاب كراين. وبالفعل، لم يكن ليبالي. فلقد شعر أنه قد بات مريضاً بالشعور بالخيبة - خيبة بسبب هذا المناخ من السرية والغطرسة العسكرية المخيم فوق مشروع عاصفة الأعماق بكامله؛ خيبة بسبب شعوره بعجزه الشخصي عن وضع حدٍ للابتلاء الذي قد تسبب أخيراً بطريقة غير مباشرة في مقتل فاسيلهوف. سحب القفازين من يديه ورماهما فوق

الطشت المعدني، ثم أطفأ آلة التسجيل واستدار نحو  
الطبيبة المقيمة. "هل تتكرمين بإعادة تقطيب جروح  
الجثة، لو سمحت؟"

هزّت الطبيبة المقيمة رأسها بالإيجاب. "حسناً يا  
دكتور كراين. هل أستعمل إبرة هاجيدورن؟"  
"ستفي بالغرض، نعم."

خرج من حجيرة العمليات، ثم إلى الممر الرئيسي  
للجناح الطبي، حيث أسند جذعه بقلق وتعب إلى  
الجدار. حضرت بيشوب إلى جانبه.

"هل تنوي الإنتهاء من إعداد التقرير؟" سألته.  
هزّ كراين رأسه. "كلا. لأنني لو فكرتُ به أكثر من  
ذلك في الوقت الحاضر سأصاب بنوبة من الغضب."  
"ربما كنت بحاجة إلى قليل من النوم."

أطلق كراين ضحكة حزينة. "كيف يمكنني النوم بعد  
يوم مثل هذا اليوم. وفضلاً عن ذلك، لديّ آيشر لأهتم  
بأمرة الآن. سوف يخرج بعد حوالي ثلاث ساعات."

نظرت بيشوب إليه. "يخرج من أين؟"  
"ألا تدرين؟ أنه موجود الآن في غرفة الأكسجين."

بانت الحيرة على نظرة بيشوب. "آيشر؟ لماذا؟"

"بسبب حالة ضعف التروية الشريانية التي تلازمه،  
سأنت حالته كثيراً في اليومين الماضيين. لقد بدا الآن  
مصاباً بتقرُّحات في أطرافه."

"هل هناك من انسداد شرياني؟ إذن ليس عليه أن  
يكون الآن في الغرفة - بل يجب أن يكون هنا لكي

نجري له عملية تحويل في مجرى الشرايين."

"إني أعرف هذا وقد قلت له ذلك. لكنه كان شديد الإصرار فهو ... " هنا توقف كراين متذكراً عهد الصمت الذي قطعه على نفسه. " يبدو أنه قد بات قريباً من إحداث اختراق ما، تصبُّ نتيجته في الهدف مباشرة، وقد رفض أن يتوقف عن عمله. حتى أنه اصطحب مارييس معه إلى الغرفة لمتابعة العمل معاً."

لم يظهر علي بيشوب أي استجابة. لقد أزاغت نظرها وهي تحدِّق بإمعان في الممر.

تثاءب كراين. "وعلى كل حال، لا يمكنني النوم حتى وإن حاولتُ ذلك. لهذا أرغب في إنجاز بعض الأعمال الورقية." صمت لحظة. "نعم .. نعم .. هل هناك شيء جاهز من مخططات كهربائية الدماغ؟"

"لقد انتهى العمل على واحد منها فقط حتى الآن. إنه التخطيط الذي أجرى إلى ماري فيليبس، المرأة التي اشتكت من خدر في يديها ووجهها. لقد تركته على ظهر مكتبك. سوف أذهب لأتأكد من حال التقارير الباقية. سوف أطلب من الموظف الفني أن يضع لك جدولاً مشتركاً عن جميع الحالات، ويجب أن يكون قد انتهى من إجراء التخطيط على بضعة مرضى حتى الآن. وسوف أطلب منه أن يحضر لك الأوراق المطبوعة."

"شكراً لك." راقبها كراين وهي تتحرك بنشاط في الممر. كانت هذه هي إحدى التعم على الأقل: فقد تحسنت علاقتهما إلى درجة كبيرة.

استدار ومشى عائداً ببطء إلى مكتبة الذي صار مكتظاً بالأعمال التي تنتظر الإنجاز. وكما وعدته، كانت

بيشوب قد تركت تخطيط الدماغ على مكتبه. كان التقرير عبارة عن رزمة من عشرات الأوراق تبدو عليها موجات كهرباء الدماغ مرسومة في رسم بياني، وهي مرفقة بتقرير مدبّس بالصفحة العليا من التخطيط. كان يكره قراءة تخطيط كهربائية الدماغ، وهو فن تقصي الموجات الكهربائية غير الطبيعية في دماغ شخص ما، انطلاقاً من سلسلة لا تنتهي من الخطوط المكسّرة التي تستنفد صبر قارئها وتبعثه على الجنون. ومع هذا، فقد كان هو ذاته الشخص الذي أمر بإجراء هذه التخطيطات. لقد قام بطلبها لأنه لم يكن يستطيع أن يترك شيئاً واحداً دون أن يكتشفه. وإذا كان هناك من شيء يعود للافتراض الذي كان قد وضعه بأن المشاكل الصحية في عاصفة الأعماق، إنما هي مشاكل عصبية، فإن رسوم تخطيط كهربائية الدماغ الجارية للمرضى يمكنها دون شك أن تؤكد هذه الفرضية أو أن تنفيها.

جلس راين في كرسيه، ومرّ يداً متعبة فوق عينيه ثم فلتش أوراق التخطيط فوق المكتب. طالعه كتلة مختلطة من الخطوط الأفقية: إن الحقل الداخلي العائد إلي دماغ ماري فيليبس، تعلو فيه الخطوط وتهبط، مع تبدلات في اتساع الموجات وتردداتها. فمن النظرة الأولى، بدت جميع الخطوط غير جديرة بالملاحظة، لكن كراين ما لبث أن ذكر نفسه بأن الحالة هي هكذا دائماً عندما يأتي الأمر إلى قراءة رسوم كهربائية الدماغ. فهي تختلف عن رسوم كهربائية القلب، حيث ترسم الضربات غير الطبيعية أمام ناظريك وتدلّك على نفسها. إن المسألة كلها كانت مسألة قيم نسبية مع مرور الوقت.

أدار انتباهه إلى انتظام موجات ألفا، فلوحت أنها

تُظهر أكبر اتساع قياسي في الربع الأخير من كل دورة. وكان هذا الأمر طبيعياً عند البالغين الصالحين. مرَّ بعينيه علي عدة صفحاتٍ دون أن يلاحظ أيَّ شيءٍ غير اعتيادي يتعدى الفترات الانتقالية العارضة التي تتطابق مع فترات من القلق وربما مع فرط التهوية. وفي الحقيقة، كانت موجات ألفا العائدة لهذه المرأة شديدة الانتظام. ذات إيقاع منتظم، ولا تبدو عليها أي إشارة إلى أنه يخالطها أي ترددات أكثر بطناً.

ثم انتقل إلى نشاط موجات بيتا، فوجد أنها حاضرة بشكل أساسي ربما بكميات أكبر من المعتاد، رغم أنها لا تزال تعتبر ضمن المعدل الطبيعي. ولم تكن أي مجموعة من مجموعتي الموجات هذه تُظهر أي عدد محدد من الانتظام أو عدم التساوق.

وعندما مرَّ بأبصاره عبر تلك الأوراق، متتبعاً الخطوط السوداء الرفيعة في مسارها الذي يعلو ويهبط، راوده شعور مألوف محيط. إنها خيبة الأمل. وكان هذا برهاناً على الوصول إلى نهاية مسدودة.

ثم كانت نقرةٌ على بابهِ، وظهرت بعد ذلك أخصاصية المختبر تحمل مقداراً كبيراً من الأوراق في يدها. "الدكتور كراين؟"

"نعم؟"

"إليك بقية مخططات كهربائية الدماغ طلبتها." ثم تقدّمت إلى الأمام ووضعت الأوراق على الطاولة.

نظر كراين إلى كدسة الورق التي يبلغ ارتفاعها قدماً واحداً. "كم تخطيط تحوي هذه الكدسة؟"

"أربعة عشر." ابتسمت وأومات برأسها، وغادرت

المكتب بسرعة.

" أربعة عشر. هذا شيء عظيم. وبهمّ وقلق، عاد من جديد يمسح بعينه تخطيط كهربائية الدماغ العائد إلى ماري فيليبس."

انتقل الآن إلى دراسة موجات تيتا وموجات دلتا. وكان يمسح نظره من اليسار إلى اليمين، حريصاً على تفسير كل فترة عشر ثوانٍ رقمية على حدة. كانت خلفية نشاط الدماغ تبدو على شيء من قلة الانتظام، لكن هذه الظاهرة كانت تعتبر، بشكل أو بآخر، اعتيادية عند الشروع بالتخطيط، إذ لا بد من أن يشعر المريض بالهدوء والاستقرار مع استمرار عملية الخضوع للتخطيط...

ثم ما لبث أن لاحظ الظاهرة من جديد: مجموعة من النبضات الجبهية الأمامية، صغيرة ولكنها شديدة الوضوح، وكانت تخالط أشكال موجات تيتا.

تجهّم الآن. فنشاط موجات تيتا الذي يتعدى القليل من الموجات العشوائية ذات الجهد الكهربائي المنخفض، يجب أن تكون نادرة الوجود عند البالغين.

نظر إلى بقية أوراق التخطيط، فوجد أن النبضات في خط تيتا لم تتلاش: بل أنها قد أظهرت ازدياداً. فعند النظرة الأولى، كانت هذه النبضات تبعث على الظن بوجود إعتلال دماغي، أو ربما مرض بيك، وهذا المرض هو نوع من الضمور الدماغي الذي يعود في نهاية المطاف إلى تسطح الشعور، وإلى الخبل. وإن نوع الضعف الذي شكت منه ماري فيليبس كان في الحقيقة عرّضاً ابتدائياً.

ولكن كراين لم يقتنع بهذا. كان هناك شيء ما حول هذه النبضات يقلقه.

عاد من جديد إلى بداية التخطيط وأدار ورقة الرسم البياني إلى جانبها ليقرأها 'قراءة عمودية' - فاحصاً رسم تخطيط كهربائية الدماغ من الرأس إلى القاعدة بدلاً من قراءته من اليسار إلى اليمين - لأن تلك الطريقة في القراءة تسمح له بالتركيز على نوع محدد من موجات الدماغ، وبمراقبة نسبة توزيعها، بدلاً من النظرة الشاملة إلى صورة اليمنى أو صورة يسرى للدماغ. قلب الصفحات ببطء، ماراً بنظره نزولاً على أشكال موجه تيثا. وفجأة تسمّر في مكانه. " ما هذا بحق الجحيم؟ " قال.

طرح الأوراق على ظهر مكتبه، ثم فتح دُرجاً قريباً منه مفتشاً عن مسطرة. وجد واحدة فوضعها بسرعة على إحدى الصفحات محدّقاً بدقة. وبينما كان يقوم بذلك، شعر بوخز غريب يبدأ تياره من أسفل رقبتة ويتحدّر نزولاً عبر عموده الفقري.

ببطء، استعاد جلسته في كرسية. "هذه هي،" همهم لنفسه.

بدا الأمر كله مستحيلاً - لكن الدليل يقع الآن واضحاً تحت أنفه. فالنبضات في موجات تيثا العائدة إلى دماغ ماري فيليبس لم تكن عبارة عن الارتفاعات والانخفاضات المألوفة لنشاطات عادية للدماغ. حتى إنها لم تكن أيضاً تفرّجات عشوائية ناتجة عن أي نوع من المرض الجسدي. إن النبضات كانت منتظمة بدقة - بل كانت منتظمة إلى درجة لا يمكن تفسيرها ...

وضع تخطيط كهربائية الدماغ العائد إلى ماري فيليبس جانباً، ثم وصل إلى التخطيط الموجود في أعلى الكدسة الجديدة التي أحضرتها عاملة المختبر. وتبين أن هذا التخطيط يعود إلى الرجل الذي عانى من نوبة عارضة لتفقع الدم في الشرايين، والتي تسببت له بسكتة خفيفة. وبعد القيام بفحص سريع، تأكد وجود الظاهرة ذاتها هنا أيضاً. إنها النبضات نفسها موجودة أيضاً في دماغ هذا الرجل.

ولم يحتج الأمر إلى ما هو أكثر من خمس عشرة دقيقة للمرور على بقية تخطيطات كهربائية الدماغ. فالمرضى كانوا قد عانوا من مجموعة غير معقولة من الأعراض المختلفة شملت كل شيء ابتداءً من الأرق إلى عدم انتظام ضربات القلب إلى الغثيان، وصولاً إلى الجنون العنيف. ومع كل هذا، فإن كل واحدٍ منهم قد أظهر الظاهرة نفسها. نبضات في أشكال موجات تيتا الكهربائية في أدمغتهم، وعلى درجة الانتظام والدقة اللذان لا نجدهما في الطبيعة.

دفع بكدسة الرسوم جانباً وهو يكاد لا يصدق نفسه. ففي نهاية الأمر استطاع أن يحل اللغز: لقد تمكن من اكتشاف الظاهرة المشتركة بين الجميع. وكانت ظاهرة عصبية. فأشكال موجات تيتا في أدمغة البالغين كان يفترض أن تبدو خطأً مستقيماً مسطحاً وحتى عندما تعطي هذه النبضات، فإنه لا يمكن أن تنطلق في نمط شديد الدقة، قابل للقياس. وهذا شيء كان لا يعرفه الطب إطلاقاً قبل ذلك.

وقف ومشى في اتجاه الهاتف الداخلي، وكانت أفكاره لا تزال تتراكم بسرعة. شعر أنه يحتاج إلى التشاور فوراً مع بيشوب حول هذا الأمر. فمع تأثر الجهاز

العصبي المستقل، فإن جميع هذه الأعراض غير المترابطة، قد انفلتت فوراً من عقالها إلى الوجود. لقد كان من الغباء بحيث أنه لم يتمكن من اكتشاف هذه الحقيقة من قبل. ولكن كيف انتشرت هذه الحالة ؟ فالقصوات العصبية التي تنتشر على نطاق واسع لم يكن قد سمع بها أحد من قبل.

ما لم ...

"آه، يا إلهي" أخذ نفساً عميقاً.

وبسرعة، بل وباهتياج تقريباً، بحث عن آلة حاسبة، وكانت نظراته تجول بين رسومات تخطيط كهربائية الدماغ وبين الآلة الحاسبة فيما كان يقوم بحمية بالنقر على لوحة الأرقام. ثم توقف فجأة محدقاً في النتيجة التي أظهرتها له الآلة الحاسبة على الورق. وكان يشعر بأنه لا يكاد يصدق ما يرى.

"هذا لا يُعقل أبداً،" قال هامساً لنفسه.

رن جرس الهاتف بشكل مجفل مرتفع في هدأة المكتب. وثب واقفاً أمام كرسيه، ثم مدَّ يده لالتقاط السماعة، وكان قلبه يعدو أمامه. "كراين".

"بيتر؟" لقد كان الصوت صوت آيشر، لكنه بدا صوتاً زامراً، نحيلاً، واصطناعياً، يأتي من الجو المشبع بالأكسجين في غرفة الضغط العالي.

"دكتور آيشر!" قال كراين. "لقد وجدت ناقل العدوى وسببها المشترك! وهو.. يا إلهي! شيء -"

"يا بيتر،" قاطعه آيشر. "أريدك أن تأتي إليّ فوراً. أترك كل شيء من يدك وتعالَ إلى هنا الآن"

"ولكن -"

"لقد فعلناها."

صمت كراين، مجاهداً في عقله مع هذا الانقلاب المفاجيء. "هل تمكنتم من فكِّ شيفرة الرسالة؟"

"ليس رسالة واحدة فقط، بل مجموعة من الرسائل. وكلها الآن باتت في ذاكرة الكمبيوتر المحمول. "لم يبدُ صوت آيشر ربيعاً فقط - بل كان يحمل في طياته رنة قنوط أيضاً. "أحتاج إليك هنا، فوراً يا بيتز، لأن الأمر اضطراري جداً بحيث أننا لا نملك -"

سمع ثمة قرقرة ثم صمت الهاتف فوراً.

"ألو" تجهم كراين لسماعة الهاتف. "ألو، دكتور آيشر؟  
"ألو؟"

لكن لم يصله سوى الصمت.

كان كراين مازال على تجهمه عندما أعاد سماعة الهاتف إلى مكانها. ألقى نظرة على رسومات تخطيط كهربائية الدماغ على مكتبه. ثم استدار وخرج مسرعاً.

عندما كان كراين للمرة الأخيرة في الطبقة السابعة - منذ أقل من خمس ساعات - كان الطابق العلمي يعج كعادته بالحركة الطبيعية المنتظمة. أما الآن، وفور خروجه من المصعد، وجد نفسه فجأة وسط فوضى عارمة. فأجراس الإنذار كانت تلعلع، والصرخات كانت تختلط بالعويل؛ وكان الجنود، والعلماء، والتقنيون، يتراكمون من حوله. وكان ثمة شعور في الهواء برعبٍ وضيقٍ شديدين.

استوقف كراين أحد عمال الصيانة. "ما الذي يجري هنا؟" سأله.

"حريق،" قال الرجل وهو مبهور الأنفاس.

شقَّ الخوف المفاجيء طريقه إلى نفس كراين. فبوصفه خبيراً كخبير في العمل على الغواصات، كان قد تعلم خطورة حدوث حريقٍ تحت الماء.

"أين؟"

"في غرفة الضغط العالي." قال الرجل ذلك، ثم لم يلبث أن حذر نفسه من قبضة كراين، وانطلق راكضاً.

تضاعف الآن خوف كراين. أيشر...

ودون توقفٍ للتفكير، اندفع قُدماً في الممر.

كان الجناح الذي يضمُّ غرفة الضغط العالي قد امتلأ بفرق الإغاثة التي استجابت للإنذار، مثلما امتلأ بعمال الإنقاذ. وحالما شقَّ طريقه بين الجمع، وصلت إلى أنف كراين رائحة الدخان الحريفة.

"أنا طبيبٌ، افسحوا لي الطريق!" صاح في الناس، شاقاً لنفسه ممراً إلى غرفة المراقبة. كانت المساحة الضيقة محتشدة برجال الأمن. وكان هوبكينز، أحد الفنيين الطبيين الشباب، يقف عند لوحة التحكم. بينما الضابط كوروليس يقف وراءه. وحال اقتراب كراين، نظر إليه كوروليس نظرةً سريعةً، ثم أعاد أنظاره إلى هوبكينز من دون أن يتفوه بكلمة.

"ما الذي جرى؟" وجَّه كراين سؤاله إلى هوبكينز.

"لستُ أدري." تصبَّب العرق من جبهة هوبكينز، بينما كانت يده تطوفان على المفاتيح والآلات. "لقد كنتُ في الأسفل في قسم الأمراض عندما سمعتُ جرس الإنذار."

"منذ متى كان ذلك؟"

"منذ دقيقتين فقط، أو ربما ثلاث دقائق."

نظر كراين إلى ساعته. لم يمرَّ بعدُ أكثرُ من خمس دقائق على اتصال آيشر به. هل قمتَ باستدعاء فريق طبي؟

"نعم يا سيدي."

نظر كراين من خلال الفاصل الزجاجي، في اتجاه غرفة الضغط العالي نفسها، فرأى كتلةً من اللهب تندلع

من فتحة الدخول.

يا إلهي ! إنها لا تزال تشتعل !

"ألم يشتعل نظام الغمر بالماء ؟" صرخ في وجه هوبكينز.

"لست أدري،" أجاب الفني الطبي وهو ما يزال يعمل كالمحموم على أجهزة التحكم. "يبدو أن جهازي الإطفاء الأولي والاحتياطي، معطلان، بشكل أو بآخر. فهما لا يستجيبان. وإنما أقوم الآن بعملية تنفيس سريعة للضغط."

"لا يمكنك أن تفعل ذلك !" قال كراين. "سوف تكون الغرفة عند ذلك تحت الضغط الذروي!"

كان كوروليس هو الذي قام بالإجابة هذه المرة. "عندما تعطل رشاشات الماء لن يبقى أمامنا من سبيل آخر، سوى فتح كوة الدخول وإدخال وسائل الإطفاء."

"إن الضغط في الغرفة مضبوط على مثني كيلو باسكال. لقد قمت بتركيزه بنفسي عند هذا الرقم. فإذا قمت بإفراغ هذا الضغط فجأة، فسوف تقتل أيشر."

رفع كوروليس عينيه مرة ثانية. "لقد مات أصلاً."

فتح كراين فمه ليتكلم، ثم عدل عن ذلك. فسواءً أكان كوروليس مصيباً في كلامه أم لا، فلا يمكن أن تترك النار تشتعل. إذ إنها لو وصلت إلى خزانات الأكسجين فإن تلك الطبقة بكاملها سوف تصبح مهددة. لم يكن هناك من خيار. وجه كراين لكمة من قبضة يده نحو الفاصل الإنشائي، وهو في حالة احتياج وإحباط، ثم شق طريقه إلى باحة الانتظار.

كانت فرق الإنقاذ متحلِّقةً حول مدخل الغرفة، وأفرادها جاهزون بطفاياتهم وأقنعتهم الأكسجينية اللاصقة فوق أنوفهم وأفواههم. بوق صغير للصوت، منصوبٌ فوق الفاصل الزجاجي لغرفة المراقبة، انطلقت فيه الحياة. "سينتهي إفراغ الضغط تماماً في غضون خمس عشرة ثانية". جاء صوت هوبكينز، المكهرب ليقول.

تأكدت فرق الإنقاذ من تجهيزاتها، وارتدى المسعفون أقنعتهم.

"انتهى إفراغ الضغط،" قال هوبكينز. "الأقفال تفتح الآن."

وبحركة مفاجئة من مزلاج كهربائي، انفتح مدخل الغرفة على مدهاء. وعلى الفور تدفقت الحرارة والدخان الأسود إلى باحة الانتظار. وهكذا، صارت روائح الدخان الحريفة، وروائح اللحم المحترق، تطفئ على الأنوف، وتفوق الاحتمال. استدار كراين إلى الخارج رغم إرادته واغرورقت عيناه بالدمع المفاجيء. ومن ورائه جاء صوت وقع أقدام تعدو، وأوامر غاصبة، واندفاع المياه من فوهات خراطيم الإطفاء.

عاد إلى الوراء وخراطيم الإطفاء لا تزال تعمل. صارت فرق الإسعاف في داخل الغرفة نفسها الآن. وقد حل محل غيوم الدخان السوداء ضبابٌ كثيفٌ من مشبطات اللهب. شق كراين طريقه إلى الأمام وتمكن من تجاوز عمال الإنقاذ، ثم توقف فجأة.

كان آيشر ممدداً على الأرض، مكوماً جسمه حول حاسوبه المحمول. وكان مارييس مستلقياً بالقرب منه.

كانا متكوّمين على الأرض في محاولة لتجنب اللهب والدخان. لكنها كانت محاولات عقيمة. فقد كانت ملابسنا آيشر تتدلى أطرافه كرقائق من سخام. وكان جلده مسوداً بشكل فاحم رهيب. أما كتلة شعره الأبيض فقد احترقت بكاملها. وأما حاجباه الكثيفان، فقد احترقا واستحالا إلى تجعدات دقيقة.

ركع كراين بسرعة لاجراء كشف غريزي ثم أعاد النظر في اندفاعته، إذ بدا له أنه من غير المعقول أن يكون آيشر لا يزال حياً. كان الدم يتفرق بحرية من أذنيه. لكن ذلك كان الدليل الوحيد على الحركة. فصدمة الضغط - فقدان المفاجيء للضغط - قد أدت إلى ثقب أذنه الوسطى. وهذا سيكون أقل آثار هذه الصدمة. فالإفراغ الطارىء لضغط الخيمة كان لا بد له من أن يتسبب بانسدادات خطيرة في الأوعية الدموية، تتسبب في المبدأ بزيادة الكربون في الدم. ثم هناك مسألة استنشاق الدخان، والحروق البالغة من الدرجة الثالثة التي أصابته.

فجائية هذه المأساة، وفقدانه صديقه، والخسارة الكبيرة على كل صعيد، جعلت كراين يترنح؛ ورغم كل ذلك، فإن جزءاً منه كاد يشعر بالسرور لأن آيشر قد مات وارتاح من أثر الحروق، وتفرغ الدم، اللذين كانا سيسببان له آلاماً لا يمكن تصورها ...

كان فريق الطوارئ يتقدم الآن، فيما براقع الضباب آخذاً بالانقشاع. كانت المواد المخمدة للحريق ترشح من جميع الأسطح. وفي خارج الخيمة، سمع كراين لغط أصوات عند وصول فريق الإسعاف الطبي. ألقى يده بلطف على كتف آيشر. "وداعاً يا هاوارد،" قال له.

لكن عينا آيشر انفتحتا.

وللحظة خال كراين أن ما يراه لم يكن سوى انقباض عضليّ يسببه انخفاض كمية فوسفات الأدونوزين بعد حصول الوفاة. لكن العين ما لبثت أن ركزت نظرها بعد ذلك إليه.

"أحضروا السوائل !" نادى كراين على الفور إلى فريق الإسعاف الطبي. يلزمني الكثير من محلول الملح فوراً!، كما يلزمني كماداتٍ تليجيةً !.

ببطءٍ وألم رفع آيشر يداً باتت أشبه بالمخلب، لأنه لم يبق منها سوى لحمٍ محروقٍ على عظم مفروقٍ. أمسكت اليد بطرف طوق قميص كراين وجذبتة قريباً من آيشر. ناضل كبير العلماء لكي يحرك شفثيه السوداوين، لكنهما تفسختا من أثر الجهد، وسال منهما سائل صافٍ.

"لا تحاول أن تتكلم"، قال كراين بصوتٍ منخفضٍ مهديّ. "ابق هادئاً، سوف ننقلك إلى الجناح الطبي، ونعمل على إراحتك."

لكن آيشر لم يكن ليبق هادئاً. فقد شدت يده من قبضتها على قميص كراين. "Whip" (جلد) قال له في همسٍ ناضب.

وصل فريق الإسعاف الطارىء إلى ما وراء كراين، وبأيدٍ مغلّفةٍ بالقفازات، بدأوا بإزالة الثياب المتفجّمة عن جسد آيشر، وبتجهيز أنبوب المصل. بينما ذهب أحد أعضاء الفريق وانحنى فوق الجثة الهامدة لماريس.

"استرخ" قال كراين لآيشر. "سنخليك من هنا بعد برهةٍ من الزمن."

لكن قبضة آيشر كانت تزداد تشبثاً بكرائين، حتى أن شفثيه بدأت بالتقلقل.

"...Whip"

أخرج زفرةً عاليةً الذبذبة، وارتعد، ثم أغرب عينيه إلى داخل جمجمته. وكانت غرغرةً في حنجرتة المحطمة. ثم تراخت قبضة يده، وسقط ذراعه إلى الأرض، وبعدها لم يتكلم أبداً.

جلس كراين إلى جانب المنضدة في غرفة نومه يحدّق بشاشة الكمبيوتر، لكنه لم يكن يرى فيها شيئاً. مرّت ساعات عدّة على الحادث، لكنه مع ذلك كان لا يزال يشعر بالحذر. أخذ حماماً طويلاً، وسلّم ثيابه إلى المصبغة، إلا أن غرفته كانت لا تزال عابقة برائحة الجلد المشويّ والشعر المحروق.

انتابه احساس بعدم التصديق الذي يقارب شلل العقل. هل حقيقة أنه لم تمض بعد سوى ثماني ساعات على قيامه بتشريح جثة شارلز فاسيلهوف؟ في ذلك الوقت كان عليه أن يكتب تقريراً طبياً عن التشريح، أما الآن فقد بات عليه أن يكتب ثلاثة تقارير.

بقيت صورة آيشر عالقة في ذهنه. كما رآه لأول مرة على شاشة في مكتبة منصة نפט ستورم كينغ. وجه أسمرٍ باسم. إن ما لدينا هنا يا بيتر هو أكبر اكتشاف علمي أو تاريخي على مر العصور. لم يعد آيشر لبيتسم مرة مثلما ابتسم له يومها في لقائهما الأول. وفي لحظة استرجاع وتأمل، عجب كراين كم قد يكون من تلك الابتسامة مجرد تظاهر وضعه آيشر على وجهه، من أجل إشعاره بالأنس والطمأنينة.

كان ثمة طريقة ناعمة على الباب، ثم انفتح ليكشف عن مجيء ميشيل ببشوب إليه. كان شعرها الفاحم معقوصاً إلى الخلف بطريقة مبالغ فيها، بحيث أنها أبرزت عظمتي وجنتيها أكثر مما يجب كما بدت عيناها محمرتين وحزينتين.

"بيتر،" قال بصوتٍ خفيضٍ.

استدار كراين بكرسيّه ذي العجلات. "أهلاً"

وقفت عند المدخل متردّدة بطريقة غير واضحة. "لقد أردت التأكد من أنك بخير."

"إنني أفضل بقليل."

"أقلقني ألا أراك تتفوّه بكلمة واحدة، حتى عندما قمنا بنقل جثمان أيشر إلى الجناح الطبي وعندما قمنا معاً بإجراء الكشف النهائية. أعتقد أنني قلقة عليك بعض الشيء."

"لا أستطيع أن أفهم ما هو الخطأ الذي حصل في غرفة الضغط العالي، ولا ما الذي سبّب الحريق فيها؟ لماذا كان جهاز رش المياه فيها معطلاً؟"

"لقد أمر سبارتان بإجراء تحقيق. وسوف يتوصل إلى معرفة الخطأ الذي حصل."

"كان عليّ أن أقوم بالمزيد ممّا قمتُ به. كان عليّ التأكد من سلامة الغرفة بنفسني، وأن أفحص جهاز رش المياه"

تقدمت ببشوب خطوة إلى الأمام. "هذا هو بالضبط ما لا يجب عليك أن تفكر به. لقد قمت بكل ما عليك القيام به. لقد كان الأمر حادثاً، وهذا هو كلُّ شيء."

حدثٌ فظيعٌ."

ران صمتٌ قصيرٌ قبل أن تعود بيشوب إلى الكلام.  
"أعتقدُ أن عليَّ أن أعود إلى الجناح الطبي. هل لي أن  
أجلب لك شيئاً من خزانة الأدوية ؟ زانتاكس ؟ فاليوم،  
أي شيء ؟"

هزَّ كراين رأسه. "سأكون على ما يرام."

"سوف أقوم بزيارتك في وقت لاحقٍ إذن"، عادت  
بيشوب أدراجها.

"ميشيل ؟"

التفتت إلى ورائها.

"شكراً لك."

أومات ثم غادرت غرفة استراحته.

عاد كراين ببطءٍ، إلى محطته الطرفية. حدَّق في  
الشاشة دون أن يتحرك لبضع دقائق. ثم دفع بنفسه  
بخشونة، بعيداً عن منضدته، وبدأ يذرع أرض الغرفة. غير  
أن هذا أيضاً لم ينفع في التخفيف عنه. تذكَّر كيف أن  
أيشر كان يذرع الغرفة بالطريقة نفسها يوم كشف له  
عن السرِّ الحقيقيِّ لما هي عليه حقيقة عاصفة  
الأعماق.

وكان ذلك منذ أربعة أيامٍ فقط.

كان كل شيء يجري بسخرية رهيبة. فقد تمكن  
بنفسه هنا على الأقل، من تحقيق اختراقٍ للغزِ  
الإصابات المرصَّية - لكن أيشر مات حتى قبل أن تسنح  
له الفرصة بإخباره عن ذلك. أيشر الذي أتى به إلى هنا  
لكي يتمكن بالدرجة الأولى من حلِّ اللغزِ الطبيِّ

الغامض.

بالطبع، لم يكن هو الوحيد الذي يحقق اختراقاً. فإن آيشر كان قد فعل مثل ذلك أيضاً. لكنه الآن ميت: استرواحٌ صَدْرِيٌّ فوريٌّ، وإنسدادٌ شَرِيَانِيٌّ بسبب الغاز، وحرقٌ من الدرجة الثالثة لمساحة 80 بالمئة من الجسم.

كانت يشوب مصيبةً في كلامها فقد بقي صامتاً بطريقة غير طبيعية بعد وفاة آيشر. ولم يكن ذلك بسبب الصدمة فقط، مع أنها كانت جزءاً من السبب. فبعض السبب كان راجعاً أيضاً لما لا يستطيع الإفصاح عنه. لقد أراد بشدة أن يخبرها عما استطاع أن يكتشف، وذلك لأنه كان بحاجة لكي يشرك أحداً في هذا الأمر. لكنها لم تكن تملك الضوء الأخضر اللازم. ولأنه غير قادرٍ على الكلام عن هذا الشيء، فقد وجد نفسه ممسكاً عن الكلام جملة.

ولم يكن ليستطع تأجيل تقارير التشريح إلى أكثر من ذلك.

عاد وجلس من جديدٍ مقابل محطة الكمبيوتر الطرفية الموجودة على مكتبه. أشارت أيقونة متلائة إليه بوجود رسالة إلكترونية في بريده.

وبتنهيدة، قام بتفعيل بريده الإلكتروني، وضغط بالفأرة على صندوق البريد الوارد. كان هناك رسالة إلكترونية واحدة في الصندوق. والعجيب أن اسم المرسل بقي مغفلاً. وهاك ما جاء في الرسالة:

ثمة وقتٌ للكثير من الكلمات، كما أن ثمة وقتٌ للهجوع والنوم.

هوميروس. ملحمة الأوديسة، الكتاب الحادي عشر.  
لقد كان الدكتور آيشر رجل الكثير من الكلمات.  
الكلمات الهامة. أما الآن، فهو يستطيع أن يهجع في  
رقاده.

إنها كارثة بالفعل.

الكثير الكثير من الموت - ولم نصل بعد لأي شيء.  
وأخشى أن الآتي أعظم.

كلَّ الحمل بات على كتفيك الآن يا عزيزتي الدكتور.  
إنني ملزم بالبقاء هنا؛ أما أنت فلست ملزماً. عليك أن  
تجد الجواب. ثم تغادر دون إبطاء. بأقصى سرعة ممكنة.  
إذا كان على المرء أن يعمل في الخفاء، فإن عليه ألا  
يعمل وحيداً. جد صديقاً لك.

أخشى أن أعدادنا الصماء هنا، في هذه المنشأة،  
قد تعاضم أمرها منذ أن التقيتُك في غرفتك. لكن لعلّه  
يوجد خيط فضي يجمع بينها، لأن جواب أحجيتك في  
نهاية الأمر يقع بين هذه الأرقام.  
أتمنى لك صباحاً جيداً.

ف.

تجهّم كراين في مواجهة شاشة الكومبيوتر، غير  
متأكد ماذا عليه أن يفهم من هذه الرسالة المبهمة / أو  
المشفرة. جد صديقاً لك...

كان ثمة طريقة جديدة على الباب: إنها ببشوب، دون  
شك، وقد عادت مع الأدوية التي قال إنه ليس بحاجة  
إليها. "أدخلي يا ميشيل"، قال وهو يقوم بإقفال  
الشاشة.

فَتَحَ الباب، ووقفت هوي بينغ في وسط الغرفة.  
نظر إليها كراين في دهشة.  
"أنا آسفة." قالت له. "آمل ألا أكون قد أزعجتك."  
"لا على الإطلاق"، قال كراين مستعيداً المبادرة.  
"تفضلي."

دخلت بينغ، ثم أخذت كرسيّاً أشار إليه كراين. "لقد علمتُ لتوِّي بوفاة الدكتور آيشر. كان عليّ ان أعرف بذلك قبل الآن، لكنني وقعت على شيء غريب في المختبر. وعلى كلِّ حال، فإنني حالما علمتُ بالوفاة... حسناً، لكنني شعرتُ أنك الشخص الوحيد الذي خطر ببالني أن أكلمه بهذا الخصوص."

لوى كراين عنقه.

وعلى الفور نهضت بينغ. "لقد كان مجيئي عملاً أنانياً. فبعد كلِّ شيء، لقد كنت أنت هناك. ولا شك أنك تشعر-"

"لا، حسناً"، قال لها كراين. "كما أعتقد أنني أودُّ الكلام معك أيضاً."

"عن الدكتور آيشر؟"

"لا." إن هذا جرح لا يزال طريّاً، خال في نفسه. "لكن عن شيء ما كنتُ قد اكتشفته."

عادت بينغ إلى كرسيّها من جديد.

"أنت تعرفين أنني كنتُ أقوم بكلِّ اختبارٍ أعتقد أنه يمكن أن يقودني إلى السبب الذي يجعل كل هؤلاء الناس يمرضون هنا."

أومات بينغ إيجاباً.

"لم أكن لأصل مرةً إلى أي نتيجةٍ إلى أن خطر لي خاطرٌ معيّن: لقد لاحظتُ أن الناس يشكون هنا من نوعين مختلفين تماماً من الأعراض. ففي حين كان بعضها سيكولوجياً: مثل الأرق الشديد، والاختلاط الذهني، وحتى الجنون، فإن البعض الآخر كان فيزيولوجياً: مثل الغثيان، والارتعاشات اللاإرادية، وشلّة أخرى من الأعراض. وكنتُ أفترضُ على الدوام وجود عاملٍ مشتركٍ يقف وراء هذين النوعين من الأعراض. ولكن ما هو نوع هذا العامل الذي يمكنه أن يكون سبباً لكلٍ من النوعين؟ عند ذلك فكّرتُ أنه لا بدّ لهذا العامل من أن يكون عاملاً عصبياً."

"لماذا؟"

"لأن الدماغ يسيطر على الفكر والجسد معاً. لهذا، طلبت إخضاع بعض المرضى إلى اختبار تخطيط كهربائية الدماغ. واليوم فقط حصلتُ على أول مجموعة من الفحوصات. وقد لاحظتُ أن كل مريض يبدي نبضات في موجات تيتا الصادرة عن دماغه. وهذه موجاتٌ ينبغي لها من حيث المبدأ ألا تكون موجودة عند البالغين. والأغرب من كل ذلك هو أن هذا النمط من النبضات كان يتكرر، هو نفسه، عند كل مريض. عند ذلك خطرت لي خاطرةٌ مجنونة. قمت بتتبع نمط هذه النبضات وتجزئته وهل تعرفين ماذا اكتشفت؟"

"لا أستطيع أن أتصور."

فتح كراين جاروراً في منضدته، وسحب منه مظروفاً أسمر، ثم ناوله إلى بينغ. فتحتة وسحبت منه ورقة مطبوعة عن الكومبيوتر.

"لكن هذا هو الرمز الرقمي الذي وقع عليه آيشر."  
قالت. "إنه الرمز الذي لا تنفك عن بثه الخوافر."  
"بالضبط."

تجهَّمت بينغ في شيء من الشعور بالالتباس. ثم  
فجأة اتَّسعت حدقتاها: "أه.. كلا.. لا تقل لي أنك  
تعني..."

"بل أعني ذلك، فالنبضات في موجات تيثا تطابق  
نبضات الضوء. إنها الرسالة نفسها التي كان أحد  
الخوافر يرسلها بادئ ذي بدء."

"لكن كيف يمكن أن يكون ذلك ممكناً؟ ولم لم نغم  
نحن بالوقوع على شيء من هذا؟"

"لست واثقاً بعد. لكنني أملك الآن نظرية. فقد بتنا  
نعرف أن هذه الخوافر تقوم ببث رسائلها على طول كل  
موجةٍ يمكن لنا أن نتصورها ضمن الإشعاعِ  
الكهرمغناطيسي أو الموجات الراديوية، أو الموجات  
الميكروية، أو الموجات فوق الصوتية، أو الموجات تحت  
حمراء. كما أننا نعرف الآن أن كائناً من يكون الذي أوجد  
هذه الخوافر، فإنه يملك من التكنولوجيا ما هو واقع أبعد  
مما نملكه نحن. إذن، مَنْ ذا الذي يستطيع أن يجزم أن  
هذه الخوافر لا تقوم ببث رسائلها أيضاً على أقبية  
أخرى، أو على إشعاعاتٍ أخرى لا نعرف كيف نكشفها  
حتى الآن؟"

"مثل ماذا؟"

"قد تكون إشعاعاتُ الكوارك ربما، أو قد تكون نوعاً  
جديداً من الجسيمات العابرة للمادة، مثل البوزونات  
التي تكلم عنها هيغز. والنقطة هنا هي أنها شكل من

أشكال الإشعاع غير المعروفة لنا بعد، والتي لا يمكن كشفها، بواسطة أجهزتنا، والتي من شأنها التداخل مع النبضات الكهربائية لأدمغتنا.

"وكيف تفسر عدم تأثير الجميع بها؟"

"لأن أنظمتنا البيولوجية ليست متساوية. فمثلما يكون لبعض الناس قوامٌ عظميٌّ ثقيلٌ. كذلك يكون لبعضهم أجهزةٌ عصبيةٌ أكثر مقاومة. كما أنه قد تكون هناك ثمة بنى، وتراكيب، في هذه المنشأة، تعمل في غفلةٍ منها عملَ أفاص فاراداي.

"ماذا تعني؟"

"إن أفاص فاراداي هي أماكن مغلقة تُبنى من أجل عزل بعض الأشياء عن الحقول الكهرومغناطيسية. لكنني أعتقد أن جميعنا هنا متأثرون بهذه الموجات لكن بدرجات مختلفة. لم أشعر أنني ما زلت أنا ذاتي في المدة الأخيرة... ألم يخالجك شعور مماثل؟"

فكرت هوي للحظة. "لا."

ساد صمت قليل.

"إذن هل ستأخذ هذه المعلومات إلى الأدميرال سبارتان؟" سألته هوي.

"ليس الآن."

"ولمَ لا؟ يخيل إليّ أنك قد أنجزت هذا العمل وانتهيت."

"سبارتان لم يكن مرةً شديد التعاطف مع أي وجهة نظر، سوى مع ما يعتقد أنه هو. لا أريد الاستعجال في

إخباره، كي لا أعطيه عذراً لنبذ الفكرة من أساسها. فكلما اشتدَّ دليلي كان ذلك أفضل. وهذا يعني السعي لإيجاد الجزء الآخر من الحقيقة.

"ما هو الجزء الآخر الذي تشير إليه؟"

"قبل أن يموت آيشر، كان قد اكتشف شيئاً أثناء وجوده في غرفة الضغط العالي. وقد عرفتُ ذلك، لأنه كان قد أشار لي إليه عبر اتصالٍ هاتفي من هناك. لقد قال إن كل تفاصيل هذا الاكتشاف موجودة في حاسوبه المحمول. وإنني الآن أريد الحصول على ذاك الجهاز، وأن أعرف من خلاله ما قد اكتشفه آيشر، لأنه كان يتحرَّق شوقاً لكي يقول لي شيئاً ما. ففي لحظاته الأخيرة، بقي يَجهدُ لكي يكرِّرَ على كلمةٍ واحدةٍ هي كلمة: Whip (جَلد)"

تجهَّمت هُوي من جديد. "جَلد؟"

"نعم."

"نجلد من؟ وماذا؟ وكيف؟ ولماذا؟"

"السِّرُّ كُلُّهُ موجودٌ في ذاك الكومبيوتر – هذا إذا كان من الممكن انقاذ القرص الصلب."

ثم أطبقت فترةً أخرى من الصمت على غرفة استراحة كراين. وفي آخر الأمر، أنهض كراين نفسه وتحول ناحية هُوي بينغ. "ما رأيك أن نتوجَّه إلى ساحة التايمز، ونأخذ فنجاناً من قهوة الإسبرسو؟"

راقت الفكرة إلى هُوي. "بكل تأكيد."

خرجا معاً إلى الممر. "لربما استطعتُ مساعدتك،" قالت له.

"كيف؟"

في جزء من شهادتي الجامعية في علوم الحاسوب، كنت قد قضيت فصل صيف أتدرب في منشأة لاسترجاع المعلومات.

استدار كراين نحوها. "أتعنين أنك تستطيعين إنقاذ البيانات من الأقراص الصلبة التالفة؟"

"لم أقم بهذا العمل مرة بنفسى. فقد كنتُ يومها مجرد متدرّجة، بعد كل شيء. لكنني راقبت هذه العملية عدّة مرات، كما قدّمتُ المساعدة في العديد منها."

توقفا أمام المصعد. "منذ وقتٍ مضى، كنتِ قد قلتِ إنكِ وقعتِ على شيءٍ غريبٍ في المختبر." قال لها كراين. "ماذا كان ذلك الشيء؟"

"آسفة؟" آه، أجل. هل تتذكّر تلك الخطوط الامتصاصية، التي أطلعتُك عليها؟ تلك الخطوط التي كان الخافر يبيّنها في مختبري؟"

"الخطوط التي قلتِ أنها لا يمكن أن تأتي سوى من نجمة بعيدة؟"

"صحيح."

انفتح باب المصعد فدخلنا، وكبس كراين الزرّ العائد إلى الطابق التاسع. "حسناً." تابعت هوي كلامها، "بدافع الاستطراد فقط، قمت بمقابلة تلك المجموعة من خطوط الامتصاص مع قاعدة بيانات تعود إلى النجوم المعروفة. فكما تعلم، لكل نجم بصمة امتصاص تختص به وحده. أتدري ماذا وجدت؟ لقد وجدتُ قريناً مطابقاً تماماً."

"وجدتِ مقارنةً متطابقةً بين الخافر الصغير الذي لديكِ، وبين نجمةٍ شديدة البعد؟"

أومأت هُوي بالإيجاب. "نجمٌ يبعدُ عنا بمقدارِ مئةٍ وأربعين سنةً ضوئيةً تحديداً. إنه نجمٌ ينتمي إلى كوكبة الدجاجة الكبرى، المعروفة أيضاً باسم M81."

"أتعتقدين أن ذاك الخافر قد جاء من هناك؟"

"وهو كذلك. فتلكَ النجمةُ "كوكبة الدجاجة، ليس لديها سوى كوكبٍ واحدٍ سيَّار. وهو كوكب غازي عملاق، وفيه محيطاتٌ من حمض الكبريتيك ومن الجوِّ الميثاني."

شعر كراين بالحيرة. "لا خطأ في ذلك؟"

هزَّت رأسها. "إن بصمات خطوط الامتصاص فريدة كبصمات الأصابع ولا مجال للخطأ فيها."

"إنكِ تعتقدين - فوق كل شيء آخر - أنهم يحاولون إعلامنا عن مكان قدمهم أيضاً؟"

"يبدو الأمر لي هكذا."

"حسناً، هذا شيء غريب، إذ ماذا يمكن لكوكبٍ من الميثان ومن حامض الكبريتيك أن يجد في أكسجين كوكب الأرض ومائه؟"

"بالضبط." وحالما انفتح باب المصعد إلي طابق إمدادات الطاقم، استدارت نحوه لتعطيه نظرة تأملية.

كانت أرضية غرفة الأكسجين مغطاة بطبقة كثيفة من الأنقاض: فمن قوارير مواد الإطفاء الفارغة، إلى الأربطة والضمادات، إلى القفازات التي تُستعمل لمرة واحدة. وكان الضابط تيرانس كوروليس يتمشى حول المكان كله بدقة وحذر وخفة الهر.

وقف عند مدخل الغرفة، رجلا كوماندوس، في بذلتين عسكريتين سوداوين، يمنعان الدخول إلى الخيمة التي باتت تُعامل كسياحة جريمة مشهودة. كما وقف زميلٌ ثالثٌ لهما حارساً عند غرفة المراقبة. وجد كوروليس رئيسهم الذي يدعى ووبرن عند باحة الانتظار التي تلي غرفة الأكسجين ذاتها، وكان يتكلم مع أحد التقنيين. كانت فتحة الدخول إلى الغرفة مفتوحة، كما كانت آثار بقع الحروق واضحة على طول حافتها العليا، وعبر السقف القريب منها، الذي كانت تبدو عليه دوائر من السخام.

عندما لمح ووبرن وجه كوروليس أوماً إلى التقني وانصرف عنه متابعاً كوروليس إلى غرفة المراقبة. انتظر كوروليس إلى أن انتهى ووبرن من إغلاق الباب خلفهما.

"ما هو آخر تقرير لديك أيها المسؤول؟" قال كوروليس.

"سيدي." ضبط ووبرن جسمه العضلي بدقة وشِدَّةً، "يبدو أن دارات السلامة قد جرى تجاوزها عمداً."

"وماذا عن رشاشات الماء الداخلية؟"

"لقد جرى تعطيلها أيضاً."

"وماذا عن النار؟ هل من تصوّرٍ عن كيفية ابتدائها؟"

"هزّ ووبرن إبهاماً معقوفة في اتجاه شبّاك المراقبة." "إنها آلة ضغط الهواء يا سيدي. يعتقد الفنيّ أنه قد تمّ التلاعب بها."

"كيف؟"

يبدو أن المحوّل الذي يقوم بالتخفيض التدريجي للضغط، قد تمّ فصله عن آلة الضغط التي باتت تعمل بأقصى طاقتها".

أوما كوروليس برأسه ببطء. "الأمر الذي أطلق عمل عدد الدورات في الدقيقة

"والذي رفع حرارة الضاغط أولاً، ثم جعله ينفجر ويشتعل هكذا. أجل يا سيدي."

"ومن أيّ موضعٍ يمكن تنفيذ هذا التلاعب؟"

"هناك خزانة دعمٍ خلف جناح غرفة الضغط العالي، وهي موجودة بين مختبرين علميين. كل الأعمال اللازمة لإتمام هذا التخريب يمكن إتمامها من ذلك المكان."

"وهل يحتاج ذلك إلى وقت طويل؟"

"لقد قال التقني إنه إذا كان الشخص يعرف تماماً ماذا يفعل، فقد لا يحتاج الأمر منه سوى إلى دقيقتين، أو ربما ثلاث دقائق كحدٍ أقصى."

أوماً كوروليس. لقد كان الرجل يعرف تماماً ماذا يفعل، مثلما عرف من قبل كيف يخدم داخل جدار القبة بقاطعة ليزرية. إنه مخربٌ حاذقٌ مدربٌ جيداً على كيفية تحطيم أو نسف أي شيء تقريباً.

وكان كوروليس يعرف كل شيء عن ذاك النوع من التدريب.

استدار نحو ووبرن. "هل كان هناك أي كاميرا مسلطة على خزانة الدعم تلك؟"

"لا يا سيدي."

"حسناً."

توقف كوروليس ليعاين شبك المراقبة. وكان التقني قد دخل مطاطناً إلى غرفة الضغط العالي، وصار بذلك خارج حقل النظر. وعدا عن رجال الكوماندوس في الثياب القاتمة، لم يكن ثمة شهود.

استدار نحو ووبرن من جديد. "هل هو لديك هنا؟ ومع أن الباب كان مغلقاً، فإنه تكلم بصوت أكثر انخفاضاً من ذي قبل."

أعطى ووبرن إيماءة بسيطة.

"ألم يرك أحدٌ تقوم بأخذه؟"

"رجالنا الأخصاء فقط يا سيدي."

"ممتاز."

انحنى ووبيرن قرب لوحة التحكم، ومدَّ يده تحتها، واستخرج محفظة رقيقة من النايلون الفِغاعي الأسود، ناولها إلى كوروليس، مع مفتاح لها.

"هل تأمرنا بالقيام بتحقيق أوسع يا سيدي؟" سأل ووبيرن. "أن نتحرى ما إذا كان أي من العلماء قد رأى أي شيء غير طبيعي؟"

"لا، لا لزوم لذلك، أيها المسؤول. سوف أتولَّى الأمور بنفسى ابتداءً من هذه المرحلة. وسأتقدم بتقاريرى إلى الأدميرال."

"حسناً يا سيدي." وهنا نغذ ووبيرن تحية عسكرية صارمة.

نظر إليه كوروليس للحظة، ثم أعاد إليه التحية، وغادر جناح غرفة الضغط العالي.

كان مكان سكن كوروليس في قسم خاص من الطبقة الحادية عشر المخصصة للضباط العسكريين. دخل إلى مقره وأغلق الباب خلفه بعناية، ثم قام بإقفاله قبل أن يتحرك نحو منضدته. كانت غرفة إقامته هذه خافتة الإضاءة. وحيث كان يمكن لشخص سواه أن يضع لوحاتٍ وصوراً مؤطرة، أو أنواراً للقراءة، فإن كوروليس قد وضع بدلاً عنها شاشات مراقبة أمنية وكراريس استرشادٍ سرية.

وضع حقيبة النايلون التي أعطاه إياها ووبيرن فوق منضدته، ثم فتحها بواسطة المفتاح الذي تسلمه منه. فتح سحاب الحقيبة، وأخرج الكمبيوتر المحمول من داخلها. وكان قد بات محروفاً بصورة سيئة من أحد

جوانبه.

صارت غرفة إقامة كوروليس مليئة برائحة البلاستيك والإلكترونيات المحروقة الحريفة.

وصل كوروليس إلى لوحة التحكم بجو الغرفة وجعل جهاز تنقية الهواء يشتغل إلى أقصى مداه. ثم جلس في كرسيه وجرّ لوحة مفاتيح محطته الطرفية إلى مقربة منه. أدخل كلمة المرور العائدة إلى حاسوبه الشخصي، ثم أدخل عبارة مرور أطول من الأولى بكثير لكي يدخل إلى المنطقة المصنفة السرية من الشبكة العسكرية العائدة للمنشأة، والتي لا يستطيع الدخول إليها أحدٌ سواه. ثم قام بتحميل برنامج الصوتي الاستخباراتي الجنائي، وهو من النوع الذي يستعمله مهندسو استعادة الصوت، والمتجسسون على مكالمات الناس السلكية. ثم أحضر لائحة من الملفات، وتفحص المقدمات حتى وصل إلى الملف الذي يريده. وبعد أن جرى تحميل هذا الملف على البرنامج الصوتي المذكور، بانت أمامه شاشة معقدة يحكمها رسم بياني لموجة صوتية: ملف صوت أحادي تم التقاطه بواسطة ميكروفون ضئيل.

وضع كوروليس فوق أذنيه زوج سماعات موصولٍ بالكومبيوتر، ثم ضبط مرشح البرنامج الطيفي لكي يزيل الضجة الدخيلة وعزز الناتج، ونقر على زر إعادة الاستماع إلى الصوت.

جاء صوت كراين مناسباً من سمّاعتي الأذن، وكان الصوت رائعاً إلى درجة ملفتة رغم ضعف أمانة ميكروفون الرصد.

"قبل أن يموت أيشر، كان قد اكتشف شيئاً ما... وأنا

أعرف ذلك لأنه كان قد أخبرني بالهاتف من هناك. إن كل شيء موجود في ذاكرة الكمبيوتر المحمول، قال. إنني أحتاج إلى الحصول على هذا الكمبيوتر المحمول لكي أجد ما الذي استطاع آيشر أن يكتشفه، لأنه كان يتوق لكي يقول لي شيئاً ما، هناك في النهاية..."

ثم جاء صوت آخر: صوت حدّده محلّ تسجيل الصوت في البرنامج، على أنه يعود إلى هوي بينغ. امتنع وجه كوروليس عندما كان يصغي إلى الحديث.

"إن السرّ إلى ذلك الاكتشاف موجود في الكمبيوتر،" تابع كراين كلامه.

وبنقرة من فأرته، أوقف كوروليس إعادة الاستماع. ثم بنقرة ثانية، أقفل الملف وخرج من البرنامج.

وقف كوروليس وهو يحمل الحاسوب الشخصي العائد إلى آيشر، وذهب به إلى أقصى زاوية من الغرفة، حيث كانت هناك خزانة رمادية منتصبة على جانب الخزانة، وحرّر مشابكها، ثم فتحها، وأخرج من جوفها جسماً ضخماً هو عبارة عن قطعة مغنطيس.

مرة جديدة أعاد التأكد من أنه قد أحكم إقفال باب غرفته. ثم ببطء، وتعمّد، وبحرص على البقاء بعيداً عن حاسوبه الخاص، جعل قطعة المغنطيس تلاصق الكمبيوتر المحمول، ممرراً إياها فوق قرصه الصلب. فحتى وإن كان هذا القرص قد بقي صالحاً بعد الحريق، فإن هذا الإجراء كان من شأنه أن يخلط البيانات المحمّلة عليه إلى درجة تصبح فيها مستحيلة التمييز والفهم.

كان كراين وهوي يشكّلان تهديداً أمنياً خطيراً.

والإنسان لا يمكنه أن يتساهل في ذلك. فهذه الخطوة  
لم تكون سوى البداية. وكان كوروليس يعرف كيف  
ستكون خطوته التالية.

كانت حجرة التخزين المبرّدة (ج-1) الواقعة في أسفل طبقات المنشأة، مكاناً قميئاً. وكانت درجة حرارتها مبرمجة عند درجة 38.5 فهرنهايت تماماً. أمّا أرضيتها فتألّفت من فرشاة من الألواح الخشبية الموضوعة فوق إنش واحد من المياه الوسخة الباردة التي هي أشبه بالمياه الآسنة التي تتجمّع في جوف المراكب. وكانت الإضاءة فيها ضعيفة شاحبة ترمي أطيافاً من الكآبة في جوّ هذا المكان الذي يبعث على الشعور برهاب الاحتجاز. أمّا رائحة الهواء فيها فكانت تعبق بنتانة الأوصال المقطّعة. وما كان ليُسمَع فيها من صوتٍ سوى الصوت الخفيف لنقاط الماء الراشحة بضعفٍ.

وقف الأدميرال سبارتان في وسط تلك الحجرة يحدّق في بقايا البلّورة رقم واحد، الممسوخة بشكل رهيب. وها هي تتأرجح أمامه ككتلة كروية مجعّدة من رقائق الألومنيوم والرصاص، وكأنما قد عمِل على خَلادها من جميع الجهات بسوط من سلسلة معدنية ثقيلة، ثم علّقت من السقف بواسطة كلاب ضخم وحشي المنظر. وإلى أحد جوانبها كان يستلقي القماش المشمّع الأزرق الثقيل الذي تم سحبها به منذ قليل.

أين هو الخطأ الذي قاد إلى هذه الكارثة؟ فكضابط عسكري، كان قد بنى حياته المنتصرة الناجحة بفضل حُسن تنبُّهه لخطر الفشل - سواء فشل هو أم فشل عدوّه - حيث كان يتفاداه أو يستغله، بحسب الحالة. لكن كيف للمرء أن يتوقع الفشل، أو أن يتدره، ما دام يعمل مع مجموعة من القواعد الغريبة بشكل مطلق لا يمكن فهمه وإدراكه؟

صحيح أنه منذ أن تحطمت البلّورة رقم واحد، فإن البلورة رقم اثنين، والبلورة رقم ثلاثة، قد استمرت في العمل دون توقف، خصوصاً وأنهم في المنشأة كانوا قد أدخلوا التعديلات التي اقترح آيشر وفريقه من العلماء إدخالها ولم تعترضهم بعد ذلك أي مشاكل. وإذا كان ثمة من ملاحظة تذكّر، فهي أن العمل بات يتم الآن بسرعة أكبر مما سبق. فالطبقة الثالثة الواقعة في أقصى قعر قشرة الأرض قد أثبتت أنها أطرى من سواها لأن مادتها بدت أشبه بمادة غرينية يمكن حفرها بسرعة كبيرة، وهكذا، فإنهم كانوا في طريقهم الآن، للوصول إلى نقطة 'الانقطاع الموهوروفي' في غضون أيام قليلة.

عادت كلمات آيشر، كبير العلماء الذي قام بتجديده قبيل تحطم البلّورة رقم واحد، وموت ملاحها، ترن من جديد في رأس الأدميرال: إن توصياتي تقضي بتوقيف كل العمليات إلى أن نكون قد توصلنا إلى فهم دقيقٍ للسبب الذي يقف وراء هذه الكارثة.

وقد صار آيشر ذاته الآن في عداد الأموات أيضاً.

سُمعَ صريرٌ للمعدنِ آتٍ من ورائه. ثم فُتح مزلاج الباب وانسرب شريطٌ من الضوء الأصفر إلى داخل الحجرة المعتم. دخل الضابط كوروليس، - الذي يكره

البرد والبلل - إلى الحجرة، بعد أن قام بوضع خابور للباب، يكفل بقاءه موارباً.

نظر سبارتان إليه. "ماذا لديك من التقارير أيها الضابط؟"

اقترب منه كوروليس. "جهاز رش المياه داخل غرفة الأكسجين كان معطلاً، وكان الجهاز الضاغط للهواء يجري تشغيله بما يفوق طاقته على التحمل، مما تسبب في انفجاره، وفي إشعال الحريق داخل الغرفة نفسها. ليس هناك من شبهة في الأمر: إن العمل عملٌ تخريبي واضح."

"بل جريمة قتل"، قال سبارتان.

"كما تقول يا سيدي."

استدار سبارتان نحو البلّورة المحطّمة. "في هذه المرة، يبدو الأمر وكأن شخصاً بعينه كان مستهدفاً بدلاً من المنشأة بكاملها. ما السبب؟"

"ليس لديّ جوابٌ عن هذا حتى الآن، يا سيدي، إذ لربما قد حصلنا على هدنةٍ، بكلِّ بساطة."

مرة ثانية نظر سبارتان نحو كوروليس. "تقول حصلنا على هدنةٍ أيها الضابط؟"

"من زاوية نظر الهدف لقد كنا محظوظين لأن المخرب لم يستهدف هذه المرة إحدى مقدراتنا الأكثر استراتيجية وأهمية."

"حسناً، وكم يوجد لدينا من مقدرات أكثر استراتيجية وأهمية من الدكتور آيشر؟"

"إن منفعة آيشر للمشروع كانت قد باتت موضع

تساؤل. لقد بات الرجل في أيامه الأخيرة أشبه بكاساندرًا، بنت ملك طروادة يا سيدي، حيث بات لا يبشِّرُ سوى بالويل والثبور. ومخططاته الأخيرة القاضية إلى إخراج قطار العمل عن خطِ المثابرة على الحفر كان عملاً مسيئاً لمعنويات المشروع.

"بالفعل." ففكر سبارتان أنه لو كان لكوروليس أي عيوب شخصية، فإن صراحته لم تكن لتُعدَّ من بينها.

"هذا هو رأيي في كل حال يا سيدي. ولكي أكون صريحاً معك، فإنني أتعجب كيف لا يكون هذا هو رأيك أنت أيضاً."

تجاهل سبارتان هذا التعريض الخفيَّ به، وبدلاً من ذلك، فإنه أشار بيده نحو بقايا البلورة رقم واحد. "وماذا عن هذه؟"

"إن أشرطة تسجيل الاتصالات قد تمَّت مراجعتها بعناية، مع محتويات الصندوق الأسود الآتي من مجلس التحسس، وبخلاف الحادث الذي حصل في غرفة الأكسجين، لم يكن هناك أبداً أي إشارة هنا تشير إلى حدوث أيِّ تلاعبٍ أو مخادعة. لقد كان السبب مجرد عطلٍ فني واضح في المعدات."

بقي سبارتان صامتاً للحظة، متأملاً في التجعُّد الفاحش لمعدن البلورة. ثم استعاد نفسه. "هل من تقدمٍ بخصوص التحقيق لتحديد المسؤوليات؟"

"نعم، لقد تمكنا من عزل وجود شخص بعينه كان قد تواجد في المكانين معاً قبل حادث التخريب. في ردهة الاستقبال الخارجية للهيكل، وفي مدخل وحدة العلاج بالضغط العالي."

"ومن هو ذاك الشخص؟"

دون أن ينبس كوروليس بكلمة، سحب مظروفاً من جيب سترته وناوله إلى سبارتان. فتحه الأدميرال منظر في محتوياته للحظة، ثم أعاده إلى كوروليس.

"الدكتورة بينغ؟" قال.

أوما كوروليس برأسه إيجاباً. "إن خلفيتها الصينية كانت دائماً تربييني قليلاً. ثم، ألا تعتقد يا سيدي أن المخرب لا بد من أن يكون يعمل لصالح دولة أجنبية؟"

"لكنها أخضعت لتحريات دقيقة مثل أي شخص آخر."

"قد تتسرب بعض الأخطاء من بين الثغرات أحياناً، خاصة إذا كان شخص ما يريد لهذه الأخطاء أن تتسرب. وأنت تعرف ذلك مثلما أعرفه أنا يا سيدي."

"وماذا تقترح؟"

"اقترح أن يجري اعتقالها في سجننا الأمني في المنشأة، إلى أن يتم لنا القيام بإكمال تحقيق دقيق."

عندئذ، استدار سبارتان نحو كوروليس بحاجبين مرتفعين. "ألا يعتبر ذلك تهوراً شديداً؟"

"لكن سلامة المنشأة بكاملها هي الآن في الميزان."

ارتعشت شفتا سبارتان بابتسامة صغيرة مُرّة. "ماذا عن حقوقها في أن تنال محاكمة عادلة؟"

أعاد إليه كوروليس النظرة في اندهاش. "تحت الظروف الحالية يا سيدي، فإن مثل هذه الأمور يجب ألا

تكون محلّ أيّ اعتبار.

وعندما أبطأ سبارتان في الجواب، تكلم كوروليس من جديد. "كما أن هنالك شيئاً آخر. أتذكر كلمة أيشر الأخيرة، الكلمة التي كرّرها على سمع كراين."

أوما سبارتان برأسه. "إنها كلمة: (whip) "جَلْد"

"ماذا لو أنه لم يكن يحاول أن يقول: "whip" من الأساس؟ ماذا لو أنه كان يحاول أن يقول: "هوي بِنْعُ"؟

تضيّقت عينا سبارتان وهو ينظر إلى كوروليس.

"هذا صحيح يا سيدي، فكلمة whip تشبه كلمة "وي ب، تماماً."

أخيراً استعاد سبارتان نفسه. "حسناً. لكن لا حاجة لاستخدام السجن. اكتفِ باحتجازها في غرفتها إلى أن تكون المسائل قد اتّضحت."

"يا سيدي، مع كل احترامي لك، إلا أنني أعتقد أن السجن سيكون..."

"عليك بالاكْتفاء باتّباع الأوامر أيها الضابط."

كان هناك حسُّ حركةٍ خلف كتفي كوروليس. رفع سبارتان أنظاره ليرى بيتر كراين يقف في باب الحجرة المفتوح.

"يا دكتور كراين،" قال رافعاً صوته قليلاً. "لا تقف وقفة مراسمية، تقدّم وشاركنا الحديث."

استدار كوروليس، كامشاً أنفاسه في هسيس من المباغته.

تقدّم كراين إلى الأمام. وكان شعره الأسود القصير

وعيناه الداكنتان تعكس ألوانها على معطفه الطبي الأبيض. تساءل سبارتان منذ متى يقف كراين قرب الباب. وما مقدار ما قد سمعه من الحديث الدائر.

"ماذا نستطيع أن نعمل من أجلك يا دكتور؟" سأله.

استدارت عينا كراين الداكنتان من سبارتان نحو كوروليس، ثم إلى ما قد تبقى من البلورة، قبل عودتهما من جديد نحو الأدميرال. "كنت في الحقيقة أبحث عن الضابط كوروليس."

"يبدو لي أنك قد وجدته الآن."

استدار كراين نحو كوروليس. "أولئك العناصر الذين أقمتمهم على حراسة غرفة الأكسجين قد أحالوني إليك. وأريد الحاسوب المحمول العائد إلى أيشر."

تجهّم كوروليس. "لماذا؟"

"أعتقد أنه قد توصل إلى اكتشاف شيء ما قبيل حصول الحادث بقليل. ولعل ذلك يتعلق بمعنى الإشارات التي تقوم الخوافر ببثها."

"إن هذا الكومبيوتر كان قد تعرّض إلى تلف كبير بسبب الحريق." أجابه كوروليس.

"لكن الأمر ما زال يستحق التجربة،" أجابه كراين بسرعة. "ألا توافقني على ذلك؟"

راقب سبارتان هذه المجادلة باهتمام. كان من الواضح أنه يقف بين رجلين لا يرى أحدهما في الآخر شيئاً نافعاً.

عند ذلك رفع كوروليس نظره نحو سبارتان، الذي أوماً إليه إيماءة تكاد تكون خفية تماماً.

"حسنًا". قال الضابط كوروليس. "تعال معي. إنه محفوظ في خزانة الأدلة"

"شكرًا." نظر كراين نحو سبارتان، وأوماً برأسه، ثم استدار في أثر كوروليس إلى خارج الحجرة.

"يا دكتور كراين،" قال سبارتان.

نظر كراين إلى الورااء.

"إذا وجدتَ أيَّ شيء، قم بإخباري عنه فوراً."

"أعدك بذلك."

أدى كوروليس التحية العسكرية، وخرج الرجلان من الحجرة. لكن سبارتان بقي هناك في الهواء القارس وهو ينظر خلفهما بامعان. وبقي على وقفته هذه لوقت طويل.

## 39

عثر كراين على هُوِي بينغ في مختبرها تدقّق في مطبوعة خطوط الامتصاص، وتُنعم النظر فيها تارة، ثم تقوم بتدوين ملاحظات على ورق بيانات أخضر باهت تارة أخرى، مستعملة من أجل ذلك قلماً لِبَادِي الرَّأْسِ.

نظرت إليه حالما دخل، وابتسمت له.

"آه حسناً،" قالت له. "يبدو أنك قد حصلت على الكومبيوتر المحمول."

فُتّرت ابتسامتها عندما قرأت تعبيرات وجهه. "هل من خطبٍ يا بيتر؟"

تقدّم كراين إلى الأمام. نظر إلى الأعلى نحو الكاميرا الأمنية المثبتة في السقف، وحرص على أن يبقى خارج نطاق مجالها. "أريد أن أسألك شيئاً. هل ذهبت مرة إلى رُدْهة الاستقبال الخارجية للهيكل؟"

"تعني المكان الذي يرسو فيه الحوض مع الإمدادات الجديدة؟" هزّت رأسها نافية. "إطلاقاً."

"أين كنتِ أثناء الوقت الذي مات فيه آيشر؟"

"هنا في مختبري. كنت أدرس خطوط الامتصاص هذه. أتذكر؟ لقد أخبرتك عن هذا الأمر من قبل."

"إذن أنتِ لم تقتربي أبداً من غرفة الأكسجين؟"

"كلا. "تجهّمت بينغ. "لماذا؟ ماذا تعني بسؤالك؟"

تردّد كراين. فلقد كان على وشك اتخاذ مخاطرة محسوبة. وباحتمال كبير، كسر كلّ تعهّد أخذه على نفسه بمراعاة السريّة عندما دخل إلى هذا المكان. صحيح أنه كان لا يجد سبباً يدعو كوروليس إلى الكذب بخصوص تورّط هوي بينغ. كما أن القيام بمساعدة شخص مشتبه به بالتخريب لا بدّ أنه يُعتبر جرمُ خيانة. لكن شيئاً ما، في باطنه كان يشجّعه على الاعتقاد أنها شخص جدير بالثقة.

فضلاً عن ذلك، فقد كانت الشخص الوحيد الذي يستطيع مساعدته في معرفة ما قد اكتشفه أيشر.

لعق شفّتيه. "أصغِ إليّ جيداً. إن كوروليس يدّعي أنّك أنتِ المخرّبة."

إتسعت حدقتا بينغ. "أنا؟ ولكن-"

"فقط أصغِ إليّ الآن. لقد قام كوروليس بإقناع سبارتان بوضعك تحت الإقامة الجبرية في غرفتك. وفي أي لحظة من الآن، ستأتي شلة عسكرية لأخذك إلى غرفة إقامتك."

"لا يمكن لهذا أن يحدث لي. " صار تنفّسها أقرب إلى اللهاث. "هذا ليس عدلاً."

أشار إليها أن تقترب منه بعيداً عن مجال الكاميرا. "إهدئي، سيكون الأمر على ما يرام، سوف أقوم بإخراجك من هنا."

"ولكن إلى أين؟"

"إهدئي.. إهدئي. أريدك أن تفكري. هل هناك مختبر، أو أي مكان آخر، يمكنك فيه أن تعملي على الكومبيوتر المحمول؟ مكان يكون معزولاً، وبعيداً عن كاميرات المراقبة؟"  
لم تُجبه هُوي.

"انتبهي، لن أدعهم يأخذونك. لكن علينا بالخروج من هذا المكان. والآن أتعرفين مكاناً مثل ذاك الذي وصفته لك؟"

أومات بالإيجاب، جاهدةً لتهدئة نفسها. "في الطابق السادس. مختبر علوم الفيزياء البحرية التطبيقية."  
"حسناً. لكن ثمة شيء ما عليّ أن أقوم به أولاً. تعالي إلي هنا بعيداً عن مجال مراقبة الكاميرا." مدّ يده إلى جيب معطفه الأبيض وسحب منه لفافة معقمة. أخرج شفرة من التي تحمل رقم 12، وكانت تلمع تحت الضوء الصناعي.

عندما رأت الشفرة، توقفت هُوي. "لم هذه؟"

"أريد استئصال بصمة التعريف الإلكترونية التي قاموا بزرعها في يد كلِّ منا." قال كراين ذلك وهو يخرج المزيد من التجهيزات الطبية ويلقيها على الطاولة. "وإلا فإنهم سيتمكنون من اكتشاف مكان وجودنا أينما ذهبنا."

أماط كُمعطفه الطيّبي عن ذراعه. وغسل البؤرة المرتفعة من ساعده بمادة مطهرة. ثم جعل الشفرة تحوم فوق جلده لحظةً، بينما هو حابس أنفاسه.

وكان الجرح الأول قد اخترق بشرة الجلد، فيما اخترق الجرح الثاني أدمته الباطنية جاعلاً البصمة

الإلكترونية بادية للعيان، وكانت محشورة في الطبقة الدهنية تحت الجلد. حوّلت هوي أنظارها عنه بينما كان يقوم بإزالة هذا الجسم الإلكتروني الراديوي الصغير بواسطة ملقط طبيّ. ثم يلقيه إلى أرض المختبر ويسحقه تحت قدميه.

"هناك"، قال لها "لن أكون الآن عرضة للتتبع مثل طائر مهاجر."

ثم قام بتعقيم الجرح وتضميده، ووضع عليه غطاءً يشبه شكل الفراشة، ورمى الشفرة في سلة المهملات. وسحب شفرة أخرى من جيبه واستدار نحوها.

إتخذت خطوة تراجعية عنه، رغم إرادتها.

"لا تخافي"، قال لها. "لقد أحضرتُ لكِ كمادةً مخدرةً لتخدير جلدك. والسبب الوحيد الذي جعلني أحجم عن استعمالها على يدي هو أنني بمحض الصدفة قد أحضرت معي كمادة تخدير واحدة فقط من الصيدلية المؤقتة."

بقيت مترددة.

"هوي"، قال لها. "عليك الآن أن تثقي بي."

تنهدت، وأومات برأسها، ثم تقدمت من جديد، ورفعت كمّها عن زندها وهي تتجه نحوه.

## 40

"جاهزة؟" قال لها كراين وهو يتخلص من الأدوات الطبية. "إذن خذي كل ما تحتاجين إليه ودعينا نذهب."

تردّدت هُوي لحظة، ثم مشت إلى مكتبها، وفتحت أحد أدراجها وأخرجت منه صندوق عدّة سميك. ثم فصلت حاسوبها والمحمول عن الشبكة وأقفلته وحملته تحت إبطها.

"لم هذا؟" سألتها كراين مشيراً إلى الحاسوب.

"قطع غيار." رفعت رأسها "إني جاهزة."

"دليني على الطريق، إذن. تجنّبي الأمكنة التي يوجد فيها جنود بحريون أو كاميرات مراقبة."

غادرا مختبر الأشعة متخذين طريقهما في الممرات الضيقة للطبقة الثالثة. وعند التقاطع الأول، توقفت هُوي ثم اختارت الممر المؤدي إلى اليمين من أجل تجنّب كاميرا المراقبة. تابعا طريقهما في الممر حتى نهايته حيث عرج الممر نحو اليسار.

استدار كراين عند الزاوية ثم توقف. كان أمامهما إلى أحد جانبي الممر جنديان بحريّان يقفان في حراسة بابٍ مقفلٍ ذي طلاءٍ أحمر.

فكّر بسرعة. كان كل من الجنديين يحمل جهاز راديو مثبت إلى حزامه. لكن الفرص كانت طيبة بحيث لم يُسمع حتى الآن أي نداء عمومي للشروع في التفتيش عن هوي. فلو أنهما تراجعا الآن لبدا أمرهما أكثر إثارة للشبهة.

أمسك بيد هوي وأعطاهما دفعة غير جليّة. ثم مشى نحو الأمام، ملوّحاً بالحقيبة التي تحتوي على الكومبيوتر المحمول العائد إلى آيشر، بالقدر الذي خاله كافياً للظهور بمظهر اللامبالي. وبعد لحظة، رأى - من طرف عينه - أن هوي قد بدأت السير في أثره.

تجاوز كراين الجنديين، اللذين راقباه لكن لم يتعرّضا له بشيء.

تجاوزا عدداً قليلاً من الأبواب المقفلة ثم وصلا إلى تقاطع جديد. كان المزيد من رجال البحرية متمركزين ناحية الشمال.

"لا أستطيع أن أفعل ذلك." همست هوي إلى كراين.

"بل عليك أن تفعلي."

توقفت لحظة، وكان من الواضح أنها تحاول التفكير. "هنالك بيتٌ درج للصيانة في قعر هذا الممر، ويمكننا أن نرتقيه حتى الطبقة السادسة. إنه في هذا الاتجاه." استدارت، وبدأت السير في الممر المتّجه نحو اليمين.

كانت الكافتيريا هادئة نسبياً، يجلس فيها عدد قليل من الأشخاص في جماعاتٍ صغيرةٍ إلى الموائد البيضاء. شفت هوي طريقها إلى جانب أحد الحيطان في اتجاه الأبواب الدوّارة التي تفتح في اتجاه المطبخ المزدحم.

كان المطبخ صاحباً بقدر ما كانت الكافتيريا هادئة. في أحد الزوايا، رأى كراين رينو، كبير الطهاة، لكن الرجل كان منهمكاً بسكب وجبة من الطعام. ولم يرفع نظره ليراه.

مشى هوي عبر المطبخ الصغير، ومَرَّتْ بالقرب من مخزن التبريد. ثم فتحت كوة معدنية في الجدار الخلفي. كان وراء الفتحة سلم أدراج معدني. عبرا الفتحة وأقفلها وراءهما، ثم اتخذا طريقهما بسرعة لثلاثة طوابق نحو الأعلى صعوداً إلى الطبقة السادسة. أيقن كراين أن الدرج ينتهي هنا، لا شك في ذلك، ففوقهما مباشرة يقع الحاجز، أي المنطقة العازلة بين الأقسام المصنفة وبين الأقسام العليا غير المصنفة.

وعند وصولهما إلى سفرة الدرج، توقفت هوي لكي تلتقط أنفاسها وتسوِّي من أمر نفسها. تمسكت بالحاجز، وأخذت نفساً عميقاً، ثم فتحت الكوة.

وكان ثمة ممر فارغ وراءها،

صدر عنها تنهيدة اطمئنان. "إن المختبر يقع في آخر هذا الممر."

قادت كراين عبر غرفة صيانة، ثم عبرا مكتب مهجور، وتوقفت خارج باب عليه يافطة كتب عليها: "علوم الفيزياء البحرية التطبيقية، ففتحته بقوة. أجرى كراين مسحاً نهائياً بنظرة للمكان من أجل أن يتأكد مرة ثانية من عدم وجود رقباء، أو كاميرات أمنية. ثم لحق بها إلى المختبر المعتم، وأغلق الباب وراءه بهدوء.

أشعلت هوي الأنوار لتكشف القاعة عن مساحة واسعة مهيأة بشكل جيد. كان هناك طاولة كبيرة في

الوسط، نُصِدَ عليها ميكروسكوب ومرجَل بخاري. وكان ثمة زوج من كراسي المختبر مَرَكُون إلى أحد جوانبها، وكذلك بابٌ مفتوحٌ في الجدار الخلفي يقود إلى خزانة المعدات. وإلى جانبي المختبر، كان هناك منصات، عليها ماكينات لرسم الذبذبات، وأجهزة قياس للتيار، وسواها من المعدات التي لم يستطع كراين أن يُمَيِّزها جيداً. وكانت قطعة قماش كبيرة مصنوعة من مادة غير معروفة تتدلى من خطاف قرب أحد المنصات. وكان لقطعة القماش تلك لونٌ أشبه بلون الفضة، مما جعلها تلمع تحت الأشعة الفلورية.

مشى كراين إلى قطعة القماش المعلقة وعركها بين إصبعيه. "ما هذه؟" سألها.

"إنها قطعة قماش خاصة لإطفاء النار، فقط في حال انحرفت تجربة عن مسارها."

أوما برأسه. "ولماذا بقي هذا المختبر خارج الاستعمال؟"

"كان الدكتور آيشر قد خطَّط لاستغلال هذه الفرصة، فرصة وجوده في المنشأة، للقيام بإجراء بعض الاختبارات تحت المياه العميقة. مثل تحليل موجات الثقل النوعي، والأوعية الشعرية، والترسبات الناتجة عن التيارات البحرية، وأشياء مثل هذه. ففي نهاية الأمر، يعتبر وجود موارد من هذا النوع فرصة العمر لكلِّ عالم."

"ولكن ما الذي حدث؟"

"أحبط سعيه هذا بواسطة سبارتان. فلقد احتاج هذا الأخير إلى المزيد من القوى البشرية. من أجل أعمال

الحفر، على ما يبدو. كما خسر آيشر بعض المساحات التي كانت تكفي لسته علماء كان يعول عليهم. " مشيت إلى طاولة المختبر، ووضعت عليها حاسوبها المحمول، وصندوق عدتها. "يمكنك أن تضع حاسوب آيشر هنا،" قالت. "ضعه بأقصى عناية لو سمحت، لأن نوع العلم الذي سنقوم به يجب في الحقيقة أن يعمل في غرفة صف نظيفة مئة بالمئة: فإذا أثرتنا أي غبار، أو إذا علقت الأوساخ بالرؤوس المكشوفة الحافظة للمعلومات، فإن فرصتنا لاستعادة أي بيانات ستصبح أكثر تضاهلاً."

وضع كراين الحاسوب بعناية فوق الطاولة، فركت هوي يديها معاً للحظة وهي تنظّم نفسها للتكيف مع ظروف المكان وجغرافيته. ثم بدأت تبحث في عدة أدراج وتقوم بجمع ترسانة من المعدات. فحازت مطاطية تستعمل لمرة واحدة، وأقنعة جراحية، ومشارط، ومصباح يستعمل للإنارة في الأعمال الدقيقة، وعدسة مكبرة لها سناد يوضع على الطاولة، وعلب من الهواء المضغوط، ثم فتحت صندوق عدتها، ونشرت محتوياته فوق الطاولة. ثم لغت على خصرها منيراً ونظرت إليه.

"علامَ نبحث هنا بالضبط؟" سألته.

"لست أدري على وجه اليقين. إذ إن علينا أن نعيد ترتيب وقائع آخر رحلة علمية قام بها آيشر في اكتشافه."

أومات هوي. وبينما كان كراين يراقبها حلت ببطء سحاب الحقيقة وسحبت منها الكومبيوتر المعطوب. كان جانب منه قد احترق بشكل سيء، وغلافه البلاستيكي، على وجه الخصوص، قد سال. وكانت آثار الحروق والدخان تغطي سطحه. لذلك فإن قلب كراين غاص

في مكانه.

وضعت هُوي فُغازين في يديها، وقامت بتثبيت القناع الجراحي فوق وجهها. سحبت قناعاً آخر، ثم ناولته إلى كراين، وأومات إليه أن ينضمَّ إلى العمل. استعملت علبة الهواء المضغوط، لتعطي وجه الطاولة التنظيف أصلاً نفخة جديدة من الهواء. ثم استعملت مفك براغ كان في علبتها لإزالة الغطاء الخلفي للحاسوب. تبع ذلك إزالة لوحة الدارات الأساسية، ووحدة التزود بالطاقة. والآن بات القرص الصلب نفسه مكشوفاً.

"قد يكون حظنا كبيراً،" قالت. "فالقرص الصلب كان بعيداً عن أسوأ التلف."

انتقلت الآن إلى حاسوبها الخاص، وقامت بتفكيكه هو الآخر. ويبدو أن العمل والتحدي الكامن فيه قد ساعداها على اكتساب الهدوء. وقف كراين يراقبها فأعجب بخفة يدها، وسرعتها، وبراعتها في تفكيك كل حاسوبٍ إلى مكوناته الأساسية.

والآن تناولت القرص الصلب العائد لحاسوب آيشر بعناية بين يديها، ثم حملته إلى حاسوبها الخاص ووضعت مكان القرص الصلب العائد إلى جهازها. ثم قامت بسرعة بإعادة تركيب الجهاز، ووصلته بالطاقة، وأدارته. سُمع صوت تكتكة عالية، تلتها عدة أصوات "بيب" طويلة. ثم ظهرت رسالة خطأ على الشاشة تفيد بعدم قدرة الكمبيوتر على الإقلاع.

"ما هذه الضجة؟" سألها كراين.

"في مؤسسة استعادة البيانات المفقودة، حيث أمضيت فترة تدريبي التي حدثتُك عنها، كانوا يسمونها:

"صرخة الموت"، وهي في العادة تعني فضلاً في  
المؤازرة، أو شيئاً من هذا القبيل.

"وهذا نبأ سيء، أليس كذلك؟"

"لست أدري حتى الآن. علينا أن نقوم الآن بفتح  
سوّاقه القرص الصلب."

أطفأت حاسوبها، وفككته من جديد وأزالت منه  
القرص الصلب العائد لجهاز آيشر. وضعتُه بعناية على  
الطاولة، وأشارت إلى كراين بأن يتراجع قليلاً إلى الوراء.  
ثم استعملت مجموعةً من مفكات البراغي الدقيقة،  
ومن المشارط، وبعض الأدوات التي وجد كراين أنها قد  
تكون ذات نفع في عيادة طبيب الأسنان. انتزعت بكل  
لطف النصف العلوي من الغلاف. قربت المصباح منها،  
وركزت نوره على القرص الصلب. بان نسيجه الداخلي  
مكشوفاً تحت وهج المصباح: وكان هناك مجموعة من  
الأسطوانات الدقيقة الذهبية اللون مرصوفة الواحدة  
منها فوق الأخرى، وكل واحدة منها تملك ذراعاً متناهي  
الصغر للقراءة/الكتابة، والكل محاط بغاية خضراء دقيقة  
من الدارات المتكاملة.

انحنت هوي مستعملة العدسة المكبرة، فاحصة  
السوّاقه بشكل دقيق. "لا يبدو أن ثمة تلف في  
الرأس"، قالت. "والأسطوانات تبدو بحالة جيدة."  
صمتت قليلاً. "أعتقد أنني قد اهتديت إلى المشكلة. لا  
بد أن يكون هناك رقائق محترقة في لوحة التحكم  
الأولى"

"لوحة التحكم الأولى."

"وهل يمكنك إصلاحه؟"

"ربما. سوف أقوم الآن باستبدال لوحة التحكم  
العائدة إلى حاسوبي الشخصي بهذه اللوحة.

تجهم كراين. "وهل بإمكانك عمل ذلك؟"

"كل الحواسيب المحمولة في هذه المنشأة هي  
من نفس الطراز. فأنت تعرف أن الحكومة تشتري دائماً  
بضائعها بالجملة."

عملت هوي من خلال العدسة المكبرة، واستعملت  
آلات تصليح لمهنة الجواهري، وذلك من أجل إزالة جزيئة  
صغيرة جداً من آلية السوآقة. "إنها في الحقيقة  
منصهرة"، قالت وهي ترفعها تحت العدسة المكبرة،  
مقلبة إياها إلى هذه الجهة، وإلى الجهة الأخرى،  
بواسطة زوج من الملاقط الصغيرة. لقد حالفنا الحظ في  
بقاء الأسطوانات ذاتها سليمة دون أن تنصهر."

وضعت القطعة التالفة جانباً. ثم فتحت القرص  
الصلب في حاسوبها وأزالت منه القطعة نفسها، ثم  
قامت بوصلها إلى سوآقة حاسوب آيشر، وأعدت  
الغلاف إلى مكانه.

"إنها لحظة الحقيقة"، قالت وهي تعيد السوآقة  
التالفة إلى حاسوبها الشخصي. أعادت تجميع  
الكومبيوتر بسرعة، وأوصلته إلى التيار، ثم أعطت  
داخله نفحة لطيفة من الهواء المعلق، وأدارت مفتاح  
التشغيل من جديد.

اقترب كراين منها، محدّقاً بتوق إلى الشاشة. ظهرت  
الرسالة ذاتها التي تشير إلى وجود خطأ.

"يا للجنة،" قال لها.

"لكن صرخة الموت قد ذهبت،" أجابته هوي. "ثم"

هل لاحظتَ أنه لم يكن هناك أصوات تحذيرية بب..  
بب.. هذه المرة؟"

"وماذا يعني هذا؟"

"يعني إن الحاسوب يستطيع أن يتعرّف إلى القرص الصلب الآن. وليس لديه مشكلة في ذلك، إلا أنه لا يجد فيه شيئاً يقرؤه لأنه خالٍ من البيانات."

أرسل كراين شتيمَةً في سِرِّهِ.

"لكننا لم ننته بعدُ،" سحبت حقيبة أقراص مُدمجة وأخرجت واحداً منها. "هذا قرص مدمج قابل للإقلاع، وفيه مجموعة من وسائل التشخيص. دعنا نأخذ نظرة أدق إلى القرص الصلب العائد إلى جهاز آيشر."

أدخلت القرص في الجهاز وجعلته يبدأ العمل من جديد. وفي هذه المرة صارت الشاشة حيّة. دارت السوافة قليلاً ثم انفتحت عدة أيقونات. جلست هوي إلى جانب طاولة المختبر، وبدأت بالطباعة. وكان كراين يراقب الشاشة من وراء كتفيها.

ولعدة دقائق، ظلت هوي تشقّ طريقها عبر الغارة خلال مجموعة من النوافذ. أخيراً ظهرت مجموعات طويلة من الأرقام الثنائية، والست عشريّة، وقد مرّت على الشاشة ثم اختفت من جديد. أخيراً تراجعت هوي في كرسيها.

"إن القرص الصلب سليمٌ وقادرٌ على الإشتغال،" قالت. "ولا يمكنني أن أجد فيه أي عيبٍ ماديٍّ آخر."

"إذن لمَ لا نستطيع قراءته؟"

نظرت هوي إليه. "لأنه حسبما يبدو لي، إن شخصاً

ما قد قام بمحو كلِّ البيانات المكتوبة عليه.

"تقولين قام بمحوها؟"

أزالت القناعَ الجراحيَّ عن وجهها. ونفّضت شعرها،  
وأومات برأسها.

"إستناداً إلى النمط الكهرمغناطيسي، يبدو أن  
شخصاً ما، قد قام بتعريضه إلى المغنطيس."

"وهل قام بذلك بعد الحريق؟"

"لا بد من ذلك. أيشر لن يفعل بجهازه هذا الفعل."

"ولكن لماذا؟" شعر كراين بأنه كالمذهول. "ليس  
هناك منطقٌ في هذا العمل. لأن الجميع كانوا يعتبرون  
أن الجهاز قد دمّره الحريق،"

"أعتقد أن أحدهم قد قام بعمل ذلك على سبيل  
زيادة التأكيد."

وببطءٍ، سحب كراين كرسيَّ المختبر الآخر وجلس  
عليه. نزع قناعه ورماه على الطاولة. وفجأة شعر كأنه  
رجلٌ هَرِمٌ.

"هكذا إذن"، قال. "والآن لن نستطيع أن نعلم ماذا  
الذي قد توصل أيشر إلى اكتشافه."

تنهَّد، ثم نظر نحو هُوي. لكن ما رآه في عينيها قد  
أدهشه. لقد كانت تنظر إليه بابتسامةٍ صغيرةٍ على  
وجهها - ابتسامةٍ كان في أيِّ وقتٍ آخر سيحسبها  
ابتسامةً شقيّةً.

"ما الأمر؟" قال لها.

"ما زال في جعبتي حيلة أو حيلتان."

"عمّ تتحدثين؟ لقد تمّ محو القرصِ الصلب." "صحيحٌ، لكنّ ذلك لا يعني بالضرورة فقدان البيانات تماماً."

هزّ رأسه. "إنني لا أفهمك."

"إن الأمر هو هكذا. عندما تقوم بمحو البيانات من قرص صلبٍ، فإنك في الحقيقة تقوم بعملية كتابة فوق هذه البيانات بخليط من الأرقام العشوائية المؤلفة من الأصفار والآحاد. لكنك ترى أنه عندما يقوم رأس القراءة/الكتابة بكتابة البيانات الجديدة، فإنه يستعمل فقط ما يكفي من الإشارات الضرورية لوضع البتات. هذه هي الطريقة التي تعمل بها الأقراص الصلبة: فقط الإشارات الضرورية، ولا شيء أكثر من ذلك."

"ولم هذا؟"

"يكون ذلك من أجل التأكد من أن البتات المتجاورة لا تتأثر. وعلى كل حال، فيما أن الإشارة ليست قوية إلى درجة تكفي لتشبع الأسطوانة، فإن كل ما عليها من بيانات موجودة من قبل ستكون - مثل الشبح - قادرة على التأثير على القوة الإجمالية للإشارة في ذلك الموقع."

نظر كراين إليها نظرة الضائع.

"لنقل إن لديك موقعين على قرص صلبٍ، جنباً إلى جنب، الأول يحتوي على "صفر"، والثاني على "واحد". ثم يأتي شخص ما، ويكتب فوق هذين الموضعين رقمين جديدين: "واحد" في الموضع الأول، و"واحد" آخر في الموضع الثاني. وهكذا، يكون عندنا الآن "واحد" في كلٍّ من المركزين - ولكن أتدري ماذا؟ لأن رأس

القراءة/الكتابة يستعمل الحد الأدنى الكافي من الإشارات لكي يكتب هذه "الآحاد"، فإن الموضع الذي كان فيه "صفر" من قبل ستكون إشارته أضعف قوة من تلك التي في الموضع الذي كان فيه "واحد" من الأساس.

"وهكذا فإن البيانات التي كانت موجودة هناك في الأصل تؤثر على البيانات الجديدة التي تحل فوقها." قال كراين.

"بالضبط."

"وأنت تملكين وسيلة تستطيع أن تبعث البيانات المطموسة من جديد؟"

أومات هوي إيجاباً. "إنها تأخذ القيمة المطلقة للإشارة وتقوم بطرحها مما هو موجود في الواقع على القرص الصلب. وهذا يتركنا مع صورة شبيهة لما كان موجوداً في هذا المركز من قبل."

"لم يكن لدي فكرة عن إمكانية ذلك." توقف كراين. "لكن انتظري لحظة. إن البيانات لم تجر الكتابة فوقها، لقد قلت إنه جرى مسحها بالمغناطيس. كيف لك أن تسترجعها في هذه الحالة؟"

"مهما كان نوع المغناطيس الذي جرى استخدامه، يبدو أنه لم يكن شديد الفعالية، وربما كان عبارة عن قطعة جرى تمريرها فوق القرص الصلب باليد. أو لعل الشخص الذي فعل ذلك لم يأخذ في حسابه أن أسطوانات القرص الصلب تتمتع بشيء من الغلاف الواقى. وفي أي حال، فإن المسح المغناطيسي يناهز في تأثيره عملية الكتابة الجديدة فوق الكتابة القديمة

مرتين أو ثلاث مرات. والجهاز في حوزتي له كفاءة تسمح له باستعادة البيانات التي أعيدت الكتابة فوقها من جديد، إلى مدى ضعفي عدد تلك المرات.

لم يستطع كراين سوى أن يهزَّ رأسه.

"لكن هذه العملية إتلافية أيضاً. فلدينا فرصة لمحاولة واحدة فقط للمرور فوقها. وهذا يعني أننا نحتاج إلى قرص صلب آخر لكي ننقل البيانات المستعادة إليه. وقد قمتُ أنا بإتلاف الصلب العائد لجهازي عندما نزعْتُ منه لوحة التحكم الأولى." نظرت إليه. "هل أستطيع أن أستعير حاسوبك؟"

ابتسم كراين "يبدو أننا نستوعب أجهزة الكمبيوتر المحمولة بسرعة طبعاً، سأذهب لإحضاره إليك الآن."

"سوف أبدأ بعملية استعادة البيانات." أزاحت هوي العدسة المكبَّرة جانباً، ومدَّت يدها إلى علبة أدواتها.

"إنك هنا آمنه." استدار كراين بهدوءٍ مغادراً المختبر.

# 41

عرج الرجل الذي يدعو نفسه والاس بهدوء خلال الممرات التي تصل بين الأقسام العلمية العائدة إلى منصة النفط ستورم كينغ المجددة. كان هذه المرة يتحرك بخفة أسرع من المعتاد: فقد تلقى لتوه رسالة في مقر إقامته - هي عبارة عن إشارة مشفرة أرسلت إليه عبر جهاز لاسلكي منخفض الترددات، وعليه الآن أن يمررها إلى العميل السري في عاصفة الأعماق على الفور.

كان الحوض قد غادر منذ عشرين ثانية متجهاً نحو قاع المحيط. وإذا أسرع، فإنه قد يدرك غايته في الوقت المناسب.

وصل إلى مكتبه، وأشعل النور، وأغلق الباب وراءه، ثم أقفله. كانت محفظة الساعي ملقاة فوق مكتبه، جاهزة للتسليم إلى غرفة الاستخلاص الموجودة في أسفل طوابق المنصة. فتح الحقيبة ونقب خلال محتوياتها ثم سحب منها قرصاً مدمجاً كتب عليه عنوان بخط اليد، هو التالي: صورة شعاعية 001152-001136.

ملفات تحتوي علي صور - بالضبط ما يحدث عنه.  
أدخل القرص المدمج في جهاز حاسوبه. ثم حمل

أحدي الصور في الذاكرة. أزال القرص من الكمبيوتر، وأعادته إلى حافظه القراص، وأعاد تلك الأخيرة إلى محفظة الساعي. بعد ذلك قام بطباعة برنامج روتيني قصير من شأنه تخبئة رسالة بأقل عدد من البتات، داخل النقاط التي تتكوّن منها الصورة الشعاعية. لقد احتاج الأمر منه ما لا يزيد على خمس دقائق لطباعة برنامج كمبيوترى وللتأكد من خلوه من الفيروسات.

ضغط الرجل على أحد المفاتيح المختصة بأداء معين، الأمر الذي سمح لروتين قصير بأن يُنفذ. ظهرت علامة استفهام فوق الشاشة إذ كان الروتين يطلب إدخال المعلومات. قام عندئذٍ بطباعة الرسالة بعناية، تلك الرسالة التي كان مكلفاً بنقلها. ثم توقف وأصبه يحوم فوق مفتاح الإدخال، بينما كان يراجع الرسالة للمرة الأخيرة لفحص دقة صياغة كلماتها :

إذا لم يتوقف العمل

دمروا المنشأة خلال 24 ساعة

وإذ شعر بالرضى عن عمله ضغط على مفتاح الإدخال. اختفت الرسالة عن الشاشة ؛ ثم كان توقف قصير، قام خلاله البرنامج بقلب الرسالة إلى ما يوازيها من الثنائيات الرقمية، ثم بدمجها في بطاقة الرمز الرقمي للصورة الشعاعية. صوت صريف قصير أشار إلى أن العملية المطلوبة قد تمت بنجاح.

ابتسم والاس إبتسامة الرضى.

فتح أحد الأدراج واستل منه قرصاً مدمجاً قابلاً للكتابة، وأدخله في السّوافة معطياً أمره إلى جهاز

الكومبيوتر بطباعة نسخة عن الملف المعالج الصورة الأشعة على القرص المذكور. وبينما كان الكومبيوتر يقوم بتنفيذ هذا الأمر، كان يسند ظهره إلى ظهر كرسيه ويقوم بتنظيف زجاج نظارتيه بحاشية قميصه. لم تكن صورة الأشعة كبيرة الحجم، لذلك فقد احتاج الحاسوب إلى دقائق قليلة فقط للانتهاء من النسخة إلى القرص المدمج. أخرج والاس القرص من السّواعة بعد أن صار يحتوي على نسخة من الملف المذكور. ثم قطع التيار بسرعة عن الحاسوب، متسبباً بذلك بتدمير فوري لجميع آثار عمله. سحب حافظة أقراص مدمجة جديدة من الدرج الذي كان ما يزال مفتوحاً، ووضّع القرص، في داخلها، وكتب على ظهرها اسم المتسلّم بقلم أسود، ثم وضعها داخل حقيبة البريد.

وقف ملقياً حزام الحقيبة إلى كتفه، وناظراً إلى ساعة يده.

لا يزال لديه إثنا عشر دقيقة، وهذا شيء جيد.

فتح باب غرفته وخرج يصفر في الهواء، بينما كان يتخذ طريقه نحو غرفة استعادة الأشياء من "الحوض"، الذي كان لا يزال في الانتظار.

انتصبت هُوي بينغ واقفة فجأة في ذعرٍ ملقية من يدها مفكِّ براغٍ إلى طاولة المختبر، عندما دخل كراين إلى الغرفة.

"يا إلهي ! " قالت له. " لقد أجلفتني في الحقيقة، حتى الموت."

"أسف لذلك."

"لقد تأخرت كثيراً. ما الذي حدث ؟"

"كان عليّ الردّ على بضع رسائل في غرفة إقامتي." لم يكن كراين يريد أن يُعلمها عن تعرضه في الحقيقة إلى عشر دقائق من الاستجواب خلال مروره في الحاجز: استجواب أجراه معه إثنان من جنود البحرية التواقين

لمعرفة مكان وجودها، إذ إنه لم يرَ داعياً لزيادة قلقها الشديد أصلاً.

"كيف تسير الأمور معك ؟ "سألها متقدِّماً إلى الأمام، واضعاً حاسوبه فوق الطاولة.

كانت هويُّ تنكبُّ على معالجة كتلة غريبة بدت لعيني كراين غير الخبيرتين أشبه بمجموعة من أدوات

المختبر موصول<sup>١٦</sup> بعضها البعض الآخر بغاية من الكوابل الشريطية. وفي استجابة منها لسؤاله، تراجعت قليلاً عن الطاولة.

"لقد انتهيت لتوي من الاختبار الأخير."

"يبدو لي هذا أشبه بعلم الصواريخ."

"بل إنه يكاد يشبه علم الصواريخ. جهاز لقياس المغنطيسية، موصول<sup>١٦</sup> إلى محوّل رقمي تماثلي، وكلاهما معاً مربوطان إلى مخطط للوقت المرّمز. وهذه التوليفة بكاملها قادرة، شيئاً فشيئاً، على استنساخ النسخة المحوّمة عن القرص الصلب العائد إلى حاسوب الدكتور آيشر."

أصدر كراين صوتاً صافراً. "علينا أن نشكر آيشر على حسن تجهيزه لمختبراته بهذه الكفاءة. إذ ماذا كنت ستفعلين لولا وجود هذه المجموعة من الدمى الصماء؟"

"إن جهاز قياس المغنطيسية جهاز حيوي<sup>٣٨</sup>. أما باقي الأشياء فقد كان من الممكن لي العمل بدونها، لكن ذلك كان سيستهلك مني وقتاً طويلاً." تناولت حاسوبها، ثم توقفت. "لا بد لي من أن أمسح ذاكرة حاسوبك. أعتقد أنه لا مانع لديك، أليس كذلك؟"

هزّ كراين كتفيه. "إفعلي ما بدا لك. فإن جميع ملفاتي محفوظة على الشبكة في أي حال."

شغلت هويّ حاسوبه، وقامت بطباعة سلسلة من الأوامر على لوحة مفاتيحه. "هذا الأمر قد يستغرق بضع دقائق."

خيم صمت<sup>١٥</sup> فوق المختبر، بينما كان الحاسوب يدور.

"لقد خطرت لي بعض الخواطر بينما كنت في طريقي لجلب حاسوبي إليك،" قال كراين أخيراً. "كائناً من كان ذلك الشخص الذي مسح ذاكرة كومبيوتر آيشر، عن طريق تعريضه إلى المغنطيس، فقد أراد زيادة التأكد من أن ما قد اكتشفه آيشر سيبقى سراً لن يعرف الذئوع أبداً."

"كانت الفكرة نفسها تتراءى لي أيضاً. لكن ذلك الشخص لم يكن يريد أن يعلم أي شخص بأنه هو الذي يقوم بتدمير ذاكرة الحاسوب."

"بالضبط، هذا ما يبدو لي أيضاً. وإلا فإنه كان، بكل بساطة، يستطيع تدبير أمر هذا الكومبيوتر عن طريق استعمال المطرقة."

"لكن، من هو ذلك الشخص؟ وما الذي يدعو للقيام بذلك؟"

"تقصدين المخرب؟" قال كراين.

"يبدو الأمر غريباً، أليس كذلك؟ لست أدري ما هي دوافعه. لكنني لو كنت أنا نفسي المخربة لأردت الاحتفاظ بهذا الاكتشاف لنفسي. "وقفت هوي."

"إنني أراهن بأموالي على كوروليس،" قال كراين.

"وما الذي يدعوك إلى هذا الاعتقاد؟"

"بالقدر الذي أستطيع قوله، لقد كذب الرجل عندما جزم بوجودك في محاذاة الجدار الخارجي عند نقطة استقبال الحوض، وكذلك في جناح المعالجة بالضغط العالي." تردد قليلاً. "هل تحتوي سيرتك الذاتية على أي ذكر يشير إلى تدرجك في مؤسسة استعادة

البيانات الرقمية التالفة؟"

هزّت هوي رأسها بالإيجاب.

"إذن، إنه يعرف عن هذا الأمر أيضاً. وإنني لا أعتقد أنه يريد لأحد أن يعرف شيئاً عما هو موجود في ذاكرة هذا الكومبيوتر."

"أمل أن تكون مخطئاً، إذ إنه يكون قد خلق لنفسه عدواً شديداً للخطر." وفتت هوي. "لقد استقام الأمر لنا."

أزالت غطاء حاسوبه، ثم قامت بتوصيل نهاية الكابل الشريطي إلى القرص الصلب، مبقية على أسلاك الطاقة موصولة. ثم قامت بتشغيل سلسلة السّوابقات، مدخلة عليها بعض التعديلات الطفيفة، كما قامت في الوقت نفسه بتفعيل مفاتيح آلة القياس المغنطيسي وآلة تخطيط الوقت المرمز. وعند ذلك امتلأ جو الغرفة بصوت دوران بطيء.

"كم ستستغرق هذه العملية؟" سألها كراين.

"لن تستغرق وقتاً طويلاً. إذ يبدو أن الدكتور آيشر، كان مثلك، أي أنه كان يقوم بمعظم أعماله من خلال محطته الطرفية العجماء، الموصولة إلي الحاسوب الإلكتروني الرئيسي للمنشأة. وإنني أشك في أن هذا الحاسوب المحمول يحتوي في ذاكرته على ما هو أكثر من البريد الإلكتروني الشخصي، وملفات الإنترنت، وأبحاثه التي قام بها على فكّ الرموز."

مرّت عشر دقائق لم يجر فيها سوى القليل من الكلام. كانت هوي تراقب عملية استرجاع البيانات الضائعة، بينما كان كراين يتسكّع في أرجاء غرفة

المختبر مشاغلاً نفسه بالتقاط الأدوات وإعادتها إلى أماكنها، محاولاً تحاشي فقدان الصبر. وفي آخر الأمر سكت صوت الدوران البطيء.

"هذا كلُّ شيء." أطفأت هُويَ الأجهزة، وأزالت الكابل الشريطيَّ، وأعدت غطاء الحاسوب المحمول العائد إلى كراين إلى مكانه الصحيح. ثم استدارت نحوه. "لقد صار الآن حاسوبك المحمول نسخة مطابقة للأصل عن حاسوب آيشر قبل تدميره. هل أنت جاهز؟"

"قومي بتشغيله."

داست على زرِّ التشغيل فتكوّما حول الشاشة يرقبانها. مضت لحظة بقيت خلالها الشاشة صفحة سوداء. ثم كان ثمة صريفٌ قصيرٌ ظهرت بعدها شاشة تشغيل الجهاز مشرقة.

"لقد تمَّ لنا ما نريد،" قالت هُويَ بهدوء.

انتظر كراين ريثما قامت هُويَ بتحميل برنامج إدارة للملفات من أحد أقراصها المدمجة، ثم بدأت بعد ذلك بالتجوال على ملفات آيشر ووثائقه.

"كل شيء يبدو في حالة سليمة،" قالت. "ليس هنالك من بيانات مفقودة."

"وماذا الذي هناك؟"

"مثلما افترضتُ. بريد إلكتروني، والقليل من المقالات العلمية حول المسائل الجارية. وهنالك إضبارة كبيرة عنوانها: "فك الشيفرة"."

"لنلقِ نظرة عليها."

قامت هُويَ بطباعة سلسلة من الأوامر. "إنها



المنصّة، وهى الأزيز الزلزالي العالي الذبذبة، وهى الإشارة التي قادت بنا إلى هذا المكان في الدرجة الأولى."

"تقصدین بذلك الإشارة التي تم إرسالها من تحت طبقة الموهو."

"هذا صحيح. فالدكتور آيشر لم يبذل على ما يبدو أيَّ جهد سابقٍ لفكِّ رموزها."

"فقد كان يركِّز اهتمامه على الإشارات التي تقوم بإرسالها الخوافر. إذ كانت الأخيرة أقصر من الأولى وأسهل تعاملًا. وإني أعتقد أنها موجودة في قائمة الملفات الفرعية التي عنوانها 'المصدر'."

"لندقق في ذلك. "صمتت برهة، " يبدو أنك على حق. لدينا حوالي أربعين ملفاً هنا، وهى ملفات أقصر بكثير."

"هذا يعني أن آيشر وماريس قد حلّلا أربعين إشارة فقط من أجل فكِّ شيفرتها. أتراهنينني على أن إضبارة الملفات الفرعية الأخرى لا بد وأن تحتوي على ترجمة هذه الرموز؟ "شعر كراين أن حماسه قد ازادادت."

"إنى لا أراهنك على شىء، لكن دعنا نفحص مافي داخلها. "حركت هويُّ فأرتها على الشاشة فانفتحت إضبارة ملفات جديدة، وكان بداخلها قائمة بالملفات التابعة للإضبارة الفرعية 'الهدف'. وهى كما يلي:

trans.txt\_1

trans.txt\_2

trans.txt\_3

trans.txt \_4

trans.txt \_5

trans.txt \_6

trans.txt \_7

trans.txt \_8

"إنها هنا،" قالت هُوي، وقد صار صوتها يشبه الهمس.

"إذن، إن آيشر وماريس كانا قد استطاعا ترجمة ثماني رسائل من أصل أربعين، في الوقت الذي كلمني فيه. عجلي وافتحي الملف الأول منها."

حوّمت هُوي بفأرتها فوق أيقونة الملف الأول، ثم ضغطت على زرّ الفأرة. انفتحت نافذة نصية جديدة تحتوي على سطر واحد، هو:

$$x = 1/0$$

"انتظري لحظة،" قال كراين. "لا بد من وجود خطأ ما هنا. فهذه هي ترجمة آيشر القديمة الأصلية. الترجمة الخاطئة التي كان قد توصل إليها سابقاً."

"أعتقد أيضاً أنّه قد أخطأ ترجمتها. إذ لا بدّ لأي شخص يستطيع أن يخترع شيئاً معقداً كما نفع الخوافر من أن يدرك أيضاً استحالة القسمة على الصفر."

"لقد أخبرني أن عملية فكّ الرموز سارت معهما بكلّ

سلاسة. وفي بداية الأمر اعتقدا أنهما قد وقعا في خطأ ما بسيط. لهذا فإنهما أضاعا عدة أيام في محاولتهما التفكير في موضع الخطأ الذي قد وقعا فيه. وعندما ذهبا إلى غرفة الأكسجين كانا قد يتسا من البحث في ذلك، واتخذا لهما طريقاً آخرًا جديدًا بكلّيته. "حملك كراين في الشاشة. "إن هذه لمعلومات قديمة، ولا بد من وجود إضبارة ملفات أخرى في مكان ما."

ساد صمتٌ وجيزٌ، بينما عادت هويّ إلى استشارة برنامجها العائد لإدارة الملفات. "كلا، فهذه هي الإضبارة الوحيدة القابلة للتطبيق."

"إذن، افحصي الملف التالي، فلعله لم يكثر لمحو ظنه الخاطيء."

قامت هويّ بفتح الملف الذي اسمه "trans.txt\_2"، فظهر أنه أيضاً مؤلف من سطرٍ واحدٍ هو كما يلي:

$$X = 0^0$$

"صفر قوة صفر؟" قال كراين. "هذا شيء غير معقول. تماماً مثل القسمة على صفر."

فكرةٌ أخرى طرأت له. "هل تستطيعين تحري تاريخ ووقت كلٍّ من هذه الملفات؟"

نقراتٌ قليلةٌ على الفأرة. "يعود تاريخها كلّها إلى بعد ظهر أمس."

"كلها؟"

"نعم."

"حدث ذلك بينما كان لا يزال في الغرفة، حسناً. هذا يؤكد لنا على الأقل أن جميع هذه الملفات جديدة."

لأد كراين بالصمت، بينما كانت هوي تثار علي فتح الملفات الستة الباقية. ومرة بعد أخرى كان كل منها يحتوي على سطر واحد فيه تعبير رياضي لا منطقي ومستحيل، مثل:

$$a^3 + b^3 = C^3$$

$$\pi = a/b$$

$$x = \ln(0)$$

"a مكعب، زائد b قوة ثلاثة، يساوي C مكعب ثلاثة؟" قالت هوي هذا وهي تهز رأسها. "ليس ثمة ثلاثة أرقام يمكن أن تفي بهذا التعبير الرياضي."

"وماذا عن اللوغاريتم الطبيعي للصفر؟ إنه شيء غير معقول. أما  $\pi$  فهو رقم مبهم وغبي، وإنك لا تستطيعين تحديده بمجرد القيام بقسمة رقم على آخر."

"ومع هذا، يبدو أن الدكتور آيشر كان مصيباً من المرة الأولى. وأعني ترجمة الألغاز."

"يبدو بوضوح أنه اعتقد أخيراً أنه على صواب. لكن كل هذه القراءات لا توافق المنطق. لم تقوم هذه الخوافر بت مجموعة من التعابير الرياضية المستحيلة؟ ولماذا تعتبر هذه الخوافر أن هذه التعابير الرياضية هي من الأهمية بمكان، بحيث أنها تستحق البت على كل ذبذبة معروفة... ثم أن بعض؟ بل إنني أعتقد أن -"

صمت كراين فجأة قبل أن يكمل جملته. استطاع أن يسمع حديثاً مبهماً يأتي من الممر في الخارج، كما

سمع وقعَ أقدام.

استدار نحو هُوي. رَدَّت النظرة إليه بعينين فاغرتين.  
أشار إليها نحو قعر الخزانة. "داخل الخزانة. بسرعة."  
هرعت إلى خزانة المعدات واختبأت بداخلها. أطفأ  
كراين الأنوار بضربة سريعة من كفه ثم تبعها بأكثر ما  
يستطيعه من سرعة وهدوء. وفي اللحظة الأخيرة  
توقف وتراجع عن الخزانة إلى الغرفة من جديد، وانتزع  
قطعة القماش المضاد للحريق من الخطاف الذي كانت  
معلّقة عليه.

صار صوت وقع الخطوات يبدو أكثر اقتراباً.

نشر كراين قطعة القماش فوق أجهزة الكمبيوتر،  
وبقية المعدات، بالدقة التي كان له من سبيل إليها. ثم  
أسرع من جديد إلى داخل الخزانة وأغلقها عليهما من  
الداخل. وبعد لحظة، سمع باب المختبر يُفتح.

حدّق من داخل نافذةٍ شبكية في باب الخزانة، فإذا  
به يرى جنديين بحريين يقفان عند باب غرفة المختبر،  
وتبدو الخطوط الكفافية لجسديهما على خلفيّة الضوء  
الآتي من الممر الخارجي.

أشعل أحد الجنديين المصباح الكهربائي. تراجع  
كراين إلى قعر الخزانة المظلم. وكان بوسعه أن يحسّ  
جسد هُوي الدافئ وأنفاسها السريعة، على رقبتة.

سُمعت أصواتٌ وقع الأقدام وهي تتحرك من جديد  
في داخل الغرفة. ثم تبع ذلك بعض الصمت. وبيبطٍ  
شديد جداً انحنى كراين من جديد نحو الأمام حتى صار  
قادراً على اختلاس النظر من شبكة النافذة. رأى  
الجنديان يقفان إزاء طاولة المختبر، يتبيّنان معالم الغرفة

بهدوء.

"لا يبدو أن ثمة أحد في هذه الغرفة،" قال أحدهما،  
"هيا بنا إلى المختبر الآخر." "لحظة،" قال الآخر. "أريد  
أن أتأكد من شيءٍ واحدٍ أولاً." وبتعمُّدٍ وحرصٍ، تقدم  
الرجل نحو الخزانة.

تراجع كراين إلى عمق عتمة الخزانة. أما هُويُّ فقد حبست أنفاسها خلفه. مد يده إلى الأسفل وأمسك بيدها، ثم اعتصرها بثبات.

أصبحت خيوط الضوء الرفيعة كانت تتسلل إلى داخل الخزانة من خلال الشبكة محجوبة وراء الجسد الذي يتقدم صوب تلك الخزانة. سمع كراين وقع الخطوات وهي تتوقف أمام باب الخزانة تماماً.

فجأة، فرقع صوت راديو. كان هناك تلمسٌ قليلٌ ثم ضغط على أحد أزرار الجهاز. "باربوسا،" جاء صوتٌ شديد القرب، كما لو أنه يصدر من داخل الخزانة ذاتها. ثم سُمعت قرقرةٌ أخرى مجزوءة. ثم: "أجل، أجل، يا سيدي."

"لنذهب فوراً،" قال باربوسا.

"ما الخطب؟" سأله زميله الجندي البحري.

"إنه كوروليس. ثمة حدثٌ غريب."

"أين؟"

"في مكان استخلاص النفايات. تعالَ معي بسرعة." سُمع صوت تراجع الخطوات عن محيط الخزانة. ثم سُمع

صوت إغلاق باب الغرفة، ثم خيم الصمت من جديد.  
أيقن كراين أنه كان قد احتبس أنفاسه تماماً. لذلك  
أطلق الهواء من رئتيه في لهات مرتعدٍ طويل. ثم أفرج  
عن يد هوي وأدار وجهه نحوها.  
ردت هوي النظره إليه، وكانت عيناها تلتمعان في  
عتمة الظلام.

مرت دقائق خمس من دون أن يتبادلا الكلام. وببطء،  
شعر كراين أن ضربات قلبه بدأت تعود إلى معدلها  
الطبيعي. أخيراً ألقى يده على باب الخزانة و دفعه لكي  
ينفتح بهدوء. وكانت قدماه لا تزالان رخوتان كالهلام،  
لكنه خرج من الخزانة وأشعل مصابيح الغرفة من جديد.

سحبت هوي قطعة القماش من فوق الآلات  
والكومبيوترات وكانت حركاتها بطيئة وآلية. "وماذا  
عسانا نفعل الآن؟" سألت.

جهد كراين كي يعيد ملكاته الذهنية إلى العمل من  
جديد. "علينا أن نتابع ما كنا نقوم به."

"ولكن نتابعه إلى أين؟ لقد استنفدنا المرور على  
جميع ملفات فك الشيفرة. وقد وجدنا أنها لا تحتوي إلا  
على حفنة من التعابير الرياضية المستحيلة."

"ماذا عن ذلك الملف الآخر الذي اسمه 'initial.txt'؟  
أعني أطول هذه الملفات، وهو الذي يتعلق بالرسالة  
الأولي التي تم إرسالها من تحت طبقة الموهو، هل  
أنت أكيدة من عدم وجود ترجمة لها على ذاكرة  
الحاسوب؟"

هزت هوي رأسها. "نعم متأكدة، ومثلما قلت أنت،  
كان الدكتور أيشر أكثر تركيزاً على الرسائل القصيرة

التي كانت الخوافر تقوم ببثها.

توقف كراين ثم استدار نحو الحاسوب. "ماذا عساه أن يكون قد اكتشف؟" قال هذا في لهجة من يخاطب نفسه. لقد كاد يخرج من ثيابه من فرط الإثارة عندما كلمني بالهاتف من غرفة الأكسجين. ولا بد من أن يكون هناك شيء ما.

استدار من جديد نحو "هوي". هل تستطيعين إعادة تتبع خطواته الأخيرة؟

تجهّم وجهها. كيف؟

"افحصي دلالات التاريخ والوقت العائد لملفات الكومبيوتر. حاولي أن تكشفني ماذا كان يفعل في الدقائق التي سبقت مكالمته الهاتفية لي."

"طبعاً، دعني أحصل علي قائمة بجميع الملفات، مرتبة بحسب التواريخ والأوقات." انكبت هوي على الحاسوب، وفتحت نافذة بحث. وعندما صارت تتنقل في الحاسوب بسرعة أكبر بقليل الآن، قامت بطباعة أمر إلى الكومبيوتر.

"إن معظم الملفات التي كان يعمل عليها أيشر موجودة في إضبارة 'فكّ الشيفرة'،" أشارت إلى الشاشة. "لكن في مدة الخمس عشرة دقيقة الأخيرة، كان الحاسوب يعمل، ويبدو أن الدكتور أيشر كان يتجول في شبكة الإنترنت."

"حقاً؟"

أومأت هوي برأسها إيجاباً. "سوف أقوم بفتح أيقونة تصفح الإنترنت، وأستخرج منها لائحة بالمواقع التي جرى فتحها سابقاً." ثم سُمع صوت ملامسات قليلة

لأضرار لوحة المفاتيح. هersh كراين لحيته بحيرة. سوف نكون قادرين على الدخول إلى شبكة الإنترنت لأسلكياً، هذا ما قاله آيشر لماريس قبيل دخولهما إلى غرفة الأكسجين. فلقد كان من الممكن لهما قطعاً أن يكونا قد دخلا إلى الإنترنت. لكن لماذا؟

"ها هنا لائحة بالمواقع التي قاما بزيارتها،" قالت هُوي. هنا تراجعنا قليلاً كي تفسح إلى كراين مجالاً للتقدم والنظر.

انحنى نحو الشاشة. كانت اللائحة تحتوي على بضعة مواقع ومعظمها ذو أسماء حكومية بحتة. "هنالك بعض المواقع القليلة العائدة إلى وكالة حماية البيئة،" قال متمماً. "ثم مفوضية الإشراف على الطاقة النووية، ثم مشروع جبل أوكوتيلو."

"اللائحة مرتبة بحسب التواريخ،" قالت هُوي. "إن آخر المواقع التي قام بزيارتها هي تلك التي تظهر في أسفل اللائحة."

تفحص كراين بقية عناصر اللائحة. "وزارة الطاقة؛ المشروع التوجيهي لعزل النفايات. هذه هي."

حدق نحو الشاشة. ثم انجلى له الأمر فجأة.

"يا إلهي،" تنفس الصعداء. وقد سرى الفهم في كيانه.

"ما الأمر؟" سألته هُوي.

دفع عجلات كرسيه في اتجاهها. "اين هو المنفذ إلى شبكة الحاسوب في هذه الغرفة؟ يجب أن أدخل إلى شبكة الإنترنت."

ودون أن تنبس بكلمة، تناولت من علبة أدواتها كابلًا من الفئة الخامسة، وقامت بتوصيل الكمبيوتر إلى شبكة الحاسوب في المنشأة، الموصولة بدورها بالشبكة العامة. شق كراين طريقه بالفأرة إلى آخر مدخل أظهرته له اللائحة على الشاشة، ثم نقر الفأرة. فُتحت نافذة تجوالٍ جديدة، عارضةً موقعاً نصياً، رسمياً، مكثفاً. وكان يعلو صفحته الختم الرسمي لوزارة الطاقة. كما كان يتوَّجها العنوان التالي، بأحرف عريضة:

المشروع التوجيهي لعزل النفايات (Wipp).

كارلسباد، نيومكسيكو

" وِيبْ، " قالت هُويُّ في صوتٍ شديد الهدوء.

" هذا ما عناه آيشر. وهو لم يعنِ كلمة " هُويِبْ "

" ولكن ماذا يعني ذلك؟ "

" إنه يعني سلسلةً من الكهوف، محفورةً في باطن تكوين جيولوجيٍّ ملحيٍّ ضخم، واقع تحت صحراء شيهواهون في نيومكسيكو. وهو عبارة عن مستودع تخزين تحت الأرض تبلغ مساحته ستة ملايين قدم مربع. إنه موقع شديد البعد. وسيكون أول منشأةٍ وطنيةٍ لطمر النفايات المشتقة عن اليورانيوم. "

" نفايات مشتقات اليورانيوم؟ "

" إنها نفايات نووية. تحتوي على منتجات إشعاعية ثنوية من مخلفات الحرب الباردة وسباق التسلح النووي. كما أنها تحتوي على شتى أنواع الخردة من الأدوات، والملابس الوقائية ضد السلاح النووي، وبطاريات المركبات الفضائية القديمة. ففي الوقت الحاضر، إن هذه المواد مخزنة في جميع أرجاء البلاد.

لكن الخطة الجديدة تقضي بأن يتم تجميعها وتخزينها في مخزنٍ واحدٍ مركزيٍّ يقع في موقعٍ عميقٍ تحت الصحراء. "نظر إليها. "أما جبل أوكوتيللو، فهو الموقع الشديد الحماية في جنوبي شرقي كاليفورنيا. وهو عبارة عن مستودع جيولوجي للوقود النووي المستنفد، ولأسلحة الدمار الشامل، المستغنى عنها."

عاد واستدار نحو الشاشة. "كنتُ قد شاركتُ في مؤتمرٍ حول مخاطر النفايات النووية والأسلحة المستغنى عنها. إن طمر موادٍ سامةٍ مميتةٍ مثلها، يسبب مشكلةً ضخمةً جداً. ومن أجل ذلك كانت تلك المستودعات الشبيهة بجبل أوكوتيللو. ولكن ما هي علاقة ذلك بمشروع "عاصفة الأعماق"؟ وإلى أين كان يريد أيشر أن يصل؟"

ساد صمتٌ قصيرٌ.

"هل قال شيئاً ما، آخر؟" سألتُه هُويً. "أعني عندما كلمك على الهاتف."

استحثَّ كراين ذاكرته لحظة. "لقد قال إنه من الواجب علينا، بل من الضرورة المطلقة لنا، ألا نقوم... ثم توقف؟"

"ألا نقوم بماذا؟ بمتابعة الحفر؟"

"لستُ واثقاً من ذلك، لأنني لم أفكر من قبل في هذا الأمر،"

ثم أشرق الأمر كله في ذهن كراين فجأة. وعندما فهم ما فهمه، شعر بخليطٍ من الشعور بالنصر والخوف يستغرقه ويجتاح كيانه.

"لا، يا إلهي، "تنهد تنهيدةً عميقةً.

" ما الأمر؟ "

" هل هو المشروع التوجيهي لعزل النفايات؟ هل هو جبل أوكوتيللو؟ هو ما نجلس الآن فوقه. "

استحال لون هوي شاحباً. " لا تقل لي إنك تعني - "

" بل هذا هو ما أعنيه بالضبط. لقد كنا نفترض طوال الوقت أن جنساً كريماً رعاياً من المخلوقات دفن نوعاً من التكنولوجيا الرائعة في أعماق باطن الأرض لكي يقوم الجنس البشري يوماً ما باكتشافه، أي عندما نصح نحن البشر متقدمين إلى درجة كافية تؤهلنا للقيام بذلك. لكن الأمر لم يكن كذلك مطلقاً. فالحقيقة هي أن الأرض كانت قد استعملت كمقبرة للأسلحة والنفايات السامة. وهي نفايات خطيرة وسامة فوق مستوى التصور، بل تعود نسبة خطرها تبعاً لنسبة تقدم أصدقائك من مجموعة كوكب الدجاجة. "

" أهذا ما كان يحاول أيشر أن يقوله لك؟ "

" يجب أن يكون الأمر كذلك. وليس ثمة إجابة أخرى. ذلك الشيء المغلف تحت طبقة الموهو، الشيء الذي يتابع سبارتان الحفر في اتجاهه في هذه اللحظة بالذات؟ إنه قنبلة موقوتة بلا شك. "

صمت لحظة، مفكراً هذه المرة بشكل سريع. " أتذكرين ذلك المؤتمر الطبي الذي ذكرته لك؟ إيجاد مكان مناسب لطمر النفايات النووية، ما هو سوى جزء من المشكلة، ليس إلا. أما المشكلة الحقيقية فهي تكمن في أن هذه المادة المظمورة سوف تبقى حيوية ومشعة إلى زمن يتخطى مدة تاريخ البشرية المسجل. وكيف يكون لنا أن نقوم بتحذير شخص ما من خطر هذه

النفائيات بعد عشرة آلاف سنة من الآن؟ كيف لنا أن نفهم إنساناً يأتي بعد كل هذه المدة أن من الأسلم له أن يبقى بعيداً عن كارلسباد، أو عن جبل أوكوتيللو؟ فالحضارة، بالمفهوم الذي نعرفه، سوف تشهد تحولاً واسعاً يفوق التصور. ولهذا، فإن وزارة الطاقة تقوم بزرع مواقع الطمر بما يمكن لنا أن نسميه بـ: "وسائل التوجيه الساكنة الأساسية".

"تعني إشارات الإنذار والتنبيه."

"بالضبط. وليس مجرد نوع واحد من هذه الإشارات، ولكن مجموعة متنوعة منها مثل: الصور، والشعارات، والنصوص. وكل ذلك من أجل إعلام أحفادنا بأن هذا الموقع إنما عمل على عزله وإقفاله لأسباب وجيهة. كما أن ثمة إشاعات عن وجود وسائل توجيه فاعلة أيضاً."

"ولكن كيف لك أن تتأكد من أن ما هو موجود تحتنا هو شيء خطير بالفعل؟"

"ألا ترين؟ فهذه الخوافر التي قمنا باكتشافها، حال قيامنا بالحفر، ما هي سوى "وسائل توجيه أساسية" أيضاً، ولكن بطريقتها الخاصة. فهذه الإشارات التي تقوم الخوافر بثبثها ما هي سوى إشارات تحذير."

"إن هذه الإشارات هي مجرد تعابير رياضية."

"لكن عليك أن تفكري ما هو نوع هذه التعابير. إنها تعابير مستحيلة." فعندما حُلَّ أيشر الرسالة، باديء ذي بدء، فقد اعتقد أنه قد أساء تفسيرها، هل تعلمين ماذا قال؟ لقد قال إن "القسمة على الصفر أمر ممنوع في جميع قوانين العالم". وهذه هي الكلمة المفتاح:

ممنوع. إن كلَّ تعبيرٍ واحدٍ تقوم هذه الخوافر بإرساله،  
أمثال: "صفر قوَّة صفر"، وسواها، كلها أشياء ممنوعة.

"تعني أن كائناً من يكون قد فعل هذا، فإنه لم  
يستطع استعمال تحذيرٍ يستند إلى لغة."

"بالضبط. فالصيغ الرياضية هي وحدها التي تتمتع  
بمدلولٍ عالميٍّ." هزَّ رأسه. "ثم أن يفكر المرء في  
فلايت، وفي كلامه الدائم عن الأرقام الصماء، فقد كان  
مصيباً في كلامه إلى درجة تتجاوز معرفته بذلك. هذا  
ما أعتقده."

"من؟"

أطلق ضحكة خافتةً. "لا تكثرني للأمر."

فكرت هُويً لحظةً. "ولماذا بدأوا باستعمال تعبير  
رياضيٍّ واحدٍ فقط - ثم صاروا بعدها يستعملون آلاف  
التعابير الرياضية؟"

هزَّ كراين كتفيه. "ربما لأنهم اعتقدوا أن القسمة  
على صفر هي أبسط التعابير الرياضية. ومن أجل هذا  
فإنها على هذه الدرجة من النفاذ والشمول. وربما أن  
ملامستي لأحد الخوافر قد استثارت عنده نوعاً جديداً من  
السلوك. أو لعل عدم توفيقنا عن الحفر قد أقنع الخوافر  
بأننا لم ننتبه بعد إلى الإشارة ولم نفهم مغزاها، وأنها  
في حاجة ربما إلى وسائلٍ إفهامٍ إضافية."

استدار فجأةً ومشى خطوة نحو الباب. فجأةً، امتلكه  
شعورٌ عاجلٌ بضرورة السرعة وبخطورة الموقف: ففي  
كل دقيقةٍ، يقربهم استمرارُ الحفر من اندثارٍ ماحقٍ  
يفوق كلَّ تصور أو تفكير.

"إلى أين أنت ذاهبٌ؟" سألته هُويً.

"إنك تنظرين الآن إلى رجلٍ قد فهم الرسالة في نهاية الأمر."

"وماذا عني؟ إلى أين عليّ أن أذهب؟"

"إبقى هنا في مكانك. إنه آمنٌ مثل سواه - بل ربما قد يكون أكثر أماناً من سواه. لأنه قد تمّ تفتيشه وانتهى الأمر." تناول يدها من جديد، شادداً عليها بطريقة من يريد بثّ الثقة. "سوف أعود إليك قريباً."

أخذت نفساً عميقاً. "حسناً ربما ألقى نظرة ثابتة على الرسالة الأولى. في الرسالة التي لم يحلّ الدكتور آيشر شيفرتها."

"فكرة رائعة." ابتسم لها كراين، ثم مشى نحو باب المختبر، توقف لحظةً للتنصت، ثم انزلق بسرعة نحو الممر.

وقف الأدميرال سبارتان ينظر بصمت إلى كراين، فيما هما واقفان في زاوية هادئة من غرفة المراقبة، لا يصلها ضوءٌ إلا من الشباك المستطيل المشرف على مجمع الحفر. لذلك فإن الضوء لم يكن كافياً لكشف تعابير وجه الأدميرال.

نظر كراين نظرة نحو التقنيين والمهندسين الجالسين حول محطات المراقبة الخاصة بهم. ثم أجال نظرة أخرى في أنحاء العنبر. كان ثمة فريق من العمال يقومون على تحضير واحدةٍ من البلورتين الباقيتين لكي تقوم بالغطس في رحلتها القادمة. وحتى من تلك المسافة البعيدة التي كان ينظر منها، فإن جواً ملموساً من القلق، كان بادياً في الهواء؛ إذ يبدو أن القوم قد باتوا الآن على مبعدة بضعة أيام فقط، بل قد يكون على مبعدة بضعة ساعات، من الوصول إلى طبقة الموهو. ولذلك فإن أياً من الرحلات القليلة القادمة للبلورة، ستكون هي الرحلة التي سيتم فيها الاختراق المفاجيء.

ثم نظر مجدداً إلى سبارتان.

بدا الأدميرال وكأنه يستيقظ من شرود ذهنه الذي

ذهب فيه وراء تأمل عميق. شبك الرجل كفيه وراء ظهره. "دعني أضع هذه المسألة في سياقها الدقيق. كل هذه الأمراض الغامضة، والمشاكل النفسية، ما هي سوى نتيجة لإشارة مرسلة؟"

"وإنها الإشارة الرقمية عينها التي أرسلتها الخوافر أول الأمر، عبر الموجات الضوئية. ما عدا أن هذه الإشارة الأخرى إنما قد جرى إرسالها بطريقة لا تقوى إمكانياتنا التكنولوجية على التقاطها. وهي تقوم باستثارة نبضات غير عادية من موجات تيتا في الدماغ. فأنت تعلم أن الدماغ يعمل بطريقة كهربائية،" شرح كراين. "وعندما تضطرب كهرباء الدماغ، فإنها تتسبب بتأثيرات على الجملة العصبية المستقلة. وهذه التأثيرات بدورها قد تتسبب بالغثيان، وبالتشوش في حقل النظر، وباضطراب نمط ضربات القلب. وهي كلها أعراض عصبية كنا قد لمسنا وجودها. كما أنها قد تؤثر على الفص الأمامي للدماغ. وهذا بدوره يكون مسؤولاً عن اضطرابات الذاكرة، وصعوبة التركيز، والتحوّلات في السلوك، وحتى عن النوبات العصبية الحادة."

"وكيف يكون لنا مقاومتها؟ أو إلغاء تأثيراتها؟"

"تعني الإشارة؟ نحن لا نستطيع حتى أن نتبعها. إن الحلّ الوحيد إنما يكون في اجتنابها. أي بوقف أعمال الحفر، وإجلاء الناس إلى السطح، بعيداً عن مصدرها."

أعطى سبارتان هزة من رأسه كأنما هو يقوم بطرد فكرة عنه. "وهذه الإشارة، حسبما تقول، إنما ترسل تعبيراً رياضياً؟"

"لقد استطاع آيشر فكّ شيفرة عددٍ من الإشارات المختلفة هذه. وجميعها عبارة عن تعابير رياضية

مستحيلة.

"أتريد أن تقول إنها عبارة عن إنذارٍ من نوعٍ ما؟"

"جميع هذه التعبيرات الرياضية ممنوعة بموجب جميع القوانين الكونية. فأى طريقةٍ أخرى هي الأفضل لإرسال إشارة خطرٍ، عندما يكون من غير الممكن اللجوء إلى استعمال أيِّ لغة؟"

"تقولُ أيّ طريقةٍ أخرى هي الأفضل يا دكتور؟ إن الطريقةَ الأفضل هي الطريقة التي ينبغي أن تكون أكثر وضوحاً، ومباشرةً."

خُيِّلَ إلى كراين أنه يحسُّ لهجةً متشككةً في نبرة سبارتان. "كائناً من يكون ذاك الذي زرع هذه الأجسام تحت طبقة الموهو - كائناً من كان أولئك الذين قاموا بصنع هذه الخوافر - فإنه من الواضح أنهم أكثر تقدماً منا بأشواط بعيدة. من ذا الذي يستطيع الجزم بأنهم لا يرسلون إلينا رسائلٍ أخرى أكثر وضوحاً كما تقول - إلا أننا غير قادرين على اعتراض هذه الإشارات حتى الآن."

زم سبارتان شفثيه. "ونحن الفخورون بامتلاكنا لمقبرة النفايات السامة الواقعة بين النجوم. أو ربما مجرد مخبأ لأسلحةٍ تكفي للتسبب بقيام يوم القيامة، وهي أسلحة متبقية عن فترة سباقِ التسليح."

لم يُجبه كراين بأيِّ جواب. ثم كان صمتٌ طويلٌ. ومن خلف كتفيه، كان يستطيع سماعَ همهمة النقاشات البعيدة، وطققة لوحات المفاتيح.

أخيراً، أرسل سبارتان زفيراً متمهلاً طويلاً. "إنني أسف يا دكتور، لكن الأمر كله لا يزال يبدو لي أمراً عريضاً. والواقع أنني بدأتُ أعجبُ من أن تكون موجات

تيتا الخاصة بدماعك بالذات قد بدأت هي الأخرى تُنتج النبضات. حضارة غريبة عن كوكبنا تستخدم الأرض كمطمر للنفايات السامة، ثم تراها تهتمُّ بعد ذلك كله لإرسال إشارات التحذير إلينا.

"لا، ليس إلينا نحن. إذ إننا نأتي في آخر اهتماماتهم. فالعنف الذي رافق مناسبة الطمر الأساسية، يبرهن على ذلك. فنحن لسنا سوى حشرات من وجهة نظرهم. فالحضارة التي فعلت هذا، يحتمل أن تكون آتية من بيئة مكوّنة من غاز الميثان وأكسيد الكبريت. وجونا الذي يقوم على الأكسجين والنيتروجين قد يكون حتى جواً ساماً بالنسبة إليهم. إنهم لا يكثرثون لنا بتاتاً، وقد تكون الأرض بالنسبة إليهم، ليست سوى كوكب لا نفع منه، وأنا همجيون بدائيون. لا نستحق أي اعتبار. فقد كان عثورنا على رسالتهم في الدرجة الأولى مجرد صدفة غريبة. إنهم مهتمون بالحضارات الكونية الأخرى، التي هي أكثر تطوراً منا بكثير، وهم يقومون فقط بتحذير أهل تلك الحضارات من الاقتراب من كوكب الأرض."

لم يُجبه سبارتان بأي جواب.

بعد لحظة تنهد كراين. "إنك على حق، فالأمر كله عرضي. فليس ثمة طريقة للجزم بما يوجد تحتنا سوى باختراق طبقة الموهو. لكن هذا القول هو أشبه بالقول إن القنبلة تبقى شيئاً عرضياً، وغير مؤكّد، ما لم يغم المرء بسحب مسمارها."

وحتى بعد هذا القول، بقي سبارتان عازفاً عن الإجابة.

"انظر،" تابع كراين قوله، وهو يسمع الخطورة في

رنة صوته. "لست أدري ماذا يوجد تحتنا بالضبط. إن كل ما أعرفه هو أنه شيء خطير بما يفوق التصور. فهل الأمر يستحق تعريض سلامة كوكب الأرض للخطر لمجرد اكتشاف ماذا يوجد تحتنا؟ لا لسبب سوى أن الرهانات قد تكون على الأقل، على هذا القدر من الأهمية."

أخيراً، لملم سبارتان شمل نفسه. "وهل أنت مقتنع بكلامك هذا؟"

"إنى أراهن بحياتي على صحته."

"وذلك المحو المتعمد الذاكرة القرص الصلب في حاسوب آيشر، هل أنت متأكد منه أيضاً؟"

أوما كراين برأسه إيجاباً.

"إن مواهبك لتبدو أنها تمتد بعيداً إلى ما وراء مهنة الطب. هل قمت أنت باستعادة البيانات الرقمية المفقودة بنفسك؟"

تردد كراين. "لقد تلقيتُ بعض المساعدة."

"حسناً،" أعاد سبارتان النظر إليه، من دون أن تحمل نظرتَه أيَّ تعبير يمكن قراءته. "هل تستطيع أن تعرف أين هي هوي بينغ؟"

ترك كراين نبرة صوته حيادية. "لا فكرة لديَّ عن ذلك."

"حسناً. شكراً لك يا دكتور."

رمش كراين بجفونه. "عفوك، ماذا تقول؟"

"بإمكانك الانصراف الآن، فأنا مشغولٌ قليلاً في

الوقت الحاضر. "

"ولكن كل ما قلته لك -"

"سوف يكون موضع تفكيرٍ مني."

نظر كراين نحو سبارتان نظرة غير المصدق. "سوف يكون موضع تفكيرٍ منك؟ فبعد عطسة واحدةٍ أو عطستين، سيكون الوقت قد تأخر كثيراً للتفكير في أي شيء." توقف كراين قليلاً. "أيها الأدميرال، هنالك رهان أكبر بكثير من رهانك على مهمتك، رهان أكثر أهمية من معرفة ماذا يقبع في قعر هذا البئر. هنالك أيضاً أرواح الناس الذين على متن هذه المنشأة. وإن ثمة واجباً كبيراً على عاتقك، بل مسؤولية تجاههم أيضاً. فحتى لو كان هناك فرصة ضئيلة في أن تكون كلماتي مصيبة: فإن من حقهم عليك أن تقوم بالتأكد من استنتاجاتي، ومن فحصها جيداً. لأن المجازفة هي بكل بساطة أكبر من أن تسمح لك بالتصرف خلافاً لهذا."

"يمكنك الانصراف يا دكتور كراين."

"لقد قمتُ بوظيفتي - وانتهيتُ من حلّ اللغز. والآن بدأت وظيفتك! أوقف هذا العمل المجنون، وأنقذ هذه المنشأة، وإلا فإنني -"

وبشكل خافت، بدأ كراين يتنّبهُ إلى أنه قد بالغ في رفع صوته، وأن الرؤوس قد بدأت تستدير نحوه. لذلك فإنه أمسك لسانه فجأة.

"وإلا فإنك ماذا؟" سأله سبارتان.

لم يجب كراين.

"إنني سعيد لأنك قد أنهيت مهمتك. أمّا الآن فإنني

أقترح عليك أن تغادر مجمّع الحفر من تلقاء نفسك يا  
دكتور. وإلا سأضطر إلى الطلب من ثلة عسكرية كي  
تقوم بمرافقتك."

وللحظة وقف كراين في مكانه مسمراً في الأرض  
بسبب الغضب والذهول. ثم، ودون أن يضيف أيّ كلمة،  
استدار على عقبه وخرج من حجرة المراقبة.

جلست ميشيل بيشوب إلى منضدتها الأنيقة في مكتبها النظيف. وكانت تدق باهتمام في صورة أشعة علي شاشة جهاز حاسوبها، فيما شعرها الغامق الشقرة يتهاوى فوق عينيها، وذقنها مسندة برفق فوق الأظافر المطلية بعناية شديدة. أما في خارج مكتبها، فقد كان الصمت العميق يلف جوانب الجناح الطبي.

وعلى مسافة بضعة إنشات من مرفق يدها، رن جرس الهاتف ممزقاً الصمت. أنتفضت بيشوب في مقعدها. ثم مدت يدها إلى السماعة، "هنا الجناح الطبي، دكتورة بيشوب."

"ميشيل؟ هذا أنا بتر."

"دكتور كراين؟" تجهمت. بدا الصوت صوتاً فعلاً، إلا أن صوتَه الرطب، الذي يكاد يكون صوتاً كسولاً في العادة، قد بدا الآن مندفعاً ومبهوراً الأنفاس. داست على زر الطاقة عند حافة شاشة حاسوبها، ثم عدلت من جلسيتها في مقعدها، بينما صارت الشاشة أمامها سوداء معتمة.

"إنني في المستوصف المؤقت في الطبقة الرابعة. وأنا في حاجة ماسة إلى مساعدتك."

"حسنًا."

بعد صمتٍ قليلٍ. "هل أنتِ بخير؟ يبدو أنكِ مشغولةٌ."  
"إنني بخير،" قالت بيشوب.

"إننا نواجه مأزقاً بين أيدينا." صمتٌ آخرٌ ساد بينهما  
لمدةٍ أطولٍ من ذي قبل هذه المرة. "انتبهي لن أستطيع  
أن أقول لكِ كل شيءٍ في هذه اللحظة. لكن ما هو  
موجودٌ هنا تحتنا هو شيءٌ مختلفٌ عن الأتلانتس."  
"كنت أظن ذلك."

"لقد اكتشفت أن الشيء الذي نقوم بالحفر في  
اتجاهه، هو شيءٌ خطيرٌ بشكلٍ لا يصدق."  
"وما هو؟"

"لا أستطيع أن قول لكِ ما هو. ليس الآن في أيِّ  
حالٍ. ليس لدينا من مجالٍ الآن لإضاعة أيِّ وقتٍ.  
وبطريقةٍ أو بأخرى، علينا أن نجعل سبارتان يوقف  
الحفر. انتبهي إلى ما أريدك أن تفعله: اجمعي كلَّ  
العلماء والتقنيين - من الأفراد الذين تعرفينهم أكثر من  
سواهم. العقلاء منهم، وغير العسكريين. الأشخاص  
المنطقيون الذين تستطيعين أن تثقي بهم. الأشخاص  
الذين يتمتعون بصلاتٍ جيدة. هل تحضركِ أيُّ أسماء  
الآن؟"

تردَّت قليلاً. "نعم. جين فاندربيلت، رئيس قسم  
أبحاث جغرافيا المحيطات. ثم أن هنالك..."

"هذا جيد، كلميني من جديدٍ على هاتفي الجوال  
حالما يجتمع شملهم. سأصعد إليكم، وأقوم بشرح كل  
شيءٍ عندئذٍ."

"ما الذي يجري يا بيتر؟" سأله.

"لقد توصلتُ إلى استنتاج السبب الذي يجعل الناس يمرضون في هذا المكان. ولقد قمتُ بإخبار سبارتان بالأمر، لكنه لم يصغِ إلى كلامي. وإذا لم نستطع إقناع سبارتان، فسيكون علينا إرسال رسالة إلى السطح، وأن نخبر الناس، في الأعلى عما يحدث هنا في الأسفل، وسنطلب منهم أن يمارسوا ضغوطهم على مستوياتٍ عالية. هل تستطيعين أن تفعلي ذلك من أجلي؟"

لم تجبه بأيِّ جواب.

"ميشيل، أنظري. أعرف أننا لم نكن دائماً شخصين يتبادلان النظرات وجهاً لوجه. لكننا الآن نتكلم عن سلامة المنشأة برمّتها، وربما عن سلامة ما هو أكثر من ذلك. وبما أن آيشر قد رحل، فإنني أحتاج الآن إلى مساعدة معاونه، أولئك المعاوين الذين آمنوا به، وبما يمتلكه من مبادئ وأهداف. وإن رجال سبارتان هم الآن فقط على مسافة أيام، وربما ساعات، من هدفهم. أما نحن فأطباء، وقد أقسم كلٌّ منا القسم الطبي، فعلى أن نحفظ الرجال والنساء تحت رعايتنا بعيداً عن الأذى. فإذا لم نستطع ذلك، علينا إذاً أن نبذل ما بوسعنا. هل ستساعديني؟"

"نعم،" قالت مغمّمةً.

"كم من الوقت ستحتاجين؟"

صمتت قليلاً وعيناها ترشقان النظرات حولها. "لن يأخذ الأمر وقتاً طويلاً. ربع ساعة فقط، بل ربما نصف ساعة."

عصت على شفيتها قليلاً. "إذن، سبارتان يرفض التوقف عن متابعة الحفر؟"

"أنت تعرفين سبارتان. لقد بذلتُ معه أقصى جهد."

"إذا لم يرد التوقف من ذاته، فلا أحد يمكنه أن يقنعه بالتوقف. بل علينا أن نجرب التأثير عليه." "أنظري، كلميني من جديد عندما يصبح الجمعُ جاهزاً. أيمكنك ذلك؟"

"سوف أفعل."

"شكراً لك يا ميشيل." وعاد الهاتف إلى صمته فوراً.

بعدما عاد الصمت إلى مكتبها، بقيت بيثوب برهةً جالسةً في كرسيها، من دون حراك، متأملةً في سماعة الهاتف التي كانت لا تزال في يدها لمدةٍ ربما وصلت إلى ستين ثانية. ثم أعادت السماعة ببطءٍ إلى مكانها. وكان على وجهها تعبيرُ التفكير العميق، الممزوج بالاستكانة والإذعان.

بحسب المعايير المطبقة في المنشأة، فإن الجناح المخصص للأدميرال سبارتان في الطبقة الحادية عشرة، كان يعتبر فسيحاً مريحاً. ولأن ما فيه من أثاثٍ قد جاء مترف التوزيع، فقد أعطاه هذا التنسيق مزيداً من الإحساس بالامتداد والسعة. فالغرف الإدارية، والمكتب، وغرفة المنامة، وباحة المؤتمرات، كانت كلها جميعاً منسقة بطرازٍ عسكريٍّ صارم. فبدلاً من اللوحات والرسوم، كانت الجدران مزينة بالمذكرات وأوامر الخدمة. وكان ثمة علم أميركي يتدلى قرب المكتب اللامع الصقيل. أما رف الكتب الوحيد، الموجود خلف المكتب، فكان يحتوي على العديد من الكتب الإرشادية البحرية، ومن الأبحاث المتعلقة بفنون الاستراتيجية والتكتيك. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان ثمة كوة تحتوي على بضعة كتب مترجمة - وهي النافذة الوحيدة على عالم سبارتان النفسي الخصوصي - عن نصوص قديمة أمثال: حوليات وتاريخ تاسيتوس، واستراتيجيات الأمبراطور موريس، وأخبار ثيوسيديس عن الحرب البيلوبونيزية.

وكان الضابط كوروليس قد رأى هذه الأشياء كلها من قبل. فعينه السليمة كانت قد التقطت صوراً دفيئة لكلِّ

ذلك، فيما عينه الأخرى شاردة في هيمانها الميوبي.  
أغلق الباب خلفه بهدوء، ثم تقدم إلى الأمام.

كان الأدميرال واقفاً في وسط غرفة مكتبه مديراً ظهره إلى الباب. سمع صوتاً وراءه فاستدار ليرى وجه كوروليس. هنا توقف الأخير في دهشة، لأنه رأى الآن فوق كتف سبارتان واحداً من الخوافر التي كانت قد كشفت عنها حفرياتهم. كان الكيان الغريب يطفو بهدوء في وسط فضاء غرفة المكتب، فيما ضوءه الأبيض يتجه نحو مسرب التهوية المثبت إلى سقف الغرفة المعدني. ومن الواضح أن الأدميرال كان منشغلاً في التفكير به.

فكر كوروليس أنه ليس عليه ربما أن يندهش لذلك. فلطالما، كان الأدميرال يبدو غريب الأطوار والسلوك في اليومين الأخيرين. ففي العادة، كان سبارتان يأخذ باقتراحاته بطريقة شبه آلية، وبقليل من الأسئلة. بينما في المدة الأخيرة بدأ الأدميرال يتجاهل اقتراحاته ويتجاوزها، حتى أنه يدفع إلى القيام بمهام محددة. وما كانت استجابته الأخيرة على اقتراح سوق بينغ إلى غرفة السجن سوى مثل على ذلك التصرف. ويبدو أن هذا التبدل في السلوك قد ابتدأ كله منذ الحدث الذي وقع للبلورة رقم واحد. بل لعل الأدميرال ذاته قد يكون قد وصلت إليه عدوى...

لكن كوروليس قرّر ألا يتابع هذه الفكرة إلى الاستنتاج المنطقي الذي لا بد لها من الانتهاء إليه.

أوماً سبارتان إلى كوروليس. "أجلس."

مر كوروليس قرب الخافر دون أن يعره أي اهتمام، ثم وجد لنفسه جالساً على أحد الكرسيين المحاذيين لمكتب سبارتان الضخم. أما الأدميرال فقد استدار حول

مكتبه ثم جلسَ على مقعده الجلدي الوثير.

"إن كل شيء يسير وفق الخطة،" قال كوروليس. "بل في الحقيقة، بما يتجاوز الخطة المرسومة. فبعد إعادة النظر في طريقة تنفيذ العمليات، لم يعد هنالك المزيد من المشاكل الفنية والحوادث المؤسفة. صحيح أن تشغيل الحفار بطريقة يدوية، مع التوقف عند الأمور الحساسة، قد أبطأ أعمال الحفر نوعاً ما، لكن ذلك لم يشكل عقبة، وذلك بفضل عدم وجود تداخلٍ صخريٍّ في الطبقة الرسوبية، كذلك."

رفع سبارتان كفه موقفاً كوروليس عن الكلام وهو ما يزال في وسط جملة. "هذا يكفي أيها الضابط."

شعر كوروليس بوخزة أخرى من الدهشة والعجب. لقد افترض أن الأدميرال كان قد أرسل في طلبه، كالعادة، لتقديم تقرير له عن تقدم العمل. ولكي يغطي على خيبة ظنه وحيرته، تناول ثقالة للورق من فوق الطاولة، وهي عبارة عن رقطة معدنية كبيرة كانت قد أخذت كتذكاري من الفرقاطة الحربية فيجيلانت، التي كانت قد شاركت في حرب الثورة، وأخذ يقلبها بيديه.

مضت فترة قليلة من الصمت كان سبارتان يمسد خلالها شعره الأصهب بيده السمينة. "متى تعود البلورة رقم اثنان من موقع الحفر؟"

"إن وقت وصولها المقدر هو في الساعة التاسعة تماماً." أعاد كوروليس الثقالة إلى مكانها ناظراً في ساعة يده. "أي بعد خمسين دقيقة من الآن."

"دع وحدة الاستعادة تقوم بعملها الاعتيادي بعد رجوع البلورة رقم اثنين. ثم ضع البلورة المذكورة في

مكان أمين. وقل لطاقم البلورة رقم "ثلاثة" أن ينسحبوا حتى ورود أوامري الجديدة إليهم."

تجهم كوروليس. "لست واثقاً من أنني قد سمعتك جيداً يا سيدي. هل قصدت أن تقوم البلورة رقم ثلاثة بتعليق رحلتها؟"

"هذا صحيح."

"تعلق عملها إلى متى؟"

"لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال الآن."

"ما الذي حصل؟ هل بلغت أنباء جديدة من البنتاغون؟"

"كلا."

لعق كوروليس شفثيه. "أستميحك عذراً يا سيدي، لكنني، وقبل أن أطلب من الرجال وقف أعمال الحفر، لا بد لي من أن أحصل منك على تفسير لذلك."

بدا سبارتان وكأنه يفكر في هذا الطلب. "لقد جاء الدكتور كراين لمقابلتي."

"كراين، يا سيدي؟"

"وهو يعتقد أنه قد وجد السبب الذي يقف وراء المشاكل الصحية المنتشرة عندنا."

"وماذا أيضاً؟"

"إنه يعتقد أن السبب يعود إلى إشارات تقوم بإرسالها هذه الأشياء الشاذة عن المألوف. وهو يقوم الآن بإعداد تقرير عن ذلك؛ وبعدها نقف على جميع التفاصيل."

ترىث كوروليس قليلاً. "أخشي أنني لا أدرك ما أسمع. فحتي ولو كان كراين محققاً، فما هو دخلُ سبب المرض بمسألة الحفر؟"

"في مجرى عمله البحثي الذي قام به، استطاع كراين أن يكتشف شيئاً آخر. لقد استطاع ترجمة الإشارات الغريبة."

"تقول ترجمة؟"

"وهو يعتقد أن هذه الإشارات إنما تنطوي على رسائل تحذير."

"هذا ما كان يعتقدُه آيشر أيضاً. لقد كان كراين دائماً رجل المهمات عنده. لكنهما لم يتمكنوا من الوصول إلى برهانٍ يقينيٍّ، ولو لمرةً واحدة."

نظر سبارتان نحو كوروليس نظراً فاحصاً لبعض الوقت. "ربما صاروا يملكان الآن بعض الأدلة. ومن الغريب أن يأتي الآن ذكر آيشر على لسانك. فقد تبين أن المعلومات التي كانت موجودة على ذاكرة حاسوب آيشر المحمول هي التي أنارت الطريق أمام كراين لكي يقوم باكتشاف ما اكتشفه."

"هذا أمرٌ مستحيل!" خرجت الكلمات من فم كوروليس قبل أن يتمالك نفسه لإيقافها.

"حقاً؟" صارت الآن لهجة سبارتان أطرى وأنعم. "وما هو السبب الذي يدعوك إلى قول ذلك؟"

"لأن...لأن الجهاز قد تعرّض إلى التلف بسبب الحريق. فذاك الحاسوب لا يمكنه العمل، على الأرجح."

"لقد تبين أن سبب التلف لم يقتصر على النار فقط."

فوفقاً لكرارين، لقد قام شخص ما بإزالة مغنطة القرص الصلب في الكمبيوتر أيضا. "بقيت النظرة الفاحصة على وجه الأدميرال. "لعلك لا تعرف شيئاً عن هذه الحادثة، أليس كذلك"

"بالطبع لا أعرف شيئاً عنها. ومع ذلك، يبدو أن هذا الأمر غير ممكن. إذ لا يستطيع كراين أن يستخلص شيئاً من قرصٍ صلبٍ يعود إلى حاسوبٍ قد أتلفته النيران." "كرارين حصل على مساعدة من أحدهم."

"مساعدة مَنْ؟"

"لقد أبى أن يفصح عن ذلك."

"يبدو الأمر كله شعوضة بالنسبة لي. كيف لك أن تكون متأكداً أنه لم يخترع كل هذه الرواية؟"

"لو كان هذا مقصده لما انتظر كل هذه المدة قبل أن يخبرني بذلك. كما أنني لا أجد سبباً يدعو للاختلاق الروايات لي. وفي كل حال، فإن روايته تحظى بنسبة من الاتساق تدعو إلى القلق."

تنبه كوروليس إلى نفسه بأنه بات يتنفس بسرعة. كما شعر بقشعريرة مزعجة تسري في كيانه ؛ ثم أعقبها بعد لحظة موجة من الحرارة الشديدة. وبدأ العرق يتفصد من جبينه.

جلس على كرسيه دافعاً جذعه إلى الأمام. "سيدي،" قال. "أرى أن من واجبي أن أطلب منك إعادة النظر في هذا القرار. فقد بتنا على مبعدة غطسة واحدة أو غطستين من الوصول إلى طبقة الموهو."

"وهذا هو السبب الذي يدعوني الآن إلى الحذر أيها"

الضابط.

"سيدي، أقول لك لقد صرنا شديدي القرب. ولا يسعنا أن نتوقف الآن."

"لقد رأيتَ الذي حصل للبلورة رقم واحد. لقد استلزم الوقت منا ثمانية عشر شهراً حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه الآن. ولا أريد أن أجازف بجميع جهودنا الماضية، ولا أن أعرض كل ما قد حققناه للخطر. فيوم أو يومان آخران لن يكون لهما تأثير شديد علينا."

"بل إن كل ساعة لها أهميتها وتأثيرها. من يدري ما هي المؤامرات التي تحيكها دول ما ضدنا؟ علينا الوصول السريع إلى تلك الأعماق، كما علينا أن نقوم بحصاد ما يمكننا حصاده، وبسرعة قصوى، قبل أن يكيل لنا المخربون ضربة أخرى."

"لن أسمح بتعريض هذا المشروع إلى الدمار بسبب قرارات متسرعة وبعيدة عن الحكمة والتروي."

"سيدي! "صاح كوروليس بصوت مرتفع.

"أيها الضابط!" رفع سبارتان صوته إلى درجة بسيطة فقط. لكن التأثير الزاجر كان مذهلاً. فقد أجبر كوروليس نفسه فوراً على التزام الصمت. أما أنفاسه، فقد ازدادت الآن سرعة، حتى باتت مبهورة.

وكان سبارتان لا يزال يرسل فيه نظراته المجدقة.

"لا يبدو لي أنك في صحة جيدة." قال له الأدميرال بهدوء. "إنني ملزم على الاعتقاد بأن المرض المنتشر في المنشأة، قد وجد طريقه إليك أيضاً ربما."

ومع هذا التوقع - الذي وجدته كوروليس مطابقاً تماماً

للتشخيص الذي كان يعتقد أنه هو نفسه عن حالة الجنرال - شعر بأن سورة من الغضب المفاجيء قد باتت تحتاحه. فلم يكن قد فاه قط لأحد بأي كلمة عن اشتداد نوبات الصداع عليه في الآونة الأخيرة؛ وهو يعتقد أن سببها يعود فقط إلى حالة التوتر التي يعيشها، لقد كان متأكداً من هذا السبب. شدد قبضته على ذراعي كرسيه بشيء هو أقرب ما يكون إلى ضراوة وحش.

"صدّقني، لست أقل منك توقاً إلى الوصول إلى تلك الطبقة الغربية،" تابع سبارتان كلامه. "لكننا كنا قد استقدمنا الدكتور كراين إلى هنا لسبب محدد. ولقد قمتُ أنا بالمساهمة في اختياره. والآن لا بد لي من أن أصغي إلى استنتاجاته. إنني أعتزم تشكيل فريق من كبار العسكريين العلماء لكي يقوموا بالتدقيق في استنتاجاته ومراجعتها. ويمكننا بعد ذلك متابعة العمل انطلاقاً من تلك النقطة. في الوقت الحاضر، أريدك أن ترجع إلى الدكتورة بيشوب من أجل أن تتلقى منها-

وبحركة مفاجئة كان نصفها غريزياً، ونصفها الآخر لاواعياً، وثب كوروليس من على كرسيه، واغترف الثقالة الثقيلة من مكانها فوق المكتب وقذف بها بقوة إلى صدغ سبارتان. صار لون الأدميرال أغمراً، وغار بؤبؤاً عينيه إلى الخلف بحيث لم يترك وراءهما لونا سوى البياض، ثم ما لبث أن سقط عن كرسيه منهاراً بجسده الثقيل إلى أرضية مكتبه.

وقف كوروليس فوقه يتنفس بسرعة مدة تقارب الدقيقة الواحدة. ثم بدأ يعود الهدوء إليه. أعاد الثقالة إلى مكانها فوق المكتب، ثم سوى من هندامه. نظر إلى الهاتف، ثم توقف قليلاً لاستجماع أفكاره، ثم التقط السماعة وقام بطلب رقم هاتفه.

جاء الردّ من الرتّة الثانية. "ووبورن معك."

"يا رئيس الحرس."

"سيدي!" كاد كوروليس يسمع نبرة رئيس الحراس الذين يرتدون الملابس السوداء وهو يُنصت لأوامره كمقدمة للاستجابة لها.

"لقد صار الأدميرال سبارتان في حالة ذهنية غير كفوءة. لم يعد هو نفسه. لذلك فإنني أتولّى القيادة مكانه. أطلب إليك منذ الآن أن تقيم حراساً عليه خارج باب جناحه."

"حسناً سيدي."

"كما أطلب إليك موافاتي إلى مجمع الحفر، دون إبطاء."

كان روجيه كوربيه في مكتبه يدون ملاحظات حول المريض الذي كان قد أتاه منذ قليل وهو يشكو من نوبات من الذعر، ومن رهاب الخلاء، عندما رن جرس الهاتف. وضع لوحة مذكراته الرقمية والمِرقم الخاص، جانباً والتقط سماعة الهاتف.

"الدكتور كوربيه يتكلم،" قال فوق السماعة.

"روجيه؟ أنا بيتر كراين."

"أهلاً بك يا بيتر. لعلك تتصل لتشكو شخيري الذي يتسرّب خلال حمامنا المشترك، أليس كذلك؟"

لقد قصد كوربيه بذلك إضفاء جوٍّ من الدعابة على المكالمة. لكن كراين، بشكل أو بآخر، لم يبد ميلاً للدردشة. "إنني أنتظر منذ فترة اتصالاً من ميشيل. هل لديك فكرة عن مكان وجودها؟"

"كلا. فأنا لم أرها منذ بعض الوقت."

"كان يُفترض بها أن تكلمني منذ خمس وأربعين دقيقة. وكنت قد حاولت الاتصال بها على رقم هاتفها المحمول. لكنها لم تكن على السمع. لذلك فإنني قلق بهذا الشأن قليلاً."

"سأرى ما إذا كنتُ أستطيعُ الاهتداء إلى مكانها. هل من شيء آخر أستطيع أن أساعدك فيه؟"

كان ثمة صمتٌ قصيرٌ. "كلا شكراً لك يا روجيه، حاول فقط أن تعثر على ميشيل، لو سمحت."

"سوف أفعل ذلك." "أعاد كوربيه سماعة الهاتف إلى مكانها ثم وقف وخرج من مكتبه إلى الممر الخارجي."

كان هناك أربعة أشخاص ينتظرون في ردهة الانتظار الخاصة بالمرضى. وهذه الظاهرة يحد ذاتها لم تكن أمراً مألوفاً. فالمعروف عن بيشوب تشددها بمعايير الكفاءة ودقة مستوى الخدمة. وفي العادة يندر وجود أكثر من مريض واحد في ردهة الانتظار. مشى كوربيه نحو منضدة الممرضات. وكان معاونه الطبيب النفساني المقيم، وهو شاب شديد الجدّة والالتزان يدعى برايس، جالساً بالقرب من ممرضة الاستقبال يقوم بتعبئة نموذج لطلب إمدادات طبية.

"هل لديك أيّ فكرة عن مكان وجود الدكتورة بيشوب؟" سأله كوربيه.

هزّ برايس رأسه بالنفي. "لا، بكلّ أسف."

"لقد خرجت من مكتبها منذ أكثر من ساعة." أجابت الممرضة.

استدار كوربيه نحوها. "هل ذكرتُ لأحدٍ عن المكان الذي ستقصده؟"

"كلا، يا دكتور"

حدّق كوربيه نحو ردهة الاستقبال. ثم عاد عبر الممر ذاته إلى مكتبه. فُتّش عن لائحة الأرقام الهاتفية

الداخلية، المحفوظة على ذاكرة لوحته الرقمية. ثم فتش عن رقم داخلي، ورفع سماعة الهاتف، وطلب الرقم.

"خدمات المراقبة والرصد، وولفرتون،" جاء صوت أجش عبر السماعة.

"أنا الدكتور كوربيه من الجناح الطبي، أمل منك أن تتحرى عن مكان وجود الدكتورة ميشيل بيشوب."

"هل لي بالحصول على عبارة المرور الخاصة بك يا دكتور؟"

"أعطاه كوربيه إياه. تسرب صوت معالجة المفاتيح خلال خط الهاتف. ثم تكلم وولفرتون من جديد. "إنها في هذه اللحظة، موجودة في قسم التحكم البيئي، في الطبقة الثامنة."

"قسم التحكم البيئي؟" وجد كوربيه نفسه يقول متعجباً، بصوت مرتفع.

"هل من خدمة أخرى يا دكتور؟"

"هذا كل شيء الآن، شكراً لك." وبيبء، وبتفكير عميق، أقفل كوربيه سماعة الهاتف. ثم التقط هاتفه الجوال، وتوقف أمام مكتب الاستقبال بما يكفي فقط ليُعلم الدكتور برايس أن عليه أن يكون هو الطبيب المسؤول مؤقتاً، ثم غادر الجناح الطبي.

لم تكن منطقة التحكم البيئي سوى مكان أشبه بأرض مآربة، قفراء من الناس، تتألف من مقصورات ضئيلة الإضاءة، وتقع برمتها في أقصى زاوية من الطبقة الثامنة، وكانت تملؤها الأفران، وآلات ضغط الهواء، وأجهزة التحكم في الرطوبة، والمرسبات

الإلكتروستاتية، وسواها من الأجهزة المصممة من أجل جعل الهواء في المنشأة على أكبر درجة ممكنة من الراحة والنظافة. ومع أن الأرضية والجدران كانت تنبهدير التوربينات المائية، فقد كان هنالك نسبة ضئيلة من الضجة والصخب. لذلك، فإن الصمت، المخيم على المكان قد أرخى بظله القلق على كوربيه. فتح فمه لكي ينادي باسم بيشوب، لكن شيئاً ما، في هذا الصمت المريب، دعاه إلى إعادة النظر في هذا القرار. ولذلك تقدم بهدوء عبر المقصورة الأولى، إلى الثانية، ثم إلى الثالثة.

وكانت المساحة الثالثة مليئة بمجاري الهواء المعدنية الضخمة، وبمساكب المرشحات الكبيرة، المسورة بالفولاذ، والتي ترتفع من الأرض إلى السقف. وقد كان المكان هنا يبدو أكثر عتمة حتى من المقصورات الأولى، وهكذا سلك كوربيه طريقه ببطء بين مجاري الهواء وهو يتلفت ذات اليمين وذات الشمال. لعل بيشوب قد رحلت الآن من هذا المكان؟ أم لعلّ التقني المولج بالرصد والمراقبة قد أخطأ الاعتقاد حين زعم أنها كانت موجودة أصلاً في هذا المكان الذي لا توحى هيئته أبداً بأن ثمة ما يدعو بيشوب للقدوم إليه، ثم أن... فجأة، لمح كوربيه هيئتها. كانت تركع أمام فاصل إنشائي يقع عند الطرف الأقصى من الغرفة، بحيث لا يرى منها سوى ظهرها، وكانت تبدو منهمكة بصورة كاملة بعمل شيء ما. وللحظة قصيرة، خيل إليه أنها قد تكون تقوم بعملية إنعاش لقلب مريض يعاني من أزمة قلبية. لكنه عندما ركز بصره عليها تحت الضوء الضعيف، أيقن أن ما اعتقده جسّد مريض لم يكن في الحقيقة سوى كيس من قماش خشن أسود كبير. تقدم خطوة أخرى نحوها. فعجب لأمرها لأن ساعديها كانا

يهتزان إلى الأمام والخلف، كما لو أنها تقوم فعلاً بعملية إنعاش قلب مريض. تجهم كوربيه مرتبكاً، وحاول أن يحكم من خلال النخرات الضئيلة الصادرة عنها بفعل الجهد عما عساها تفعله.

تقدم كوربيه خطوةً إضافيةً إلى الأمام. والآن صار يستطيع النظر من فوق كتفيها. كانت تقوم بصنع عجينةٍ طويلةٍ أشبه بالطين، وتقوم بتمديدها على شكل حبلٍ ثخين، ذي لونٍ أبيضٍ ضاربٍ إلى الصفرة، يبلغ طوله حوالي قدمين.

وكان هناك حبلاتٍ شبيهان بذاك الذي بين يديها قد تمَّ ضغطهما الآن إلى القاطع الإنشائي الفولاذي الذي تقف أمامه.

وقبل أن يتمكن كوربيه من الإمساك بزمام نفسه، انطلق منه صوت أنفاسٍ حادٍ. وعلى الفور نفضت شارب من يديها ذاك الحبل الذي يشبه المعجون، وقفزت واقفةً ومستديرةً لمواجهته.

"أنتِ المخرَّبةِ إذن،" قال كوربيه، بلهجة الواثق من نفسه. "أنتِ المخرَّبةِ التي حاولت من قبل أن تصدع القبة."

اتَّسعَ منخراها فجأةً، لكنها لم تغل شيئاً.

علم كوربيه أن عليه الآن أن يعمل شيئاً ما - هل يجري بسرعةٍ لطلب النجدة - لكنه شعر بالذهول، وحتى بالشلل، بفعل هذه الصدمة. "ما هذا؟" سألها. "هل هو معجون السِّمِّتكس؟"

لكن بيشوب لم تُجبه أيضاً.

بدأت الأفكار تدور في ذهن كوربيه. صحيح أنه يعرف

القليل جداً عن ميشيل بيشوب، رغم أنه قد عمل معها سوياً لعدة أشهر. ولكن مع كل ذلك، فإن ما يراه يبدو غريباً، بل مستحيلاً. لا بد أن ما يراه وهما.. لا بد أن في الأمر خطأ ما.

"ماذا تفعلين؟" سألها.

أخيراً، تكلمت. "أعتقد أن ما تراه هو أمر واضح وجلي. إن مكبح الضغط الجنوبي يقع مباشرة وراء هذا الحاجز الإنشائي."

وبشكل ما، عندما سمعها تتكلم - وبعدما سمع اعترافها بالخيانة من فمها - أفلت كوربيه من مأزقه الذهني. "إن مكابح الضغط مليئة بمياه البحر،" قال لها. "إذن، أنت تنوين تمزيق البدن، وإغراق المنشأة بمياه البحر."

تراجع خطوة إلى الوراء.

"قف مكانك ولا تتحرك." "شيء ما في صوتها جعل كوربيه يتجمد فعلاً مكانه.

"ما الذي يدعوك إلى فعل هذا؟" وفيما كان يتكلم، وضع يديه وراء ظهره، بقدر ما يستطيعه من الظهور بمظهر عفوي.

لم تجبه بيشوب بشيء. بدت وكأنها تناقش مع نفسها أمر خطواتها التالية.

وببطءٍ وتخفٍّ، سحب كوربيه هاتفه الخلوي من جيبه الخلفي. فتحه بأقصى ما يستطيعه من هدوء، ثم طلب الرقم 1231، مستعملاً حافة إبهامه. لقد كان هذا هو رقم تحويله مساعده الدكتور برايس. رقم يمكن طلبه بسرعة وسهولة من دون الحاجة للنظر. تلمس العثور

على المفتاح الكاتم لصوت الهاتف، وبعد أن وجده مرر عليه إبهامه وضغط عليه كاتماً صوت الميكروفون.

"ليس لدينا أي شيء من مادة سي فور في هذا الجانب الواقع فوق الحاجز، فكيف تمكنت من الحصول عليها؟"

زال أي تردد الآن من وجه بيشوب، فضحكت دونما طرب لهذا السؤال. "ثمة الكثير من المنتجات الطبية الثانوية التي تذهب وتجيء عبر الحوض. وأنت تعرف ذلك. والحراس ليسوا على أتم حماس للتنقيب كثيراً في أكياس القمامة الحمراء. لذلك فإنه من الممكن الحصول على جميع أنواع الأشياء بهذه الطريقة." مدت يدها في جيب معطف المختبر الذي ترتديه، وسحبت منه مسدساً.

وفيما لا يزال كوربيه مخدراً تحت وطأة المفاجأة، نظر إلى المسدس نظرة التائه، وكأنه لا يدري أنه هو المستهدف. كان السلاح سلاحاً صغيراً قميئاً، وله نسيج غير اعتيادي وكاتم للصوت، مثبت عند فوهته. وكان على وشك أن يسألها كيف استطاعت تسريب المسدس عبر أجهزة كشف المعادن. لكن الجسم اللامع عند الفوهة، كان قد أعطاه تفسير ذلك. فهو مصنوع من مركب البوليمر والسيراميك الباهظ الثمن والمحظور.

"إذا قمت بإغراق المنشأة فستموتين أنت أيضاً،" قال لها.

"سوف أجعل توقيت انفجار الصاعق بعد عشر دقائق. خلال ذلك الوقت، أكون قد بلغت الطبقة الثانية عشرة، واتجهت نحو سفينة الهرب."

هزَّ رأسه. "لا تفعلني ذلك يا ميشيل. لا تقومي بخيانة بلدك بهذه الطريقة. لست أدري لمصلحة أيِّ دولة تعملين، لكن لا شيء يستحق منك أن تفعلني ذلك. ليس هذا من الصواب في شيء."

أسودَّ وجهه ببشوب فجأة. "ما الذي يدعوك للاعتقاد أنني أعمل لمصلحة دولة أجنبية؟" سألته بشراسة. "بل ما الذي يدعوك إلى الاعتقاد أنني أعمل لمصلحة أيِّ حكومة، من الأساس؟"

"أنا -" بدأ كوربيه جملته، ثم سكت مدفوعاً إلى الوراء تحت وطأة انفجار غضبها السريع.

"لا يسوغ للولايات المتحدة أن تضع يدها على ما هو موجودٌ تحتنا. لقد برهنت أميركا، مرة تلو المرة، كيف أنها تقوم بإساءة استعمال القوة المعطاة لها. لقد حصلنا على القنبلة الذرية، فماذا فعلنا بها؟ في غضون ستة أشهرٍ فقط، قمنا بتدمير مدينتين تدميراً شاملاً،"

"إنك لا تستطيعين مقارنة ذلك مع -"

"ماذا تعتقد أن أميركا ستفعل بالتكنولوجيا الموجودة هنا تحتنا؟ لا يمكن أن تؤتمن أميركا على مثل هذا النوع من القوة."

"تقولين تكنولوجيا؟" سألتها كوربيه في حيرة صادقة. "عن أيِّ تكنولوجيا تتحدثين؟"

ومثلما ابتدأت فورة عنفها بسرعة، كذلك انطفأت فجأة. لم تجبه ببشوب على سؤاله بل اكتفت بهزَّ رأسها بغضب.

اخترق الصمت صوتٌ ذكوريٌّ حادٌ.

والآن، ولأول مرة أحسَّ كوربيه بخوف حقيقي يطبق على كيانه الحيوي فعلاً. ففي غمرة حماوة النقاش بينه وبينها، نسي أن يبقي إبهامه فوق زرِّ كتم الصوت، في هاتفه الخلوي.

تصلَّبت تعبيرات بيشوب من جديد. "دعني أرى يديك."

ببطء، رفع كوربيه يديه. وكان الهاتف الخلوي في يده اليمنى.

"أنت.. ! "وبحركة مفاجئة، سريعة كأفعى متوثبة للهجوم، صوّت بيشوب مسدسها نحوه وضغطت على الزناد.

انبثقت نفحةٌ من الدخان، وانطلق صوتٌ يشبه العطاس، بشكل لافت، تلاه شعورٌ بالم فظيع حارق انفجر في صدر كوربيه. كما أن قوة دافعة هائلة قذفته إلى الوراء، ليصطدم بغلاف مروحة طاردة للهواء الفاسد. سقط إلى الأرضية يتغرغر بدمه، وتبَّز أنفاسه أزيزاً. كان ذلك للحظاتٍ فقط، قبل أن تلعغه غيمة سوداء لا يستطيع لها مقاومة. لقد رأى، في غير وضوح، كيف قامت بيشوب بالدوس على هاتفه الخلوي بوحشية، قبل أن تركع من جديد لمتابعة عجن المتفجرة، ولصقها خارج جسم الحاجز الإنشائي المعدني بكلِّ ما تستطيعه من سرعة.

## 48

دخل كراين إلى المصعد، وضغط على الزرّ رقم واحد. وحتى قبل أن يغلق باب المصعد، كان يحرك قدميه في قلة اصطبار.

ما الذي دعا ميشيل بيشوب للإبطاء هذا القدر من الوقت ؟

لقد مرّ الآن على مكالمته لها زهاء ساعة ونصف. وقد قالت له في حينه إن الأمر لن يتطلب منها أكثر من نصف ساعة من الوقت لكي تقوم بجمع العلماء له.

هل سارت الأمور على نحو خاطيء ؟

أخيراً تعب من إراحة قدميه في المستوصف المؤقت، وقرّر أن يقوم بجولة أخرى لإقناع الأدميرال سبارتان. ينبغي عليه أن يحاول من جديد، لأن الرهانات كانت كبيرة جداً، بحيث لا يسعه أن يتغاضى عن إعادة المحاولة. فكل شيء يحدث معه - حتى ولو كان شجاراً - أفضل بكثير من مجرد الاستكانة والقفود.

وحالما انفتحت أبواب المصعد من جديد، خطر له خاطرٌ جديدٌ. خرج من المصعد، وأخرج هاتفه الخلوي من جيبه، وطلب خدمات المقسمّ الهاتفي.

"هل أستطيع مساعدتك؟" سأله صوتٌ أنثويٌّ  
حياديٌّ.

"نعم، أريد التحدث مع شخص يدعى فاندربيلت.  
حين فاندربيلت، في قسم بحوث جغرافيا البحار. وليس  
بحوزتي الآن أي دليلٍ للهاتف."

"لحظة واحدة، سوف أصلك به."

وحالما مشى كراين بنشاطٍ بضعَ خطواتٍ في الممر  
الأحمر الباهت، رنَّ هاتفه الخلويُّ بصوتٍ مسموع، عدة  
مراتٍ، ثم سُمع صوت رجل يقول: "قسم بحوث جغرافيا  
المحيطات. فاندربيلت معك."

"الدكتور فاندربيلت؟ هنا بيتر كراين."

مرَّ صمتٌ قصير. "أنت هو الدكتور كراين، صحيح؟  
رجل أيشر."

"هذا صحيح."

"إن فقدانه خسارة عظيمة."

"هل اتصلت بك ميشيل بيشوب؟"

"الدكتورة بيشوب؟ لا، ليس مؤخراً."

توقف كراين مصعوقاً. "لم تتصل بك؟ وهل كنتَ  
موجوداً في مختبرك طول الوقت؟"

"نعم، إنني موجود في مختبري منذ عدة ساعات."

بدأ كراين يمشي من جديد، لكن ببطء أكثر هذه  
المرة. "إصغ إليّ يا دكتور فاندربيلت. ثمة شيء ما  
يحدث هنا. ولكن أستطيع الحديث عنه معك على الهاتف.  
سوف أكون بحاجة إلى مساعدتك، كما إلى مساعدة

زملائك من كبار العلماء."

"ما الأمر؟ هل هناك طارئ طبي عاجل؟"

"تستطيع أن تسميه كذلك. سأخبركم بالتفاصيل بصورة شخصية مباشرة. وكل ما أستطيع قوله في الوقت الحاضر هو أنه أمر يتعلق بسلامة المنشأة بكاملها، بل ربما بسلامة ما هو أكثر من المنشأة."

مرت فترة صمت أخرى. "حسناً، وماذا تريد مني أن أفعل؟"

"اجمع زملائك من كبار العلماء معاً بأقصى ما يمكنك القيام به من سرعة وهدوء. وعندما تنتهي من هذا الأمر، اتصل بي من جديد."

"قد يتطلب الأمر بضع دقائق. كما أن بعضهم موجود في القسم المصنّف."

"إذن اتصل بهم بأسرع ما يمكن. قل لهم ألا يذكروا شيئاً عن ذلك لأحد. صدّقني، الأمر بالغ الأهمية يا دكتور فاندربيلت، وسوف أشرح لك الأمر حالما نلتقي."

"حسناً يا دكتور." صار صوت فاندربيلت بطيئاً و متفكراً. "سأرى ما إذا كان بوسعني أن أجمع جماعة منهم في مركز المؤتمرات، القائم في الطبقة الثانية عشرة."

"كلمني علي رقم هاتفني الخلوي، تجده في دليل الهاتف. وسوف أضعه حالاً." أقفل الخط، ثم قام بتثبيت هاتفه الخلوي في جيب معطفه الأبيض. إذا خرج سبارتان من هذه المحنة مقتنعاً، فإنني سأكتفي بأن أقول لفاندربيلت أن كل شيء قد جرى حله على سلام، دار في ذهنه.

رأى أمامه مدخل مجمع الحفر ذي الأبواب المزدوجة. ولشدّ دهشته، لاحظ كراين أن الأبواب في هذا المكان، لم تعد محروسة من رجال المارينز كما كانت عليه الحال من قبل، بل يقوم على حراستها الآن رجلان من الشرطة العسكرية بثيابهما السوداء، وهما مسلحان ببندقيتين من طراز: M16. وعندما اقترب منهما، رفع أحدهما يداً طالباً منه الوقوف. دفع العميل في بطاقة التعريف الخاصة بكراين في عناية شديدة، ثم تراجع إلى الوراء، فاتحاً أمامه أحد البابين.

كان المجمع يعجّ بالحركة. توفّف كراين في مكانٍ لا يتعدى المدخل، وهو ينظر حوله. كان جنود المارينز وسواهم من العملاء الذين يرتدون اللباس الرسمي الأسود، يتمركزون في النقاط الاستراتيجية. وكان التقنيون، وطواقم الصيانة، يتحركون بنشاط في أنحاء العنبر المزدحم. أما التركز الأعظم للحركة والنشاط، فكان يأخذ مجراه في منتصف العنبر، حيث توجد واحدة من البلوريتين المتبقيتين، وهي معلقة من كلابة رافعة روبوتية. أما السقالة الليزرية فقد كانت تقف بالقرب منها في حالة جهوز.

وكانت مكبرات الصوت تحشرج. "إنتباه،" جاء صوتٌ مشدّبٌ مجزوء. "البلورة رقم ثلاثة، تبدأ الغطس بعد عشر دقائق. على ضباط الإشراف على الغطس، الالتحاق بأماكنهم."

أخذ كراين نفساً عميقاً. ثم بدء بالسير في واتجاه البلورة، حيث كان الفريق المؤلف من ثلاثة أشخاص - يلبسون ثياباً بيضاء مميزة - يحيط به التقنيون. فإذا لم يكن سبارتان قريباً من هذا المكان، فلا بد أن شخصاً ما،

قد يستطيع أن يدلّه إلى الاتجاه الصحيح للاهتداء إليه...

وحالما اقترب، استدار أحد أعضاء الفريق لكي ينظر إليه. توقف كراين في دهشة، إذ إنه تعرّف فوق ياقة البذلة البيضاء التي أمامه على الوجه المخدّد والشعر الأبيض المجعد للدكتور فلايت.

اتسعت حدقتا فلايت حينما رآه، ففصل نفسه عن الفريق واتجه نحو كراين.

"دكتور فلايت،" قال كراين. "ما الذي يجعلك ترتدي هذا الزي؟"

ردّ فلايت إليه النظرة، فبدت ملامحه الدقيقة، الشبيهة بملامح طائر عتيق، منسحبة ومتوترة. "لم أكن لأرغب في ارتداء هذه السترة - لا.. لا! فوظيفتي هي إصلاح الذراع، وتحسين الذراع، وتعليم الآخرين عن أسرارها لا أن أباشر استخدامها بنفسي. لكنه قد أصرّ عليّ، 'ومن الصعب معاكسة آلهة الأولمب'!" نظر وراء كتفه خلسة، وخفض صوته. "يجب أن أكون موجوداً هنا، أمّا أنت فعليك أن تغادر. وكما قلت لك سابقاً. كل شيء ذاهبٌ إلي الخراب."

"يجب أن أجد -" بدأ كراين جملة. ثم سكت فجأة لأن شخصاً ما، كان يقترب منهما: إنه الضابط كوروليس. وبدهشة جديدة أيضاً، رأى كراين أن كوروليس هو الآخر، يرتدي سترة القفز البيضاء التي يلبسها طاقم البلّورة.

"عدّ إلى البلّورة،" أمر كوروليس الرجل العجوز، ثم أدار عينه الشاحبة، الحولاء إلى كراين. "ما الذي تفعله هنا؟" قال له.

"إنني أبحث عن الأدميرال سبارتان."

"إنه غير متوفّر الآن." بدا كوروليس وكأنه قد استغنى عن الحاجة إلى سلوكه السابق المنافق، المتظاهر بالمظهر المدني المتحضّر. أمّا الآن، فإن نبرة صوته، وتعبيراته، وأخلاقه ذاتها، قد باتت تتمّ عن عدوانية وارتياب.

"يجب أن أكلمه."

"هذا غير ممكن،" ردّ كوروليس بحدّة.

"وما هو السبب؟"

"لقد أصابه إنهيار عصبي. وقد تولّيت أنا مقاليد القيادة."

"إنهيار عصبي؟" أيكون هذا هو السبب الذي شغل بيشوب عنه؟ لكن حالما خطرتْ بباله هذه الفكرة، ما لبث أن طردها من ذهنه. فلو كان رئيس المنشأة قد عانى من أيّ نوع من النوبات أو الانهيار، فإن كوربيه، أو أحد مساعديه الأطباء، أو حتى بيشوب نفسها كانت ستقوم بإعلامه بمثل هذا الأمر.

وهذا معناه شيء واحد فقط: لا أحد من الطاقم الطبي قد جرى إعلامه بمثل ذلك.

قرعت نواقيس الخطر في رأس كراين. وفجأة أيقن كم قد صار موقعه الحاليّ خطيراً.

"انتباه،" جاء صوتٌ من مكبّر الصوت. "يبدأ الآن إدخال أعضاء الفريق إلى البلورة. وعليّ فريق سيدّ الفتحة، التحضّر لعملية استعادة جسم البلورة والتحقّق من سلامتها."

"لا تقوموا بهذا "سمع كراين نفسه يقول.

تجهم كوروليس. "لا نقوم بماذا؟" كانت عيناه مزترتان بلون أحمر، أما صوته، الذي يكون في الأحوال العادية خفياً، فقد كان هذه المرة عالياً، ومبهور الأنفاس.

"لا تقم برحلة الغطس هذه."

"سيدي!" نادى عاملٌ من العاملين في محطة المراقبة، على كوروليس.

استدار كوروليس نحوه. "ما الأمر؟"

"شخصٌ ما، يريد التحدث إليك. إنه برايس الطبيب المقيم في الجناح الطبي."

"قل له إنني مشغول."

"سيدي، إنه يقول أن المسألة في غاية الأهمية -"

"تلك" - وهنا أطلق كوروليس ذراعه، ماداً يده كالخنجر في اتجاه البلورة رقم ثلاثة - هي الشيء الهام الوحيد في اللحظة الراهنة."

"حسناً جداً يا سيدي." أغلق الرجل الهاتف، وعاد إلى أدواته.

استدار كوروليس نحو كراين. "ولم ترى أن عليّ ألا أقوم برحلة الغطس هذه؟"

"إنها رحلة شديدة الخطر. إنها مهمة بالغة الحماقة."

تقدم كوروليس منه خطوة أخرى. وكانت حبات العرق تتفصد من جبينه ومن صدغيه. "لقد سمعتُ عن نظريتك البائسة. أتعلم ماذا أعتقد يا دكتور؟ أعتقد أنك

أنت مصدر الخطر. فأنت تمثّل خطراً على المعنويات، بل أنت خطرٌ على هذه الرحلة بالذات.

حدّق نحو كراين للحظة أخرى طويلة. ثم استدار فجأة نحو اثنين من جنود المارينز. "هوسكينز! مينانديز!"

هَبَّ الجنديان إلى الانتباه. "نعم يا سيدي!"

أشار كوروليس إشارة عنيفة بإبهامه نحو كراين. "هذا الرجل هو تحت الاعتقال العسكري. وعندما تبدأ البلّورة في مهمتها بأمان، ويُسمع نداءً بإخلاء المكان: خذاه إلى السجن وأقيماً حارساً عليه يقف خارج زنزانه."

وقبل أن يتمكّن كراين من الاحتجاج، مشى الضابط كوروليس قافلاً نحو البلّورة رقم ثلاثة، حيث كان الدكتور فلايت المبتئس ورفيقه الآخر في الفريق، قد دخلا إلى جوف البلّورة الفضيّ.

## 49

اضطجع روجيه كوربيه في بركة من دمه الحار تكتنفه سحابة من الألم. كان يخيل إليه تارة أنه في حلم، وتارة أخرى أنه قد مات فعلاً، وأنه بات يعوم في ظلمة لا نهاية لها من الاندثار. كانت الأفكار والمشاعر والعلاقات كلها تتأرجح جيئة وذهاباً، دون أن يكون له، حسبما بدا الأمر، سلطان عليها. وقد تكون قد مرت دقيقة، أو ربما عشر؛ فلم يكن له علم بذلك. كان هنالك شيء واحد فقط متأكد منه. وهو أن عليه ألا يسمح للشخص الكامن بقربه والذي يحمل مسدساً، أن يعتقد أنه لا يزال حياً.

صار الألم شديد الحدة الآن: لكن الألم كان حميداً، ذلك لأن من شأنه أن يساعده على مقاومة الارتخاء الذي استمر يجره نحو الهاوية جرّاً.

وبينما هو مضطجع هناك، شعر بوخزة من الندم. فموعد الغرامي عند الساعة الثالثة سيطول انتظاره. وقد تكون حبيبته في انتظاره الآن، تدق بأسفل نعلها وتنظر نحو ميناء ساعة يدها. لقد كانت على الدوام ناجحة في إدارة غضبها، لكن ما يبدو للأسف هو أن...

عاد الإعياء يحوم حوله من جديد، فاستسلم لأحلامه السوداء. وفي أحد هذه الأحلام، ألقى نفسه غطاساً

يسبح حتى عمق بعيد. وها هو السطح الذي يعوم فيه الآن مجرد ضبابية من النور الضعيف البعيد في الفضاء. وها هي رثاه تنفجران كلما شقَّ طريقه سباحة إلى الأعلى، بأقصى سرعة يستطيعها، لكن طريقه ما تزال بعيدة..

أجبر نفسه على الصحو من جديد. وكان شبح الشخص الرابض في الزاوية قد أنهى عمله.

نهضت من الظلمة واستدارت نحوه، وكانت عيناها تلتمعان قليلاً تحت الضوء القادم من الحجرة المجاورة. أمسك كوربيه أنفاسه واستلقى دونما أيِّ حراكٍ، أما عيناه بالذات فقد كانتا مجرد شقين طوليين ضيقين. تركت كيسها ملقى في المكان الذي هو فيه، ثم قامت باتخاذ خطوة نحوه، ثم أخرى. ثم توقفت من جديد. كان ثمة لمعانٌ أغبشٌ لماسورة المسدس المصوب نحوه.

فجأة استدارت عنه بعنفٍ. وبعد لحظة، سمع كوربيه ذلك أيضاً: أصوات تُسمع بشكل ضعيف فوق أنين ماكينات ضغط الهواء.

أصوات أخرى - إثنان علي الأقل، وربما أكثر - يجب أن تكون اخترقت المقصورة الأولى من مقصورات التحكم البيئي. جلب الأمل المفاجيء إليه مقداراً من الوضوح، مما ساعده على تهدئة حواسه المترجرجة. إن مناورته قد نجحت، وها هو برايس يمدّه بالنجدة.

صارت الأصوات أكثر اقتراباً منه.

وقفت فوق رأسه، والمسدس جاهز في يدها، ثم انزلت داخل الثغرة التي تقود إلى المقصورة المجاورة. فتح كوربيه عينيه أكثر قليلاً فشاهدها تحدّق باحتراس

حول الزاوية. وكان الخط المنحني لشعرها، وماسورة مسدسها يلتصقان تحت هالة الضوء الصفراء. ثم تسللت من خلال الفُرجة إلى مقصورة أخرى، وتكومت خلف أحد التوربينات، ثم غابت أخيراً عن أنظاره.

لكن الأصوات استمرت، رغم أنها لم تعد تقترب نحوه. لقد خمن أنهم ما زالوا عند المقصورة الأولى في مكان ما، بين بيثوب وبين المخرج الرئيسي من منطقة التحكم البيئي. ومن الكلمات القليلة التي استطاع التقاطها، بدا له أنهم من عمال الصيانة، وهم يقومون بالكشف على واحدةٍ من قطع المعدات التي لا تعد.

ومعنى هذا أن النجدة لم تصل - حتى الآن على الأقل - ولعلها لن تأتي أبداً.

أخرج كوربيه إحدى يديه، وحاول أن يُنهض نفسه إلى وضعية الجلوس، لكن كفه انزلقت على الأرض التي يسيل فوقها دمه. حربةٌ حادةٌ من الألم شكته في صدره. فعضَّ على شفته العليا بوحشية ليمنع نفسه من البكاء.

بقي في مكانه يتنفس تنفساً ضحلاً، صابراً على الألم، علّه يخفّ عنه بشكل ما، ثم زرع قدميه في الأرضية المعدنية، ودفع نفسه إلى الأمام ببطء في اتجاه الفاصل الإنشائي البعيد.

كان زحفه البطيء عذاباً موحجاً. اقترب قدماً واحدة، ثم قدمين، ثم ياردة. وكانت الفقاعات الدموية تغرغر في عمق حنجرتة. أما قميصه ومعطفه فقد انتقعا بالدم تماماً وصارا يعملان عمل حبل السحب الذي يشدُّ به إلى الوراء ويزيد في تقدمه ببطئاً. وعند منتصف الطريق إلى الحائط البعيد، توقف قليلاً عندما بدأ الشعور

بالإغماء يكتنف كيانه من جديد. لكنه لم يكن ليستطيع الانتظار طويلاً، لأنه أيقن أنه لو فعلَ ذلكَ لما استطاع معاودة التقدم أبداً. ومرةً جديدةً، زرع قدميه في الأرض وأجبر نفسه على التقدم إنشآتٍ قليلة في كل مرة عبر الأرضية.

وأخيراً، اصطدم رأسه بالجدار البعيد. وبنشيج من الألم، رفع نظره إلى الأعلى. فرأى فوقه تماماً الحبال الأربعة الثخينة من السِّمْتَكْسِ ملصوقةً على الفاصل الإنشائي المعدني في خطوط أربعة متوازية. وفي كل حبلٍ منها، كان ثمة صاعقٌ مفجِّر.

مركِّزاً قوّته، رفع كوربيه ذراعه مفتشاً عن أقرب الصواعق إليه. ثم قام بسحبه من الشحنة المكوّنة حوله. ألم حارقٌ ملأ صدره مرةً جديدةً فسقط لاهثاً. وكان يستطيع أن يسمع تقطر الدم من مرفقه ومعصميه، فوق الأرض العارية.

ومن وضع الانبطاح الذي هو فيه، قام بفحص الصاعق، فاستطاع أن يرى في غير وضوح، بطارية، وساعة توقيت، ولوحين رقيقين من معدن، يفصل بينهما رقاقة معدنية، ولفة من الألياف البصرية. كل شيء كان منمنماً. كان يعرف القليل فقط عن المتفجرات، لكنها بدت كما لو أنها مجرد ثغرة مؤخرية للوقت. فعندما يصل جهاز التوقيت إلى حده، تنفجر الرقاقة كهربائياً فينقل اللوحان الصدمة الأولية إلى الشحنة الناسفة.

وضع المفجِّر بأقصى ما يستطيعه من لطفٍ، على الأرض. لقد قالت إن المدة ستكون عشر دقائق. خمن أنه ربما لا يزال أمامه أربع أو خمس دقائق.

هناك ثلاثة صواعق متبقية لا بد من سحبها.

استجمع قواه ورفع ذراعه من جديد حتى تمكن من الوصول إلى الصاعق الثاني، حيث تمكن من نزعها - حريصاً على عدم التسبب عرضاً بإيصال الموقت إلى غايته - ثم سقط على الأرض بثقله من جديد.

وكان الألم في هذه المرةً أشدَّ سوءاً من ذي قبل، حتى أنه كاد يدخل في غيبوبة ثانية. صار الدم يغلي في حنجرتة، فشرق دمه وسعل. ومرت دقيقة استطاع بعدها استجماع ما يكفي من القوة للاستمرار في عمله.

كانت الشحنة الثالثة فوق مستوى قدرته على الوصول. ثبتت كعبه في الأرض مرة جديدة ودفع نفسه على الأرض حتى صار قريباً. ثم عقف يده إلى الأعلى للمرة الثالثة، ساحباً الصاعق، ومحزراً، ومجتذباً إياه إلى الورا، نحو الأرض.

صار الألم الآن شديد الحدة بحيث أنه لم يعد يعتقد أنه قد يستطيع أن يقوم بالخطوة الرابعة الأخيرة. اضطلع في الظلمة مكافحاً جهد استطاعته للبقاء واعياً، عن طريق الإصغاء لطنين الأصوات المنخفضة. لقد بدا القوم منهمكين في جدلٍ لانهاية له حول مسألة هندسية تافهة.

كم تراه قد بقي له من الوقت ؟ دقيقة واحدة ؟ أم دقيقتان ؟

تساءل أين قد تكون يبشوب بالضبط في هذه الأثناء. فمما لا شك فيه أنها كانت لا تزال تتلطي وراء ماكينة ما، وهي تصغي في غير اصطبارٍ إلى هذه الثرثرة

الدائرة، علّها تنتهي، فتستطيع أن تتحرك وأن تتابع طريقها إلى حيث تستطيع الهرب بسلام.

ما الذي يمنعها من إطلاق النار عليهم ؟ خصوصاً أن المسدس مزوّد بكاتم للصوت ؟ لعل هناك سبب وحيد فقط: فهذا السلاح الهجين ليس له سوى مخزن صغير قد لا يتسع سوى لرصاصة أو رصاصتين. وهي لا تستطيع تجاوزهم لأنهم قد يفضحون لعبتها ويتسببون في إحباطها. فما زال أمامها الآن فرصة للهرب، ولكن ليس إذا جاء شخصان إضافيان وبدءا في صيحات المطاردة.....

كلا. لن تجازف بتجاوزهم، بل قد ترجع من جديد إلى شحنة السمتكس لكي تقوم بتعديل التوقيت الموجود في ساعة كل من الشحنات، لعلها تشتري بذلك لنفسها بعض الوقت الإضافي.

أيقن أن انشغاله في مهمته، وبآلامه، قد منعه من التفكير قبل ذلك في هذا الاحتمال. فقد تعود إلى حيث كانت، وفي أي لحظة.

أعطى الشعور المستमित لدى كوربيه إيماناً متجدّداً له. وفي آخر مدّخرات قواه، أدار ذراعه إلى الأعلى مرة جديدة فأطبقت يده على الصاعق الرابع والأخير.

وما إن فعل ذلك حتى ظهر له شبح شخص قادم من الثغرة الواقعة في المقصورة الثانية. عندما شاهدته، دمدت بشتيمة ثم قفزت إلى الأمام.

انتفض كوربيه في بغتة ويأس. وبينما فعل ذلك، انقبضت أصابعه معاً، بشكل لا إرادي، فسُمع صوت

مقرقِعٌ ثم نَفْحَةٌ بَسِيطةٌ من الدخان الذي انبعث من الصاعق - مرَّت برهَةً معلقةً من الزمن لم تدم سوى جزء ضئيلٍ واحدٍ من الثانية، إلا أنها بدت بالنسبة إلى كوربيه وكأن الزمن يجري، ويجري، ويجري. ثم، وبصرخةٍ عنيفةٍ لا يمكن تصورها، بدأ كأن الدنيا تتمزق إرباً في يوم قيامةٍ قوامه النارُ والفولاذُ والماء.

"لقد تم إقفال الأبواب الخارجية، "جاء صوت رتيب يذيع عبر الميكروفون. "تم تفعيل جهاز إقفال الضغط. البلورة الثالثة في الخط الأنبوبي. الوقت المقدر لها للغوص في السطح البيني: تسع عشرة دقيقة، وثلاثون ثانية."

ومن الزاوية البعيدة، كان بيتر كراين يراقب المشهد في غضب وإحباط، في الوقت الذي بدأ فيه ونش<sup>١٥</sup> روباتي<sup>١٦</sup> - وقد تحرر الآن من حمله - يتحرك بعيداً عن المحبس المائي ليعود إلى مكان ركونه. وبينما كان يجري العمل على إحكام سدّ البلورة بكل دقة وعناية، ثم يجري إنزالها من خلال المحبس المائي، نظر كراين حوله إلى الطاقم البشري لمجمع الحفر، محاولاً أن يتصيد من أحدهم نظرة تعاطف، أو إيماة مختلصة من طرف خفي، أو أي شيء آخر، قد يؤخذ على أنه إشارة إلى وجود شريك له محتمل. لكنه لم ير أي شيء من هذا القبيل. فالمهندسون والتقنيون والجهاز البشري الداعم لهم كانوا يتابعون أعمالهم الروتينية، وكل يشغل نفسه بالحركات العادية التي ترافق مناسبة رحلة غطس البلورة. وهكذا لم يبد أن ثمة واحد ممن هم حوله يكثر لأمره.

وعدا عن ذلك الزوج من الجنود البحارة، الواقفين

عند كتفيه، كان كلُّ شيءٍ هادئاً، ولم يحفل به أحدٌ سوى أحد حارسيه، الذي لكزه قائلاً: "حسناً يا دكتور، دعنا نتحرك من هنا."

وبينما كانوا يسيرون في اتجاه الأبواب التي تقود إلى ممرات الطبقة الأولى، تنزل على كراين إحساس بأن كل ما يدور حوله هو وهم. فكل ما كان يشهده، كان يتخذ مساراً منحرفاً يشبه المنطق المنحرف للأحلام. هل هو الآن فعلاً يُقتاد إلى السجن بواسطة جنديين من المارينز؟ هل تراهم لا يزالون يحفرون في اتجاه نيل العقاب المحزن؟ هل أن كوروليس قد تسلّم فعلاً زمام الإمرة في المنشأة؟

#### ◆◆◆◆ كوروليس

"أنتما لا تريدان أن تفعلوا بي ذلك،" قال في صوتٍ خفيض إلى رجلي المارينز. لكن استجابتهما اقتصرت على فتح الأبواب المزدوجة أمامه ودفعه خلالها.

"ليس الأدميرال هو الذي لا يصلح للقيادة،" تابع كلامه بينما كانوا يتابعون السير في الممر. "بل هذا ينطبق على الضابط كوروليس."

لم يسمع أيَّ جواب.

"هل تلاحظان امتناع وشحوب لون جلده؟ هل لاحظتما جفاف جسمه، وشدة تعرقه؟ لقد التقط المرض المنتشر في هذا المكان. إنني طبيب ولي خبرة في ملاحظة هذه الأشياء."

تشعب الممرُ أمامهم. فقام أحد المارينز بلكز كتف كراين بعقب بندقيته. "استدر إلى اليمين."

"لقد رأيتُ الكثير من الحالات الطبية منذ وصولي

إلى هذه المنشأة. وكوروليس يمثل حالة نموذجية عن هذه الحالات المرضية.

"سيكون من الأفضل لك لو قمتَ بإقفال فمك." قال له الجندي.

نظر كراين نحو الجدران الحمراء الباهتة، وأبواب المختبرات المقفلة. فعادت به الذاكرة إلى رحلته الإلزامية السابقة، تحت الحراسة المسلحة التي كان سبارتان قد أشرف على اقتياده فيها، والتي أسفرت عن معالجة أموره، وجعله مؤهلاً للعبور إلى المنطقة المصنفة. في ذلك الوقت لم يكن ليعرف إلى أين وإلى أي مصير يجري اقتياده. أما الآن، فإن الوضع يبدو مختلفاً. وهكذا، فإن إحساسه بأنه يسير في وهم قد نما وتعاضم.

"لقد كنت عسكرياً مثلكما،" قال لهما. "فأنتما عسكريان قد أدبتما القسم على خدمة بلادكما. وكوروليس رجل خطر وغير متزن. وبتقبلكما الأوامر منه، فإن عملكما هذا ليس أفضل من -"

هنا هوى الجندي بعقب بندقيته على كتف كراين بطريقة أشد عنفاً من المرة السابقة. خرَّ كراين على ركبتيه فيما ارتجت رقبته إلى الأمام في ألم.

"مهلاً عليه يا هوسكينز،" قال له رجل المارينز الآخر بصوت أجش.

"لقد أرهقني طول لسانه،" قال هوسكينز.

رفع كراين نفسه عن الأرض، ومسح يديه محدقاً نحو هوسكينز بعينين ضيقتين. وكانت لوحة كتفه لا تزال تؤلمه من أثر الضربة.

أوما إليه هوسكينز بفوّهة بندقيته. "تابع سيرك."

تابعوا السير في الممر، واستداروا يساراً فظهر المصعد قبالتهم. وصلوا إلى المصعد، فضغط هوسكينز على زرّ الصعود. فتح كراين فمه يريد محاورتهما بالمنطق من جديد. لكنه عدل مفكراً أنه من الأفضل له صرف الجهد عن هذه المحاولة. فلعل أحد الحراس في السجن أكثر ميلاً إلى الاستماع للمنطق..

بهمسٍ خفيفٍ، انفتح باب المصعد.

وفي اللحظة نفسها، سُمع دويٌّ انفجارٍ هائلٍ من مكانٍ ما بعيدٍ في الأعلى. بدت المنشأة برمتها كأنها تنتفض عن مكانها للحظةٍ وجيزةٍ. خفت الأنوار، ثم توهجت، ثم خفت من جديد. ثم كان انفجارٌ ثانويٌّ هزّ البناء بعنفٍ لا يوازيه إلا هزُّ الكلب للجرذ. وبصريفٍ تكاد تنشق له الآذان، وقعت قطعة رمادية معدنية من مواسير التهوية من السقف، مصيبة هوسكينز، ومسمرة إياه على الأرض.

تصرف كراين دون تفكيرٍ مسبقٍ واع. سدّد نحو حارسه الثاني ركلة على ركبته، كقبلة بإعاقته عن النهوض، ثم دخل إلى المصعد وضغط على أزراره دونما تمييز، ومثلما شاءت له الصدفة. تمزق معطفه الأبيض إثر علوقه بشبك معدني، فوقع هاتفه الخلوي من مكانه منزلقاً بسرعة على وجه الأرضية المعدنية.

أضيت الآن أنوار الإضاءة الاحتياطية الطارئة، فاستطاع أن يرى في ضوءها هوسكينز وهو يجاهد للتمكن من النهوض إلى وضع الجلوس. وكان الدم النازف من جرح في فروة رأسه يفيض فوق أنفه وفمه. لكنه كان قد استعاد وضعية الوقوف الآن، وكان على

وجهه تعبيراً كالحج. بدأت أجراس الإنذار ترسل رنينها المنذر، من مسافات بعيدة. لكن الجندي رفع بندقيته إلى مستوى الكتف و بدأ بالتسديد نحو كراين. اختفى كراين من جديد خلف باب المصعد الذي كان ينغلق حين مرت الرصاصة بقربه.. ثم اكتمل انغلاق الباب. وشعر كراين بالمصعد يتحرك به صعوداً.

هرع غوردون ستامبر، وهو ميكانيكيٌّ من الطراز الأول، على سلم الدرج نزولاً، من الطابق التاسع، درجتين درجتين. وكانت حقيبة العدة الصفراء، والثقيلة مشدودة إلى ظهره وكتفيه، وهي تحتوي على الكلابات، والراديو المحمول، ومعدات أخرى مشكوكة إلى حزامه البلاستيكي المشدود إلى وسطه، وقد كانت جميعها ترسل حترقةً مع كل قفزة يقفزها الرجل على الدرج. أما بقية فريق الإنقاذ، فلم يتأخر أيضاً في احتذاء حذوه، حاملين مؤونات من الأكسجين، والضمادات القطنية، والفؤوس، وسواها من المعدات المكملة لها.

فالنداء الذي وصل إليهم عبر أقنية الإنذار والاستغاثة قد أوضح الأمر بأن هذا الإنذار حقيقيٌّ، وليس على سبيل المناورات التدريبية. ومع كل هذا، فإن ستامبر لم يكن متأكداً. وإنه يبدو من الجليّ أن شيئاً ما كان قد حصل بالفعل. فلقد كان هنالك ذلك الانفجار المرّوع، والانقطاع القصير للطاقة الكهربائية. لكن الأنوار كانت قد عادت، ولا يبدو أن المنشأة الآن في وضع سيّءٍ يثير القلق. لكنه كان شديد اليقين أن ليس ثمة قوَى قد رتبت هذا الحدث كي تمتحن مدى جهوزية فرق الإنقاذ. فكبار الضباط لا يدخرون وسيلة لغذف الكرات إلى

مرمى الرجال المدنيين الذين يلتحقون بخدمة الجيوش.  
فتح الباب المؤدي إلى الطبقة الثامنة. فقابله ممر<sup>١٥</sup>  
فارغ من الحركة، فيما أبواب الغرف، إلى جانبه، كلها  
مقفولة. ولم يكن في ذلك ما يثير الدهشة. فنهاية وقت  
نوبة العمل كانت تقترب، ومعظم الإداريين والباحثين  
والعاملين في هذه الطبقة هم الآن في مكان آخر  
يتناولون وجبة سريعة في مطعم الباحة المركزية، أو  
يعقدون اجتماعات لتقديم التقارير في غرف  
الاجتماعات، في الطبقة السابعة.

كان الميكروفون المتصل بالراديو المحمول على  
ظهره موصولاً إلى حمالات قميصه. ضغط على زرّه  
بواسطة إبهامه. "من ستامبر إلى فريق الإنقاذ رقم  
واحد."

فرقع الراديو. "فريق الإنقاذ رقم واحد، حوّل."

"نحن في الطبقة الثامنة."

"علم، حوّل."

أطفا ستامبر جهاز الراديو بشيء من الاكتفاء  
الصارم. كان شديد التأكد هذه المرة من أن أحداً لن  
يستطيع التشكي من التأخر في الاستجابة للنداء. لقد  
وصل الاتصال منذ أربع دقائق فقط، وها هم الرجال  
حاضرون في الميدان.

كان هدفهم هو منطقة التحكم البيئي التي تقع  
على الطرف الآخر من هذا الطابق. نظر ستامبر إلى  
فريقه المنتشر حوله، متأكداً أنهم جميعاً حاضرون  
وجاهزون. ثم أعطى إشارة الانطلاق.

وكان كلما أمعن فكره في الأمر ازداد ميله إلى

الاعتقاد أن كل ما في الأمر هو مجرد مناورة اختبارية كاذبة. فالنداء كان واحداً فقط - وهو نداء مشوش متناقض، وقد انقطع الاتصال في وسطه، وكان المستغيث يتحدث عن تخريب، وعن الماء. وقد كان هذا الهراء بادياً وسخيفاً. فالجميع يعلم أن ثمة قبة واقية تفصل بين المنشأة وبين مياه شمالي الأطلسي، وأن المسافة الواقعة بينهما، هي فضاء جاف ومضغوط الهواء. فإن لم يكن الأمر كله مجرد مناورة فقط، فإن المشكلة لن تعدو أن تكون مشكلة ماسورة مياه مكسورة. لكن هذا الطابق مأهول بالعلماء والبيروقراطيين الميالين إلى الإغماء والإستغاثة من الذئب لمجرد رؤيتهم لأول نقطة من الرطوبة.

تقدموا في الممر والمعدّات فوق ظهورهم ترسل طقطقة، ثم توقفوا عندما بلغوا نقطة انشعب فيها الممر إلى شعبتين، يمينا ويسارا. فالشعب الأيسر يقود إلى القطاع الإداري، وهو عبارة عن شبكة معقدة من المكاتب والممرات الضيقة. أما باستدارتهم نحو اليمين، والاتجاه عبر مختبرات البحث، فإنهم يستطيعون الوصول إلى منطقة التحكم البيئي بطريقة أسرع، ثم -

سُمعت الآن فرقة معادن من اتجاه المختبرات، تبعثها جلبة أصوات مدعورة. توقف مصغياً. كانت الأصوات خفيضة، لكنها بدت تشتد اقتراباً.

كوبَ يداً فوق جانب فمه ونادى. "يا هووو!"

توقفت الأصوات.

"نحن فريق الإغاثة!"

استؤنفت الجلبة المتوترة، والآن سمع ستامبر

صوت وقع أقدام هاربة. استدار إلى الوراء نحو فريقه مشيراً بيده في ألاتجاه الذي تأتي منه الأصوات.

وعندما انعطفوا عند الزاوية، إلى داخل منطقة الأبحاث، وقع نظر ستامبر عليهم: كانوا خمسة أو ستة علماء يهرعون في اتجاهه، وكان ثمة فزعٌ وحشيٌّ في عيونهم، أما ثيابهم ومعاطفهم البيضاء فقد كانت في حالة شعناء. وكانت بينهم امرأة في منتصف عمرها تبكي بكاءً خفيضاً. أما قائدهم، وهو رجلٌ طويلٌ نحيلٌ، ذو شعرٍ أشقر، فقد كانت ثيابه نصف منقوعة بالماء.

حوالي خمسين قدماً في عمق الممر الذي يقع وراءهم كان صمام منع تسرب المياه قد أقفل إقفالاً محكماً.

خطا ستامبر إلى الأمام بينما كانت المجموعة الهاربة لا تزال قادمة. "أنا غوردن ستامبر، قائد الفريق،" قال في صوتٍ صادرٍ عن صاحب سلطة. "ما هي المشكلة عندكم؟"

"يجب أن نخرج من هنا. علينا جميعاً أن نخرج!" قال الرجل في صوت مبهور. ارتفع الآن عويل المرأة.

"فقط أخبروني بالضبط ماذا --"

"ليس هناك وقت لطول الشرح! "قاطعته الرجل، وكان صوته عالياً ومتقطعاً، بل واقعاً عند حافة الهلع. "لقد قمنا بإقفال جميع الصمامات التي تمكنا من إقفالها، لكن الضغط شديدٌ جداً. فالصمامات لن تستطع الصمود طويلاً، وقد تنفجر من ثانية لأخرى -"

"تمهّل قليلاً" قال له ستامبر. "تمالك نفسك، وقل لنا ما الذي حصل."

استدار الرجل إلى بقية العلماء. "تستطيعون الصعود إلى الطبقة التاسعة بأسرع ما يمكنكم."

لم تكن الجماعة الهاربة المرعوبة لتحتاج إلى المزيد من التشجيع على الهرب. فدون أي كلمة أخرى، اندفعت الجماعة من بين فريق الإنقاذ وضاع أفرادها في عمق الممر، متجهين نحو بيت الدرج.

راقبهم ستامبر وهم يهربون، وكان على وجهه تعبيرٌ جامد الشعور. ثم استدار من جديد، ناحية الرجل الأشقر. "دعنا نسمع منك الرواية."

ابتلع الرجل ريقه، وبذل جهداً واضحاً لكي يتمالك أعصابه. "كنت في الممر الذي يقع خارج مختبر السونار المختص بزلزالية البحار. وكان لدي اجتماعٍ لنهاية فترة المناوبة، لهذا فقد كنت أحاول التأكد من غرفة الاجتماع الصحيحة قبل الاتجاه إلى الطبقة السابعة. ثم كان هذا... " هنا تلعثم صوته، ومسح فمه بظهر كُمه. "هذا الانفجار الضخم الذي أوقعني أرضاً، وأنا فاقد الرشيد. وعندما نهضت رأيت... جداراً من الماء يُغرق أرجاء منطقة التحكم البيئي التي تقع عند طرف الممر. وكان ثمة دماء في تلك المياه، كما كان فيها أشلاء بشرية. كثيرٌ من أشلاء الأجساد البشرية."

ابتلع ريقه مرة جديدة "هرعتُ أنا وأحد زملائي إلى الفتحة الخارجية التي تؤدي إلى منطقة التحكم البيئي وأغلقتها تماماً. ثم رجعنا إلى الممر نفحص المختبرات ونجمع كلَّ من نجده فيها، وبينما كنا نغادر، انفجرت الفتحة التي كنا قد أغلقناها، وبدأت المياه تتسرب وتُغرق مختبرات الأبحاث. قمنا عندها بإقفال الفتحات الداخلية الواقعة في منطقة الأبحاث بينما نحن نتراجع.

لكن الضغط شديدٌ جداً، وستنفجر هذه الصمامات بدورها في أي لحظة، ثم أن -"

فجأة، ضاع صوت الرجل تحت وطأة هدير هائل آتٍ من المساحات البعيدة.

أجفل العالم، وندّت عنه صرخة ذعر صغيرة. "هل ترون؟ لقد انهار الحاجز! علينا أن نخرج، أخرجوا من هنا الآن!" ثم استدار وأطلق ساقيه في اتجاه بيت الدرج.

راقبه ستامبر وهو يتراجع. ثم بكلّ تروٍّ، أشعل جهاز الراديو الذي يحمله من جديد. "من ستامبر إلى وحدة الإنقاذ رقم واحد."

"وحدة الإنقاذ رقم واحد، إن إشارتك واضحة جداً."

"خذوا علماً بأننا قد التقينا بموظفين منسحبين من قسم الأبحاث. إنهم ينسحبون عبر بيت الدرج B2. المعلومات المستقاة من الطبقة الثامنة تشير إلى وجود تخريب واسع النطاق في جوار منطقة التحكم البيئي."

كان هناك توفُّف. "هَلَّا أعدتَ علينا الجملة الأخيرة من فضلك؟"

"إنه عمل تخريبي واسع النطاق. أقترح عليكم أن تقوموا بإفعال الشبكة بكاملها، وأن تقوموا بإرسال فرق لاحتواء التخريب وتأمين هذه الطبقة."

حدث توفُّفٌ قصير آخر. "هل عاينت هذا الأمر بنفسك؟"

"كلا"

"لطفاً عاين الأمر بالعين المجردة وقم بإعلامنا."

"عِلْم، حَوْل. " تَبَّآ.

حَدَّق ستامبر في الممر، في اتجاه الفتحة المقفلة. لم يكن متوتراً، لا ليس بالضبط، فلقد قام بتنفيذ هذه المهمة، في مناوراتٍ عدة. وكان من الصعب أن يرى في الأمر كله أكثر من روتين، حتى في هذه اللحظة. لكن كان ثمة شيء يتعلق بذلك الذعر الذي يشع من وجوه جماعة العلماء، شيء يتعلق بالخوف العاري الذي كان يُقرأ في عيني الرجل الأشقر...

استدار نحو فريقه. "هيا بنا."

ولكن ما أن تلاشت كلماته، حتى بات مدركاً لصوتٍ آخر يأتي من مناطق الأبحاث الممتدة أمامه: أنين خفيض، وغرغرة، وصوت اندفاع لم يكن قد سمع بعد، مثله، في حياته. وتعاظم حجم الصوت الآن فجأة فانتصب الشعر على رقبتة.

ودون دراية منه تقريباً، أو وعي، وجد نفسه يتراجع خطوة إلى الوراء.

"ستامبر؟" نادى أحد أعضاء فريق الإنقاذ، من ورائهم.

ثم، وبما يشبه صرخة حيوان، انخلعت الماسكات التي تؤمن ثبوت غطاء الفتحة من بذورها، واحدة بعد أخرى في انفجارات أشبه ما تكون بطلقات مسدس. وانفجرت بوابة السدِّ عن حجيرتها كأنها سدّادة فلين لقارورة مضغوطة. واندفعت نحوهم كتلة من الماء تزيد وتهدر.

وللحظة، حدَّق ستامبر وهو متجمِّدٌ تحت وطأة المفاجأة والذعر.

كانت الطريقة التي وثبت فيها المياه نحوهم في جوع وحشي، أمراً مربعاً بحد ذاته. التهمت كتلة الماء كل ما وجدته أمامها في هسيسها المندفع، وصخبها المبتلع. لم يكن قد دار قط في خلد ستامبر أن صوتاً مثل هذا يمكن أن يصدر عن المياه. وكان لونها رهيباً، لون أسود وأحمر وغامض. ولها رغوة وزبد بلون الدم، وترمي رذاذاً ضبابياً مخيفاً. كان عنف المياه وثورتها مرعبين، وكذلك كان منظر الأشياء وهي تنبثق من كتلة الماء التي تغلب الكراسي، وطاولات المختبر، والأدوات، وأجهزة الكمبيوتر، وأشياء أخرى لم يكن يهتم لتمييزها أو النظر إليها. أما الرائحة فقد عبت في أنفه: رائحة نحاسية، مالحة، باردة كانت - بما توحى به من أعماق داكنة كالحبر - تزيد منظر الماء المخيف، هولاً على هول.

..

.. ثم أفلت من وطأة السحر التي تسمّره في مكانه، لحظة، فإذا به يدحرج نفسه رأساً على عقب، مع بقية أفراد الفريق في اندفاعهم للوصول إلى بيت الدرج، والإفلات من الرعب المندفع، المهول وراءهم.

وكان جهازه الراديو يفرقع، لكن أني له الوقت للاكتراث بذلك. كان هناك صوت اصطكاكٍ عنيفٍ خلفهم، عندما تمكن واحدٌ من فريق الإنقاذ أن يصفق باب الفتحة المؤدية إلى الممر الخلفي، وأن يثبت ماسكاته. أما ستامبر فلم يعد ليضيّع ثانية واحدة، حتى للالتفات ورائه. لقد كان باستطاعتهم إفعال عدد لا بأس به من مثل هذه الفتحات لو شاؤوا. ولكن في نهاية الأمر، فإن ذلك لم يكن ليعدّل من النتيجة شيئاً، لأن الموقف الآن قد بات شديد الوضوح؛ لم يعد هنالك من سبيل من أي نوع لإفعال الشدخ، أو لتأمين سلامة الطابق الثامن.

جري كراين في ممرات الطبقة السادسة في أقصى ما أمكنته الجرأة من الإسراع. وعند كل تقاطع كان يبطن من سيره. فإذا تجاوز التقاطع، عاد إلى الجري من جديد. وكانت القاعات هادئة: فلم يصادف سوى عامل تنظيفات يدفع عربة، وعالمان يتهامسان بصوت خفيض. وكائناً ما كان ذلك الصوت الضخم الذي سبق وأن اهتزت له المنشأة بكل تلك الشدة، منذ دقائق قليلة، فإنه لم يكن ليتسبب هنا سوى بالقليل من الانتباه. فصفارات الإنذار تم إسكانها، ولم يكن ثمة قلق بادٍ فوق الوجوه التي يصادفها.

وأمامه الآن، يقع الجيب الذي يحتوي على مختبر الفيزياء البحرية التطبيقية. توقف قليلاً خارج الباب، نظر خلفه نظرة امتدت إلى آخر الممر: فوجد أنه ما زال مقفراً. أما المختبر نفسه، فقد بدا ساكناً. فتح الباب، وانزلق بسرعة إلى الداخل.

كانت هوي بينغ تقف إلى جانب طاولة المختبر. "أين كنت؟" سألته. "كنت متأكدة من أن حادثاً حصل لك. ثم كان ذلك الانفجار الذي سمع منذ برهة..."

"إنني آسف يا هوي، فقد كنت محتجزاً. كيف جرت

الأمور معك هنا؟"

"لقد كانت هادئة قبل الدقيقة الماضية." منحته ابتسامة حزينة. "ولكن في واقع الحال، لم يذهب الوقت هدرًا. فخلال انتظاري، أعتقد أنني قد تمكنت من فكِّ شيفرة تلك الرسالة الأولى، الرسالة الآتية من تحت طبقة الموهو. وعندما ترى -"

"ليس هنالك الآن وقتٌ لهذا. علينا بالخروج من هذا المكان، وبسرعة. إذ لا بدَّ أن الكاميرات الأمنية قد التقطت صورتي الآن."

"تقول الكاميرات الأمنية؟ ما الذي حدث؟"

"كوروليس هو الحدث الجديد. لقد تسلَّم إمرة المنشأة."

"وماذا عن سبارتان؟"

"يعلم الله وحده ماذا حلَّ به. ثم إن الأمور تزداد سوءًا: إن كوروليس يصرُّ على متابعة الحفر بحسب الجدول المقرر. ويبدو أنه مهووس بفكرة متابعة الحفر، التي باتت تستحوذ عليه. فقد وصلت به الأمور حتى إلى ركوب البلورة رقم ثلاثة بنفسه. وأعتقد أن المرض قد بدأ ينال منه، هو الآخر. وعندما حاولتُ أن أثنيه عن عزمه، أمر باعتقالى."

"ماذا تقول؟"

"لقد تمكنتُ من الإفلات قبل أن يلقي بي في السجن. لكن علينا الذهاب إلى الطبقة الثانية عشرة. لقد رتبت لجمع بعض من كبار العلماء، وهم الآن مجتمعون في مركز المؤتمرات هناك. أنوي أن أوضح كل شيءٍ لهم: سأشرح لهم عن عملية الحفر، وعن

اكتشافات أيشر، وعن كوروليس، وعن كل شيء. علينا أن نوصل كلمة إلى السطح، وأن نحصل على انتباه الناس الذين يستطيعون أن يضعوا حداً لهذا الجنون - " توقف عن متابعة الكلام فجأة. " سُحِقاً " . قال ذلك، وارتخت كتفاه.

نظرت إليه في تعجب صامت.

"إن المسألة تتعلق بحاجز العبور،" شرح لها.

ففي اندفاعه وتعجُّله، كان قد نسي أمر حاجز العبور بين المناطق العليا وبين المناطق السفلى السرية المصنَّفة. فإذا كان من المحتمل أن يكون الحراس لا يزالون يتابعون البحث عن هوي، فمن المؤكد أنهم الآن ناشطون في البحث عنه أيضاً.

" اللعنة!" وجد نفسه يدق قبضة يده بعنف فوق طاولة المختبر وسط إحباطه. "لن نستطيع المرور عبر حاجز العبور."

استدار لينظر في وجه بينغ. لكن ما رآه في وجهها أذهله. صارت عالمة الكومبيوتر شاحبة الملامح قليلاً. لا بدَّ أنها لم تنسَ أمر عقبة الحاجز الأمني... أم تُراها قد سهت مثله عن هذه المسألة ؟

"ماذا يدور في ذهنك؟" سألها.

وعندما أجابته، فإن جوابها جاء في صوتٍ مستدق. "ثمة طريق آخر. طريق محتمل. إنها فتحة الخروج الطارئ، الموجودة في الطبقة الثانية."

"تقولين مخرج الطوارئ؟ مخرجٌ من المنشأة؟" فجأة تذكر كراين تلك الأدراج التي كان قد شهدها

بعينه، وهي أدراجٌ ملتصقةٌ بالجسم الخارجي للمنشأة. وقد كان ذلك عندما عبر الممرَّ الضيق لكي يلاقي "الحوض".

"وهل هذا الطريق محروس؟" سألها.

"لا أظنُّ ذلك. إن الفتحة لا تعمل إلا باتجاه واحد. وإذا عبرتها إلى الخارج، فلن تستطيع العودة من خلالها إلى الداخل. لهذا، لا يوجد داعٍ أمنيٍّ لحراستها لأن الداخل إلى المنطقة المصنفة، لا بد له من العبور عبر الحاجز الأمني، كما أن قلةً من الناس تدري بوجود هذا الطريق. والسبب الوحيد الذي جعلني أعلم بوجوده هو لأنه موجود في مناطق الصيانة، الواقعة تحت مختبري مباشرة."

صمت لثانية واحدة فقط. "إذن هيّا بنا لنذهب."

لحق كراين بينغ حالما بدأت تترسّم الطريق التي كانا قد سلكاها من غرفة مختبرها في وقت سابق من هذا النهار. هل حقاً أن سبع ساعات فقط كانت قد مرّت على ذلك الوقت؟ فكّر في سرّه بمرارة. إذ قياساً على كل ما قد اكتشفاه، منذئذٍ، وعلى الأحداث التي طرأت على المنشأة، فإن الأمر يبدو وكأنما أجيالاً كاملة قد مضت.

عندما وصلا إلى بيت الدرج، بدءا في الهبوط بهدوءٍ و حذرٍ، متوقفين قبل الوصول إلى كل منبسطٍ منه، للتأكد من أنهما لا يزالان وحيدين، غير مراقبين. تجاوزا الطبقة الثالثة، وكانت جلبة ارتطام الأواني من مطبخ المنطقة السفلى جليّة. ثم هبطا طبقة أخرى. وضعت هويّ يدها على قضيب الخروج، أخذت نفساً عميقاً ثم دفعته دفعة أدت إلى انفتاحه.

نظر كراين إلى الخارج، فرأى أمامه ممراً قصيراً ينتهي بشُعبين متقابلين. وكان بينهما، وبين المنعطف، جماعة من الرجال الذين يرتدون معاطف المختبر، وقد كان الرجال يقفون عند باب مكتب كُتب عليه: جغرافيا الطبقات والترسُّبات. وعندما شعروا بأن باب بيت الدرج يفتح، التفتوا بنظراتٍ فضولية.

شعر كراين أن بينغ تميل إلى التردد. "تابعي سيرك"، قال لها في صوت خفيض. "مُرِّي بهم وتجاهلي أمرهم."

خرجت بينغ إلى الممر. وتبعها كراين بقدر ما استطاع من عفوية، مكتفياً بالإيماء في اتجاههم لحظة المرور بهم. لم تكن وجوههم مألوفة لديه، وأمل ألا يكون أحد منهم قد شاهده في مجمع الحفر، عندما تم وضعه قيد الاعتقال. كان لا بدَّ له من إرغام نفسه على عدم الالتفات إلى الورا. لكن ما طمأنه قليلاً هو عدم سماعه لخفق نعالٍ تتبعه، ولا صرخات تنادي عليه للتوقف.

وعند بلوغها التقاطع، انعطفت بينغ نحو اليسار، مارةً بسلسلة من المختبرات الصغيرة والمكاتب. ثم توقفت فجأة.

"ما الأمر؟" سألتها كراين.

ودون أن تقول أي كلمة، أشارت بيدها على مبعدة ما يقارب عشر يادرات إلى الأمام. كان ثمة كاميرا أمنية مركبة في السقف.

"هل من طريق آخر بديلٍ؟" سألتها.

"أجل، لكنه طريق شديد الإلتواءات، وقد تكون فيه كاميرات أيضاً."

فكّر لحظة. " وهل هو بعيدٌ عن مكاننا؟ "

" لا، إنه وراء الزاوية التالية. "

" حسناً إذن، أسرعى ما استطعت. "

تأبعا السير حثيثاً إلى الأمام خافضين رأسيهما لحظة مرورهما بالكاميرا. انعطفت بينغ من جديد، ثم توقفت عند باب رماديٍّ، ففتحت الباب ودخلت.

وجد كراين نفسه داخل مستودع للمعدات. كانت الأدوات والآليات الخفيفة جميعها موضوعة فوق رفوف معدنية عميقة تتدرج من الأرض إلى السقف. قادت بينغ الطريق إلى مؤخرة المستودع، حيث يوجد باب ثقيل لا يحمل إشارة.

" ساعدني في فتح هذا الباب، " قالت له.

تمكنا، بعد جهد كبير، من دفع المزالج الأربعة الثقيلة، ثم فتحا الباب. وكانت وراءه فسحة صغيرة ضئيلة الإضاءة، لم تكن منارة سوى بمصباح أحمر داخل حجرة. وكان ثمة كوة أخرى هنا، إلا أنها مستديرة وأكثر صغراً وثقلاً، ولها آلية فتح أوتوماتية. وكان يوجد فوقها إشارة تحذير كتب عليها ما يلي: " مخرج للطوارئ فقط، لا يمكن الدخول من جديد. "

وضع كراين يده على البوابة فإذا بها باردة ورطبة. ومن ورائها جاء صوت هدير ضعيف، لم يستطع أن يميزه.

كانت بينغ تتنفس خلفه أنفاساً سريعة. " هل أنت جاهزة؟ "

هزت رأسها. " لست واثقة أنني أستطيع ذلك. "

"بل عليك أن تفعلي. إنها فرصتنا الوحيدة لتحاشي المرور في الحاجز الأمني. فإن حظك هو أكبر بكثير في الطبقة الثانية عشرة بين زملائك العلماء، وبعيداً عن المنطقة المصنّفة. فلو بقيت هنا، فإن المسألة لن تكون سوى مسألة وقتٍ أي إلى أن يتمكن رجال كوروليس من العثور عليك، ثم يودعونك السجن."

استجمعت شتات أمرها. "حسناً، هيّا بنا."

عندما دفعت بينغ الكوة المقفلة وراءهما، قام كراين بإزاحة بوابة الخروج عن طريق وضع يديه على عجلة ذات مقابض عمودية، فأدار العجلة

بعكس عقارب الساعة. وبعد دورة أو دورتين، قفز الباب عن مكانه بنفحةٍ من الهواء.

وكان ثمة صندوق تحكّم صغير قرب الكوة، وفي زرٍ وحيدٍ أحمرٍ مكتوب عليه 'تعشيق'. نظر كراين نحو بينغ فأومات له. ضغط على الزرّ فبدأ جهاز التحكم بالعمل على سحب الكوة نحو الداخل في اتجاههم.

أضفى صوت الهدير المفاجيء زيادة على مهابة الموقف. ثم جاءت رائحة نفاذة لماء البحر، وللماء الآسن، يحملها الهواء الشديد البرودة.

وخلفهما - في الغسق الغريب لداخل القبة - كانت مصطبة ضيقة، لا تزيد مساحتها عن أربعة أقدام مربعة. ارتقى إليها كراين بسرعة، مساعداً بينغ على اللحاق به. و عندما اطمأن إلى وجودها معه بسلام على ظهر المصطبة، استدار إلى الوراء.

فإذا به يتجمّد من فرط المفاجأة وعدم التصديق.

"نحن على مسافة ست دقائق فقط عن السطح  
البيني يا سيدي"

"شكراً لك يا دكتور رافرتي،" ترحح الضابط  
كوروليس على مقعد القيادة الضيق، وهو يوميء  
برأسه علامة الرضا. كما ألقى نظرة استحسان في  
اتجاه مهندس رحلة الغطس. فالرجل لم يكن شديد  
الولاء له فحسب، بل كان أيضاً واحداً من كبار العلماء  
العسكريين الموجودين في المنشأة، وهو عالم فيزياء  
بحسب حقل اختصاصه. لقد انتقاه كوروليس لهذه  
المهمة شخصياً لأنه رجلٌ يُعتمد عليه مئة بالمئة.  
فأفضل المواهب فقط هي ما يجب أن تُستخدم في  
هذه الرحلة الخاصة للغوص.

كانت الغطسة رقم 241 تسير في مسارها نحو  
الأعماق سيراً حسناً، ولا يبدو أنه سوف يكون هناك أي  
منغصاتٍ هذه المرة.

نظر كوروليس نحو أجهزة القيادة من جديد. فقد كان  
قد تدرب على هذه الأجهزة في غرفة التدريب بالمحاكاة  
الإلكترونية أكثر من عشر مرات. وفي كل حال، لم تكن  
هذه الأجهزة لتختلف كثيراً عن تلك المستعملة لقيادة

الغواصات. لذلك، كان يستبعد حصول أي مفاجآت.

وبينما كان يتفقد مؤشّرات القياس، إذ به يشعر بوخزة من الألم في صدغيه. أجفل فجأة: إذ لو أنه توقع ذلك، لكان قد تناول شيئاً من عقار التايلانول قبل ركوب البلّورة. استقام في مقعده طارداً عنه التفكير بالألم. فليس لأيّ صداد أن يحوّل انتباهه عن هذه اللحظات، ولا أن ينكدها عليه.

استدار نحو رافرتي. "ما هي حالة مجسّ التحسس ؟"

"اللوحة تشير إلى اللون الأخضر، يا سيدي."

"رائع."

"كان التحذّر في الماء يسير سيراً منتظماً، أشبه بسير عقارب الساعة. ولم يبق أمامهم سوى دقائق قليلة حتى يصلوا إلى منطقة الوسط البيني للحفر. ثم وبشيء من الحظ، فإنهم قريباً... قريباً..."

تكلم مع رافرتي مجدداً. "هل تحققت من صدق ما ورد على الشاشة ؟"

"نعم سيدي، فالتقارير الآتية من المجسّ في الرحلة الأخيرة التي قامت بها البلورة رقم إثنان تشير إلى أن الطبقة المحيطية قد باتت مخترقة إلى أقصى درجات الاختراق."

أقصى درجات الاختراق. إذن، لقد فعلوها. لقد ثقبوا ثالث وأعمق طبقات قشرة الأرض.

لا، لن يكون هناك مفاجآت. ما عدا المفاجأة التي هي الأهم على الإطلاق: الكنوز والثروات المخزّنة

تحتهم الآن مباشرة. عند نقطة انقطاع موهو.

فكائناً من كان الذي قال إن ثمن الحرية هو اليقظة المستدامة، إنما هو محق في ما ذهب إليه من قول. لكن كوروليس يعلم أن هذا القول يعني أكثر من ذلك بكثير. إذ لا يكفي أن يكون المرء متيقظاً، بل عليه أيضاً أن يحسن التصرف، وأن يبادر إلى اقتلاع الأشواك. فإذا أزلت المناسبة، كان على الإنسان أن يقفز إليها، وأن يغتزم الفرصة الكامنة فيها، مهما كانت الحوائل والصعوبات. وها هي أميركا تقف دون سواها كقوة عالمية عملاقة وحيدة باقية، بينما يقف العالم بأجمعه، إما بدافع الغيرة، أو بدافع الحقد، صفاً واحداً ضدها، على أمل رؤيتها تسقط وتنهار. فالحكومات العدوانية تستنزف دماء أميركا عبر ميزان التجارة اللامتكافىء، بينما تضاعف عدد أفراد جيوشها، وتحديث ما لديها من أسلحة للدمار الشامل. وفي مثل هذا المناخ الذي يبعث على الاستماتة، فإن الواجب يقتضي منه، ومن زملائه، أن يعملوا كل ما بوسعهم لضمان استمرار قوة أميركا، ودوام تفوقها.

فالنادي النووي بات كبيراً، وعضويته آخذة في الازدياد. والرؤوس النووية لم تعد وحدها كافية للتهديد وحفظ الهيبة، أو حتى لمجرد الدفاع عن النفس. والمطلوب الآن شيء جديد تماماً، شيء تكون قوته مرعبة حقاً بحيث يحفظ لأميركا مكانتها لأزمان مستقبلية غير محدودة.

وهذا كله لا يعني سوى المبادرة إلى الاستئثار بالتكنولوجيا - باستعمال كل الوسائل الممكنة والضرورية - وبامتلاكها، وذلك من أجل البقاء في مقدمة الركب. وهذه التكنولوجيا ترقد الآن تحتهم في هذه

البقعة. إنها تكنولوجيا قادرة على بثّ الرسائل حتى من تحت قشرة الأرض. بل هي تكنولوجيا قادرة على تخزين خزانات لا تنضب من الطاقة، في مجرد رقاقة متقرحة اللون.

لذلك فإن فكرة رفض مثل هذه التكنولوجيا، أو التخلي عنها، هي فكرة لا يمكن أن يتخيلها المرء، أو أن يتقبلها عقله. لأنها لا تعني سوى أن يأتي شخص ما سواه لامتلاكها ووضع اليد عليها.

"بقي أمامنا أربع دقائق"، قال رافرتي.

"حسناً." نقل كوروليس نظره بين المهندس وبين ثالث ركاب البلورة، الرجل العجوز ذي الشعر الثلجي الأشعث. الدكتور فلايت، الرجل الذي لا يكاد ينطق بكلمة. عبس كوروليس. إن وجود هذا الرجل في المنشأة كان أمراً أملتُهُ الضرورات المؤسفة: فكونه مرجعاً لا يُعلى عليه في علم السيبرنيات، وصنع النماذج، قد جعله الشخص الوحيد القادر على اختراع الأذرع الروبوتية المعقدة، التي تقوم البلورة باستخدامها. وقد يكون هذا الرجل بالغ العبقرية حقاً، إلا أنه سيء السمعة بسبب غرابة أطواره وانطوائه، وقد كان على الدوام يمثل عيباً أمنياً من وجهة نظر كوروليس. ولهذا السبب كله، فقد تم الاحتفاظ بهذا الرجل سراً على ظهر المنشأة، وذلك رغم إرادته، بشكل أو بآخر. فقد بدا أن هذا هو الحلُّ الصحيح، ليس لأن ذلك يمنع هذا العجوز المهذار عن الكلام مع من لا يجب عليه أن يكلمهم فحسب، بل لأن حضوره أيضاً في المنشأة يعني أنه يستطيع القيام بصيانة وتحسين الأذرع الروبوتية، وأن يقوم بتدريب الآخرين على طريقة استعمالها المعقدة.

تزعج كوروليس في مقعده. لقد اختار أن يصطحب  
فلايت معه في هذه الرحلة بالذات، مثلما اختار أيضاً  
رافرتي، لأنه أراد أن ينتقي لها أفضل العناصر البشرية.  
ومن ثراه يكون أفضل لتشغيل أدوات التحكم في الذراع  
الروبوتي من مخترعه بالذات؟

نبضة أخرى من آلام الصداع سرّت في صدغيه. لكن  
كوروليس استجمع كل ما عنده من إرادة لتجاهل أمرها.  
إذ لا يسعه أن يدع شيئاً يقف عقبة بينه وبين إكمال هذه  
الغطسة، ولا أن يسمح للضعف البشري أن يعيقها.  
فعناك حدث جليل الأهمية على وشك أن يتحقق.

وقد كان وجوده، في هذه الغطسة بالذات، أمراً  
مناسباً بصورة مطلقة لكي ينجز الاكتشاف بنفسه.  
ففي نهاية الأمر، لا يمكن الوثوق بأيّ كان. فالأدميرال  
سبارتان قد برهن عن ضعف وعجز خطيرين جداً. فهذا  
الوقت ليس وقت الليونة، والتوقف أمام الآراء المتحرّرة.  
وقد أبدى سبارتان في المدة الأخيرة كثيراً من الميل  
إلى هاتين الآفتين معاً، وذلك عندما فكر في تأخير  
المضيّ في إدارة دفعة عملية حسّاسة وبالغة الخطورة،  
مثل هذه.

ففي الأيام الأخيرة، بات واضحاً إلى كوروليس أن  
الأدميرال سبارتان لم يعد جديراً بالقيادة - بدءاً من  
الشعور بالمباغته، وحتى بالحيرة والارتباك لوفاة آيشر -  
ذلك الرجل الذي كان يشكّل العائق الأكبر في طريق  
تقدّم المشروع واندفاعته. وقد كان ذلك الحادث هو  
الإشارة الأولى على ضعف سبارتان. ثم هنالك حزنه  
الذي يزري بالرجولة بسبب ما قد حصل للبلّورة رقم  
واحد. وهو حادث ليس في حقيقة الأمر سوى خسارة  
من خسائر حرب. أما ثالثة الأثافي التي لا يمكن

احتمالها، فهو إصغاء الأدميرال إلى النصائح السامة الخائنة التي فاه له بها بيتر كراين.

وكان مجرد تذكر كراين كافياً لبعث العبوس والتكدر إلى سحنة كوروليس. فلقد أيقن أن كراين لن يكون سوى مثير للمتاعب، وذلك، منذ لقائه به للمرة الأولى في الجناح الطبي. أما مراقبته لمنطقة سكن الأطباء، وتنصته على المكالمة الطويلة بين آيشر وكراين، فما زادت قناعته عن الأخير إلا رسوخاً. كل هذا الكلام الجبان عن الخطر، وعن إلغاء المهمة... أما القيام شخصياً بمحو الذاكرة عن القرص الصلب لحاسوب آيشر، وعزل المرأة الغريبة، بينغ هوي، التي تستطيع المساعدة في استعادة المعلومات، فقد كان كافياً للتخلص من أفكار آيشر الخرقاء الجوفاء، ومن نظرياته الأثيرة التي تبث ما لا حاجة لأحد به من المخاوف، كما كان كفيلاً بوقف سريان عدواها إلى الآخرين. وكيف له أن يعلم أنه كان في وسع كراين أن يستعيد تلك البيانات؟ فإن كان في الحقيقة قد تمكن من استرجاعها فعلاً وما لم يكن الأمر كله كذبة مركبة.. فلا شك عندئذ، أن يكون هذا الرجل خطيراً، وقادراً على كل شيء.

لكنه طمأن نفسه إلى أن هذا الرجل لا بد أن يكون يقبع الآن في السجن وسيكون هناك متسع من الوقت للتعامل معه لاحقاً.

قرقع صوت الراديو. "من مراقبة الغوص إلى البلورة ثلاثة." تناول كوروليس الميكروفون. "مراقبة الغوص، نحن على السمع، أرسل".

"سيدي، هنالك أوضاع لا بُدَّ من إحاطتكِ علماً بها."

"تابع كلامك."

"منذ لحظات قليلة، أصيبت المنشأة بما يبدو أنه  
حادث تفجير."

"تفجير؟"

"نعم، يا سيدي."

"ما هو نوع الانفجار؟ هل هو ناتج عن فشل  
ميكانيكي؟ أم هو شحنة ناسفة؟"

"السبب غير واضح حتى الآن، يا سيدي."

"وأين هو مكان وقوع الانفجار؟"

"في الطبقة الثامنة، يا سيدي."

"وما هو الوضع السائد حالياً؟"

"لم ترد بعد أيُّ تقارير عن الأضرار يا سيدي. فأدوات  
التحرّري الإلكتروني مفضولة والموقف لا يزال مائعاً. لقد  
أمكن إعادة الطاقة الكهربائية إلى العمل. يبدو أن هناك  
أمور حدثت في قسم التكم البيئي. لقد تم إرسال فرق  
احتواء الأضرار وإنقاذ المصابين؛ ونحن الآن في انتظار  
ورود تقارير عن الموقف."

"حسناً، مرّر هذه التقارير إلى عند ورودها. وفي  
الوقت نفسه قل للرئيس ووبرن أن يصطحب فرقة  
عسكرية ويستكشف الأمر بنفسه."

"حسناً، علم يا سيدي."

"جهنّم لا ترحم، ولا تلين؟" قال الدكتور فلايت  
مهمهما لنفسه. ثم لاذ الرجل في هدوء إلى الترنم في  
نغم رتيبٍ حسب كوروليس أنه لا بد أن يكون شعراً من

أشعار اللغة اليونانية القديمة.

"في هذه المسألة، وفي ما عداها." أعاد كوروليس الميكروفون إلى مكانه. فوضع الثقة في ووبرن للتعاطي مع مثل هذه المسائل بكفاءة هو أمر ممكن. فقد تم اختياره واختيار معاونيه بعناية ودقة، نظراً لما عرفوا به من كفاءة وموثوقية وولاء شخصي، وقد تعززت صوابية هذا الانتقاء عبر مهمات سرية لا تحصى في السنوات الماضية.

أيقن الآن أنه في باطن عقله كان قد وعى على الدوام أن مثل هذا العمل قد يحدث، وأنه سوف يكون في حاجة إلى الدعم والولاء من فريق العمليات السوداء، وهو سيكون في الوقت نفسه قابلاً هنا في داخل البلورة ليقوم رغم ذلك كله بنيل الجائزة وقطف الثمرة.

نظر رافرتي من مجثمه. "بقي لنا دقيقتان للوصول إلى منطقة السطح البيني."

"أخرج ماكينة الثقب من مكمناها،" قال كوروليس في اتجاه الرجل العجوز. "أسمعت يا دكتور فلايت؟"

سكت مهندس المناورات السيبرنية، راداً النظرة إلى كوروليس بعينه الزرقاوين الذكيتين.

"إبدأ كشفك النهائي على المجموعة الروبوتية، لو سمحت."

كان جوابه على هذا الطلب عبارة عن استشهد آخر من الشعر اليوناني: "يا ابن أتريوس، أي كلام هذا الذي تعدي حاجز أسنانك؟" ولكن - وبشيء من الغيظ - أشغال فلايت نفسه في محطة عمله.

وعندما استدار كوروليس من جديد إلى لوحة التحكم التي أمامه، منح نفسه ابتسامة صغيرة عابسة. ليقم الرئيس وويرن بتولي عمليات تنظيف القذارات في الأعلى بنفسه. أما قدره هو فيكمن هنا في الأعماق - على عمق ثلاثمئة متر من الكرسي الذي يجلس الآن عليه.

تراجع كراين خطوة في غير وعي منه إلى الخلف، متسبباً بذلك في اصطدام كتفيه بشدة بالحائط المعدني للمنشأة. ثم فتح عينيه ناظراً في غير تصديق.

فالمصطبة التي وجد أنهما يقفان عليها تبرز في علو يزيد على ثلاثين قدماً تقريباً فوق قعر البحر المكشوف الذي تنزرع فيه المنشأة. وقد امتد تحتها منظر عجيب، لونه أشبه بلون الفضة، يمتد في اتجاه القبة. أما قاع المحيط العاري فكان سطحه يتعرج في علو وهبوط، في تلال صغيرة غريبة مجنونة، بينها وديان وعضون مغمورة جزئياً. وكان اللون داكناً يشبه لون الشوكولاتة الغامقة، وكانت هذه المستنقعات تلمع تحت نصف الضوء الآتي من القبة في ألقٍ مخيفٍ ومثيرٍ للعجب معاً. لقد بدت أرضية القاع مصنوعة من طميٍ دقيقٍ موحلٍ عفنٍ الرائحة.

لكن منظر الأسفل هذا لم يكن ما أسرَ نظرتَه المليئة بالرعب. لقد كان المنظر المرعب الذي سمّره، واقعاً في الأعلى، لا في الأسفل.

فالقبة التي أحاطت بالمنشأة، وأمّنت لها الحماية، كانت ترتقي في استدارةٍ بطيئةٍ تتعالى حتى تضيع

وتختفي بعيداً في الأعلى. ومن إحدى جهات مصطبتها الصغيرة، كان يوجد خط عمودي من الدرجات المعدنية الثقيلة، وكلها معلقة إلى الجدار الخارجي، المعدني، الشاهق للمنشأة، ومثبتة به. وقد كانت كلها ترتفع في خط عمودي ومستقيم، وغير متكسّر. وقرب أعلى المنشأة، استطاع كراين أن يتبين بصعوبة ذلك الممر الضيق الذي كان يخرج من المنشأة لكي يلاقي منصة الاستقبال العائدة إلى الحوض. لقد كان هذا هو الممر الضيق ذاته الذي مشى عليه بنفسه منذ أسبوع. أمّا ما بين الممر المذكور أعلاه وبين المصطبة الصغيرة التي يقفان الآن عليها، فقد كان كراين يستطيع أن يرى أسلّات توازن الضغط، التي هي عبارة عن مواسير معدنية ضخمة تمتد امتداد السفود الأجوّف بين جدار القبة وبين جسم المنشأة. وهذه أيضاً كان قد سبق له أن رآها من قبل.

هذا عدا عن أن هذه المواسير تختلف الآن عن سابق عهده بها. ففي النقطة التي تلتقي عندها الماسورة بجدار المنشأة، كان ثمة سيل من الماء ينبثق ويفور بقوة إلى الخارج، ثم ينحدر إلى الأسفل، وذلك في رغبة هائجة غاضبة. وكان هذا هو مصدر الهدير المرعب. شلال عنيف من الماء يفور من شقّ في ماسورة الضغط، في زخم قاتل أشبه بزخم قاتل أشبه بزخم طلقات مدفع رشاش. وحتى في اللحظة التي كان يحدّق خلالها بهذا المنظر، كان يبدو أن الثقب أخذ في الاتساع، وأن اندفاع ضغط ماء البحر أخذ في الازدياد.

ورغم أنه بات نصف دائخ من هول ما يرى، إلا أن كراين كان واعياً لأشياء كثيرة. فسواء أكان هذا الذي

يراه ناتجاً عن عطلٍ فنيٍّ، أم عن حادثٍ تخريبٍ مدبرٍ،  
فمما لا شك فيه أن له علاقةً بالانفجار الذي كان قد  
سمعه. ورغم أن الجوَّ كان قد بدا في داخل المنشأة  
شديد الشبه بالوضع العاديِّ، ألا أنه كان أبعد مما يكون  
عن الوضع الطبيعي. فإن لم يكن جهاز إصلاح الأعطال  
قد تنبَّه بعد إلى هذا الخلل، فلا بدَّ من أنه سوف يتنبَّه  
إليه في أيِّ لحظة.

وفي طرفة عين واحدة انقلبت مخاوف كراين، و  
آماله، وأهدافه نفسها رأساً على عقب.

ففي لحظة، استدار بدافع من الغريزة نحو الفتحة،  
كما لو أنه يود عبورها في الاتجاه العكسيِّ من جديد،  
كي يدخل ويقوم بتحذير العمال في مجمع الحفر من  
الموت الذي يحدق بهم. لكن أنى له الآن ذلك، وقد تذكر  
أن المرور في الاتجاه المعاكس أمر غير ممكن، إضافة  
إلى أن قاع البحر قد بدأ الآن يبدو مغموراً بكامله تقريباً  
بالماء الأسود الذي لا يزال ينهمر المزيد منه من حولهما  
من خلال الثقب الموجود في الأعلى والآخذ تدريجياً  
بالاتساع. وفي غضون دقائق معدودة، قد تصبح  
المصطبة التي يقفان عليها، إضافة إلى الفتحة التي  
كانا قد خرجا منها، مغمورة تحت الماء.

فجأة تنبَّه إلى ألمٍ حادٍّ في يده. نظر فإذا به يرى  
هوي بينغ تعتصر يده وتتشبث بها بينما تنظر إلي  
الأعلى، إلى مخيال الماء، وكان وجهها وشعرها قد تبللا  
بفعل رطوبة الماء ورشاشه.

حرَّ يده منها بلطف. "هياً تعالى،" قال لها. "لا يمكننا  
أن نبقي هنا."

"لا أستطيع ذلك،" قالت له مهممة.

لقد كان قد سبق لها أن قالت مثل هذا القول من قبل، عندما كانا لا يزالان في المحبس الهوائي. "ليس لدينا من خيار آخر،" أجابها كراين.

أجالت عيناها في عينيه لحظة، ثم خفضت أنظارها. "إنني أخاف من الأماكن الشاهقة،" قالت له.

حدّق كراين نحوها. تباً لهذا القول، تباً.

أخذ نفساً عميقاً، ثم - محاولاً تجاهل عاصفة الماء الغضوب فوقهما والمطر الثلجي الذي كان يتساقط حولهما - ألقى يده على كتفيها، وحدّق في لطفٍ بعينيها. "لم يعد هناك من خيار الآن يا هوي. وعليك أن تتحركي."

"- ولكن"

"ليس هنالك من حلٍّ آخر، سأبقى خلفك تماماً. هكذا أعدك."

نظرت إليه لحظةً أطولَ من ذي قبل، فيما الماء يتصبب على وجنتيها. ثم بلعت ريقها. وأشارت بإيماءة صغيرة.

أدارها في اتجاه الجدار المعدني الرمادي العائد للمنشأة، ووضع يدها اليمنى على الدرجة السفلى. "خذي درجة واحدة فقط، في كل مرة."

وللحظة بقيت في مكانها لا يصدر حركة منها، وقد عجب كراين من أن يكون الخوف قد سمرها في مكانها. ثم ببطء وترددٍ، وضعت يدها اليسرى على الدرجة التالية، وامتحنّت قوة قبضتها، ورفعت نفسها إلى الأعلى واضعة رجلها اليسرى على الدرجة السفلى.

"هذا كلُّ ما في الأمر،" قال لها مشجِّعاً فوق هدير الماء. "هذا كلُّ ما في الأمر."

رفعت نفسها إلى الأعلى بضع درجات إضافية، فبدأ هو بالتسلُّق أيضاً، مبقياً نفسه على مسافة قريبة منها قدر المستطاع. وكانت الدرجات باردةً وزلقةً إلى درجةٍ غادرة. وكانت رائحة الماء المالح قويةً في خيشوميه.

تابعا التسلُّق في بطءٍ شديد، لا يكسر صمتهما سوى لهاث هوي الخافت من شدة الإجهاد. صار هدير الماء أشدَّ من ذي قبل، وغامر كراين بنظرةٍ أخرى إلى الأعلى. ملاءات واسعة من المياه صارت تخرج الآن من الشدخ، ثم تتلوى وتدور على ذاتها في حلقات لولبية متجهة نحو الأسفل. وكان ضبابٌ خفيف يتشكل من رُشاش الماء العنيف، ويرتفع في كل مكان في طيات شعناء تنيرها أنوار الصوديوم. فبدت موجات الضباب هذه أثرية وغريبة، ورائعة الجمال.

تزلزلت قدم هوي، وانزلق حذاؤها بشكلٍ خطرٍ، قريباً من وجه كراين. ندت عنها صرخة، وضغطت نفسها بشدة في اتجاه الدرجات.

"لم أعد أستطيع،" قالت. "لم أعد قادرة."

"ما عليك سوى أن تأخذي الأمر بطريقةٍ أكثر يسراً،" قال لها كراين مهدئاً. "تسلقي ببطءٍ وسهولةٍ. لا تتطلعي إلى الأسفل."

هزَّت هوي رأسها دون أن تجرؤ على الالتفات. نقلت قبضة يدها إلى درجةٍ أعلى. ثم عادت إلى التسلُّق من جديد، وكان نفسُها لا يزال مبهوراً.

تابعا التسلُّق للأعلى، مبقيان على المسافة ذاتها

بينهما، قدّر كراين أنهما قد ارتقيا الآن مسافة أربعين قدماً. وكانت شلالات الماء تقوى بشدة وترشق يديه ووجهه. وكلما ازداد اقتربهما من المكان الأصلي للصدع ازداد وقع عنف الماء عليهما.

دقيقة أخرى أو دقيقتان من متابعة التسلق، ثم توقفت هوي وهي تلهث. "إنني في حاجة إلى استراحة."

"لا مشكلة. تأكدي من أنك تمسكين الدرجة جيداً، ثم ميلي بثقل جسدك نحو الداخل. إنك تقومين بأداء جيد." وكان كراين في سريره سعيداً لهذه الاستراحة التي كان يحتاجها هو أيضاً. فصدره كان يعلو وينخفض بسرعة، وأصابه كانت تؤلمه بسبب القبض على حلقات المعدن البارد.

خمن أنهما الآن قد صارا ربما على محاذاة حاجز العبور الأمني ليس أكثر. وكان جسم المنشأة يمتد أمامهما في جميع الاتجاهات، وكأنه جرف رمادي واسع له وجه معدني متراص متشابه. نظر كراين من بين قدميه إلى الأسفل. وكل ما استطاع رؤيته من المصطبة التي كانا يقفان عليها هو أنها مجرد لطفة صغيرة بعيدة جداً تحتهما. أما ما هو واقع دونها، في أقصى امتداد حقل النظر الممكن، فقد كان منظر قعر البحر، وقد بات الآن مغطى بالكامل بمياه المحيط المضطربة.

"هنالك شيء لم أسألك عنه من قبل،" ناداها عبر صخب المياه.

أبقت هوي نظرتها ثابتة على الجدار المعدني المنتصب أمام وجهها. "ماذا؟"

"في أي موضع يمكننا الدخول من جديد إلى المنشأة؟"

"لست متأكدة."

هذا جعله يتوقف. "ماذا تقولين؟"

"كلُّ ما أعرفه أنه يوجد فتحة للدخول، وربما فتحتان في الأدوار العلوية. لكنني أجهل موقع هذه الأدوار."

"هذا أفضل من لا شيء." مسح كراين قطرات الماء عن عينيه، ونفض الماء عن شعره.

لقد قدَّر أنه لا يزال أمامهما ما يربو على مئة قدم أخرى للتسلق. ومن موقعه نظر بصعوبة إلى الأعلى، نحو ماسورة موازنة الضغط المنفجرة. وكان يقع فوقهما بزهاء طابقين، أنبوب معدني ضخم يمتد أفقياً، وهو الآن نصف محجوب عنهما خلف شلالات الماء التي انبثقت من الشرخ الذي أصاب جسم الأنبوب. كانت عاصفة الماء شديدة القوة. ولم يكن كراين قادراً على معرفة ما إذا كان جسم المنشأة قد أصابه ثقب هو الآخر. جعل نظره يمتد إلى مسافة أعلى في مرتقى الدرج. ولحسن الحظ، فإن خط الدرج هذا كان بعيداً قليلاً عن ماسورة توازن الضغط. ومع كل ذلك، فإن الدرجات الواقعة الآن فوقهما مباشرة، كانت واقعة في مدى الشلال الذي يرشقها ويلطمها بموجة تلو أخرى من مياه البحر السوداء.

سوف يكون التسلق خلال هذه النقطة أمراً عسيراً.

شعر بضربات قلبه تتسارع، وبعضلات ساقيه تتشنج. نظر إلى البعيد فإذا المنظر يشلُّ الأعصاب؛ قرر أنه إن لم يبدأ بالتحرك الآن فوراً، فإنه لن يستطع ذلك

في ما بعد أبدأ.

"دعينا نتابع التسلق،" ناداها عبر الشلال.

وهكذا، استأنفا التسلق من جديد. ومع كل درجة كانا يصعدانها، كان عنف الماء عليهما يزداد عنفاً. فحيث كان يبدو شلال الماء مجرد وشلٍ نافع، فإنه - وقد صار الآن يقاربان مستوى المصدر صار يندفع نحوهما في اتجاه أفقي نوعاً ما.

صار كراين لا يكاد يتبين ساقِي هُوي في وسط الماء. "انتبهي جيداً!" صاح فيها. "تأكدي من ثبات قبضتك قبل اتخاذك أي نقلة جديدة!" فتح فمه من جديد ليقول لها المزيد، لكن الماء المالح ما لبث أن ملأه فجأة فأدار وجهه وهو يسعل ويغص.

اصعد إلى الأعلى... خطوة أخرى... امسك درجة... واصعد من جديد. حاول كراين ألا يفكر بشيء سوى متابعة التسلق وأن ينسى نفسه في إيقاع هذا الشطر من الشعر. صار الماء يرشقه رشقاً أفقياً مباشراً مالئاً عينيه وأذنيه، ناقراً علي أصابعه، وضاعطاً عليه بما يكفي لاقتلاعه عن السلم. ضاع منه التقدير حول مقدار ما بلغاه الآن في هذا المرتقى؛ فقد كان من الصعب عليه أن يقرر ذلك بواسطة النظر، فيما الماء يحيط به من كل جانب، ويرسل فيه الصقيع حتى العظام. بدا وكأن العالم كله صار فيه من الماء أكثر مما فيه من الهواء. حتى أنفاسه التي كان يأخذها كان فيها ماءً، بدل الهواء. بدأ يشعر بخفة رأسه، وبجهله للاتجاهات.

توقف وهز رأسه ليستعيد الزمام قليلاً. ثم دفع نفسه دفعةً نحو الأعلى، وقبض على درجة جديدة. بدأت يده تنزلق فشدد من قبضته أكثر مثبِتاً نفسه. أراح

وجهه جانباً اتجاه المياه وأخذ نفساً عميقاً. ثم جذب نفسه إلى الأعلى. لا بد أننا قد بلغنا الآن مستوى الأنبوب، ففكر في نفسه. إن هذا العذاب لن يستمر أطول من ذلك. لا يمكن له ذلك.

فجأة، سمع صرخة من فوقه مباشرة، صوت ضاع وسط هدير المياه. وبعد لحظة صدمه شيء ما بعنف في رأسه وكتفيه، حتى أنه كاد يفلت من مكانه. صار ثمة ثقلٌ معلق الآن في رقبته، وهو ينتفض ويصارع. وقف في هذه الظلمة، وسط هذه الزوبعة المدوّمة من الماء، يكافح من أجل البقاء ثابتاً في مكانه.

ثم كان ثمة صرخة أخرى، كادت تكون في أذنه مباشرة، ثم فهم ما الخطب فجأة. فقد انزلت هوي ووقعت، وفي محاولتها المستميتة للبقاء، استطاعت أن تمسك به.

هوي! " صرخ بأعلى صوته.

"هُوي" صرخ مرة أخرى.

أرسلت أنيناً بينما كان وجهها البارد ملتصقاً بوجهه.  
 "تمسّكي جيداً وبأقصى ما تستطيعين! سأحاول أن  
 أتسلق بك إلى خارج هذه النقطة."

تأكد من ثباته وحسن تمسكه بالدرجات، بينما كانت  
 عضلات ريلات ساقيه وزنديه تؤلمه وتنوء تحت الثقل  
 الإضافي. استجمع كل طاقاته وحرر يداً واحدة ومدّها  
 إلى الأعلى متلمّساً الدرجة العليا. وبوجود ذراعيها حول  
 عنقه كان الأمر أشبه بعذاب لا يحتمل. لامست أصابعه  
 الدرجة، إلا أنها ما لبثت أن أنزلت عنها. وفي أنة منه  
 صادرة عن جهد، حاول مرة جديدة، متمكناً من الإمساك  
 بالدرجة جيداً في هذه المرة. دفع نفسه إلى الأعلى  
 كمن يجرّ حمله جراً مستعيناً بقدميه، ثم أمسك بدرجة  
 جديدة. شعر بوطأة ركبتيها تضغطان على وركيه،  
 وبكاحلي قدميها تلتفتان حول إحدى ركبتيه.

ثم وصل بقبضته إلى درجة أخرى أيضاً، تلاها  
 اندفاعة بطولية أخرى إلى الأعلى. ثم أيقن فجأة أن  
 شلال الماء اللعين قد بدأ يخبو تحته قليلاً. وهذا جلب له  
 أملاً جديداً، فدفع نفسه إلى الأعلى من جديد.

والآن، وقد صار رأسه وكتفاه فوق مستوى الماء، توقف للاستراحة - بينما صدره يعلو ويهبط، وكل عضلات جسمه ترتجف وتنتقص - ثم تمكن من سحب نفسه وسحبها معه إلى علو درجتين إضافيتين.

والآن باتا فوق مستوى المياه التي كانت تجري كنهرٍ موارٍ على بعد إنشآتٍ قليلةٍ تحت قدميهما. ثبتت نفسه في أفضل وضع ممكن، ثم أمسك يده هوي بإحدى يديه وقادها إلى أقرب درجة. وببطء وتلطف قام بمساعدتها لكي تستعيد تركيز قدميها.

هناك وقفا يلهثان ويتنهدان، بينما الشلال لا يزال يهدر تحتها مباشرة.

بدا الأمر وكأن ساعات طويلة انقضت، بينما هما معلقان بجانب جدار المنشأة، دونما حراكٍ ولا كلام. لكن كراين عرف أن هذه الفترة لا يمكن أن تكون قد طالت أكثر من خمس دقائق. أخيراً أجبر نفسه على التحديق.

"تعالني،" ناداها. لقد وصلنا تقريباً، يجب أن نكون قد وصلنا."

لم تنظر هوي إليه. كانت ثيابها ومعطفها الأبيض ملتصقة بجسدها النحيف، كما أنها كانت ترتجف بعنف.

تساءل عما إذا كانت قد سمعته أصلاً. "هوي! علينا أن نتابع التسلق!"

رمشت بعينيها، ثم أومأت بذهن غائب. كان الخوف قد ذهب عن نظرات عينيها، لقد ذهبت به الصدمة والإرهاق.

وببطء تابعا التسلق. كاد كراين أن يشعر بانحلال الفكر بسبب ما ينتابه من بردٍ وكرال. مرة واحدة فقط

تَجْرِباً عَلَى النَّظَرِ إِلَى الْأَسْفَلِ مِنْ جَدِيدٍ. كَانَتْ الدَّرَجَاتُ تُوَدِّي إِلَى مَنطِقَةِ ثورانِ المَاءِ، وَلَا شَيْءَ دُونَ ذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ يَرَى. بَدَأَ أَنْ تُمْكِنَهُمَا مِنْ اجْتِيَاذِ تِلْكَ المَهْلَكَةِ أَمْرًا لَا يَصْدُقُ.

وَمِنْ فَوْقِهِ كَانَتْ هُوِي تَتَفَوَّهُ بِشَيْءٍ مَا، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْقَهُ شَيْئًا مِمَّا تَقُولُهُ، وَبِإِلَادَةٍ، كَمَا لَوْ أَنَّهُ فِي حِلْمٍ، التَفَتَ إِلَى الْأَعْلَى. لَقَدْ كَانَتْ تُشِيرُ إِلَيْهِ نَحْوَ بَقْعَةٍ تَعْلُو فَوْقَهَا بِمَقْدَارِ عَشْرَةِ أَقْدَامٍ. حَيْثُ كَانَ هُنَاكَ مِصْطَبَةٌ صَغِيرَةٌ مُثَبَّتَةٌ إِلَى جِدَارِ المِنْشَأَةِ.

وَأخِيرًا، تُمْكِنًا مِنْ جَرِّ نَفْسَيْهِمَا إِلَى هَذِهِ المِصْطَبَةِ بَآخِرِ مَا تَبَقِيَ لِهَـمَا مِنْ قُوَّةٍ. وَكَانَ هُنَاكَ كُوَّةٌ أُخْرَى عِنْدَ تِلْكَ المِصْطَبَةِ، وَلَمْ تَكُنْ تَحْمِلُ أَيَّ إِشَارَةٍ. رَفَعَ كِرَائِينَ يَدَيْهِ لِكَيْ يَفْتَحَهَا، ثُمَّ تَوَقَّفَ. مَاذَا لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الكُوَّةُ مَقْفَلَةً؟ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِيعَا الدَّخُولَ مِنْ جَدِيدٍ إِلَى دَاخِلِ المِنْشَأَةِ، فَسَوْفَ تَكُونُ نَهَائِيَتَهُمَا. وَإِذَا لَمْ تَغْرُقْهُمَا المِياهُ بِمَنْسُوبِهَا المِتْصَاعِدِ، فَإِنَّ البَرْدَ سَيَهْلِكُهُمَا بِالتَّأَكِيدِ.

أَخَذَ نَفْسًا عَمِيقًا ثُمَّ أَمْسَكَ المِزَالِيحَ وَأَلْقَى بِثِقَلِهِ عَلَيْهَا بِكُلِّ قُوَّةٍ. اسْتَدَارَاتِ المِزَالِيحَ بِسِلَاسَةٍ. ثُمَّ أَدَارَ عَجَلَةَ الدَّخُولِ، مَلْقِيًا بِثِقَلِهِ فِي اتِّجَاهِ الكُوَّةِ. قَرَقَعَ الإِبْرِيمُ المِطَاطِيَّ، وَانْفَصَلَ مَا بَعْدَ التَّسَرُّبِ، وَانْفَتَحَ البَابُ نَحْوِ الدَّاخِلِ. سَاعَدَ كِرَائِينَ هُوِي عَلَى الدَّخُولِ إِلَى حَجِيرَةِ الهَوَاءِ المِضْغُوطِ الصَّغِيرَةِ خَلْفَ البَابِ. ثُمَّ لَحِقَ بِهَا مَقْفَلًا خَلْفَهُمَا بِشَكْلِ ثَابِتٍ آمِنٍ.

وَأخِيرًا وَجَدَ نَفْسَيْهِمَا دَاخِلَ المِنْشَأَةِ مِنْ جَدِيدٍ.

## 56

خرجنا من حجيرة الهواء المضغوط إلى حجيرة ضيقة مظلمة. توقف كراين دقيقة ليستعيد أنفاسه. ومن الخلف، جاء نغيب صوت أجهزة الإنذار.

فتح كراين الباب، فدخلنا إلى داخل ممر فارغ. وكانت أصوات الإنذار أشد ارتفاعاً.

"الطبعة الحادية عشر،" قالت هُوي، بعد أن جالت أنظارها في المكان في جولة خاطفة. "مهاجع الموظفين."

"علينا بالوصول إلى مركز المؤتمرات عند الساعة الثانية عشر،" قال لها كراين. "إن الدكتور فاندربيلت ينتظرنى هناك."

وبطريقة عشوائية، دخل كراين إلي إحدى غرف المنامة الخاصة، والتقط منشفة من الحمام، وقام بلفها حول كتفي هُوي. ثم هرولا في اتجاه أقرب أقفاص الدرج. بدا الطابق مهجوراً، إذ لم يصادفنا سوى رجل واحد فقط. رجل في داخل سترة خاصة برجال الصيانة، وقد توقف الرجل للتحديق فيهما بغمٍ مفتوح، حالما مرّا بقربه وهما مبللان، ويقطران ماءً.

وعند دخولهما قفص الدرج، ارتقيا طابقاً واحداً فوصلا

إلى الطابق العلوي للمنشأة. وبخلاف الطبقة الحادية عشرة، كانت الطبقة الثانية عشرة شديدة الازدحام. هنا وقف الناس في الممرات وعند عتبات الأبواب المفتوحة. وكانت الوجوه عابسة ومتوترة.

كان مركز المؤتمرات يتألف من مساحة مركزية تمثل قاعة محاضرات، يحيط بها غرف صغيرة. وكان عدد قليل من الأشخاص يقفون معاً في القاعة المركزية يتحدثون في همس. وعندما دخل كراين، أمسك الجميع عن الكلام. انفصل عنهم رجل واحد، طويل ونحيل، وله شعر أحمر، ولحية مشدبة قصيرة. وقد بدا وجود نظارتين سوداوين في جيب معطفه الأبيض.

مشى متقدماً نحوهما. "الدكتور كراين؟" قال.

أوما كراين بالإيجاب.

إنني جين فاندربيلت. "أجال فيهما عالم المحيطات نظرة فاحصة سريعة. اتسعت حدقتاه قليلاً لمرأهما الذي ظهرا فيه، لكنه لم يبد ملاحظة على ذلك. "تعال، سوف أقوم بتقديمك إلى المجتمعين."

مشوا في اتجاه الجماعة. انتظر كراين بلهفة لانتهاؤ لياقات التقديم، ثم قام بمصافحة الحضور بسرعة.

"بصراحة، إنني متفاجيء لرؤيتك من الأساس،" أخبره فاندربيلت. "لم أكن أتوقع أن تتمكن من الوصول.

"وما هو السبب؟" سأله كراين، متعجباً ما إذا كان فاندربيلت يعلم أنه رجل مطلوب للاعتقال، وأنه لن يستطيع المرور خلال الحاجز.

"لأن الطبقة الثامنة غارقة بالمياه بكاملها. ولذلك فإن الأبواب المانعة لتسرب المياه جميعها مغلقة

بإحكام، كما أن مداخل المصعد مغلقة أيضاً.

"تقول إنها غارقة بالكامل؟" بدا كراين كالمصدوم. إذن، فإن هيكل المنشأة قد تمَّ خرقه هو الآخر، بعد كل شيء، جال في ذهنه. والآن لم يعد هنالك من سبيل لأيِّ شخص من سكان المنطقة المصنفة من الوصول إلى الطوابق العليا.

"وبعض الأقسام العائدة إلى الطبقة السابعة أيضاً ليس كذلك؟" وهنا استدار فاندربيلت نحو ميكانيكي قصير القامة داكن اللون، جرى تقديمه باسم غوردن ستامبر.

هزَّ ستامبر رأسه بقوة. "حوالي ستين بالمائة من الطبقة السابعة غارقة في المياه في الوقت الحاضر. والأقسام الثاني عشر حتى الرابع عشر من الطابق السابع قد غرقت في الدقائق الخمس الماضية."

"يبدو أنك وجدت لنفسك طريقاً مختلفاً،" قال فاندربيلت لكراين وهو يرمقه بنظرة فاحصة جديدة.

"وهذا الطريق بات غير صالح للعبور في هذا الوقت أيضاً،" أجاب كراين. "إن أحد مواسير توازن الضغط المائي قد انفجر والماء يجري الآن في الفضاء الواقع بين المنشأة وبين القبة المحيطة بها. فمخرج الطوارئ الموجود على الطبقة الثانية، قد بات الآن مغموراً بمياه المحيط."

"نعم، إننا نعرف ماذا حصل لأنبوب توازن الضغط،" قال فاندربيلت. "وإن فرق احتواء الموقف. هي في طريقها إلى المكان."

"إنه خرقٌ شديد الخطورة،" قال كراين في شكٍّ

وتردد.

"أخبرني عنه،" أجاب ستامبر. "إذا سمحتم لي جميعاً، فإنه عليّ أن أنضمّ إلى فريقتي."

"عدّ إليّ في خمس عشرة دقيقة لتوافيني بآخر التقارير،" قال له فاندربيلت.

هل إمرته تعود إليك؟" سأل كراين.

أوما فاندربيلت إيجاباً. "إنني الآن أعلى العلماء المديرين رتبة في الطبقات التي تعلو الطبقة الثامنة."

"وماذا عن العسكريين؟"

"إنهم متفرقون، ويقومون بالعمل على محاولة احتواء الصدع، وتأمين سلامة غلاف المنشأة."

نظر كراين من جديد إلى هيئة ستامبر الذي بدأ بالانسحاب "تقول إنك تعرف كل شيء عن الخرق. هل لديك فكرة عن سببه؟"

عمل تخريبي،" قال فاندربيلت.

أعاد كراين النظر إليه. "أنت متأكّد؟"

"يبدو أن روجيه كوربيه قد اصطدم بالمخرّبة بينما كانت تقوم بزرع المتفجّرة."

"أتعني أن المخرّب هو امرأة؟"

"إنها ميشيل بيشوب."

شهقت هوي بينغ.

"لا،" قال كراين. "إن هذا غير ممكن."

"لقد تمكّن كوربيه من طلب رقم علي جهاز هاتفه الخلوي بينما كان يجادل بيشوب. كان قد طلب رقم برايس الطبيب المساعد الذي يعمل معه. وقد سمع برايس الاعتراف من فمها هي بالذات."

لقد حصلت أشياء كثيرة، في سرعة كبيرة، بحيث بات يصعب على كراين حتى البدء في هضم مثل هذه الصدمة الهائلة واستيعابها. شعر بقشعريرة عميقة في كيانه، ليس لها علاقة بثيابه المبلّلة. ميشيل؟ كلا، إن هذا، بكل بساطة، أمرٌ غير ممكن الحدوث.

"وأين هما الآن؟" سأل بطريقة آلية.

"لم يستطع أحدٌ قطُّ الفرار من الطبقة الثامنة. ونعتقد أنهما قُتلا معاً بسبب الانفجار."

وكما لو أن خاطراً بعيداً قد جاءه، أيقن كراين أنه لا يستطيع التفكير في هذه اللحظة في مثل تلك الأحداث. لذلك، وبجهد كبير، أزاحها عن ذهنه ثم أخذ نفساً عميقاً. "إن التخريب ليس مشكلتنا الوحيدة في الوقت الحاضر،" قال لهم. "وهو في الحقيقة قد لا يكون مشكلتنا الأهم."

"أعتقد أن هذا هو السبب الذي دعاك للحضور إلى هنا لكي نخبرنا عنه."

أجال كراين نظره في العلماء المجتمعين. "ما هو عدد الحاضرين منكم هنا من الذين يملكون تصريحاً بالمرور إلى المنطقة المصنفة سرّية؟"

رفع اثنان من الحاضرين - بينهما فاندربيلت - يديهما.

في خلال صدمته وإرهاقه، أيقن كراين الآن أنه علي وشك خرق كل البروتوكولات الأمنية التي كان قد وقع

عليها. كما أيقن أنه لم يعد يبالي بالعواقب ولو بمقدار ذرّة واحدة.

وبسرعة قام بتصوير الموقف الراهن لهم: الطبيعة الحقيقية للحفريات؛ الشكوك التي ساورت آيشر؛ المشكلة الصحية الوافدة، وطريقة السيطرة عليها؛ الرسائل التي تم فك رموزها. وكانت هوي تتدخل للقيام بجلاء بعض النقاط، هنا وهناك، أو لإضافة ملاحظة من عندها. وبينما كان كراين يتكلم، كان يجيل بنظره في وجوه العلماء مراقباً. فالقليل منهم - بما فيهم العالمان اللذان يملكان إذناً بالدخول إلى المناطق السرية - كان يومئ برأسه من وقت لآخر، كما أن شكوكهم الشخصية الكامنة قد بدأت تلاقي إجابات لها. أما الباقون فقد بدوا مندهشين، وحتى غير مصدّقين - وفي حالة أو حالتين - بدا عليهم الشك قليلاً.

"إن كوروليس قد تسلّم القيادة العسكرية في المنشأة،" ختم بالقول.

"ولست أدري ما الذي قد يكون فعله بالأدميرال سبارتان. لكن كوروليس موجود في البلّورة رقم ثلاثة في الوقت الحاضر. وهو مصمّم تصميماً جحيمياً على اختراق طبقة الموهو. ومما فهمته، فإن هذا الاختراق قد يحدث خلال رحلة الغطس الحالية، بل بين لحظة وأخرى في حقيقة الأمر."

"إذن ماذا تقترح علينا أن نفعل؟" سأله فاندربيلت.

"يجب أن نتصل بالسطح. أم شايل، أو من الأفضل البنتاغون. علينا أن نوصل كلمة إلى المسؤولين من أصحاب القرار، إلى الذين يستطيعون إيقاف هذا الجنون."

"سيكون هذا الأمر صعباً."

نظر كراين نحو عالم المحيطات. "لماذا؟"

"إننا لا نستطيع الاتصال بالسطح. ليس في الوقت الحاضر. وفي الحقيقة كنت قد حاولت ذلك."

"ما هو سبب الخلل؟"

"إنَّ معدَّات الاتصال بين المنشأة والسطح موجودة في الطبقة السابعة، وهي الآن غارقة بالمياه."

"تباً،" همهم كراين.

وللحظة، لم ينبس أحدٌ بكلمة.

"هنالك سفينة الهرب، قالت بينغ.

نظر كلُّ من الحاضرين في اتجاهها.

"وماذا تعرفين عنه؟" سألها أحد العلماء.

"إذا لم نستطع مخاطبة العالم الخارجي بواسطة وسائل الاتصال، فينبغي علينا إرسال الرسالة عن طريق رسول مباشر يذهب شخصياً."

"إنَّها مُحققة،" قال عالم آخر. "لا يمكننا البقاء هنا. سيِّمًا إذا كان ما يورده الدكتور كراين من معلوماتٍ، صحيحاً."

"كما أن ثمة شيء آخر،" أضافت هُوي. "إذا كانوا لا يستطيعون إصلاح الشدخ، فإن مستوى الماء سوف يستمر بالارتفاع في الخارج."

"إن المنشأة ليست مصممة لكي تستطيع الصمود لمثل هذا الضغط، على مثل هذا العمق،" أضاف

أحدهم. "وسوف تنفجر في اتجاه الداخل." "إن سفينة الهرب قد يستوعب مئة شخص، أكثر أو أقل بقليل،" قال فاندربيلت.

"إذن، يمكنه أن يستوعب جميع من هم في الطبقات العليا."

"وماذا عن الأشخاص الموجودين في المناطق السفلى المصنفة؟" سألهم كراين.

"هذا سبب آخر يدعونا إلى إيصال رسالة إلى العالم الخارجي بالسرعة الممكنة." أجاب فاندربيلت. "إن الاتصالات معطلة. فكلما أسرعنا بالاتصال بالقيادات ضمناً إمكانية قيامهم بالإسراع في إرسال مساعدة لتفعيل عمليات الإصلاح والإنقاذ."

أجال كراين نظره في وجوه الحاضرين، فإذا بالجميع يومئون بالإيجاب.

"لقد اتفقنا إذن،" قال فاندربيلت. "دعونا نباشر بترحيل الموظفين إلى سفينة الهرب. إنني في حاجة إلى بعض المتطوعين لكي يقوموا بعملية مسح للطوابق من التاسع حتى الحادي عشر والقيام بإرسال جمع المتخلفين إلى هنا."

"سأتولى هذه المهمة في الطابق التاسع،" قال كراين. "لأنني أعرفه بصورة أفضل من سواه."

أوماً فاندربيلت برأسه موافقاً. "عد إلى ملاقاتنا هنا في أسرع ما يمكنك."

استدار كراين نحو بينغ. "هل تساعدني في إركاب

الناس؟"

هزت رأسها موافقة.

"سوف أعود إليكم." ضغط على يدها بطريقة مطمئنة مؤكّدة. ثم استدار وهرب بسرعة خارج القاعة، قبل أن يختفي عن أنظار الحاضرين.

في كنف البلّورة رقم ثلاثة، الضيق الخانق بسبب عرق  
الأجساد، واكتظاظ الأنفاس، أدار رافرتي رأسه الأشعث  
الشعر نحو كوروليس. "سيدي."

نظر كوروليس ناحية المهندس.

"أجهزة الاستشعار تسجّل ظواهر شاذة عن  
المألوف في الطبقة الرسوبية."  
"أين؟"

"إنها على مسافة أقل من مترين تحت السطح  
البينيّ الحاليّ لمنطقة الحفر."

"وكيف هو سلوك ماكينة الحفر؟"

"إنها مشاكسةٌ قليلاً. لذلك نقوم الآن بتخفيض  
الناتج الجمعيّ من البيانات بعد كلّ دفعتين منها."

"خفّض سرعة الماكينة إلى النصف. فنحن الآن لا  
نرغب في حصول أيّ عطلٍ ميكانيكيّ."

"سنخفّض سرعتها إلى النصف، أجل."

"هل من أشياءٍ محدّدة حول البيانات عن الظواهر  
الشاذة؟"

"ليس بعدُ يا سيدي. فالمياه شديدة التكدُّر بالرواسب؛ وعلينا أن نقترب إلى مسافة أكبر."

"وماذا عن جهاز الكشف بالأشعة فوق الصوتية؟"

"يوجد تداخلٌ غامضٌ فيها، من الأسفل يا سيدي."

مسد كوروليس صدغيه، لإعناً محدودية إمكانيات الآلات والمعدات. إذ إنهم كلما ازدادوا اقتراباً من الظاهرة الغريبة، ازدادت آلاتهم في قلة موثوقيتها وضعف كفاءتها.

صار الجوُّ خانقاً حاراً في جوف البلّورة، لذلك، قام بمسح حَبَّات العرق عن جبينه قبل أن يثبت عينيه إلى الإطار المطاطي الذي يحيط بشاشة النظر الخارجية. قام بتشغيل الضوء الموضعي الكشاف الواقع تحت البلّورة. وعلى الفور، كشفت الشاشة الشديدة الصغر، عن زوبعة تامة من الطمي وفتات الصخور. كما كشفت أيضاً على قيام ريشة الحفر بمتابعة الثقب نزولاً في الطبقة الرسوبية الواقعة تحتهم، وعلى قيام أنبوب الشفط بامتصاص مواد الزوبعة إلى الأعلى، ثم بتوزيعها عبر قاع البحر. وكان الماء المحيط بهم معتماً تماماً. إنها جحيم من الرسوبيات الشديدة الكثافة. أطفأ النور الكاشف، وعاد إلى جلسته السابقة، وهو ينقر بأطراف أنامله في قلة صبر على مقابض شاشة المراقبة.

ومن الخارج، أتى صوت دويٍّ مكتوم، وكأنه قادمٌ من مسافة شديدة البعد. ركز الدكتور فلايت حزمة معززة جديدة من الذبذبات.

قرقع صوت الراديو. "إلى البلّورة رقم "ثلاثة، هذا مقرُّ مراقبة الحفر."

التقط كوروليس السماعة من حمالتها. "على  
السمع، أرسل".

"تقريرنا عن الموقف الراهن لحادثة التفجير يا  
سيدي."

"هات ما عندك."

"يبدو أن هناك صدعاً في أنبوب توازن ضغط الماء،  
الجنوبي."

"وماذا عن المنشأة؟"

"لقد أغرقت الطبقة الثامنة بالماء، وكذلك خمسون  
في المائة من الطبقة السابعة."

"الطبقة السابعة؟ هذا غير ممكن - فكل طبقة  
مصممة تصميماً خاصاً لكي تكون آمنة تماماً من تسرب  
المياه منها أو إليها،"

"صحيح يا سيدي، ولكن بسبب الموضع الذي حصل  
فيه الصدع، فإن المياه باتت تنسرب نزولاً من خلال  
مسارب التهوية. وهناك تقرير يقول إن سبب الانفجار  
هو -"

"وماذا عن فرق الإصلاح؟ هل تجري أعمالها تحت  
السيطرة؟"

"إن سدادات منع تسرب المياه الموجودة في  
الطوابق الواقعة فوق منطقة التسرب وتحتها مباشرة،  
قد تم إقفالها تماماً. وبذلك فإن تسرب الماء نزولاً قد  
أوقف."

"عمل جيد."

"لكن منسوب المياه ما زال يتصاعد في داخل تجويف القبة، يا سيدي. وإذا ازداد فيضان المياه في الطبقة السابعة إلى أكثر من هذا الحد، فإن الحاجز الأمني قد يصبح تحت الخطر."

شعر كوروليس بالألم ينبض تحت جميع أنحاء فروة رأسه. "إذن يجب إصلاح الشدخ في أنبوب موازنة ضغط الماء، وبسرعة فصولي."  
"سيدي -"

"لا أريد الاستماع إلى أي أعذار. اصطحب أعضاء فرقي الإصلاح الذين تحتاج إليهم، وقم بإصلاح الأعطال فوراً."

"أيها القائد،" تتم رافرتي في أذنه.

"إبقَ معي على الخط قليلاً،" قال كوروليس في اتجاه السماعة بلهجة حريفة. "نعم يا دكتور رافرتي، ما الأمر؟"

"إنني أقرأ تحركات آتية نحونا."

"آتية من أين؟"

"لست متأكدًا يا سيدي. منذ دقيقة واحدة، لم يكن ثمة شيء من هذا القبيل. لقد برزت هذه التحركات للتو."

رمش كوروليس بعينه. "هل هي الخوافر؟"

"هذا أمر غير معروف. ولو كانت من الخوافر حقاً، فإنها هذه المرة أكبر حجماً بكثير من تلك التي عرفناها سابقاً. كما أن حركة هذه الأصناف أسرع."

أصق كوروليس وجهه إلى عدسة المنظار العينية مرة أخرى. أشعل الضوء الكشاف الخارجي. أطفئ ماكينة الثقب. فإنني لا أستطيع أن أرى شيئاً وسط هذا الوحل.

"أجل.. أجل. سأطفئ ماكينة حفر النفق."

حدق كوروليس في شاشة الرؤيا. وببطء بدأت عاصفة الرمل والرسوبيات تهدأ. ثم ظهرت الأجسام له، وكأنها أشباح خارجة من سحب الضباب.

كان هنالك اثنان منها. وكان لهما الشكل الخارجي المبهم ذاته، كما لأخوتهما لصغار الذين تستضيفهم المنشأة: مشكاة من الألوان المتبدلة، المتماوجة، الباهرة، التي لا تنتسب إلى الأرض. وألوان تتراوح من لون الكهرمان الأصفر المحمر، إلى اللون القرمزي الأحمر القاني، إلى اللون البياقوتي الذي يتبدل من أزرق إلى برتقالي محمر، إلى أرجواني بنفسجي، إلى آلاف أخرى من الألوان، وجميعها شديدة البهاء في وسط تلك الأعماق السوداء، حتى أنها تهدد باغراق مجسات الكاميرا، المقرونة بوسائل الشحن. إلا أن هذه الكائنات أكبر حجماً بكثير من سابقاتها. فطول الواحد منها يقارب الثلاثة أقدام، وربما الأربعة، ولها أذنان بلورية تتحرك وترتعش خلفها، كما لها عشرات من الحوالق اللولبية الرفيعة التي تعوم حولها من جميع جوانبها. وقف هذان المخلوقان تحت البلورة تماماً، واحد منهما إلى كل من جانبيها. وعندما حدق كوروليس بهما، اكتفيا بالتراخي في وهن وضعف، كما لو أنهما ينتظران.

لم يكن قد رأى شيئاً من قبل بمثل هذا الجمال. شعر كوروليس أن صداع رأسه والدفء المزعج الناخر الذي

يحيط به، وكذلك كل آفة جسدية تنتابه أو تزعجه، قد بدأت تتلاشى كلها وتنتشي تحت وطأة سحر وجمال هذين المخلوقين.

"لقد جاءا للسلام علينا،" همس لنفسه.

فرقع جهاز للراديو معه من جديد. "سيدي؟"

أزاح نفسه في انزعاج عن شاشة النظر. وعندما فعل ذلك عاوده الصداع من جديد وبأقصى قوته هذه المرة. كانت قوة الصداع شديدة إلى درجة كادت تشعره بالغثيان. التقط سماعة الراديو بطعنة من الغضب.

"ما الأمر؟" قال نابحاً.

"سيدي. لقد وردتنا رسالة من الطبقات العلوية تفيد بأن العلماء يتجمعون في تحرك ما."

"يتجمعون في تحرك؟"

"نعم يا سيدي، كما أنهم يقومون بتجميع الموظفين والطواقم، ويقومون بتوجيههم إلى منطقة الترحيل الواقعة خارج سفينة الهرب. إنهم يتهأون كما يبدو لعملية إخلاء جماعي."

وهنا نددت عن الدكتور فلايت قوقاة ابتهاج. "يا أئينا الرمادية العينين، أرسلني لهم رياحاً طيبة،" دندن في سريره.

أمسك كوروليس ميكروفون الراديو بقبضة جامدة، وقرَّبَه إلى فمه، وتكلم بصوت رابط الجأش. "لن يخرج أحد من المنشأة ما دامت المنشأة تحت رقابتي. ألا يوجد للرئيس ووبرن تابعون في الطوابق العليا؟"

"بلى يا سيدي، إنهم في بيوت الدرج المؤدية إلى

الطبقة الثامنة، يساهمون في تقديم المساعدة وفي الجهود الرامية إلى احتواء الأضرار.

"حسناً، تعاملوا مع الموقف، فإنني غير موجودٍ معكم."

"حسناً، يا سيدي." أعطى الراديو صريفاً، ثم صمت نهائياً.

استدار كوروليس من جديدٍ نحو رافرتي. "كم هي المسافة التي لا تزال تفصلنا عن منطقة الموهو؟"

"إنها على عمقٍ مترٍ واحدٍ تحت السطح البيني الحالي للحفر، مباشرة."

"هل تستطيع الحصول على قراءة للمعلومات المتوفرة حولها؟"

"إنني أقوم بالفحص اللازم." انكبَّ المهندس فوق آلاته. "يبدو أنها مكوّنة من مادة ذات كثافة نوعية – ثقيلة."

"وكم يبلغ حجمها؟"

"حجمها غير معروف، وهو يمتدُّ في جميع الاتجاهات."

"هل هي عبارة عن نوع من طبقة صخرية جديدة؟"

"أمرٌ مستبعدٌ جداً يا سيدي. فسطحها يبدو منتظماً إلى درجة تامة."

منتظماً إلى درجة تامة، ويقع على مسافة مترٍ واحدٍ، تحتنا مباشرة. جعلت هذه الكلمات قلب كوروليس يتراكم في صدره.

كان قد مسح العرق المتصيّب من جبينه، مرة أخرى،  
كما قام بلعق شفّتيه. "ما هو وضع نظام نفث الهواء؟"  
"إنه يعمل بنسبة مئة بالمئة."

"حسناً. اجعل ماكينة ثقب البئر تنتهي من حفر  
المسافة الجانبية المتبقية منه. ثم ناور لإدخالها وإدخال  
مجسّ التحسس إلى مكان ركونهما. ثم قم بإنزال ذراع  
التثبيت."

"حاضر، يا سيدي."

نقل كوروليس نظره من المهندس نحو الدكتور  
فلايت، ثم إلى المهندس. ومن دون أن يضيف أي كلمة  
أخرى، استدار إلى منظار المراقبة من جديد.

استلزم الأمر زهاء عشرين دقيقة من كراين ليستكمل جولته على الطبقة التاسعة. وهذه الطبقة التي تعج عادة بالحركة في جميع ساعات النهار والليل، قد بدت الآن أشبه بمدينة أشباح. فالمسرح بدأ، بما فيه من مقاعد خالية، أشبه بأرض مقفرة. أما المكتبة فقد كانت مهجورة بالكامل، ومكتب التبادل البريدي كانت أبوابه مغلقة ونوافذه مظلمة. أما الطاولات في المقهى الجانبي فقد كانت مهجورة خالية. وقد وجد كراين عاملاً نائماً في مقصورة بين رفوف الكتب، في المجمع الإعلامي، وكذلك تقنياً وحيداً في الجناح الطبي، حيث كان كراين قد توقف لاستعادة حقيبته لوازم طبية متنقلة. وقد أرسل بهما إلى الطبقة الثانية عشرة.

ثم خلص إلى المصبغة - الفارغة - وحصل على منشقة أخرى. ثم عاد إلى ساحة التايمز، ملقياً على واجهات المحال نظرة فاحصة أخيرة. كان الهدوء مرعباً. وكانت رائحة البن المحمص لا تزال عالقة في الهواء. والموسيقى لا تزال أيضاً ترشح من المقهى. ثم كان ثمة صوت آخر أيضاً. أنين قادم من الطبقة الثامنة الواقعة تحته مباشرة. وقد ذكره ذلك، بطريقة تصعب مقاومتها، بواجبه كأحد أعضاء طاقم غواصة، كما ذكره

بالصريف الغريب – شبه المشؤوم – للخزانات الصابورية  
للمغواصات وهي تمتلئ بالمياه.

وعندما تسلق الدرج، عادت به الأفكار إلى ميشيل  
بيشوب. لم يكن يريد أن يصدق ما عرفه عنها. ومع كل  
ذلك، فإن جزءاً منه قد أيقن أن هذا هو السبب الذي  
يفسر امتناعها عن القيام بجمع فريق العلماء، كما  
يفسر عدم قيامها بالاتصال به حسبما وعدته. وفي يوم  
من الأيام، لا بد له من محاولة التفكير في الدافع الذي  
دفعها للقيام بما فعلته. أما في اللحظة الحاضرة، فلا  
يمكنه حتى الشروع في مثل هذا التفكير.

رجعت به الذاكرة أيضاً إلى محادثتهما الهاتفية  
الأخيرة. إذن إن سبارتان لن يوقف الحفر؟ كانت قد  
سألته. شيء وحيد، على الأقل، كان واضحاً إلى درجة  
مؤلمة: هو أن الفضول المتبطل لا يمكن أن يكون هو  
الذي دفعها إلى طرح ذاك السؤال.

وعندما وصل إلى الطبقة الثانية عشرة، اتخذ طريقه  
بسرعة الآن، خلال الممرات الخالية. وكانت منطقة  
الترحيل إلى سفينة الهرب عبارة عن قاعة كبيرة تجاور  
مجمع الضغط. وحالما دخل، وجد بعض الناس مصطفىين  
أمام السلم المعدني المثبت إلى الجدار. وكان يختفي  
خلال فتحة في السقف. وكان ثمة ضوء أزرق خافت  
يتسرب إلى الأسفل، ملقياً على ذاك السلم إحساساً  
بانفراج هم وهمي.

كان فاندربيلت يشرف بنفسه على صعود  
المسافرين، وكانت هوي بينغ تقف إلى جانبه. وعندما  
شاهد كراين يدخل تقدماً نحوه.

"هل وجدت "أحدًا؟" سأله فاندربيلت.

"وجدتُ شخصين فقط."

هزَّ عالمُ المحيطات برأسه. "هؤلاء هم الجميع إذن. التفتيش في الطبقات الأخرى قد اكتمل أيضاً."

"ما هو العدد الإجمالي." سأله كراين.

"مائة وإثنا عشر شخصاً." أشار كراين في اتجاه الخطِّ البشريِّ الذي كان يتلوَّى لينتهي عند أسفل السلم. "عندما يجري إركاب هؤلاء الأشخاص المتبقين، سنشرع في إجراءات الإقلاع."

"وأين هو ستامبر؟"

"إنه مع باقي فريقه، على ظهر السفينة لأنهم لن يستطيعوا أن يعملوا شيئاً من هذا الجانب من الصدع."

عاد فاندريلت متَّجهاً نحو السلم، وعاد كراين إلى هوي بينغ. "لمَّ لم تصعدي بعد؟ سألتها وهو يزيل المنشفة المبللة عن كتفها، ويقوم باستبدالها بالمنشفة الجديدة الجافة.

"كنتُ أنتظرك."

وبصمت، قاما بالانضمام إلى ذيل الطابور، وفيما هما ينتظران دورهما، وجد كراين أن أفكاره عن ميشيل بيشوب تتسلل من جديد إلى رأسه. ولكي يطرد تلك الأفكار، عاد للكلام مع هوي.

"ما هو الشيء الذي كنت حريصة على إخباري عنه؟" سألتها. وكانت هوي ومن دون وعي منها تتشبث بالمنشفة، بينما نظراتها ترحل بعيداً. "أسفة لم أسمعك."

"كنت قد قلت سابقاً إنك تمكنت من فكِّ رموز



"ها هي النافذة هنا،" قالت. "الدفق الرقمي الذي قام الدكتور آيشر بحفظه في الملف الذي سمّاه: "initial.txt"، وهو الملف الذي لم يحاول فكِّ شيفرته. وبينما كنتُ أنتظرُك، قمتُ بعدة محاولات لفكِّ رموزه، لكنَّ أيًّا من محاولاتي لم تنجح. ولقد بدأ الأمر كأن لا علاقة رياضية له مشتركة مع سائر التعابير الرياضية التي كان آيشر قد فكَّ الغازها."

هنا صار خطُّ الطابور المؤدِّي إلى أسفل السلم قصيراً أكثر فأكثر. وكان لا يزال أمامهما بضعة أشخاص فقط. "تابعي،" قال لها كراين.

"كنتُ على وشك الاستسلام. ثم ما لبثتُ أن فكَّرتُ بما قد قلته لي عن "ويب" WIPP، وكيف أن القائمين على برنامج طمر النفايات لا يكتفون باستخدام نوع واحد فقط من التحذيرات. بل يعمدون إلى استعمال عدة أنواعٍ منها معاً. من صور، إلى رموز، إلى نصوص. ثم فكَّرتُ أن كائناً من يكون ذلك الذي قام بطمر تلك المواد تحت طبقة الموهو، فإنه قد يكون هو الآخر قد عمد إلى استعمال عدة أنواعٍ من التحذيرات. وقد لا تكون فقط تعابير رياضية ممنوعة. وهكذا ابتدأتُ بالقيام ببعض التجارب. حاولت في البداية أن أستمع إلى الرسالة من جديد، وكأنها ملف صوتي. لكن تلك المحاولة لم تنجح. ثم تصوَّرتُ إمكانيةً أن تكون هذه الرسالة عبارة عن رسم بيانيٍّ أو صور. وهكذا، قمتُ بتجزئة الرسالة في عدة طرق. لكنَّ تلك الأحاد التي تتكرر على التسق ذاته في القسم الأول قد أثارت انتباهي وفضولي وحيرتي. وهكذا قسمت النصَّ إلى قسمين متساويين. وقد لاحظتُ أن القسم الأول محدود بالأحاد ثم أن هناك، بالضبط، معدَّل النسبة نفسها من الأحاد، قياساً على

الأصفار، بين الصورتين. فبدأ لي أنه إنما قَصِدَ مِنْ تِلْكَ  
الرِّسَالَةِ أَنْ تَكُونَ مَقْسُومَةً إِلَى نِصْفَيْنِ. " ثُمَّ قَامَتْ  
هُوَ بِتَمْرِيرِ المِرْقَمِ عَلَى وَجْهِ الشَّاشَةِ. فَظَهَرَ النَّسَقُ  
الرَّقْمِيُّ الثَّنَائِيُّ لِلرِّسَالَةِ، هَذِهِ المَرَّةَ، مَقْسُومًا إِلَى  
صورتين، على الشكل التالي:

```
10000001110000000000000000000001
10000000100000000000000000000001
10000000000000000000000000000001
10000000000000000000000000011000001
10000000000000000000000000000001
10000000000000000000000000000001
10000000000000010000000000000001
10000000000000011100000000000001
10000000000000010000000000000001
10000000000000000000000000000001
10000000000000000000000000000001
10000000000000000000000001000000001
10000000000000000000000000000001
10000011000000000000000000000001
100000000000000000000000000110001
10000000000000000000000000000001
```

```
00000100100000000000000001110001
001000000000000000000001000000000
0000000000010010000100000000000
00101000000000000000000001000100
0000000000000000000000000000000
10000000010000000000001000000000
10000000000000010000100010000001
00001000000000000001000000001000
10000000010000000000000000000100
00000000000000000001000000000010
000100000000000000010000100000000
0100000001000010000000000000000
00000100000000000001000010000000
0000010000000000000000000000000
0000000101100000000000010000010
```

نظرتُ إلى كرايين. " هل ترى أيَّ شيءٍ مختلفٍ في  
الصورة العليا؟ " حدِّق كرايين في الشاشة. " إنَّ الآحادَ  
مجمَّعةً إلى بعضها البعض. "

" بالضبط، " والآن تناولتِ المِرْقَمَ، ورسمتِ بعضَ  
الدوائر حول بعض الآحاد المتجمَّعة، فبانت الصورة  
العليا على الشكل التالي:



"والآن، هل يوحي لك هذا الشكل بأيّ شيء؟"  
سألته.

هزّ رأسه نافيةً. "لا، ليس في الحقيقة."

"حسنًا، ولكنه يعني لي شيئاً ما. أعتقد أنه يمثّل صورةً للنظام الشمسيّ الداخليّ." "نقرتُ على المجموعة الكبرى من الآحاد." تلك النقطة التي تقع في المركز تماماً تمثّل الشمس، وحولها الكواكب الخمسة الداخلية. وإني أراهن أنك لو قمتَ بفحص خرائط النجوم لوجدت أن هذا الشكل يطابق شكل خريطة المجموعة الشمسية، ومواقع الكواكب الستة فيها، كما كانت عليه قبل ستمائة سنة."

"أي تاريخ حادثة طمر هذه النفايات."

"بالضبط."

"وماذا يمثّل الشكلُ الثاني إذن؟" سألتها كراين. "إنه يبدو لي عشوائياً كالضجيج."

"هذا هو التفسير الصحيح بالضبط. إنه عشوائي - والواقع أنه عشوائي تماماً. فلقد تأكّدت من ذلك."

تجهم كراين وهو يحملقُ في تلك الزوبعة من الآحاد

والأصفار. ثم صعقته فكرة فجائية قارسة. "هل تعتقدين أنها تعني 'القيامة'."

هزت رأسها بالإيجاب. "أعتقد أنها نوع آخر من أنواع التحذير، فإذا جازفنا بالعبث بما هو موجود هنا تحتنا فإن... " وهنا انقطع صوتها.

نظر إلى الشاشة ثم حدق بها. "النظام الشمسي سوف ينفجر أشلاء."

"بالمعنى الحرفي" وبالمعنى المجازي."

والآن كان فاندريلت يساعد عالمة تقف أمامهما على صعود السلم إلى سفينة الهرب. وعندما خطت هوي خطوتها الأولى إلى الأمام وأمسكت بالدرجة الأولى، قام كراين بإيقافها. "كان هذا جهداً مثيراً للإعجاب، أتعلمين؟"

استدارت نحوه لتقول: "أسفة لم أفهم."

"أنت التي كانوا يخبئونك في ذلك المختبر، لم تملكي حضور الذهن الذي يمكنك من العثور على المشكلة وحسب، بل على فهمها وتحليلها أيضاً..."

في هذه اللحظة، فتح باب قاعة الترحيل، ودخل جندي بحري يرتدي بزة سوداء، ويحمل بندقية بيديه. ذهبت نظرته بين كل من كراين وهوي، ثم إلى فاندريلت، ثم إلى عالمة التي صارت في منتصف السلم المؤدي إلى الفتحة.

"انزلوا عن السلم وابتعدوا عنه،" قال بصوت غضوب.

استدار كراين نحوه. "إننا نقوم بإخلاء هذه المحطة

بقصد المساعدة.

"لن يكون هناك أيّ إخلاءٍ. وعلى الجميع أن يترجّلوا ويعودوا إلى مراكزهم، وسفينة الهرب سوف يوضع تحت الحراسة."

"بناء على أوامر من؟" سأله فاندربيلت.

"أوامر الضابط كوروليس."

"لكن كوروليس ليس في حالةٍ صحيّةٍ تؤهله القيادة،" قال كراين.

"أنا كبير العلماء هنا،" قال فاندربيلت. "وحيث إنه لا يمكن الوصول إلى الطبقات الدنيا، فإنني وحدي المسؤول هنا. وعملية الإخلاء سوف تستمر."

أنزلَ رجلُ المارينز سلاحه وصوّبه نحوهم. "لديّ أوامري،" قال بصوتٍ واضحٍ وهادئٍ. "على كل شخص أن يغادر سفينة الهرب بشكلٍ أو بآخر."

نظر كراين من ماسورة البندقية إلى عيني الجندي القاسيتين، الخامدتي الإحساس. ولم يكن ثمّة شكّ في ذهنه - أبداً - أن هذا التهديد لم يكن مجرد تهديدٍ كلاميّ.

تجمّدت المرأة الواقفة على السلم في مكانها. والآن، وهي تنشج بصمتٍ، بدأت بالنزول عن السلم بهدوء.

حدّق كراين نحو رجل المارينز. وكان الرجل يقف عند عتبة الباب، ربما على مسافة خمسة عشر قدماً منه.

شعر أن قبضتيه تتكوران. ودون وعي منه، تكوّنت خطة في رأسه. نظر إلى فاندربيلت. فردّ له عالم المحيطات النظرة بمثليها. وهكذا، نشأ تفاهم صامت بينهما، وقد أوما فاندربيلت بطريقة تكاد لا ينتبه أحد إليها.

عادت عينا كراين إلى البندقية الرشاشة. كان يعرف أنه لم يكن ثمة طريقة للوصول إلى البندقية، قبل أن يكون الجندي قد أرداه قتيلاً. لكنه إذا لم استطاع إشغال الجندي، على الأقل، فلربما استطاع فاندربيلت أن يجد فرصة للهجوم.

### خطا خطوةً إلى الأمام

استدار عميل العمليات السرية السوداء نحوه. اتسعت حدقتا الرجل قليلاً كما لو أنه أحس بالخطة. وبسرعة أدار سلاحه في اتجاه صدر كراين.

وفي تلك اللحظة، برز شكل رجل في الممر الواقع خلف قاعة الإخلاء. "أنزل ذلك السلاح من يدك،" دوى صوت مألوف.

استدار العميل نحو مصدر الصوت. كان الأدميرال سبارتان يقف عند الباب. وكان ثمة شذخ كبير في جبهته. وكان الجزء العلوي من بزته العسكرية متصلباً بسبب الدم اليابس الذي كان قد علق به. وكان في يده اليمنى سلاحاً جانبياً ثقيل. لقد بدا الجنرال شاحباً ولكن عازماً.

"قلت لك أنزل ذلك السلاح من يدك، أيها الجندي،"  
قال له بهدوء.

وللحظة، لم يأت أحدٌ بأيِّ حركة. ثم قام عميل العمليات السرية السوداء باستدارة مفاجئة رافعاً بندقيته الرشاشة في اتجاه سبارتان. وفي حركة سلسة، رفع الأدميرال مسدسه وأطلق النار. وكان صوت الطلقة في القاعة المقفلة مدويًا. جنح رجل المارينز إلى الوراء تحت تأثير الإصابة ووقع سلاحه من يده على الأرض. وصرخت المرأة الواقفة على السلم في دعر.

بقي سبارتان ملازمًا مكانه لحظة، فيما بقي مسدسه ثابتاً في يده لا يتحرك. ثم تقدم إلى الأمام، والتقط البندقية الآلية، واستدار ناحية كراين. وبهدوء أعان فاندربيلت المرأة الواقفة على السلم، كي تتابع التسلُّق، ثم أشار إلى هوي بينغ كي تتبعها.

فتح كراين جعبته الطبية مفتشاً عن ضمادة، لكن سبارتان أزاها عنه "أين كنت؟" سأله كراين.

"كنتُ محتجراً في مقصورتى."

"وكيف تمكنت من الخروج؟"

لوح الأدميرال بمسدسه في ابتسامة لا تحمل فرحاً.

"هل لديك علمٌ بما حدث؟"

"أعرف ما يكفي. هل الجميع الآن في سفينة الهرب؟"

"أجل الجميع. ابتداءً من الطبقة التاسعة وحتى الثانية عشر. ويبلغ عددهم الإجمالي مئة وإثنا عشرة شخص. الطبقة الثامنة قد غرقت بكاملها ولا أحد تحت مستوى تلك الطبقة يمكنه العبور خلالها."

عبرت نظرة ألم فوق وجه سبارتان. "من الحيويِّ والعاجل أن تُخرج هؤلاء الناس من هنا في أسرع وقتٍ ممكن."

"لا مجال لطول النقاش هنا، لنأخذ أماكننا في السفينة."

هزَّ الأدميرال رأسه. "إنني باقٍ هنا."

"لا يمكنك ذلك. ليس هنالك أيُّ ضمانة من أن تصل فرق الإنقاذ في الوقت المناسب. بالإضافة إلى ذلك، فإن كوروليس هو الآن تحت، في الأعماق، في البلورة رقم ثلاثة. وقد يتمكن من اختراق طبقة الموهو في أي لحظة. وبعد ذلك يعلم اللـه وحده ماذا يمكن أن يحدث."

أشار سبارتان بمسدسه نحو رجل المارينز. "إن الكثيرين من أمثاله ما زالوا في الطريق إلى هنا. وسوف يمنعون السفينة من الإقلاع، ويمنعونكم من المغادرة. ولن أسمح بحصول ذلك."

تجهَّم كراين. "ولكن -"

"هذا أمرٌ أوجهه إليك يا دكتور كراين. المطلوب منك الآن هو إنقاذ أكبر عدد ممكن من الناس. أما الآن،

فاصعد إلى السفينة لو سمحت."

تردد كراين للحظة أطول، ثم انتبه، وألقى تحية على الأدميرال، فردها له الأدميرال بمثلها، فيما ابتسامة باردة ترتسم علي وجهه. استدار كراين ليلحق فاندربيلت إلى السلم.

"يا دكتور!" ناداه سبارتان.

التفت كراين إلى الورااء.

سحب سبارتان بطاقة من جيبه، ومدّها في اتجاه كراين. "عندما تصلون إلى ستورم كينغ، اتصل بهذا الرجل، وأخبره بكل شيء."

نظر كراين إلى البطاقة. كانت متوجهة بخاتم وزارة الدفاع، وقد كتب عليها فقط ما يلي: ماكفرسون،  
111-1011 (203)

"أجل، يا سيدي،" قال.

"وفقكم الله."

أعطى كراين إيماة أخيرة للأدميرال. ثم تسلق السلم بسرعة، وانسل نفسه من خلال الفتحة.

وجد نفسه في أنبوب عمودي منار بأضواء زرقاء مخفية. استمر السلم صعوداً، فإذا به محمي من الجانبين بإطار من الصفائح المعدنية. وكان ثمة فقععة عميقة عندما قام سبارتان بإغلاق الفتحة الخارجية.

وبعد أن تسلق عدداً آخر من الدرجات، مر كراين خلال بوابة تشبه الطوق الهائل الكثافة، ثم وجد نفسه داخل سفينة تشبه دمعة العين. وكان باطن السفينة مضاءً إضاءة ضعيفة بواسطة الأضواء الزرقاء نفسها

التي تضيء أنبوب الوصول إلى السفينة. وحالما وقف في أعلى السلم، جاعلاً عينيه تعتادان الإضاءة الضعيفة، وجد نفسه محاطاً بصفين من المقاعد المستديرة، يقع كل صف منها وراء الصف الآخر وفوقه. وكان كلا الصفين مكتظاً بالناس، وكان عدد من هؤلاء يمسكون بأيدي بعضهم البعض. فيما الصمت يخيم على جو المكان بشكل غريب، بحيث لا يجد المرء أحداً يتفوه بكلمة، وإن كلم أحدهم الآخر، همس إليه همساً، بدأت عينا كراين تطوف على الوجوه، من وجه مألوف إلى سواه. فكان هنالك وجه برايسي الطبيب النفساني المقيم؛ وغوردون ستامبر، مشغل الماكينات؛ وتقنيو المختبر؛ وصناع البيتزا؛ والتقنيون؛ والمكتبيون؛ ومحاسبو الصناديق؛ وطاقم خدمات التغذية. خليط من عمال المنشأة الذين كان قد قام بمعالجة بعضهم، وعمل مع بعضهم الآخر، أو على الأقل، قد احتكت كتفاه بأكتافهم في خلال الأيام العشرة الماضية.

شخصان كان غيابهما لافتاً: روجيه كوربيه، وميشيل بيشوب.

وإلى يمينه كان ثمة لوحة تحكم يقوم عليها فاندربيلت، ويساعده تقني لم يستطع كراين أن يتعرف إليه. نهض فاندربيلت وتقدم إلى الأمام.

"ماذا عن الأدميرال سبارتان؟" سأله.

"لقد تخلف في مكانه،" أجابه كراين.

هز فاندربيلت برأسه. ثم ركع وأقفل الكوة بعناية وتأكد من إحكامها تماماً. ثم استدار وأوماً إلى التقني الذي اشتغل على مفاتيح لوحة التحكم قليلاً.

سُمِعَت نَغْمَةٌ خَفِيضَةٌ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ. "إِنْفِصَالِ  
السَّفِينَةِ يَأْخُذُ الْآنَ مَجْرَاهُ،" قَالَ التَّقْنِيُّ.

نَهَضَ فَانْدَرَبِيلْتِ، وَمَسَحَ كَفِيهِ بِثَوْبِهِ الْأَبْيَضِ "هَنَّاكَ  
فَتَرَةً خَمْسَ دَقَائِقٍ مِنَ الْعَدِّ الْعَكْسِيِّ، بَيْنَمَا تَكْتَمِلُ  
عَمَلِيَّةُ ضَغْطِ السَّفِينَةِ بِالْهَوَاءِ،" قَالَ.

"كَمْ هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي نَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلْوُصُولِ إِلَى  
السَّطْحِ؟"

"حَالِمًا نَنْفَصِلُ عَنِ هَيْكَلِ الْقُبَّةِ، لَنْ يَحْتَاجَنَا الْأَمْرُ  
سِوَى إِلَيَّ ثَمَانِي دَقَائِقٍ فَقَط. هَذَا مِنَ النَّاحِيَةِ النَّظَرِيَّةِ،  
فِي كُلِّ حَالٍ."

بَيْنَمَا كَانَ كِرَايْنُ يَعْطِقُ حَقِيْبَتَهُ الطَّبِيَّةَ عَلَى كَتْفِهِ،  
أَجَالَ أَنْظَارَهُ فِي الرِّكَابِ الْجَالِسِينَ عَلَى إِطَارِي الْمَقَاعِدِ  
الْإِثْنَيْنِ، مَتَجَرِّبًا وَجُودَ أَيِّ إِصَابَاتٍ. ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ عَادَ إِلَى  
لَوْحَةِ التَّحْكَمِ. وَكَانَتْ هَوِي بَيْنَ تَجَلُّسِ خَلْفِ فَانْدَرَبِيلْتِ  
مُبَاشَرَةً. ابْتَسَمَتْ ابْتِسَامَةً خَفِيْفَةً حَالِمًا اتَّخَذَ كِرَايْنُ  
لِنَفْسِهِ مَكَانًا إِلَى جَانِبِهَا.

"هَلْ أَنْتِ جَاهِزَةٌ؟" سَأَلَهَا.

"كَلَّا."

وُضِعَتْ قَمْرَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ الشَّكْلَ فِي فَتْحَةِ الدَّخُولِ.  
وَكَانَتْ تَبْدُو شَبِيْهَةً بِالضَّبِطِ بِتِلْكَ الْقَمْرَةِ الَّتِي جَلَسَ  
كِرَايْنُ إِلَى جَانِبِهَا خِلَالَ رِحْلَتِهِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ عِنْدَ هَبْوَتِهِ فِي  
غَوَاصَةِ الْأَعْمَاقِ. أَمَّا الْآنَ، فَقَدْ انْحَنَى إِلَيَّ الْأَمَامِ، وَبَدَأَ  
يَنْظُرُ مِنْ خِلَالِهَا، فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى السَّلْمَ وَهُوَ يَنْحَدِرُ  
فِي اتِّجَاهِ الْبَوَابَةِ الْخَارِجِيَّةِ الَّتِي بَاتَتْ الْآنَ مَقْفَلَةً، وَكَانَ  
يَحِيطُ بِهِ اللَّوْنُ الْأَزْرَقُ الْخَافِتُ.

"بَقِيَ دَقِيقَتَانِ،" قَالَ التَّقْنِيُّ الْوَاقِفُ عِنْدَ لَوْحَةِ

التحكّم. لقد بات لدينا نسبة جيدة من الضغط. " وإلى جانبه كانت هويّ تجلس محدّقة. "تخالجني فكرة عن شيء ما،" قالت له.

"هاتِ ما عندك."

"أتذكّر أنك عندما كنتَ تحدثني عن مشروع جبل أوكوتيلو؟ لقد قلت حينذاك إن ثمة نوعين من التدابير المضادة المصمّمة من أجل منع أيّ كان من أن يقوم عمداً أو عن غير عمد، بالتطفل على تلك الأقبية المليئة بالأسلحة النووية. وقد قلت إن من هذه التدابير ما هو تدابير أمنيّة سلبية، ومنها ما هو تدابير إيجابية."

"هذا صحيح."

"إنني أستطيع أن أتصوّر كيف يمكن للتدابير السلبية أن تكون. فهي قد تكون إشارات تحذير أو صور ورسوم محفورة على صفحات المعدن، أو أشياء أخرى من هذا القبيل. لكن السؤال: كيف يمكن أن تكون التدابير الأمنية الإيجابية الرادعة؟"

"لا أعرفُ في الحقيقة. لقد كان الكلام عن هذه المسألة قليلاً أثناء المؤتمر، ما عدا ما يشير إلى وجود هذا النوع من التدابير الإيجابية الرادعة فعلاً. وقد اعتقدت يوماً أن المعلومات عن مثل هذه التدابير سرّية. استدار نحوها. "ولكن، ما الذي يحدو بكِ إلى طرح هذا السؤال؟"

"تلك الخوافر التي عثرنا عليها - لا بدّ من أن تكون عبارة عن تدابير سلبية، تتصرف بطريقتها الخاصة، مثلما قلت سابقاً. فهي تقوم بكل بساطة، بإرسال أعمدة من الضوء المحذّر. ولقد كنتُ أتساء ما إذا كان

لهذه الخوافر تدابير إيجابية رادعة أيضاً. "  
"لستُ أدري،" أجاب كراين ببطءٍ. "لكن سؤالك هذا  
هو سؤالٌ وجيهٌ."  
"بقي دقيقةٌ واحدةٌ،" همهم التقنيُّ.

ثم في الصمت الذي تلا ذلك، لم يعد سمعُ كراين  
يُمكِنُه من تمييز الأصوات جيداً – ولكن رغم ذلك، فقد  
كانت تتسرب إليه عبر البوابة الواقعة تحت قدميه  
أصواتٌ قرقرعةٌ مستمرةٌ لنيران بنادق أوتوماتيكية.

تمَّ رَكْنُ ماكينة الثقب، وكذلك مجسُّ التحسيس في مكنمهما. ثم تمَّ إزال ذراع التثبيت، مثبتاً البلورة رقم ثلاثة في مكان واقع فوق منطقة الموهو تماماً. وكان قد جرى التدرب النظريُّ على هذه الخطوات النهائية مراراً في غرف المحاكاة من قبل. وها هي الإجراءات الواقعية على الأرض تجري وتتمُّ من دون أيِّ ثغرات. فمن هذه اللحظة وصاعداً، على الفريق أن يتابع تقدمه في دقة تضاهي دقة عمل الجراحين في غرفة العمليات. كان عليهم من هذه اللحظة الاكتفاء باستعمال خراطيم الهواء المضغوط، والأذرع الروبوتية الدقيقة. صار الصمت في داخل البلورة يضاهي صمت المقابر.

"أعطها حقنة جديدة،" همس كوروليس. "رويداً، رويداً."

"حسناً، يا سيدي،" همس رافرتي مجيباً.

صار الرجال الثلاثة يتفاهمون بالنظرات والهمس المقتضب. حتى الدكتور فلايت بدا مأخوذاً بجلال اللحظة. ومرة جديدة مسح كوروليس غلالة العرق التي تغطي جبهته ووجهه. ثم ضغط وجهه إلى نافذة الرؤيا

الضئيلة. نوع من الخشوع الرهيب علق في الهواء في تلك اللحظة، كما لو أن علماء الآثار الثلاثة يقومون بفتح قبر مقدّس. وهنا اختفى الألم النابض بين صدغي كوروليس، كما أنه لم يعد يحسّ بذلك الغشاء المعدني الذي يغلف لسانه.

وبينما كان يراقب، أرسل رافرتي شحنة جديدة من الهواء المضغوط إلى قعر الثقب، فانبثقت منه عاصفة صغيرة من الرواسب وفتات الصخور الجوفية القاعدية، وانتشرت تحت الضوء الأصفر المنبثق من أسفل البلّورة، ولكن ليتمّ امتصاصها سريعاً وبعيداً بواسطة جهازية الامتصاص الفراغيّ.

"كن حذراً،" همس كوروليس. "كم هي المسافة؟"

"نحن هناك، يا سيدي،" أجاب رافرتي.

عاد كوروليس إلى شاشة الرّؤيا. "أعطها دفعة أخرى،" قال.

"دفعة أخرى، نعم."

راقب اندفاع تيارٍ آخر من الهواء المضغوط نحو قعر البئر، حيث تقع منطقة الوسط البيني. وكان يستطيع رؤية الخافرين الكبيرين يعومان على كلٍّ من جانبي البلّورة، فيما ذبلاهما اللامعان يتحرّكان على الدوام، وحوالهما تموج في تراخٍ وكسل. لقد كانا أشبه بمتفرّجين على عرض مسرحيّ. وما هو وجه الغرابة في ذلك؟ لقد كان وجودهما هناك أمراً صحيحاً. لقد قدما ليس للشهادة على انتصاره فقط، بل لمساعدته وإرشاده خلال نيل هذه المغنم التكنولوجية الرائعة التي تنتظره. إن الصدفة ليست هي من جلبه إلى هذا

المكان، بل إنه المصير والقدر.

"دفعة جديدة"، قال هامساً.

دفعة جديدة من الهواء تبعثها زوبعة صغيرة أخرى من المواد. صفت صفحة شاشة الرؤيا بسرعة حالما عمل جهاز الامتصاص عمله. أمسك كوروليس بمقابض التحكم بصورة هي حتى أسد من ذي قبل.

قرقع صوت الراديو من دفعة التحكم. "إلى البلورة رقم ثلاثة، هذا مركز التحكم بالحفر. هل تسمعني؟"

وبدون أن يزيح أنظاره عن شاشة المراقبة، مد كوروليس يده وأطفأ زر الطاقة في جهاز الراديو. لقد استطاع أن يلمح شيئاً ما في اللحظة. إنه لمعان مشرق، أشبه بانعكاس الضوء على المعادن.

"طلقة أخرى، لو سمحت"، قال. "لكن بحذر شديد، يا دكتور رافرتي. كن ناعماً كالزجاج."

"حسناً يا سيدي."

طلقة من الهواء المضغوط انطلقت في ظلام الثقب في الماء المظلم تحتمهم، تلتها زوبعة أخرى من الجسيمات الرمادية البنية. والآن، وعندما انجلى الزوبعة، شهق كوروليس.

"يا إلهي، جر أنفاسه."

لقد كشف جهاز ضغط الهواء عن قعر البئر، مُظهراً وجهاً صقيلاً ناعماً كالزجاج. وبالنسبة إلى كوروليس، المنكب على عدسة النظر، بدا الأمر كما لو أن أحدهم يقوم بنفخ الغبار عن ظهر طاولة. أما وراء ذلك، فيرقد وهم - على الأقل بدا الأمر وهماً بالنسبة إليه - لفراغ

ليس له قرارٌ تقريباً: لا محدوديةً سوداء تمتدّ نزولاً. كان ضوءه الكشاف ينعكس عن السطح الزجاجي. لكنه اعتقد أنه قد بدأ يرى مصدراً آخرًا للنور، خافتاً وغريباً. يقع خلف هالة الضوء المشرقة وتحتها.

وعلى كلٍّ من جانبي البلّورة، صار الخافران في حالة احتياج. لم يعودا يكتفيان بالانسياب البسيط، بل صارا يروحان ويجيئان في احتياجٍ فوق قطر البئر الضيق.

"أطفئ الأنوار،" قال كوروليس.

"ماذا يا سيدي؟" قال رافرتي.

"قلت أطفئ الأضواء الخارجية، لو سمحت."

الآن، صار كوروليس يستطيع الرؤية بوضوح أشد.

لقد كانت البلّورة معلقة فوق تجويف عملاق، لا يظهر منه سوى بقعة صغيرة جداً. هل يكون ذلك التجويف فارغاً، أم يكون ذلك السطح اللامع كالزجاج، تحته مباشرة، يملأ ذلك الفراغ كما لو أنه مادة صمغية قد ملأت الثقب. لم يكن كوروليس يستطيع تبين ذلك. فالظلمة المخملية لم تعطه أي انطباعٍ محددٍ سوى عن العمق الذي لا نهاية له.

ولكن لا... فيها هو ضوءٌ ضئيلٌ يبرز من القعر البعيد. وبينما هو يحدّق فيه، ولا يكاد يستطيع التقاطه أنفاسه، بدأ الضوء يصبح شيئاً فشيئاً أكثر إشراقاً.

إنه الآن يقترب.

"سيدي!" قال رافرتي وقد بدا صوته المتحفّظ في العادة متوتراً هذه المرة.

نظر كوروليس إليه. " ما الأمر؟ "

" لقد توقفوا عن إرسال إشاراتهم. "

" هل استعدت سيطرتك الكاملة على جميع أجهزتك؟ " سأله كوروليس.

" نعم يا سيدي. الأجهزة اللاسلكية، والأجهزة البعدية أيضاً، وكذلك الحساسات، والأجهزة فوق الصوتية، والإشعاعية، وجهاز مقياس المغنطيسية، وكل شيء. "

عاد كوروليس إلى عدسة الرؤية. "إنهم يبرزون أنفسهم لنا،" قال مهمهماً.

صار الضوء أكثر اقتراباً الآن. وقد لاحظ كوروليس أنه يرتعش قليلاً، ولكن ليس بالأسلوب الكسول المتموج الذي ترتعش به الخوافر، بل بأنباض حادة تكاد تكون مخيفة. أما لونها فلم يكن قد رأى لونها مثله من قبل. كان أشبه بالتماع معدني غامق، مثل التماع ضوء أسود على شفرة سكين. بدأ الأمر وكأنه يستطيع تذوق طعم هذا اللون، بقدر ما يستطيع رؤيته. وكان هذا إحساساً غريباً لا يبعث في النفس شعوراً بالارتياح. شيء ما يتعلق بهذا الإحساس جعل الشعر في رقبته يقف على حدوره.

" سيدي! " قال رافرتي من جديد. " بدأت الآن ألتقط إشارات إشعاعية آتية من تحتنا. "

" ما نوع هذه الإشعاعات يا دكتور رافرتي؟ "

" كلُّ نوع من أنواع الإشعاعات يا سيدي. أشعة تحت حمراء، أشعة فوق بنفسجية، أشعة غاما، أشعة راديوية. إن مجسات الاستشعار تتصرف بطريقة مجنونة. إنه طيف من الأشعات لا أستطيع أن أميّزه. "

"قم بتحليله إذاً."

"حسناً يا سيدي." عاد المهندس إلى محطته وبدأ ينقر المفاتيح ويستجلي البيانات الناتجة على الشاشة.

عاد كوروليس إلى عدسة الرؤية. كان الجسم المتوهج ما زال يرتفع في اتجاههم من عميق الظلمة الغزيرة. بدأ لونه الغريب يغدو داكناً، وكان شكله يشبه شكل الثور، أما إطار جسمه الخارجي، فما فتى ينبض بألوان زاهية. وفيما هو يحدّق فاجر الفم، فإن خاصية هذا الجسم اللادنيوية البارقة جلبت إليه فجأة ذكرى من ذكريات طفولته كان قد طواها النسيان. حصل ذلك عندما كان لا يزال في الثامنة من عمره، حينما أخذه والداه إلى إيطاليا لحضور قدّاس بابوي في كنيسة القديس بطرس. وعندما أحضر البابا خبز القربان المقدّس، شعر كوروليس بأنه محاط بشيء يشبه الصدمة الكهربائية. وبطريقة ما، فإن غنى تلك المناسبة المفرطة في زخرفها واستثنائيتها قد جلب تأثيره على وعيه الطريّ آنذاك، بطريقة قد رافقته، للمرة الأولى، إلى البيت. فهناك في الهيكل، كان البابا يقدّم لهم أعظم هديّة في الدنيا: السرّ المقدّس للقربان.

وبالطبع، كان الدين الطقسيّ قد فقد كلّ ضرورة له بالنسبة إلى كوروليس منذ أمدٍ بعيد. لكن تحديقه في ذلك الجسم المتألّق الرائع جعله يشعر بذاك الخليط نفسه من المشاعر. إنه الآن واحدٌ من المصطفيين. وفي هذه المناسبة يجري نفحُه بسلطةٍ أقوى. وهي أعظم العطايا التي يمكن أن تهدي له.

لكن فمه كان جافاً، والطعم النحاسي قد عاد إليه من جديد. "ألا يريد أحدٌ منكما أن يلقي نظرة؟" سألهما

بخشونة.

كان رافرتي لا يزال منكباً على حاسوبه. أما الدكتور فلايت فقد أوماً برأسه إيجاباً وتحول عن مكانه، متخذاً طريقه عبر داخل البلورة، إلى قرب بؤرة النظر. وللحظة بقي الرجل العجوز صامتاً ثم تحرك فكه قليلاً. " لا نور: بل وحده الظلام هو الذي يبدو، " قال متمماً لذاته.

وفجأة، رفع رافرتي أنظاره عن شاشة حاسوبه، "أيها القائد!" قال متعجباً. " لا بد من أن ترى هذا. "

انحنى كوروليس فوق الشاشة التي عرضت صورتين، وكل منهما صورة تمثل عاصفة ثلجية من الخطوط العمودية الضيقة.

" في بداية الأمر، لم أستطع أن أتبين طيف الإشعاع الكهرمغناطيسي، " قال رافرتي. " بدا هذا شيئاً لا معنى له؛ بل مستحيلًا. "

" لماذا؟ " وجد كوروليس أنظاره تعود إلى شاشة الرؤيا.

" لأن جميع الأطياف كانت تحتوي على أطوال موجاتٍ لكلٍ من المادة واللامادة. "

" لكن هذا مستحيل. فالمادة واللامادة لا يمكنهما أن يجتمعا معاً. "

" بالضبط، لكن أترى ذاك الكيان الذي تشاهده على الشاشة؟ تقول مجسّات الإستشعار إنه يتألف منهما معاً. ثم إنني قمت بعزل بصمة المادة عن بصمة اللامادة. فحصلتُ على هذه الصورة. " هنا أشار رافرتي إلى شاشة الكمبيوتر.

"وما هي؟"

"إنها إشعاعات هوكينغ يا سيدي."

هنا استدار الدكتور فلايت عن شاشة العرض في دهشة.

"إشعاعات هوكينغ؟" كرر كوروليس.

هز رافرتي رأسه بالإيجاب. وكان العرق يتصبب من جبينه، كما كان ثمة بريق غريب في عينيه. "إنها الإشعاعات الحرارية التي تنبعث من حواف الثقب الأسود."

"لا بد أنك تمزح."

هز المهندس رأسه نافيةً؟ "إن هذا الطيف سهل التمييز عن سواه، على الفور، لأي عالم من الفيزياء الفلكية."

شعر كوروليس الآن أن كل شعوره بالنشاط والخفة والانسراح قد بدأ يتبدد إلى عدم تصديق. "هل أنت تعني أن ذلك الذي تنظر إليه هو عبارة عن ثقب أسود؟ وأنه يتألف من مادة ولا مادة معاً؟ إن هذا لأمر مستحيل."

عاد فلايت ينظر من جديد إلى شاشة العرض. والآن تراجع إلى الخلف، وعيناه الزرقاوان تلتمعان في وجهه الناحل. "ياه! أعتقد أنني الآن أفهم."

"إذن، أشرح لنا من فضلك يا دكتور فلايت."

"أيها السادة.. أيها السادة. إن الشيء الذي يتخذ شكل الثور في الأسفل ليس ثقباً أسود واحداً، بل ثقبان أسودان."

"ثقبان؟" كَرَّر كوروليس، وقد تعمَّق شعوره بعدم التصديق.

"إثنان، نعم! تصوّر ثقبين أسودين - وكلُّ منهما متناهي الصغر، ربما بحجم الكُّلة - في مدارٍ شديد الضيق يدوران حول بعضهما البعض. وهما يدوران بسرعة هائلة، ربما ألف دورة في الثانية أو أكثر."

"وكيف يدوران؟" سأل كوروليس.

"حتى أنا لا أملك جميع الإجابات أيها الضابط كوروليس. لا بدَّ أن يكونا ممسوكين في نطاق ذلك المدار بواسطة قوَّة ما، تكنولوجيا ما، لا نعرف عنها شيئاً. فبالنسبة إلى العين المجرَّدة، إنهما يدوان كجسم واحد. أمَّا بالنسبة إلى أجهزة رافرتي وشاشة حاسوبه فيظهران كأنهما يبتَّان إشعاعات هوكينغ التي هي إشعاعات ماديَّة ولا ماديَّة."

"لكنهما في الحقيقة كيانات مستقلان،" قال كوروليس.

"بالطبع،" قال رافرتي. "تماماً مثلما تبدو صورة الطيف الواحد منهما على شاشة حاسوبي."

فجأة فهم كوروليس. أن هذه الأشياء قويَّة بما يفوق التصوُّر، لكنها مع ذلك رائعة في بساطتها. هنا عادت إليه فورة نشاطه ونشوته. "ثقبان أسودان،" قال مخاطباً نفسه أكثر مما كان يخاطب الآخرين. "واحد منهما من المادة، والثاني من اللامادة، مقترنان معاً ولكن دون تماسٍّ أو اتصالٍ. وإذا أزيلت القوة التي تمسكُ بهما... أو إذا حدث أن أفِلتَ عنهما..."

"فإن المادة واللامادة سيصطدمان،" قال رافرتي

بتجهم. "تحوّل كاملٌ ومطلقٌ للمادة إلى طاقة. وسوف تطلق كل وحدةٍ من كتلة المادة من الطاقة ما هو أكثر مما يستطيع أن يطلقه أيُّ تفاعلٍ قد عرفه العلم من قبل."

"اسمحا لي بأن أرى ذلك." جلس كوروليس مكان الدكتور فلايت في مواجهة عدسة الرؤية. وكان قلبه يدق في صدره كالمطرقة، وكانت يداه ماهرتين على مقابض السيطرة. حدّق نحو الشيء المتوهج النابض الرابض تحته، بنظرة إجلالٍ جديدة.

عند بداية هذه الغطسة، كانت تحدوه آمال اكتشاف نوع من التكنولوجيا الجديدة المتطوّرة؛ تكنولوجيا رهيبة وطاقية إلى درجة تكفي لكي تحفظ لأميركا دوام السيادة والتفوّق. أمّا الآن، فقد نجح في تجاوز أقصى ما كان يحلم به سابقاً.

"إنها قبيلة،" قال هامساً. "القبيلة الأقوى في العالم، القبيلة التي يمكن اختزانها في علبة كبريت."

"تقول قبيلة؟" قال رافرتي. وكان ثمة إشارة تتمّ عن القلق، وحتى عن الخوف في نبرة صوته. "يا سيّدي، إن ما تراه الآن، لا يمكن أن يكون له أيّ إمكانية استعمال عملية، إذا نظرت إليه كسلاح."

"ولمّ تقول ذلك؟" قال كوروليس دون أن يرفع نظره عن الشاشة.

"لأنه لا يمكن استعماله أبداً. فلو حصل مرة أن اصطدم هذان الثقبان الأسودان، فإن الانفجار الذي سيتولد عن اصطدامهما سوف يكون مذهلاً وصاعقاً إلى درجة كافية لتدمير النظام الشمسي بكامله."

لكن كورويس لم يكن يصغي أبداً، لأن العتمة اللامتناهية في شاشة الرؤية أمامه كانت الآن آخذة في التغيّر الخفيّ.

فحيث كان هناك من قبل سواداً بلون الحبر - لا يكسره سوى الضوء المتألق لذاك المخلوق الصناعي الوحيد - فقد تحوّل الآن إلى ضوء خافت، بل حتى متورّد. وهو ينتشر من الفضاءات السفلى. كان ضوءاً أشبه ما يكون بضوء الفجر الكاذب. وقد أمسك كوروليس أنفاسه حياّل ما تكشف له. لم يكن هناك الآن مخلوق صناعيٍّ واحدٍ فقط، بل المئات، لا بل الألوف، من مثل هذه المخلوقات، الموجودة جميعها في هذا النسيج المنتشر تحته فالمخلوقات الأكثر قرباً منها كانت تتوهج بذاك الضوء الغريب اللأرضي، بينما تلك البعيدة عنها، كانت تبدو كمجرد نقاط من الضوء تكاد تكون غير بادية للنظر. وبين هذه المخلوقات جميعاً، كانت الخوافر تجوس بحوالقها المتماوجة الدائمة اليقظة.

وكانت هذه جائزة له، تتعدّى كلّ مطمعٍ أو أمل، بل تتعدّى كلّ خيالٍ أو قياس.

تراجع كوروليس في مقعده، ومسح العرق عن جبينه حول عينيه بظهر يده، ثم انكبّ على الشاشة من جديد. "عدّ إلى شاشتك"، قال موجهاً الكلام إلى فلايت. "قم بتجهيز الذراع الروبوتي."

رمش مهندس علم السيبرنيّات بعينه. "عذراً، ماذا تقول؟"

"أقول قم بتجهيز الذراع الروبوتي. وأنزله إلى مسافة مترٍ واحد."

"لكن ذلك سوف يجعل تلك الذراع على تماسٍ مع  
سطح الـ"

"بالضبط."

كان ثمة توقف. ثم تكلم رافرتي: "أعذرني إذا قلت  
ذلك لك يا سيدي، ولكن هل أنت متأكد أن الحكمة  
تسمح بمثل هذا التصرف، إذا أخذنا بعين الاعتبار طبيعة  
الـ"

"إنني أجعلهم يعرفون أننا نتقبل هديتهم."

سادت فترة صمتٍ أخرى. ثم تتمم فلايت ببعض  
العبارات الإغريقية وأدار محطة التحكم أمامه، وقبض  
على الذراع التي تقوم بتشغيل آلية الذراع الروبوتي.

وعلى الشاشة، تمكن كوروليس من أن يرى الذراع  
الروبوتي يمتد تحت البلورة. تحرك الذراع إلى الأمام في  
ترددٍ واختلاجٍ، وامتدت منه إصبع فولاذية. ومرة جديدة  
التمعت في ذهنه ذكرى رحلته إلى روما. تذكر جلسته  
في كنيسة سيستين، وهو يحدق إلى الأعلى، بغم  
فاغر، في اللوحة التي قام مايكل أنجلو برسمها حول  
عملية خلق آدم: أطراف عظمة الله التي توشك أن  
تلامس الإنسان - لحظة الحياة الأولى - وبداية الدنيا...

صارت الذراع على تماسٍ مع الوجه الزجاجي  
الصقيل. لقد ضغطت على وجه السطح، فبانت أشبه  
بالجيلاتين الشفاف.

خيل إلى كوروليس أنه يسمع صوت غناء خفيض،  
صوت جوقة من المرتلين يرتل من على قمة جبل بعيد.  
هذا هو أشبه ما يكون بملامسة الخلود...

وعلى الفور غادر الخافران اللذان كانا يطوفان حول

جانبي البلّورة مكانهما، واختفيا عن حقل النظر. منذ لحظة كانا هنا، وفي اللحظة الثانية اختفيا. يا لها الآن من انعكاسات شبيحية للذاكرة الخالصة. وفيما هو يحدّق، برز ضوء لامع من عمق الهوة التي تقع تحتهم. وكان له التماع ذهبي أشبه ما يكون بشمس متناهية الصغر. ثم إن ضوءها الشديد كشف عن كل أسرار ذلك الفراغ العميق. شهق كوروليس مذعوراً عندما باتت ضخامتها الحقيقية مكشوفة أمامه، بما تحتوى عليه من عددٍ مُغرِقٍ من المصنوعات، في داخلها.

كان هذا مخبأً للموت يكفي لتهديد الحياة على كوني بكامله.

"إذا كان انفجار واحدٍ منها فقط كفيلاً بتدمير النظام الشمسي بكامله، فما الذي يجعلهم في حاجة إلى هذه الآلاف كلها من الرؤوس؟" تتمم قائلاً.

ووسط الصمت المفاجئ، سأله فلايت: "هل تعلم لماذا صار هيكل الآلهة في أثينا على تلك الحالة من الخراب؟"

كان هذا سؤالاً غريباً، بحيث أن كوروليس استدار نحو فلايت رغماً عنه.

"لأن الأتراك،" – تابع كلامه متخذاً نبرة جادة من جديد – "قد قاموا باستعماله كمستودعٍ للذخيرة أثناء القرن الثامن عشر. لكن قذيفة طائشة فدّ فجّرتة بكامله. وهنا لدينا الشيء نفسه أيها القائد. إنها مقبرة للسلاح، جاءت نتيجة سباق تسلح بين سكان الكواكب. شيء هو أبعد ما يكون عن مقدرتنا التكنولوجية على الفهم والاستيعاب."

"هذا هراء في هراء،" قال كوروليس. "هل كان الدكتور كراين يتحدث إليك في الآونة الأخيرة؟"

"أخشى ما أخشاه هو أن لا يكون ما أقوله لك هراءً أبداً. لم يكن من المفترض بنا أن نكتشف هذا. فهذه الأسلحة مدفونة هنا بقصد ألا يعثر أحد عليها، ولا أن يقوم أحد باستعمالها. لأنها قد تستطيع، بشكل مطلق، ليس تدمير العالم كله فحسب، بل تدمير هذا الجزء من الكون أيضاً."

"سيدي!" قال رافرتي. "إني أحصل على قراءات شديدة الغرابة."

"أي نوع من القراءات؟"

"لم يسبق لي أن رأيت شيئاً مماثلاً لها من قبل. إنها بصمة من الطاقة الغريبة عنا بالكامل. وهي تتحرك نحونا بمعدل هائل من السرعة."

"أن جيلاً من الناس هو أشبه بجيل من أوراق الشجر،" كان فلايت يغني الآن، بصوت نأب خفيض أشبه بالترانيم الجنائزية. "أما موسم الربيع فلا بد من أن يعود يوماً."

وحالما عاد كوروليس إلى عدسة الرؤية، أيقن أن تلك الشمس المتناهية الصغر، التي كانت قد توهجت تحتهم، لم تعد الآن شديدة الصغر، بعد كل شيء. تعالي صوت الغناء حتى صار صرخة غير آتية من كوكب الأرض. وبعد لحظة، أيقن كوروليس أن الشيء المنير الشبيه بالشمس أخذ في التحرك، وهو يشق طريقه بين الخوافر والمخلوقات المصنوعة، التي ليست سوى قنابل مصنوعة، وإذا بتحرك هذا الشيء الشبيه

بالشمس، يغدو شديد السرعة، بحيث صارت هذه المخلوقات الأخرى حوله، لا تبدو سوى فقاعات من الألوان. وللحظة قصيرة، فإن هذا الشيء، وفي خط مساره المنحني كالقذيفة، قد أحضر إلى ذهنه صورة الصاروخ المضاد للطائرات. ثم عندما اقترب الجسم منهم، وازداد شكله وضوحاً، لم يعد يبدو أو يشبه أي شيء كان قد سبق له أن رآه من قبل. شيء يندفع إلى الأعلى، خلال الفراغ، سائراً في اتجاههم، وهو ينمو ويتعظم حتى ملاً ضوءه الناري جميع مساحة عدسة الرؤية، وهو يقذف ألسنة من اللهب في التواءات غاضبة لامعة تشبه برادة الحديد المنصهرة...

... وعندئذٍ وحالما غمرت النار البلّورة رقم ثلاثة، وانفجرت من البئر مبخرة لحم كوروليس، ومفجّمة عظامه في أقلّ من جزءٍ من ألف من الثانية - لم يبقَ وقتٌ للشعور بالدهشة، ولا بالخوف، ولا حتى بالألم.

## 61

"ثلاثون ثانية،" قال التقنيُّ القائم على لوحة التحكم. "لقد توصلنا إلى أقصى درجةٍ ممكنةٍ من الطَّفَويَّةِ."

نظر فاندربيلت من فوق الأجهزة أمامه. "تمسَّكوا جيداً أيها القوم. فهذه الرحلة ستكون رحلةً قاسيةً."

أمَّا في الأسفل، فتوقَّفت أصوات البنادق الرشاشة. نظر كراين حوله. لقد باتت سفينة الهرب صامتة هادئة الآن، وتحت الأنوار الزرقاء الخافتة، بدا ذلك البحر من الأوجه ناضباً، مشدوداً، خائفاً.

"عشر ثوانٍ،" قال التقنيُّ.

"تسلسل القذف قد أخذ مجراه،" قال فاندربيلت.

بات الآن في وسع كراين أن يسمع فرقعة جسم معدنيٍّ على جسم البوابة الخارجية، تأتي مدوِّية خلال أنبوب الدخول. ومن خلف كتفيه، كان أحدهم يصلي بصوتٍ مسموعٍ. مدَّ كراين يديه ممسكاً يدي هوي بينغ بينهما.

"بدأ القذف الآن،" قال التقنيُّ.

ثم كان ثمة رجَّة عنيفة، وسُمع صوت انزلاق المعدن

على المعدن، ثم انطلقت سفينة الهرب إلى الأعلى انطلاقة الفلينة من عنق الزجاجية. شعر كراين بنفسه منضغطاً إلى مقعده بينما هم ينطلقون كالصاروخ نحو السطح. نظر إلى الأسفل من خلال الكوة الشفافة، لكنه لم يستطع أن يرى سوى زوبعة من الفقاعات التي تثيرها أضواء سفينة الهرب الخارجية.

وفي تلك اللحظة سمع صوتاً غريباً. كان صوتاً خفياً لدرجة قلماً يمكن سماعه معها، وكان آتياً من الأعماق إلى الأسفل. وكان يبدو منه وكأن الأرض نفسها تبكي من الألم. وارتجفت سفينة الهرب بطريقة لا دخل لها بعملية ارتقائها السريع.

ثم كان هناك فوضى مختلطة من الصرخات والتأوهات. أما بالقرب منه، فقد رفعت بينغ هوي يداً إلى وجهها. "أذناي،" قالت له.

"غيري ضغط الهواء،" قال لها كراين. "حاولي أن تتلعي ريقك، أو أن تتشاءبي، أو جرّبي حركة فالسالفا." "حركة ماذا؟"

"اضغطي على فتحتي أنفك، وأقفلي فمك، ثم حاولي إرغام الهواء على المرور من خلال منخريك. فإن هذه الطريقة تساعد في عملية مساواة الضغط في أذنيك."

نظر من خلال القمرة مرة جديدة باحثاً عن مصدر ذلك الدويّ الغريب. كان اضطراب الفقاعات قد هدأ، فاستطاع أن يلمح استدارة القبة الواقية للمنشأة، الذي كان قد أصبح على مبعده مئات من الأقدام تحتهم الآن. وكانت كوكبة أضوائه أشبه بأنوار النجوم الباهتة

في سماء داكنة. وبينما هو يراقب، غابت هاتيك الأضواء عن البصر، وانحجبت عن الرؤية، وعاد كل شيء داكناً.

ثم- وبينما هو علي وشك إشاحة وجهه - جاء انفجارٌ من النور من أسفل الأعماق.

بدا الأمر كما لو أن المحيط بكامله قد تكهرب فجأة بالنور. تمكن كراين من الحصول على لمحة خاطفة لمنظر قاع المحيط ذاته، الممتد في جميع الاتجاهات، وكأنه سهلٌ فسيح من سطح القمر الرمادي. عددٌ لا يحصى من أنواع أسماك أعماق البحر الغربية كانت أسرابه معلقةً تحته. ثم اشتد البريق إلى درجة أجبرته على الإشاحة بوجهه.

"ما هذا بحق الجحيم؟" سمع فاندربيلت يقول.

لقد باتت الكوة أشبه بمصباح كهربائي يغمر جوانب سفينة الهرب بالنور الذهبي المشرق. ولكن رغم محاولة كراين للتحديق، فقد لاحظ أن الضوء قد بدأ يخبو. جاء المزيد من الأصوات القادمة من مستوى الأعماق، الآن. انفجاراتٌ مدويةٌ حادةٌ وأصواتٌ أخرى كقرع الأبواب الحثيث تأتي كرشقٍ من الألعاب النارية الهائلة. انحنى إلى الأمام من جديد، ناظراً بعينين نصف مغمضتين من الكوة، ثم أمسك أنفاسه.

"يا إلهي،" أخرج النفس من صدره.

تحت الضوء المنعكس إلى الأعلى، من قاع المحيط، استطاع هذه المرة أن يبصر القبة، فإذا بها تنفجر وينفتح جوفها على نحو مفاجئ، وتتقشر تقشر الموزة. أما في داخل القبة، فقد رأى التماعات لا تبدو أنها تنتمي إلى كوكب الأرض، من أحمر إلى بني إلى أصفر،

تلاها شلالاً رهيباً من الانفجارات التي تمزقت بعدها المنشأة منشقة إلى نصفين.

ثمة شيء آخر كان هناك: موجة صدمية هائلة تغضب وتغور كأنها كائن حي، وهي تغلي مندفعة في طريقها نحوهم بسرعة مخيفة.

جلس من فوره، محيطاً بينغ هوي بإحدى ذراعيه، ومتمسكاً بالسياج باليد الأخرى. "تمسكوا لتحاشي الصدمات!" صرخ في الناس.

مرت لحظة من التوقع الرهيب، ثم ألقى بسفينة الهرب فجأة إلى جانبه، إلى درجة كادت أن تقلبه رأساً على عقب، بسبب عنف الموجة. تعالي الصراخ والعيول وانطفأت الأنوار، حتى لم يبق من الإضاءة شيئاً سوى تلك القادمة من الضوء الأصفر المتضائل الآتي من الأعماق. تشبث كراين بضراوة بجسد بينغ هوي، فيما كان جسدهما يهتزان بعنف إلى الأمام وإلى الوراء. انقذف جسد أحد الركاب، وتدحرج عبر المقصورة مصطدماً بسياج الأمان، ثم مرتطماً بالأرض في تأوه شديد. تعالت أصوات مستغيثة أخرى. ثم كان صوت انفلات سدادة، تبعه هسيس المياه.

"أغلقوا ذلك الثقب!" صاح فاندربيلت، من وراء ذلك الاضطراب والصخب.

"ما الأمر؟" سألت هوي. فيما وجهها مدفون في كتف كراين.

"لست أدري. لكن تلك التدابير الإيجابية الرادعة التي كنت تسألين عنها، يبدو أنها قد وضعت قيد العمل حالما اصطدم كوروليس بها."

"وماذا؟ ماذا عن المنشأة؟" سألته

"اختفت."

"لا، لا.. كل هؤلاء الناس..." بدأت تنشج بهدوء.

وببطء، هداً الارتجاج. نظر كراين حوله في الفضاء المعتم. كان الكثيرون يبكون وينتحبون، فيما الآخرون مرتعبين ومضطربين، ويقوم بعض الجالسين بقربهم بمحاولة تهدئتهم. بدا أن هناك حالة واحدة فقط من الإصابات قد نتجت عن هذا الحادث داخل سفينة الهرب. وكان هو الرجل الذي تدحرج عبر أرضية المقصورة. وبلطف، حرر كراين نفسه من ذراعي هوي، وذهب لإسعاف الرجل.

"كم بقي أمامنا للوصول؟" نادى على فاندربيلت.

وكان عالم جغرافيا المحيطات قد هبَّ إلى مساعدة التقنيِّ على سدِّ الثغرة. "غير معروف"، أجابه منادياً. "تعطلت الطاقة، وتوقفت جميع الأجهزة. ونحن نصعد الآن بسبب طفويتنا ليس إلا.

ركع كراين أمام الرجل الجريح. كان الرجل دائخاً لكنه لم يفقد الوعي، وكان يصارع للنهوض من مكانه. فأسعفه كراين إلى وضعية الجلوس. ثم وضع له ضماداً فوق جرح عند جبهته، وضماداً آخراً عند مرفقه الأيمن. غابت الأنوارُ القادمة من الأسفل تماماً الآن. وصارت سفينة الهرب معتمَةً كالقار. تلمس كراين طريقه خلال منسوب من الماء يربو إلى مستوى الركبة، حتى وصل إلى هوي.

وحالما اتخذ مقعده إلى جانبها، شعر بشخص آخر يتحرك بقربه في الظلام. "لم نستطع أن نقفل الثغرة،"

جاء صوت فاندربيلت. "كل ما نأمله هو الوصول إلى السطح بسرعة."

"ثمانى دقائق قد مرّت على بدء الرحلة،" قال التقني. "يجب أن يكون الوقت الذي مرّ هو ثمانى دقائق."

وبينما كان التقني يتكلم، لاحظ كراين - أو خيّل إليه أنه قد لاحظ - أن الظلام القاتم في المقصورة، قد بدأ يتلون بشيءٍ ضئيلٍ جداً من الضوء. شعر أن هويّ تضغط على يده إذ يبدو أنها لاحظت الشيء نفسه. بدأت حركة الصعود إلى أعلى تبدو آخذةً في الهدوء، ثم تلاشت. ضوءٌ بارقٌ بدأ يخضب المقصورة، وهو يتلألأ في أنماطٍ تتراوح من الأخضر إلى الأزرق الغامق.

ثم جاء إحساسٌ لا يمكن أن يكون مخطئاً: لقد كانوا يتمايلون في عومٍ لطيفٍ بطيء.

انطلق ابتهاجٌ أشعثٌ في سفينة الهرب. وكانت هوي لا تزال تبكي، لكن كراين أيقن الآن أن هذه الدموع إنما هي دموع الفرحة.

سبح فاندربيلت في وسط المياه إلى فتحة الخروج في سقف السفينة. لكنه حالما فعل ذلك كان هناك صرخاتٌ مكبوتةٌ تُسمع من الأعلى، كما سُمعت خفقات النعال على سطح السفينة. أديرت قبضة الفتحة، وكان ثمة قرعة معدنية عندما رُفعت.

وعند ذلك، رأى كراين - لأول مرة منذ أسبوعين - وهج ضوء الشمس، وزرقة السماء.

كان ثمة فوضى في الغرف والمقصورات، كما كان ثمة أسئلة خفية. أطلق أحدهم ضوءاً باهراً في عينه اليمنى، ثم اليسرى، وكان ثمة دثار من القطن ملقى على كتفيه. ثم دارت الدائرة كما لو أنه في حلم، فوجد كراين نفسه مجدداً في مكتبة ستورم كينغ في مواجهة شاشة الكومبيوتر نفسها التي كان قد جلس في مواجهتها منذ إثني عشر يوماً بعد ظهر ذلك اليوم الذي وصل فيه.

لعق شفتيه، فلربما كان ذلك مجرد حلم. ولعله لم يحدث شيء من ذلك كله. لقد كان كل ذلك ترفاً ذهنياً خادعاً. بدأ جميلاً وواعداً، ثم تتطور ببطء إلى كابوس. والآن، ها هو الوعي قد عاد؛ نتف وأجزاء من وهم سوف تسقط مثل قطع من واجهة كاذبة؛ فالمنطق لا بد من أن يعيد تأكيد نفسه؛ والمشهد بكامله سيكشف أن الأمر كله لم يكن سوى مجرد هروب إلى الأحلام، منافٍ للواقع.

ثم دبت الحياة في شاشة الحاسوب، كاشفة عن وجه رجل يبدو عليه الإرهاق والتعب، ويرتدي بذلة سوداء، ويضع فوق أنفه نظارتين دون إطار، ويجلس خلف مكتب. وقد علم كراين، حق العلم، أن ما يراه الآن

ليس حليماً.

"يا دكتور كراين،" قال الرجل. "إن اسمي هو ماكفرسون، وقد فهمتُ أن الأدميرال سبارتان كان قد أعطاك بطاقتي."

"صحيح."

"لمَ لا تبدأ رواية القصة من أولها إذن؟ لا تدع شيئاً دون أن تذكره لي."

بهذوءٍ، وبطريقة منهجية، روى كراين أحداث الأسبوعين الماضيين. وكان ماكفرسون يصغي معظم الوقت، ودون أن يتحرك من مكانه. لكن السؤال العرَضِي الذي ألقاه كان قد كشف بوضوح أن كثيراً مما يسمعه لم يكن جديداً عليه بالكامل. وعندما قاربت رواية كراين على نهايتها - تبرير نظرية آيشر، أفعال كوروليس، الاجتماع الأخير مع سبارتان- فإن الوجه المتعب لماكفرسون بدا أنه قد صار أكثر تعباً. فالجيوب حول عينيه بدت كما لو أنها تصبح أكثر عتامة، كما أن كتفيه قد ازدادا تراخياً.

أمسك كراين عن الكلام، وملاً الغرفة للحظة صمتاً عميقاً. أخيراً نهض ماكفرسون. "شكراً لك يا دكتور كراين." مدَّ يده إلى علبة تحكم بقربه، استعداداً لقطع الاتصال بواسطة الدائرة المغلقة.

"لحظة واحدة من فضلك، قال كراين.

نظر إليه ماكفرسون مجدداً.

"ألا تستطيع أن تخبرني شيئاً عن المخربين؟ أعني ما هو الداعي الذي يدعو أي شخصٍ لكي يفعل مثل هذا الفعل؟"

أعطاه ماكفرسون ابتسامة مرهقة. "أخشى أن أسباباً كثيرة يمكن أن تدفع شخصاً ما لفعل مثل هذه الأفعال، يا دكتور كراين. لكن لكي أجبك على تساؤلك فإني سأخبرك القليل. فأنت ترى، كنا نتتبع خطوط اتصالهم، مثلما كان مارييس يخطط لكي يفعل. ومنذ ساعة تقريباً، قمنا باعتقال شخص في ستورم كينغ."

"هنا؟" قال كراين؟ "في برج حفر النفط؟"

"نعم، إنه حلقة الاتصال مع الدكتورة بيشوب. ونحن لا نعلم كل شيء حتى الآن، لكننا نعلم أننا نتعامل مع جماعة من الإيديولوجيين الذين يعارضون مصالح الولايات المتحدة بضراوة، ويكرسون أنفسهم لشل قدراتنا على الدفاع عن أنفسنا. إن معظم الأعضاء لديهم يجري تجنيدهم من الكليات والجامعات، إلى درجة تشبه ما حصل مع كيم فيليببي وعاي بيرجيس وسواهما من جواسيس كامبريدج. إنهم شباب شديدو التأثير وممثلون بالمثل العليا. وبذلك يمكن التأثير عليهم بسهولة وافتراسهم بيسر. وهذه الجماعة جيدة التمويل. هل يأتي هذا التمويل من حكومات أجنبية، أم من ممولين أفراد؟ لسنا متأكدين حتى الآن. لكننا سنكتشف ذلك في وقت قريب. وفي أي حال، فإن هذه الجماعة كانت قد عاهدت نفسها على منعنا من امتلاك ما قد نجده هناك من تكنولوجيا مطمورة في الموقع."

كان هناك صمتٌ قصير. "وهكذا، ماذا سيحدث الآن؟" سأله كراين.

"سوف تبقى معنا لبضعة أيام، مع السيدة بينغ وبعض الأشخاص الآخرين. وحالما تنتهي أعمال المعالجة واستخلاص المعلومات، يمكنكم الذهاب

حيثما تشاؤون." "

"كلا، ما قصده هو ماذا سيحدث للمشروع؟  
لعاصفة الأعماق؟"

"يا دكتور كراين، لم يعد هناك أي مشروع. إن عاصفة الأعماق هو مشروع قد انطوى." وعند هذا القدر، أزال ماكفرسون نظارتيه، ودَعَكَ عينيه، وأنهى الاتصال."

\* \* \*

غادر كراين المكتبة ومشى في الممر المعدني الرتيب الذي يقع بعدها. مرَّ بمكتبٍ تجلس فيه جماعة صغيرة من الناس معاً وهم يتكلمون بأصوات خفيضة. وفي مكتبٍ آخر، جلست امرأة إلى مكتب وهي تغفل كفيها معاً وتخفض رأسها إما في تأمل وإما في صلاة. كان كل واحد يبدو في حالة من الصدمة. مرَّ تقني بالقرب منه، وكانت مشية الرجل بطيئة وغير هادفة تقريباً.

عندما وصل كراين إلى نهاية الممر، فتح بوابة الخروج. وفي الخارج، وراء الحاجز المعدني للممر، كان البحر الأزرق الداكن يمتد إلى اللانهاية. خرج إلى هواء البحر الطلق، وصعد عدة درجات إلى أعلى السطح. كان هناك عدد من الناجين من عاصفة الأعماق مجتمعين بالقرب من مهبط الحوامات في انتظار طوافة أم شاييل لكي تقوم برحلتها الثانية من إيسلندا. وكان يقف في مكانٍ منفصل عنهم رجل شاحب البشرة، وُضعت أغلال في يديه ورجليه، وهو موثوق إلى دعامة عمودية. كان

الرجل يضع على عينيه نظارتين لهما شكل الفراشة.  
فيما يقف إلى جانبه حارسان من المارينز.

وعند حافة المنصة، بعيداً عن الآخرين، كانت تقف هُويٌّ بينغ، تسرّح أنظارها في المدى البعيد، وهي ترقب الشمس التي توشك أن تغطس وراء الأمواج المضطربة. مشى كراين نحوها للانضمام إليها، ومعاً وقفا مدة من الزمن في مناجاة الصمت. وفي الأسفل البعيد، في بقعة الزيت التي تلتفُّ حول الأعمدة الداعمة، كان ثمة مركبان تابعان للقوات البحرية، يطوفان جيئةً وذهاباً في حقل واسع من الأنقاض، متوقفين مرة بعد مرة لاستعادة شيء ما.

"هل فُضي الأمر؟" سألته هُويٌّ أخيراً.

"في الوقت الحاضر."

"وماذا بعد؟"

"سنبقى ضعيفين على الحكومة لبضعة أيام. ثم أعتقد أنهم سيخلون سبيلنا، ونحاول متابعة حياتنا الخاصة."

أعادت هُويٌّ خصلة شعرٍ شاردةٍ إلى وراء أذنها. "كنت أحاول أن أستجلي المنطق من كل ما جرى. وأعتقد أنني أفهم لماذا قامت الدكتورة بيشوب بقتل آيشر. فهي عندما عرفت أنه وماريس يتتبعان خطوط اتصالات المخربين، شعرت أن لا مجال لها سوى التخلص منه لأنها لم تستطع أن تسمح لنفسها بأن يجري إيقافها بشكل احترافي."

"هكذا يبدو الأمر لي أيضاً. لقد كان آيشر قد أخبرني أنه قد قام بتنبيه جميع رؤساء الأقسام لكي يكونوا

يقظين، بمن فيهم هي. وكان هذا بمثابة قيامه بنفسه  
بإعطاء الإذن بموته.

"لكن شيئاً واحداً لا أستطيع أن أفهمه. لماذا لا نزال  
نحن هنا جميعاً؟"

استدار كراين نحوها. "ماذا تقصدين؟"

"إن المنشأة قد صارت دماراً بواسطة انفجار كبير.  
وهذا يعني أن كوروليس لا بد من أن يكون قد وصل إلى  
منطقة الشذور الجيولوجي. فإذا كنا محقين في ما  
ذهبنا إليه، عما هو مدفون هناك: فلماذا إذن يبقى لنا  
أرض نقف عليها؟" ثم أشارت إلى السماء. "لماذا أجد  
أنني ما زلت أستطيع أن أرى كوكب فينوس في  
الأفق؟"

"كنت أفكر في السؤال ذاته. والتفسير الوحيد الذي  
استطعت الخروج به، هو أن هذا الأمر يتعلق بالتدابير  
الإيجابية الرادعة التي كنا قد تكلمنا عنها."

"إذن، إن الانفجار الذي دمر المنشأة كان نوعاً من  
آلية وقائية."

أوما كراين إيجاباً. "بالضبط. إنه انفجارٌ قصد به فقط  
حفظ هذا المستودع بعيداً عن أي عبث. وإنه انفجار  
رهيب طبعاً، لكنه ليس أكثر من وخزة دبوس بالمقارنة  
مع ما كان سوف يحدث لو سارت الأمور بشكلٍ مغاير."

لذا بالصمت قليلاً. استمرت هوي في التحديق في  
الأفق. "إنه غروبٌ جميل،" قالت أخيراً. "أتعلم أنني  
اعتقدت لبعض الوقت أنني لن أرى غروباً جديداً..."  
تنهدت ثم هزت رأسها.

"ماذا تقولين؟"

"لا أستطيع مغالبة شعوري ببعض الخيبة لأننا لن  
نتمكن من روية تلك التكنولوجيا مرة جديدة. أعني حتى  
هذا الجزء الصغير منها الذي كنا على تماسٍ معه - فقد  
كان رائعاً. أمّا الآن، فقد خسرناه إلى الأبد."

لم يُجِها كراين إجابةً فوريّةً، بل استدار في اتجاه  
السياح وأدخل يده في جيب معطفه. "لست متأكداً مما  
تقولين." وبيبء شديد، أخرج يده من جيبه. كان في  
قبضته أنبوب اختبار بلاستيكي يلمع تحت أشعة شمس  
الغروب البرتقالية. وكان للأنبوب سداة مطاطية حمراء.  
وكان الشيء الذي يطفو بتكاسل في داخل الأنبوب،  
يتوهج بوعدٍ غريبٍ لا يخلو من الفتنة.

خاتمة

غسل كراين موسى الحلاقة في تيار الماء الساخن وتفحص وجهه جيداً في مرآة الحمام، ثم حزم مستحضرات استحمامه، وعاد إلى غرفة نومه. ارتدى ثيابه بسرعة، ووضعاً عليه قميصاً أبيضاً، وربطة عنق بنية، وبنطالاً من القطن الكاكي الضارب إلى الأصفر: مظهرٌ مدنيٌّ أقرب ما يمكن أن يصل إليه عسكريٌّ في البحرية. ثم ثبت بطاقة التعريف الكبيرة التي التقطها من خزانة قريبة، على جيب قميصه. ألقى على الغرفة نظرةً فاحصةً سريعةً أخيرةً، ثم وضع أدوات استحمامه في الحقيبة ورفعها عن السرير. وقد كانت هذه الحقيبة، مثل أيِّ شيءٍ آخر، قد أعطيت له من أمين التموين في البحرية، وكان وزنها بالغ الخفة حين أمسكها بيده. ولعل هذا ما لا يثير أيَّ دهشة، فكر في نفسه، لأنها لا تكاد تحتوي شيئاً. فهو لم يخرج معه شيئاً من عاصفة الأعماق سوى هذا الخافر. وحتى هذا الخافر ما لبث أن قام بتسليمه لاحقاً - بعد مراجعة قليلة مع نفسه - إلى ماكفرسون.

وكان ماكفرسون هذا، قد اتصل به منذ دقائق، يطلب منه المرور بمكتبه قبل التوجه إلى الإدارة.

تردد كراين لحظةً أخرى، ثم ألقى نظرةً أخيرةً حوله قبل أن يخرج من الغرفة ويمشي إلى ممر المهجع، ومنه إلى الفضاء الطلق المشعِّ بشمس شهر تموز/ يوليو.

كان قد مضى على إقامته هنا في قاعدة جورج ستانفورد البحرية التي تقع على مسافة عشرين ميلاً إلى جنوبي واشنطن، مدة ثلاثة أيام فقط. ومع ذلك، فإنه بات يألف نسق هذه المنشأة الصغيرة، الشديدة الحراسة الأمنية. رمش عينيه تحت وطأة وهج الشمس

اللامع، ومشى عبر مرآب السيارات وورشة المكنات، إلى المبنى الذي يشبه شكله شكل العنبر، المعروف باسم المبنى رقم 17. برز بطاقته التعريفية إلى رجل البحرية المسلح الواقف في الخارج، لكن هذا الإجراء كان مجرد إجراء روتيني شكلي فقط. فقد كان قد سبق له أن خرج وظهر عدة مرات في الأيام القليلة الماضية بما يكفي لجعل كل من في المبنى يتعرف إليه من مجرد النظر إليه.

في الداخل، كان المبنى رقم 17 جيد الإضاءة. ولم يكن فيه جدران فاصلة داخلية، لذلك فقد كان لجوفه الفسيح رجوع أصوات أشبه ما تكون بتلك التي نسمعها في ملعب كرة السلة. وفي وسط العنبر، في مساحة معزولة ومكثفة الحراسة، كان ثمة ركام ممتد المساحة، من المعدن المشوه: بقايا عاصفة الأعماق، أو على الأقل، تلك الأجزاء التي بقيت سالمة بما يكفي لالتقاطها. إذ إن معظم ما تضمه كان قد بقي غارقاً في قعر البحر الشديد الإشعاع بحيث لا يمكن الاقتراب منه. لقد بدا هذا الركام أشبه بمخلفات منشار منحنيات عملاق، في حلمٍ مرعب.

ففي البداية - عندما كان الأمر يقتضي منه المساهمة في أعمال التفريق والتوصيف - كان يغلب عليه شعور بالذعر. أمّا الآن، فما عاد يثير منظر هذه الأشياء في نفسه سوى الحزن.

وعند النهاية القصوى للمبنى رقم 17، كان ثمة سلسلة من المقصورات التي كانت على اجتماعها معاً تبدو ضئيلة الحجم نسبة إلى المساحة العملاقة. مشى كراين عبر الأرض الإسمنتية نحو المقصورة رقم واحد - ورغم أنه لم يكن ثمة باب لها - فقد نقر كراين على

جدارها مراعاة للشكليات.

"تفضل،" ناداه صوتٌ مألوفٌ. فدلف كراين إلى الداخل.

كان أثاث المقصورة يقتصر على مكتبٍ وطاولة اجتماعات وبضعة كراسي. وقد لاحظ كراين أن هوي بينغ كانت تجلس إلى طاولة الاجتماعات. ابتسم لها فردت له ابتسامته بشيءٍ من الخجل، حسبما بدا له. وعلى الفور، بدأ يشعر أنه في حالٍ أفضل.

فمنذ وصولهما إلى هذه المنشأة، كان الإثنان قد أمضيا معاً معظم ساعات صحوهما: يجيبان على الأسئلة التي لا تنتهي، ويعيدان ترتيب الأحداث، ويشرحان ما الذي حدث - ولماذا - وذلك إلى مجموعة لا تنتهي من العلماء الحكوميين، والقادة العسكريين، وسواهم من الرجال الغامضين الذين يرتدون بذلاتٍ غامقة اللون. وقد نفعهما هذا الوقت فقط في توثيق العلاقة بينهما، تلك العلاقة التي كانت قد بدأت تتكون منذ لقائهما الأول في المنشأة. وبينما كان كراين لا يعلم على وجه التحديد ما هو المستقبل المباشر الذي كان ينتظره - لربما يكون منصباً بحثياً - إلا أنه كان يشعر، بثقة، أن هوي بينغ لا بدّ من أن يكون لها دورٌ تؤدّيه فيه، إن بطريقةٍ أو بأخرى.

جلس ماكفرسون خلف مكتبه يحدّق في شاشة حاسوبه. كانت زاوية من زوايا ظهر مكتبه تتراكم فوقها كدساتٌ من الوثائق السرية، ومن الرسوم البيانية الأخرى، ومن مطبوعات الكمبيوتر الضخمة. وفي وسط المكتب، كان ثمة مكعبٌ أجوفٌ من البلاستيك الأبيض الشفاف. وفي داخله، كان يطفو 'الخافر' العائد

إلى كراين.

كان كراين يفترض أن ماكفرسون هذا، لا بد له من أن يكون يحمل اسماً أولاً خاصاً به، وأنه لا بد من أن يكون له منزل في ضاحية ما، وربما عائلة أيضاً. لكن لو كان لماكفرسون حياة تتعدى حياته في القاعدة البحرية، فلا بد من أنها ستكون موضوعة في حالة تجميد دائمة. إذ كلما تواجد كراين في المبنى رقم 17: تبين له أن ماكفرسون موجود هو أيضاً هناك، إما لحضور اجتماع، أو لكتابة تقرير، أو للانخراط في مشاورات هامة مع العلماء العسكريين البحريين. ومع مرور الأيام، فإن نزعة الرجل الرسمية التي ابتدأ بها في علاقته مع كراين قد نمت وبدا الرجل أكثر ابتعاداً وانسحاباً. وفي المدة الأخيرة، بات لا ينقطع عن مراقبة أفلام الفيديو المستخلصة من البث الذي كانت قد أرسلته البلورة رقم ثلاثة في رحلتها الأخيرة، المرة تلو الأخرى، بطريقة تشبه طريقة الرجل الذي ينشغل بأوجاع ضرس مؤلم عن سواها من الشؤون. لقد لاحظ كراين أن أحداث تلك الرحلة إنما يجري عرضها حتى في تلك اللحظة. وقد تساءل هل تكون المنشأة هي المسؤولة المباشرة للرجل، وهل تراه سيكون عرضة للمساءلة في نهاية المطاف، بشكلٍ أو بآخر، عن مصيرها المأساوي؟

"أسمح لي بالجلوس؟" سأله.

للحظة، بقي ماكفرسون مسمراً إلى الشاشة، غير الصافية العرض، ثم تراجع عنها. "تفضل." توقف منقلاً نظره من كراين إلى بينغ هوي. "هل انتهيتما من حزم أمتعتكما؟"

أومات كراين. "إن ذلك لم يتطلب مني وقتاً طويلاً."

"سوف تُنهي إجراءاتكما الإدارية. وحالما تنتهي المقابلات المتعلقة بخروجكما، ستنقلكما سيارة إلى المطار." ثم مدَّ الرجل يده على دُرج مكتبه. وهنا اعتقد كراين أنه سيعطيه المزيد من الأوراق التي يتعين عليهما توقيعها. وسيقوم الرجل باستخراجها. لكن بدلاً من ذلك، استلَّ الرجل حقيبتين صغيرتين من جلدٍ أسودٍ وسلمهما لهما بطريقة رسمية عبر المكتب. "هنالك شيء واحد إضافي فقط."

راقب كراين هوي وهي تفتح حقيبتها. وكيف أن عيناها قد توسَّعت نظرتهما، وهي تمسك أنفاسها.

تحوَّل إلى الحقيبة التي تعود إليه. فوجد في داخلها شهادة تنويه رسميِّ لم تقتصر التواقيع التي تحملها على تواقيع ستة من أرقى أدميرالات القوات البحرية فحسب، بل أنها كانت تحمل أيضاً توقيع رئيس الولايات المتحدة نفسه.

"لست متأكِّداً أنني أفقه كلَّ شيء،" قال.

"وما الذي عليك أن تفهمه يا دكتور كراين؟ فأنت والدكتورة بينغ قد نجحتما في تقرير ماهية الطبيعة الحقيقية لهذا الشيء الغريب القابع في الأعماق. وقد احتفظتما بوعيكما التام عندما فقد الآخرون رؤوسهم. وقد ساعدتما في إنقاذ حياة ما لا يقلُّ عن مئة وإثني عشر شخصاً. ومن أجل ذلك كلِّه، فإن الحكومة ستبقى مدينة لكما على الدوام."

أغلق كراين غطاء حقيبته. "أمن أجل هذا فقط أردت مقابلتنا؟"

أوما ماكفرسون بالإيجاب. "نعم، ولكي أقول لكما: مع السلامة أيضاً." وقف وصافحهما كل بدوره. "إنهم في انتظاركما في الإدارة." ثم جلس وتابع مراقبته لشاشة الحاسوب.

نهضت هُوي واتجهت نحو مخرج المقصورة. ثم استدارت في انتظار كراين. نهض ببطء، فيما نظرته تتحرك بين ماكفرسون وشاشته. لقد استطاع أن يرى صورة كوروليس وهو منكبٌ فوق عدسة الرؤية أمامه؛ بينما فلايت يشتغل على الذراع الروبوتية. وكان ماكفرسون قد جعل حجم الصوت خفياً. ومع كل ذلك، فقد استطاع كراين أن يميّز صوت الرجل، الذي يشبه صوت الطائر، وهو يقول: "إنها مقبرة للأسلحة، أسلحة ناتجة عن سباق تسلح بين سكان الكواكب الخارجية..."

"دعها في سبيلها،" قال كراين بهدوء.

ارتفعت نظرة ماكفرسون القليقة إليه. "عفوك؟"

"لقد قلتُ، دعها في سبيلها، فقد قُضي الأمر."

عاد ماكفرسون بنظرته إلى الشاشة، ولم يجب.

"إنها مأساة، لكنها قد عبرت الآن في سبيلها. ولا داعٍ إلى القلق من قيام الآخرين بالوصول إلى الموقع. فما من حكومة أجنبية تستطيع القيام بالتنقيب في السطح البيني؛ فهو مليء بالإشعاعات."

وكان ماكفرسون لم يفهُ بعد بأيِّ جواب. وبدا الرجل وكأنه يعاني من صراعٍ داخلي.

"أستطيع أن أحرز ما هو الشيء الذي يشغل بالك،" قال كراين بلطف. "إنه مجرد تفكيرك بوجود مثل هذه المقبرة للأسلحة، مخزون قادرٌ على إحداث كمٍّ لا حصر

له من قوّة التدمير، وكلّه مَطْمور في باطن كوكبنا. وإن هذا الأمر يقلقني أيضاً. لكنني لا ألبث أن أذكر نفسي لأن كائناً مَنْ كان ذاك الذي قام بطمر هذه الأسلحة والآلات، فهو قادرٌ أيضاً على القيام بحمايتها، كما هو قادر على التأكد من أن أحداً لن يستطيع التلاعب بها. وقد اكتشف كوروليس صدق تلك الحقيقة بالطريقة الصعبة. وشريط الفيديو هذا الذي تقوم أنت الآن بمشاهدته هو خير شاهدٍ على ذلك.

حدّق ماكفرسون من جديد، وقد بدا عليه أنه قد توصل إلى قرارٍ خاصٍ. نظر نظرة جديدة نحو كراين.

"ليس هذا هو ما يقلقني."

"ما هو إذاً؟"

أشار ماكفرسون نحو الشاشة. "لقد سمعت ما قاله فلايت. إنها مقبرةٌ للسلاح. مكانٌ بات خارج إمكانية القيام بالاقتراب منه مرةً جديدة."

"نعم."

مدّ ماكفرسون يده نحو لوحة مفاتيح حاسوبه، وقام بطباعة أمرٍ. أعاد الكومبيوتر الشريط إلى الوراء بسرعة. وبأمرٍ جديدٍ، عاد العرض إلى حالته. هنا أصغى كراين إلى المحادثة التي سجلها الشريط: "... ثقبان أسودان يدوران حول بعضهما بعضاً في مدارٍ شديد القرب... ويسرعة هائلة... أحدهما من المادة، والثاني من اللامادة... فإذا ما أزيلت القوة التي تحفظهما في مدارهما، فإن الانفجار الذي سينتج عن اصطدامهما كفيل بتدمير النظام الشمسي بأكمله..."

أوقف ماكفرسون العرض. تناول منديلاً ورقياً من

صندوق على ظهر مكتبه، ثم مسح عينيه. "لدينا أيضاً أراضٍ نَظْمَرُ فيها أسلحتنا النووية القديمة،" قال في صوتٍ خفيضٍ.

"مثلُ موقعِ جبل أوكوتيلو. لقد كان آيشر يبحث في هذا الموقع، وبواسطة ذلك استطعنا -"

"ولكن، هل ترى يا دكتور كراين،" قاطعه ماكفرسون، "هذه هي المسألة التي تسرق النوم من عينيّ. فنحن نقوم بتفكيك أسلحتنا القديمة قبل القيام بطمرها."

حدّق كراين في صمتٍ نحو ماكفرسون للحظة وهو يفكّر في هذا الكلام.

"ألا تعتقد أنّ -" بدأت هويّ كلامها. ثم آثرت عدم المتابعة.

"ما هو المظمور هنا تحت طبقة الموهو؟" سأل ماكفرسون. "بالطبع آلاف من الأجهزة؟ أجهزة صالحة للعمل. أسلحة لا يرقى إليها الخيال، وثقوبٌ سوداءٌ مرتبطة، واحدها إلى الآخر في مدارات سريعة، فإذا أردت تفكيك مثل هذا السلاح، فما عليك، بكل بساطة، سوى أن تفكّ الإقتران بين كل زوج، بحيث أنهما لا يستطيعان بعد ذلك أبداً أن يتلامساً. أليس كذلك؟" انحنى عبر مكتبه. "فإذا كان ما لدينا ليس سوى مجرد مقبرة، فلمَ لم يجر ذلك إذن؟"

"لأن -" وهنا وجد كراين فجأة أنّ فمه قد صار جافاً. "لأن هذه الأسلحة لم يجر تفكيكها."

أوماً ماكفرسون برأسه ببطءٍ شديدٍ. "قد أكون مخطئاً في اعتقادي. لكنني لا أعتقد أنّ هذا الموقع هو

مجرد مطمر.

"إذن أنت تعتقد أنه "مستودع أسلحة، موضوع في الخدمة الفعلية،"

قال كراين ببطء.

"وهي أسلحة فعلية مخبأة على كوكب لا قيمة له." أجاب ماكفرسون. "إلى أن..."

لم يكمل ماكفرسون جملته لأنه لم يكن بحاجة إلى إكمالها.

\* \* \*

وببطء، مشى كراين وبينغ في العنبر ذي الرجوع والصدى. مرًا بالحطام الذي كان يسمى يوماً ما بالمنشأة. إنجها نحو بوابة الأمن للخروج الواقعة عند الجدار البعيد. وفيما كانا يسيران، ذهب كراين بذهنه بشكل لا يقاوم، إلى رواية الشاهد العيان، الصياد الدانماركي جون ألبرن، وهي الشهادة المسجلة والمتروكة منذ ستمائة سنة، والتي يقول فيها: ثقب ظهر في السماوات. ومن خلاله بانت عين عملاقة، محاطة بلهب أبيض...

عبرا البوابة الأمنية، وخرجا إلى الطريق الاسفلتي حيث ضوء النهار الذي لا يرحم. كانت الشمس كرة ملتهبة وسط سماء لازوردية صافية تماماً. وعندما نظر كراين في اتجاه السماء، عجب لنفسه كيف أنه ما زال يستطيع أن ينظر إليها فيراها مجدداً بالحالة التي كانت عليها.